وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1 – الحاج لخضر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ وعلم الآثار

المظاهر الثقافية والفكرية في المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني (146ق.م-430م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ القديم

إعداد الطالب: نور السادات بوقفة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور: الربيع عولمي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
عاشور منصورية	أستاذ محاضر – أ	رئيساً	جامعة باتنة 1
الربيع عولمي	أستاذ	مشرفاً ومقرراً	جامعة باتنة 1
سليم سعيدي	أستاذ محاضر – أ	عضواً مناقشاً	جامعة باتنة 1
خالد محفوظ	أستاذ محاضر – أ	عضواً مناقشاً	جامعة سطيف 2
عبد الرحمن بن عطياالله	أستاذ	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي – تبسة
مجيد مهني	أستاذ محاضر – أ	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي – تبسة

السنة الجامعية 2024-2025م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني إلى إنجاز هذا العمل المتواضع.
ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور الفاضل "ربيع عولمي" الذي وسعني برحابة صدره، وتوجيهاته العلمية السديدة، ولم يكن هذا العمل ليرى النور، لو لا تلك النصائح التي أسداها إلي
ومتابعته العمل من أوله إلى نهايته.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الوالدين الكريمين
أطال الله عمرهما في طاعته
واللذين يعود لهما الفضل في وصولي إلى هذا المستوى.

وإلى زوجتي وأبنائي وأحبائي (إلياس وعبد المؤمن وأيوب وثزيري)
وإلى كل إخوتي وأفراد أسرهم.
وإلى كل الزملاء والأصدقاء الذين مدوا لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.
فإلى كل هؤلاء موفور الشكر والتقدير.

الطالب: نور السادات بوقفة
Nour essadate Bougoffa

قائمة المختصرات:

- Alg.Anti. = L'Algérie dans l'antiquité
- An. Afri. = Antiquités Africaines
- C.C.I.N. = Collection complète des inscriptions numidiques
- C.R.B. = Centre de Recherche Berbère
- CIL = Corpvs Inscriptionvm Latinarvm
- D.L.A.R. = Daily Life in Ancient Rome
- E.L.L.A.P. = Étude sur la littérature latine d'Afrique, les païens
- Enc.Ber. = Encyclopédie berbère
- H.A.A.N. = Histoire ancienne de l'Afrique du nord
- H.L.A.C. = Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne
- I.L.Afri.= inscriptions latines d'Afrique
- I.L.Alg. = Inscriptions latines de L'Algérie
- I.L.Tun. = Inscription latines de la Tunisie
- I.R.Alg. = Inscriptions romaines de L'Algérie
- R.I.L. = Recueil des inscriptions libyques
- R.I.L.B. = Recueil D'inscriptions Libyco Berbères
- R.I.R.C.A. = Revue de l'Institut Royal de la Culture Amazighe
- Re. Afri. = Revue Africaine
- RE.T.A. = Revue Tunisienne d'Archéologie
- S.M.H.A. = Service des Monuments Historiques de l'Algérie
- Soc.Géo. = Société de géographie
- V.QU.R.A.E. = la vie quotidienne a Rome à l'apogée de l'empire

مقـــدمـــــة

مقدمة:

خضعت بلاد المغرب القديم للاحتلال الروماني بشكل تدريجي؛ فبعدما تمكن الرومان من القضاء على الطوق القرطاجي بتدمير قرطاجة في عام 146ق.م بعد الحرب البونية الثالثة (149-146ق.م)، ثبّت أقدامه هناك بتأسيس ولاية أفريقيا Africa، وفي سنة 74ق.م تم ضم إقليم قورينائية (كيرينايكا Cyrenaica) إلى الأملاك الرومانية. وبعد عام 46ق.م مع سقوط نوميديا أثناء الحرب الأفريقية (47-46ق.م)، وتحولها إلى مقاطعة أفريقيا الجديدة Africa Nova أصبحب ولاية أفريقيا تعرف بأفريقيا القديمة Africa Vetus. وإلى غاية 27ق.م سيتم ضم الولايتين القديمة والجديدة تحت مسمى ولاية أفريقيا البروقنصلية Africa Proconsularis. وهيمن الاحتلال الروماني كلية على المغرب القديم بعد القضاء على أغليدية موريطانيا في عام 40م، وتحولها إلى مقاطعتين؛ الأولى هي موريطانيا القيصرية Mauretania Caesariensis شرقاً والثانية عرفت بموريطانيا الطنجية Mauretania Tingitana غرباً.

ولقد انتهج الاحتلال الروماني سياسة عرفت بسياسة الرومنة، في مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية عامة وفي بلاد المغرب القديم خاصة، وقد مست تلك السياسة مختلف المجالات وأخص بالذكر هنا المجال الثقافي، وهدف الرومان من وراء ذلك ضمان الاستمرارية الدائمة لسيطرته على بلاد المغرب القديم.

وحمل المجتمع الروماني معه قيّمه ومظاهره الثقافية والحضارية إلى بلاد المغرب القديم، وطرحها كبديل للمظاهر الثقافية والحضارية لمجتمع بلاد المغرب القديم، ودعم تلك المظاهر بالسند السياسي والقانوني، ما أدى إلى حدوث مؤثرات ثقافية على الواقع الثقافي لبلاد المغرب القديم، الشيء الذي دفع بالكثير من أفراد مجتمع المغرب القديم إلى ضرورة مسايرة المتغيرات الجديدة والقبول بالأمر الواقع.

وبما أن بلاد المغرب القديم قد شهدت تعددية ثقافية سابقة للاحتلال الروماني، فقد أدت السياسة الرومانية الجديدة في المنطقة إلى حدوث حركة مثاقفة بين مختلف المكونات الثقافية التي عرفها مجتمع المغرب القديم، ثم أخذت في التراجع التدريجي أمام مظاهر الثقافة اللاتينية الرومانية، وهذه الأخيرة أدت إلى بروز وانتشار أنساق ثقافية على النمط

الروماني، تبناها مجتمع المغرب القديم، انعكست في مجموعة من المظاهر الثقافية والفكرية التي سادت في بلاد المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني.

ومن هذا المنطلق جاء اختياري لموضوع أطروحتي الموسومة بـ: "المظاهر الثقافية والفكرية في المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني 146ق.م-430م"، والذي سأعالج فيه بعض المظاهر الثقافية والفكرية خلال هذه الفترة، المتعلقة بالحقل اللغوي والمجال التعليمي وإفرازاته، وأشهر المراكز التعليمية والعلمية والثقافية، والإسهامات العلمية والفكرية للنخب المثقفة في المغرب القديم.

- **حدود البحث:** وللبحث حدودًا مكانية وزمانية؛ فبالنسبة لحدوده المكانية، فتتعلق بالمناطق الجغرافية التي خضعت للاحتلال الروماني من بلاد المغرب القديم، المتمثلة في إقليم قورينائية (كيرينايكا) Cyrénaïque وتريبوليتانيا Tripolitaine (طرابلس) والبيزاسان Byzacene (المزاق) والبروقنصلية Proconsulaire ونوميديا والموريطانيتين القيصرية والطنجية، أي المنطقة الممتدة من قورينائية (كيرينايكا) شرقاً (شرق ليبيا حالياً) إلى موريطانيا الطنجية غرباً (شمال المغرب الأقصى حالياً)، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى غاية المشارف الشمالية للأطلس الصحراوي.

أما حدود البحث الزمانية، فهي من عام 146ق.م تاريخ تدمير قرطاجة البونية إلى غاية عام 430م تاريخ بداية الغزو الوندالي للمنطقة، لأن الدراسة تتناول مرحلة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم.

- **أهمية الموضوع:** إن موضوع هذه الدراسة من المواضيع الهامة التي تسمح لنا بالتعرف على المظاهر الثقافية والفكرية التي شهدتها منطقة المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، وحركة التفاعلات الثقافية من الناحية اللغوية وانتشار الظاهرة التعليمية التي أفرزت متغيرات على منطقة المغرب القديم أرضاً ومجتمعاً، ما أدى إلى تبني الأنماط الرومانية وأنتج نخباً مغاربية مثقفة أدت أدواراً تعليمية وعلمية من خلال إسهاماتها في إثراء التراث اللاتيني عامة والمغاربي خاصة، حمل في عمقه ميزات سوسيوثقافية مغاربية أصيلة تسربت إلى الثقافة اللاتينية.

ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة، في أن معظم الدراسات السابقة التي تناولت هذه الفترة التاريخية كفترة رومانية أسهم في صياغتها المجتمع الروماني، بينما الحقيقة التاريخية

تشير إلى أن الكثير من أفراد مجتمع المغرب القديم الذين تبنوا مظاهر الثقافة والحضارة الرومانية، كانت عناصر فاعلة في صياغة الكثير من تلك المظاهر في بلاد المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني، بل والأكثر من ذلك فقد امتد تأثيرهم إلى خارج حدود بلاد المغرب القديم، ومنهم من لا يزال تأثيره قائماً إلى يومنا هذا.

هذه الرؤية دفعتني إلى ضرورة التحلي بالنظرة النقدية والتحليلية والمنطقية وبالموضوعية العلمية، لدراسة هذا الموضوع وفقاً لمقوماتنا الثقافية والحضارية، سعياً وراء فكرة كتابة تاريخنا على أساس خلفيات تاريخية محلية.

– **أهداف الدراسة:** لهذه الدراسة العديد من الأهداف، ولعل أسماها هو دراسة التاريخ الثقافي للمغرب القديم، كما تعتبر حلقة من حلقات البحث العلمي حول المظاهر الثقافية والفكرية التي عرفتها بلاد المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني، ومحاولة التوغل في التاريخ الثقافي للمنطقة لاستجلاء الحقائق التاريخية حول الدور الثقافي لمجتمع المغرب القديم في الإنتاج الحضاري خلال فترة الاحتلال الروماني، وحجم ما خلفه من إرث ثقافي مغاربي لاتيني.

كما تدخل هذه الدراسة في مجال إثراء الإنتاج الفكري المحلي في الجانب الثقافي، إذ ستفيد أفراد المجتمع من مختلف الفئات، من باحثين وطلبة وغيرهم، حيث تمكنهم من الإطلاع على تاريخ منطقة بلاد المغرب، والتيقن من أن مجتمع المغرب القديم لم يكن على هامش التاريخ بقدر ما كان عنصراً فاعلاً فيه، مقارنة بحجم إسهامه في الإنتاج الحضاري الإنساني خلال الفترة الرومانية.

– **دوافع اختيار الموضوع:** تفاعلت مجموعة من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار دراسة هذا النوع من المواضيع أوجزها فيما يلي:

1– ميولي إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية عامة، وتاريخ بلاد المغرب السوسيوثقافي خاصة، حيث لا يزال تاريخنا في هذه الجوانب مجالاً خصباً، يحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث والتنقيب.

2– الرغبة في دراسة هذا النوع من المواضيع بصورة مغايرة، للكثير من الدراسات التي تناولت التاريخ الثقافي لبلاد المغرب القديم خلال مختلف الفترات التاريخية وخاصة المرحلة الرومانية، والتي صورت هذا المجتمع بصورة المستهلك والمتبني للثقافات الوافدة، حيث صور أنه تفينق ثم تبينق ثم ترومن وعلى رأسها الدراسات العائدة إلى الفترة الكولونيالية

والدراسات المؤدلجة، وعليه فقد حاولت الالتزام بالموضوعية والمنطق العلمي وبأسلوب نقدي ومنهج علمي، لدراسة بعض المظاهر الثقافية والفكرية التي عرفها مجتمع بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

3- أغلبية الدراسات التي تناولت التاريخ الثقافي لبلاد المغرب القديم، لا ترقى لبحوث أصيلة وبطرح جديد، ومعظمها مالت إلى دراسة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، بينما الجوانب السوسيوثقافية لم توفى حقها الكامل من الدراسة، فلا تزال تحتاج إلى البحوث المعمقة والدقيقة من قبل الباحثين المحليين لبلاد المغرب، فالكثير من الدراسات التي درست هذه الجوانب، تصطدم بالكثير من الاعتراضات، لأن ثقافتنا تحتوي على بعض المسائل تحتاج لفهمها بل للقدرة على دراستها إلى أهل هذه الثقافة أو معرفة جيدة بها.

4- محاولة جذب بحاثينا لإمعان العقل في هذا النوع من الدراسات، لأن عدم الاهتمام بتاريخنا الثقافي القديم يعتبر ضياع لتاريخ بلادنا، بل سيكون بمثابة فصل وبتر لتاريخنا القديم عن تاريخنا الوسيط والحديث والمعاصر، وبالتالي الضياع التاريخي للأمة الجزائرية المعاصرة والمستقبلية، لأن المرجعية التاريخية للأمم هو كل الفترات والعصور التاريخية وأساس الحاضر والمستقبل.

- **إشكالية البحث:** من أجل الوصول إلى أهداف هذه الدراسة، تستدعي المسألة إلى طرح سلسلة من الفرضيات والتساؤلات، والتي حاولت من خلالها وضع إجابة لها مقتفياً في ذلك بالمنهج العلمي الذي تلتزم به الدراسات العلمية للبحث في التاريخ عامة والقديم خاصة، وانطلاقاً من إشكالية البحث التي تتمحور حول: طبيعة المظاهر الثقافية والفكرية التي عرفها مجتمع بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، ومن تلك التساؤلات الفرعية أذكر:

1- كيف كان واقع الحقل اللغوي في بلاد المغرب القديم في ظل الاحتلال الروماني؟ وهل استطاعت اللغات التي عرفتها المنطقة المغاربية الصمود أمام انتشار اللغة اللاتينية؟ وما دلائل ذلك؟.

2- كيف كان واقع المنظومة التعليمية؟ وما مراحلها؟ وما هي المناهج الدراسية والوسائل والآليات والأدوات التي أُعتمد عليها في سيرورته؟.

3- ما هي نتائج انتشار التعليم في بلاد المغرب القديم؟، وما أثاره على مجتمع المغرب القديم؟ وما هي إفرازاته؟ وكيف أثرت نخب بلاد المغرب القديم في تطور اللغة اللاتينية؟.

4- ما هي أهم وأشهر المراكز التعليمية والعلمية التي ازدهرت في منطقة المغرب القديم خلال الفترة الرومانية؟.

5- ما هي أهم المكتبات التي عرفتها مدن وحواضر بلاد المغرب القديم؟ وما هي دلائل وجودها؟ وما هي آليات عملها؟ وكيف أثرت نخب المغرب القديم في تطوير الكتاب؟.

6- ما هو حجم الإسهامات العلمية والفكرية لنخب بلاد المغرب القديم المثقفة الوثنية والمسيحية في التراث المغاربي اللاتيني؟.

- **المنهج المتبع في البحث:** اعتمدت في عرض المعطيات العلمية، وتنظيمها وتصنيفها ومناقشتها وتحليلها للوصول من خلالها لاستنباط نتائج علمية أكاديمية منها، على أكثر من منهج بحث، أذكرها في الآتي:

1- المنهج الوصفي: وقد اعتمدت على هذا المنهج في عرض المادة الخبرية، ذلك ما تتطلبه بعض الأحداث والوقائع التاريخية حين عرض النصوص والاقتباس منها وفقاً للأمانة العلمية قبل المضي في مناقشتها والتعليق عليها، ثم معالجة ووصف سيرورة الأحداث والوقائع والظواهر السوسيوثقافية والتاريخية التي تعالجها هذه الأطروحة، بالآلية التي تمكنني من ترتيبها وتصنيفها حسب أهميتها الزمكانية.

3- المنهج التحليلي: وهو منهج أساسي في الدراسات الأكاديمية، واعتمدت عليه في تحليل المعطيات العلمية التاريخوثقافية والسوسيوثقافية والسوسيوتاريخية التي تضمنتها هذه الدراسة، وتفسير تلك الظواهر المختلفة وفهم أسبابها ونتائجها، وتحليل الأنساق المكونة لها وعلاقتها فيما بينها، واستعنت به في تحليل المادة العلمية بالشرح والتفنيد والاستدلال والنفي.

4- المنهج المقارن: وباعتبار أن هذا المنهج يقوم على دراسة ظاهرة أو ظاهرتين أو أكثر بمقارنة خصائصها وأوجه الاختلاف والتشابه. وعليه فقد اعتمدت عليه في التقريب والمقارنة بين الوقائع التاريخية وتبسيط النماذج واستنباط واستخلاص النتائج.

- **نقد المصادر والمراجع:** اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر المادية والكتابية، والمراجع باللغتين العربية والأجنبية، وعلى دراسات وبحوث استقيتها من الدوريات ودوائر المعارف والمجلات التاريخية المتخصصة سواء كانت باللغة العربية أو الأجنبية، وسأقتصر هنا على ذكر أهم مصادر ومراجع البحث حسب أهميتها بالنسبة لموضوع الدراسة ومدى الاستفادة منها:

أولاً- المصادر:

أ) المصادر المعربة: تتكون هذه المصادر من:

1- النصوص الأدبية الرومانية والإغريقية وأهمها:

مؤلف "حرب يوغرطة" لسالوستيوس Sallustius، في ترجمتين؛ الأولى من ترجمة فيصل الأحمر وفاطمة بريهوم، والثانية ترجمة محمد العربي عقون بعنوان "المؤرخون القدامى". ورغم أن هذا الكاتب لم يؤلف كتابه هذا لغرض دراسة بلاد المغرب، وإنما جاء لنقد فساد النخب السياسية الرومانية في العهد الجمهوري، وما ورد فيه عن هذه المنطقة إنما جاء عرضاً. إلى أن القارئ لمؤلفه هذا يستنبط إشارات للأحداث والظواهر التي عرفتها المنطقة، منها تلميحات يسيرة عن انتشار اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم خلال القرون الأولى للاحتلال الروماني، وكذا بعض النخب المثقفة المغاربية قبيل الاحتلال ومخلفات المؤلفات البونية من مكتبة قرطاجة ومآلها.

أما مؤلف "التاريخ الروماني" لديون كاسيوس Dion Cassius الذي قام بترجمته مصطفى غطيس، ورغم الفائدة التي يقدمها هذا المؤلف إلى أنه لم يقدم دراسة مستقلة عن التعليم عند المجتمع الروماني، بل يحتوي على إشارات متفرقة ومهمة عن الظاهرة التعليمية، التي كانت تلعب دوراً في تكوين النخب السياسية والإدارية وترتبط بالبلاغة والريطوريكا والفلسفة في المجتمع الروماني، بالإضافة إلى إشارات عن أهم الشخصيات التي مارست التعليم أو تخرجت من بعض المراكز التعليمية والعلمية مثل: نوميريانوس ومكرينوس وغيرهم.

ويعتبر مؤلف "الكتب العشرة في العمارة للمهندس الروماني فيتروفيوس Vitruvius"، الذي قام بإعداده كل من يسار عابدين وعقبة فاكوش وياسر الجابي، من أهم المصادر في مجال الهندسة المعمارية الرومانية، وهذا المؤلف يقدم دراسات هندسية حول بعض المنشآت سواء العامة أو الخاصة، والتي درستها في هذه الأطروحة: كالمدارس وبعض الأماكن المخصصة لممارسة النشاط التعليمي والمكتبات والفيلات وغيرها، إلى أننا لا نجد في ثنايا هذا المؤلف دراسة هندسية لهيكل المدارس التعليمية كبناية مستقلة.

بالإضافة إلى مؤلف "حرب أفريقية 47-46ق.م"، لصاحبه يوليوس قيصر Julius César، وهو من ترجمة محمد الهادي حارش. ورغم معالجة الكاتب لشخصية يوبا الأول والد

يوبا الثاني بنظرة عدائية باعتباره خصماً له في حربه ضد بومبيوس، إلى أن المؤلف يقدم لمحة عن الأحداث التي أدت في النهاية إلى سقود نوميديا الشرقية ووفاة والد يوبا الثاني وهو في سن الطفولة، ونقل هذا الأخير كغنيمة سياسية إلى روما.

أما بالنسبة للمصادر الإغريقية فتتمثل في مؤلف هيردودت العائد إلى الفترة اليونانية الكلاسيكية، والمتمثلة في مؤلفي "الكتاب الرابع من تاريخ هيردوتوس (هيرودوت)، الكتاب السيكيثي والكتاب الليبي" لهيرودوت، ترجمة محمد المبروك الذويب، والذي خصص جزء منه المعروف بالكتاب الليبي الذي يشمل الفقرات من 145 إلى 205، للحديث عن ليبيا وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم، أما المؤلف التالي: "أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) الخاص بالليبيين (الأمازيغ)"، ترجمة وتعليق مصطفى أُعشي، فهو مهم جداً بحكم أنه خاص بمجتمع بلاد المغرب القديم، ويوفر على الباحث التيه بحثاً عن مختلف المعطيات والمعلومات التاريخية والجغرافية والثقافية لهذه المنطقة. غير أن أهمية هذا المؤلف تقتصر على الفترات السابقة للاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم.

2- مصادر مغاربية: وأهم هذه المصادر أذكر ما يلي:

مؤلفات القديس أوغسطينوس Saint Augustinus من أهمها: مؤلف "اعترافات القديس أوغسطينوس" (Confessions)، الذي نقله عن اللاتينية الكاتب إبراهيم الغربي، ومؤلف "مدينة الله"، المترجم من قبل الخور أسقف يوحنا الحلو، بالإضافة إلى: مؤلف "الصلاة الربانية" ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطي، ومؤلف "المسيح مجد الشهداء" ترجمة ريمون يوسف رزق. ورغم أن هذه المؤلفات ألفت لأغراض دينية وفكرية ودفاعية موجهة لفهم الرب والفرد والمجتمع بمنظور مسيحي، إلى أنها تعتبر من المصادر المهمة لدراسة مختلف المظاهر الثقافية والفكرية التي عرفتها بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية، وعلى رأسها الظاهرة التعليمية وخاصة دراسة شخصية أوغسطين باعتباره من النخب المثقفة المغاربية ذات الثقافة اللاتينية.

مؤلفات لوكيوس أبوليوس Lucius Apuleius المتمثلة في: مؤلف "الحمار الذهبي (L'Âne d'or) - أول رواية في تاريخ الإنسانية"، التي ترجمها أبو العيد دودو، ومؤلف "الأبولوجيا (المرافعة)" و"الفلوريدا (الأزاهير)" التي ترجمها أكرم بوعشة، بالإضافة إلى مؤلف "المرافعة أو دفاع صبراتة"، الذي قام بترجمتها عمار الجلاصي. ورغم أن مؤلفاته هذه ألفت

لأسباب أدبية وفكرية ودفاعية تعكس حياة النخب المثقفة خلال فترة الاحتلال الروماني، إلى أنها من أهم المصادر لدراسة مختلف المظاهر الثقافية والفكرية، من الظاهرة التعليمية والمكتبات والمراكز التعليمية واللغوية، والشخصية النخبوية لوكيوس أبوليوس المادوري.

ب) المصادر باللغة الأجنبية: وأذكر أهمها فيما يلي:

1- المصادر الأدبية الرومانية والإغريقية:

مؤلف "حياة الرجال Les Vies des Hommes" لبلوتارك Plutarque، بأجزائه حيث تناول في جزء حياة كاتون الكبير Vie de Caton le Censeur، والذي تحدث فيه عن حياة هذه الشخصية، أما الجزء الخاص بحياة قيصر Vie de César، فتحدث فيه عن يوليوس قيصر وحربه ضد بومبيوس، وأشار إلى يوبا الثاني ومصيره ومصير نوميديا الشرقية، ووصفه بأنه مثال للتنشئة الرومانية للنخب الأجنبية، ليصبح ملكاً تابعاً لروما. وقد قام بترجمة هذين الجزأين دومينيك ريكارد Dominique Ricard، أما الجزء المتبقي فيحمل عنوان "حياة الرجال المشهورين Vies des hommes illustres"، في جزءه الأول والذي ترجمه أليكسيس بييرون Alexis Pierron، ورغم أن هذا المؤلف يعود إلى العصر الروماني الإمبراطوري المبكر ووُضع من أجل التربية الأخلاقية باستعمال سير العظماء. إلى أن كتابات بلوتارك ذات أهمية في دراسة العديد من جوانب هذه الدراسة.

ومؤلف "التاريخ الروماني Histoire Romaine" لتيتليف Tite-Live، ترجمة م. نزارد M. Nisard، والذي تناول فيه التاريخ الروماني منذ تأسيس روما إلى الحروب البونية وحروبها في الشرق والغرب، ورغم أن هذا المؤلف وضع لتمجيد ماضي روما وإبراز القيم الرومانية وليس لدراسة المجتمعات الأخرى. إلى أنني استقيت منه بعض المعطيات حول الأحداث التاريخية التي عرفتها بلاد المغرب القديم خلال فترة الصراع الروماني القرطاجي وبعض المسائل المتعلقة بالأسرة الماسيلية.

ومؤلفي "حرب يوغرطة la guerre de Jugurtha"، الذي يحمل عنوانه اللاتيني بيلوم يوغورثينوم Bellum Jugurthinum، وهما ترجمتين؛ الترجمة الأولى قدمها كمال شهريت Kamel Chehrit، والترجمة الثانية لشارل ديروسوار Charle Durosoir، وقد سبق لي أن تطرقت إلى هذا المؤلف حينما تحدثت عنه في المصادر المعربة.

مؤلف "معاهد البلاغة institution oratoire"، لكوينتيليانوس Quintilien، في جزئين مترجمين إلى اللغة الفرنسية؛ من ترجمة م. س. ف ويزيل M. C. V. Ouizille، وهو عمل شامل يرتكز على تعليم فن الخطابة (الريطوريكا) والبلاغة في روما، وقد استعنت بالجزء الأول الذي تناول المبادئ التعليمية، ومراحل التعليم التي يمر بها الطفل، أما الجزء الرابع فقد تناول فيه أقسام البلاغة. ورغم أن هذا العمل موجه للمجتمع الروماني في روما من أجل تكوين خطباء تعليمياً وخلقياً، وتوجيه البلاغة لخدمة الفضائل، إلى أنه ذا أهمية في دراسة آليات التدريس والتعامل مع التلاميذ والطلبة والمواد الدراسية والعلاقة بين المعلم والمتعلم في بلاد المغرب القديم، بحكم تأثر هذه الأخيرة بالأنساق الثقافية والاجتماعية الرومانية.

2- المصادر الأدبية المغاربية:

مؤلف "الاعترافات les confessions"، للقديس أوغسطين Saint Augustin، ترجمة م. لو شانوان بيهان M. le Chanoine Pihan، ومؤلف "مدينة الله la cité de Dieu"، ترجمة لوسيان جيرفانيون lucien Jerphagnon. بالإضافة إلى مؤلفات لوكيوس أبوليوس المادوري، المؤلف الأول بعنوان: "الأزاهير (الفلوريدا) les Florides"، أما الثاني بعنوان: "الدفاع (أبولوجي) Apologie"، والثالث هو "حول مذهب أفلاطون de la doctrine de Platon"، والرابع هو "حول إله سقراط du Dieu de Socrate"، بينما الخامس فيحمل عنوان "حول الكون du Mundo"، فهي ترجمات فيكتور بيتولود Victor Bétolaud. وقد أشرت إليهم سابقاً ضمن المصادر المعربة.

ج) المصادر المادية: واعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصنفات النقوشية اللاتينية والليبية والبونية، والمتمثلة فيما يلي:

كتاب "مجموعة من النقوش الليبية Recueil des inscriptions libyques"، لجون بابتيست شابو Jean-Baptiste Chabot، وكتاب "مجموعة كاملة من النقوش النوميدية Collection complète des inscriptions numidiques (libyques)"، للجنرال فيدرب Le général Faidherbe، وكتاب "عن الكتابة واللغة الأمازيغية في العصور القديمة إلى اليوم Sur l'écriture et la langue berbères dans l'antiquité et de nos jours"، لجوداس أوغيست سيليستان Judas Auguste-Célestin، أما

النقوش اللاتينية فأذكر كتاب "النقوش الرومانية في الجزائر Inscriptions romaines de L'Algérie"، لليون رينـي Léon Renier. وكتـاب "النقـوش اللاتينيـة فـي الجزائـر Inscriptions latines de L'Algérie" لستيفان غزال Stéphane Gsell، وكتاب "مجموعة من النقوش الليبو بربرية Recueil d'inscriptions Libyco Berbères" للدكتور ريبو Dr. Reboud، وهي أعمال مهمة أسست لعلم الإبيغرافيا في بلاد المغرب القديم، ومصادر أولية لا يمكن الاستغناء عنها في البحوث العلمية الأكاديمية، لذلك كانت ذات أهمية في دراسة الحقل اللغوي للمغرب القديم قبل وبعد الاحتلال الروماني، والاستدلال ببعض النقوش الليبية والبونية واللاتينية في مختلف محاور هذه الدراسة.

ثانيًا- المراجع:

أ) المراجع باللغة العربية: اعتمدت في دراسة موضوع هذه الأطروحة على مجموعة من الكتب والمؤلفات باللغة العربية، ومن أهمها:

كتاب "مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)"، لعبد السلام بن ميّس، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع التي تناولت الجوانب الثقافية لبلاد المغرب القديم التعليمية والعلمية والنخب المثقفة المغاربية، وهو كتاب فلسفي تحليلي يدخل ضمن تاريخ الفكر والثقافة أكثر من كونه سرداً زمنياً للأحداث. إلى أنه كان ذا فائدة هامة في دراسة كل متغيرات هذه الأطروحة، خاصة الظاهرة التعليمية والمراكز العلمية وأهم الشخصيات النخبوية الوثنية والمسيحية التي اشتهرت في بلاد المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني.

كتاب "تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة" لكيرلس سليم بسترس وآخران، وكتاب "أباء الكنيسة، الرسوليون والمناضلون"، بجزأيه الأول والثاني، من تأليف أسد رستم، وهما كتابين يدخلان ضمن التاريخ الكنسي والفكري، يقدمان تاريخاً عاماً للفكر المسيحي عند الآباء والمناضلين المسيحيين. لذلك فهما مهمين في دراسة النخب المثقفة المسيحية لبلاد المغرب القديم والتي تناولتها في الأطروحة.

أما الكتب التالية: كتاب "ترتوليانوس القرطاجي" لجورج رحمة، و"العلامة ترتوليان Tertullian الجزء العشرون لأنطوان فهمي جورج، وكتاب "القديس كيبريانوس أسقف قرطاجة الشهيد" لأثناسيوس فهمي جورج، وكتاب "أغسطينوس مع مقدمات في العقيدة

المسيحية والفلسفة الوسيطية" لعلي زيعور. وتدخل هذه الكتابات ضمن الدراسات الكنسية بدراسة الآباء الكنسيين والفكر المسيحي، لغرض فهم تطور العقيدة المسيحية والشخصيات التي ساهمت في بلورتها ببلاد المغرب القديم، لذلك تناول أصحابها فيها مختلف تلك الشخصيات، من الميلاد والنشأة إلى أدوارها الثقافية والدينية وحجم إنتاجها العلمي وإسهامها الفكري في التراث المسيحي اللاتيني، ومن هنا تبرز أهمية هذه المؤلفات.

كتاب "الأبجدية نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب" لأحمد هبو، والذي تناول فيه بالدراسة ظهور وتطور الأبجدية والكتابة في المجتمعات القديمة وحركة التأثر والتأثير التي حدثت بينها، لذلك فهو دراسة علمية وضعت لفهم الكتابة كظاهرة حضارية وفكرية وليس دراسة تاريخية كلاسيكية، لذلك كان ذا أهمية في دراسة الحقل اللغوي لبلاد المغرب القديم من الفينيقية والبونية إلى الإغريقية واللاتينية.

أما بالنسبة لكتاب "حضارة شمال أفريقيا (تريبوليتانيا – البروقنصلية– نوميديا – موريطانيا) خلال الفترة الرومانية" لصاحبه جيلبار شارل بيكار Gilbert Charles-Picard، وقام بترجمته وتحقيقه وتعريبه محمد العربي عقون، وهو منتوج علمي أكاديمي ألف مع منتصف القرن 20م، وفقاً للمناهج التاريخية الفرنسية الكلاسيكية بالاعتماد على المصادر المادية والنقوشية المتاحة آنذاك، حيث تناول فيه الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب القديم خلال فترة الوجود الروماني، فقد ساعد في دراسة الجوانب الثقافية، كدراسة المراحل التعليمية ودور المغاربة في تطوير اللغة اللاتينية، وبعض النخب المثقفة لبلاد المغرب القديم.

بينما كتاب "ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري 164ق.م-235م" لعمار المحجوبي، والذي درس فيه بلاد المغرب القديم بداية من 146ق.م عام سقوط قرطاجة وتحول أفريقيا إلى ولاية رومانية، والممالك النوميدية والموريطانية ونهايتها، والتنظيم الإداري والعسكري والعمراني وحركة الاستيطان وسياسة الرومنة والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي، والمعتقدات والجوانب الثقافية والتعليم والآداب والفنون، وبما أنه يدخل ضمن الكتابات التاريخية المعاصرة، ومن هنا تكمن أهميته في دراسة الجوانب التعليمية والعلمية واللغوية وبعض نخب بلاد المغرب القديم.

مجموعة كتب بعض الباحثين الجزائريين والمتمثلة في: كتاب "نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم"، لمحمد غانم الصغير، تكلم الكاتب فيه عن نشأة الكتابة واللغة الفينيقية وتطورها إلى البونية ثم البونية الحديثة، وأدرج نماذج عن النقوش البونية والمزدوجة البونية الليبية. وكتاب "أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات) لمحمد البشير شنيتي، حيث يقدم فيه قراءة شاملة لتاريخ الجزائر القديمة من الفترة البونية إلى فترة الاحتلال الروماني. وكتاب "الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم"، لمحمد العربي عقون، والذي تناول الجانب الاقتصادي والاجتماعي للمغرب القديم خلال الفترة النوميدية والرومانية.

وتدخل هذه الكتابات ضمن الدراسات العلمية الأكاديمية الجزائرية لبلاد المغرب القديم، حيث تتناول مختلف المصادر المادية والكتابية، والحضارات المحلية النوميدية والبونية ومرحلة الاحتلال الروماني، والتكامل الحضاري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لذلك تعتبر هذه الكتابات ذات أهمية في دراسة اللغة الليبية والبونية وحركة التفاعل بينهما، ودراسة الحقل اللغوي لبلاد المغرب القديم وبعض المراكز التعليمية والعلمية والمكتبات بالإضافة إلى بعض النخب المثقفة لبلاد المغرب القديم.

ب) المراجع باللغة الأجنبية:

كتب المؤرخ ستيفان غزال Stéphane Gsell، المتمثلة في الجزء الثامن من كتاب "التاريخ القديم لشمال أفريقيا Histoire Ancienne de l'Afrique du nord"، حيث خصصه لدراسة قرطاجة وحضارتها والممالك النوميدية وحياتها الروحية والفكرية وعلاقتها بروما. أما كتاب "الجزائر في العصور القديمة L'Algérie dans l'antiquité"، والذي تناول فيه تاريخ الجزائر منذ البدايات الأولى للتعمير البشري، والفينيقيين والحضارة البونية والممالك المحلية، ثم واقع الجزائر تحت الاحتلال الروماني، وأهم إنجازاته الحضارية، ثم تراجع الوجود الروماني ثم الاحتلال الوندالي والبيزنطي لها. ورغم أن كتاباته هذه وضعت بالاعتماد أكثر على المؤلفات الكلاسيكية والنقوش الرومانية، ويُرى من خلاله تاريخ بلاد المغرب القديم بمنظور فينيقي روماني أكثر من مغاربي محلي. إلى أنها كانت ذا فائدة في دراسة الحقل اللغوي، ومختلف اللغات التي عرفتها بلاد المغرب القديم وغيرها من متغيرات هذه الدراسة.

كتابي "أثار تيمقاد ثاموقادي القديمة، اكتشافات جديدة les ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes"، و"أثار تيمقاد، ثاموقادي القديمة، سبعة سنوات من الاكتشافات Les ruines de Timgad, antique Thamugadi; sept années de découvertes"، للباحث الأثري ألبار بالو Albert Ballu، وهي دراسات أثرية حول نتائج الأبحاث والتنقيبات الأثرية التي أجريت في مدينة ثاموقادي الأثرية، فالأول يتناول نتائج نشرت في سنة 1903م، والثاني يمثل نتائج سبعة سنوات من البحث والتنقيب من 1903م إلى 1910م، ويمكن اعتبارها كأعمال توثيقية عن موقع هذه المدينة، ومراجع أولية يعتمد عليها الباحثون في دراسة بعض البنايات العمرانية كالمكتبات، وعلى رأسها مكتبة ثاموقادي.

كتاب "الحياة اليومية في روما في ذروة الإمبراطورية la vie quotidienne a Rome à l'apogée de l'empire"، لكاركوبينو جيروم Carcopino Jérôme، وقد تحدث فيه المؤلف عن حياة المجتمع الروماني في روما، بكل ما يرتبط بالحياة اليومية للفرد والمجتمع في مدينة روما؛ حيث تطرق إلى الناحية المعمارية للمدينة، ثم المجتمع وطبقاته، ومختلف العلاقات الاجتماعية، وبعدها التعليم والثقافة والمعتقدات، والأيام والتقويم الروماني والمهن والحمامات والألعاب. غير أن الكتاب يركز هنا على روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، وبحكم التقارب في بعض الأنساق الثقافية بينها وبين بلاد المغرب القديم فقد كان ذا أهمية في دراسة التعليم ومراحله والمؤسسات الثقافية (المكتبات).

كتاب "المكتبات البلدية في الإمبراطورية الرومانية Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain"، و"مدن الفن المشهورة: قرطاجة، تيمقاد، تبسة، والمدن القديمة بشمال أفريقيا les villes d'art célèbres: Carthage, Timgad, Tébessa, et les villes antiques de l'Afrique du Nord"، للباحث الأثري روني كانيا René Cagnat، حيث تناول في الكتاب الأول أغلب المكتبات التي كانت معروفة في العالم الروماني، ومنها بلاد المغرب القديم، أما الثاني فهو دراسة أثرية لبعض مدن بلاد المغرب وملحقة بصور للكثير من المظاهر الأثرية للمدن التي شملها هذا الكتاب، غير أنهما يربطان مختلف المظاهر الثقافية في بلاد المغرب القديم بالرومنة. لكن تعد هذه الأعمال

مهمة لدراسة المؤسسات الثقافية وخاصة المكتبات التي عرفتها بلاد المغرب سواء كانت لها مخلفات أثرية أو كانت لها إشارات في ثنايا المصادر التاريخية.

كتاب "الليبيون الشرقيون The eastern Libyans"، لأوريك باتيس Oric Bates، وتناول فيه تاريخ شرق بلاد المغرب القديم من الناحية الجغرافية والإثنولوجيا والإثنوغرافيا واللغة والكتابة الليبية وأصولها، وعن الاقتصاد والسياسة والمجتمع والمظاهر الثقافية، ويدخل هذا الكتاب ضمن الدراسات الأنثروبولوجية، يهدف إلى فهم أصول المجتمع الليبي القديم وعلاقاتهم بمجتمعات البحر الأبيض المتوسط، وتحددت أهميته في دراسة الحقل اللغوي لبلاد المغرب القديم وعلى رأسها اللغة والكتابة الليبية.

كتابات الباحث الفرنسي Paul Monceaux، والمتمثلة في: كتاب "التاريخ الأدبي لأفريقيا المسيحية من البدايات إلى غاية الفتح الإسلامي Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe"، والكتاب الثاني: "الأفارقة، دراسة حول الأدب اللاتيني الأفريقي، الوثنيين Les Africains, étude sur la littérature latine d'Afrique, les paiens"، أما الكتاب الثالث "القديس كيبريان أسقف قرطاجة (210-258) Saint Cyprien, évêque de Carthage, (210-258)"، وتعبر كتابات هذا الباحث التي قام بها في نهاية القرن 19م، ذات أهمية بليغة لأنه قام بدراسة الحركة الأدبية والفكرية والشخصيات المثقفة لبلاد المغرب القديم وإسهامها في تطور الأدب اللاتيني والفكر المسيحي، وإثبات مكانتها ضمن التاريخ الثقافي للإمبراطورية الرومانية، لذلك فقد كان ذا فائدة في دراسة مختلف متغيرات هذه الدراسة من الجوانب اللغوية والتعليمية والنخب المثقفة وإنتاجها الفكري والعلمي.

ثالثًا- المجلات والدوريات:

كما اعتمدت على مجموعة مقالات منشورة في العديد من المجلات باللغة العربية والأجنبية:

أ) المجلات والدوريات باللغة العربية: أذكر منها:

مقال "القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"، لمحمد العربي عقون، والذي درس فيه الكاتب اللغة والكتابة والأبجدية الليبية من حيث الخصائص وفرضيات الأصل، ويعتبر مقالاً مفيداً جداً خلال دراستي للغة والأبجدية الليبية.

مقال "لغات شمال إفريقيا القديم" لخديجة قمش، ومقال "الكتابتان البونية والليبية بشمال إفريقيا القديم: إشكالية الأصل ومسألة التفاعل" لعبد اللطيف الركيك، و"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)" لمها عيساوي، وهي مقالات مفيدة في دراسة الحقل اللغوي لبلاد المغرب القديم.

مقال "الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة" لبنت النبي مقدم، فقد تناولت فيه التعليم وذكرت نماذج من نخب المغرب القديم المثقفة وإنتاجها الأدبي والفكري، وهو مهم في دراسة الظاهرة التعليمية في بلاد المغرب القديم ونخبها المثقفة الوثنية منها والمسيحية.

مقال "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها" لمحمد الحبيب بشاري، الذي تناول فيه الجوانب الأدبية واللغوية ومجالات الإنتاج الفكري في مجال المسرح والقصص الملحمية والنثر والشعر والتاريخ والفلسفة والخطابة والرواية والأدب المسيحي اللاتيني، وأدرج نماذج من النخب المثقفة التي ساهمت في ذلك، وتتحدد أهميته في دراسة أهم نخب المغرب القديم المثقفة الوثنية والمسيحية، وإسهاماتها في إنعاش حركة الإنتاج العلمي والفكري في بلاد المغرب القديم.

مقال "المكتبات في الجزائر ودورها في الحركة العلمية في الفترة الرومانية" لإبراهيم مكيد، و"الحياة الثقافية في الشمال الأفريقي القديم: المكتبات أنموذجاً" لجميلة خالفي، و"المكتبات الرومانية" لأحمد أنديشة، لذلك كانت مفيدة في دراسة المكتبات في بلاد المغرب القديم.

مجموعة مقالات حول بعض نخب المغرب القديم المثقفة الوثنية منها والمسيحية أذكر أهمها هنا: مقال "يوبا الثاني الملك العالم (25ق.م-23م)" ليفصح نادية، و"يوبا الثاني وإسهاماته العلمية (أفكار موجودة ومؤلفات مفقودة)" للطيب قديم، و"الفكر العلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"، لكل من حلاق حسينة وسليماني سعاد، و"على خطى الفيلسوف لوكيوس أبوليوس" لقبايلي كاهينة، و"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"لحلاق حسينة وسليماني سعاد، و"الأسقف أوغسطين والمجتمع في مدينة هيبون" لأمحمد وابل، و"النخبة الإفريقية المرومنة ومواقفها من الاحتلال

الروماني لبلاد المغرب القديم (القديس كبريانوس نموذجاً)" لخالد محفوظ، وقد أفادت هذه المقالات في دراسة بعض النخب المثقفة للمغرب القديم الوثنية منها والمسيحية.

ب) المجلات والدوريات باللغة الأجنبية: أذكر منها:

مقال "الأبجديات الليبية Les alphabets libyques" لليونال غلاند Lionel Galand، ومقال "ماذا نعرف عن الليبية؟ Que savons-nous du libyque?" لجيمس فيفريي Fevrier Jimes، ومقال "سانت أوغسطين واللغة البونية Saint Augustin et la langue punique" لمصطفى لخليف Mustapha Lakhlif، وهي مقالات ذات أهمية في دراسة اللغة والأبجدية الليبية والبونية ومسألة استمراريتها خلال فترة الاحتلال الروماني.

ج) المجلات والدوريات الإلكترونية باللغة الأجنبية: أما المقالات العلمية الأكاديمية العديدة والمنشورة في بعض مواقع المجلات الإلكترونية، في مقدمتها موقع بريسي persee، والموسوعة البربرية Encyclopédie Berbère، وقد كانت مهمة وبشكل كبير في مختلف جوانب هذه الدراسة، وأهمها مقالات نور الدين تليلي Noureddine Tlili، وهي كما يلي:

المقال الأول بعنوان: "المكتبات في أفريقيا الرومانية Les Bibliothèque en Afrique romaine"، والذي تناول فيه المكتبات التي عرفتها بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية. والمقال الثاني بعنوان: "الأطفال الموهوبون فكرياً في أفريقيا الرومانية Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine"، وقد أفادت بشكل جيّد في دراسة الظاهرة التعليمية في بلاد المغرب القديم، والمكتبات العامة والخاصة ومصادر التمويل وآليات العمل وحجم الاستيعاب للكتب.

رابعاً- الدراسات السابقة: اعتمدت في إنجاز هذه الأطروحة على مجموعة الدراسات العلمية المهمة المتمثلة في الرسائل والأطاريح، أذكر أهمها:

دراسة مصطفى محمد قنديل زايد بعنوان: "التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني"، وهي عبارة عن بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة طنطا بمصر (1422هـ/2001م)، تناول فيها الباحث التعليم خلال العهد اليوناني والروماني بشكل شامل معتبراً النموذج الروماني مأخوذ عن النموذج اليوناني، هو السائد في كل المناطق الخاضعة للرومان، دون التطرق إلى خصوصيات كل منطقة، وعليه فقد اطلعت على هذه الأطروحة بقراءة نقدية في محاولة الاستفادة منها لدارسة الظاهرة التعليمية في بلاد المغرب

القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، ومختلف المراحل التعليمية والمناهج الدراسية وآليات ووسائل التدريس.

دراسة عائشة سعدان بعنوان: "التعليم في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني من القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي"، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه، تناولت الباحثة في هذه الدراسة التعليم في بلاد المغرب القديم مقتصرة على الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الخامس للميلاد، حيث تطرقت إلى دراسة البوادر والإرهاصات الباكرة للفكر في بلاد المغرب القديم، ثم وسائط التواصل بين الشعوب وقبائل المغرب القديم، وبعده النظام التعليمي خلال الفترة الرومانية، ثم المراكز التعليمية والترفيهية والنخب ورجال الفكر للمغرب القديم والتفاعل الفكري بين هؤلاء المفكرين وشعوب حوض البحر المتوسط. وتعتبر هذه الدراسة ذات أهمية بالنسبة لموضع دراستي، وذلك في دراسة الحقل اللغوي لبلاد المغرب القديم والظاهرة التعليمية والنخب المثقفة وإسهاماتها الفكرية والعلمية، إلى أن الباحثة توسعت في جزئية اللغة الليبية ولم تتوسع في جزئيات اللغات الأخرى، كما لم تذكر المراحل التعليمية بمسمياتها خلال تلك الفترة التاريخية.

دراسة فارس دعاس بعنوان: "مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم من بداية العصور التّاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب"، وهي أطروحة دكتوراه، تناول فيها الباحث مكانة الأطفال في مجتمع المغرب القديم في العصور القديمة والليبي والبوني، ثم في فترة الاحتلال الروماني، وفي هذه الجزئية تطرق بالدراسة إلى وضعية الأطفال في الأسرة من كل الجوانب، بالإضافة الوضع الديمغرافي للأطفال ومقابرهم من خلال تقديم دلائل أثرية، وأهم متغير درسه الباحث هو جزئية التربية والتعليم للأطفال في منطقة المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، ورغم فائدتها بالنسبة لموضوع دراستي إلى أن الباحث توقف في هذه الجزئية عند المرحلة الأولى من التعليم وذكرها تحت مسمى المرحلة الابتدائية.

دراسة زموري خديجة بعنوان: "القديس أوغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي"، وهي أطروحة دكتوراه، تناولت الأوضاع العامة لبلاد المغرب في عهد أوغسطين الاجتماعية والفكرية والدينية والاقتصادية ثم شخصية القديس أوغسطين وحياته الفكرية. وكانت هذه الدراسة ذات أهمية في دراسة هذه الشخصية باعتبارها من نخب المغرب القديم المثقفة، وكذلك دراسة المجال التعليمي ومراحله.

دراسة فرانسوا تالبو François Talbot بعنوان: "التعلم والتدريس في أفريقيا القنصلية، التعليم الكلاسيكي والحياة البلدية الأفريقية، من القرن الثاني إلى نهاية العالم القديم Apprendre et enseigner en Afrique proconsulaire, l'éducation classique et la vie municipale africaine, du second siècle a la fin du monde antique"، أطروحة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الفنون، درس فيها التعليم وربطه بالاحتياجات الإدارية والاجتماعية والسياسية للإمبراطورية الرومانية، حيث تناول في بابه الأول التعليم الكلاسيكي كوسيلة من وسائل الرومنة في أفريقيا في ظل الإمبراطورية الرومانية، والثاني تناول فيه التعليم والمتغيرات التي حدثت في الإمبراطورية خلال العصور المتأخرة، وتطرق فيهما إلى دراسة الاحتياجات التي كان يلبيها هذا التعليم وأهدافه وعلاقته بالحياة المدنية وإطاره البلدي، ورغم أهمية هذه الدراسة لموضوع أطروحتي، فيمكن أن أقول أن الباحث ربط التعليم بالاحتياجات الوظيفية للحياة المدنية، إلى أنه أدى ذات الدور وأنتج نخباً لم تنسلخ كلها من انتمائها المحلي وساهمت في إثراء التراث اللاتيني المغاربي.

- **خطة البحث:** دفعتني إشكالية هذه الدراسة، وما تفرع عنها من تساؤلات، وعلى ضوء المعطيات العلمية المستقاة من المصادر والمراجع التي تمكنت من الإطلاع عليها، إلى وضع خطة وضبطها محاولاً من خلالها تغطية كل متغيرات البحث، وذلك حسب استطاعتي العلمية والفكرية في هذه الدراسة العلمية المتواضعة، وعليه فقد قسمت متغيرات هذه الأطروحة إلى أربعة فصول ومباحث ومطالب وخاتمة وبيبليوغرافيا وفهرس الخرائط والملاحق وفهرس الأعلام والأماكن والبلدان وفهرس القبائل والشعوب وفهرس المحتويات.

تطرقت في **الفصل الأول** إلى دراسة الحقل اللغوي في بلاد المغرب القديم، حيث درست في المبحث الأول اللغة والكتابة الليبية، من ناحية أصل الكتابة والأبجدية الليبية، ومجال انتشارها قبل فترة الاحتلال الروماني وبعدها. أما المبحث الثاني تمحور حول اللغة والكتابة البونية، فدرست فيه المسار التطوري لهذه اللغة وكتابتها، ومجال انتشارها في بلاد المغرب القديم، وواقعها خلال فترة الاحتلال الروماني. وتناولت في المبحث الثالث اللغة والكتابة الإغريقية وتطورها ومجال انتشارها في منطقة المغرب القديم، وخصصت المبحث الرابع لدراسة اللغة والكتابة اللاتينية وجذورها التاريخية ومجال انتشارها في بلاد المغرب قبل وبعد الاحتلال والعوامل التي جعلتها تهيمن على الواقع اللغوي للمغرب القديم.

وعالجت في **الفصل الثاني** انتشار التعليم ونتائجه في بلاد المغرب القديم، حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في الأول التربية والتعليم في المغرب القديم، بالتطرق إلى تطور التعليم عند المجتمع الروماني، ثم مراحل التنشئة والتعليم التي عرفها مجتمع المغرب القديم، التي تسبقها مرحلة الحضانة، وبعدها تأتي مرحلة الليتيراريوس وتليها الغرماتيكوس وأخيراً الريطوريكا. أما المبحث الثاني فتطرقت فيه إلى المدارس التعليمية التي عرفتها بلاد المغرب القديم، بدراسة الهياكل المدرسية والوسائل والأدوات الدراسية، ثم المناهج الدراسية والعقوبات والإجازات. بينما في المبحث الثالث فعالجت فيه نتائج التعليم، بتبيان أثره على مجتمع المغرب القديم، وما أفرزه من نخب مثقفة، وتطور اللغة والكتابة اللاتينية.

أما **الفصل الثالث** فقد تناولت فيه المراكز التعليمية والعلمية والثقافية في بلاد المغرب القديم، ففي المبحث الأول درستُ المراكز التعليمية والعلمية التي ازدهرت في بلاد المغرب القديم، حيث قسمته إلى قسمين، بدراسة مراكز إقليم قورينائية وأفريقية ثم في نوميديا وموريطانيا. بينما في المبحث الثاني فتناولت فيه المؤسسات الثقافية المتمثلة في المكتبات المنتشرة في بلاد المغرب، بمعرفة آلية ظهورها عند المجتمع الروماني، ثم انتشارها في المغرب القديم، بينما ذكرت في المبحث الثالث أنواع المكتبات العامة والخاصة المعروفة في بلاد المغرب، وقمت بدراسة طبيعة عمل تلك المكتبات من حيث مصادر التمويل وآلية التخزين والفهرسة، وعن نوعية الكتب التي كان مسموحاً بها في هذه المكتبات، وقمت بتقييم حجم استيعابها للكتب.

وتطرقت في **الفصل الرابع** إلى دراسة الإسهام الفكري والعلمي لنخب المغرب القديم المثقفة خلال الفترة الرومانية، فتناولت في المبحث الأول نماذج من النخب الوثنية المثقفة، ومبرزاً لحجم إسهاماتها الفكرية والعلمية، حيث درست بعض الشخصيات النخبوية التي كانت تدين بالديانة الوثنية بدراسة ميلادها ونشأتها، وأهم إسهاماتها الفكرية والعلمية، وهي: يوبا الثاني وفرونطو الكيرتي ولوكيوس أبوليوس. أما في المبحث الثاني فتطرقت فيه إلى دراسة نماذج من النخب المسيحية المثقفة ومبرزاً كذلك لحجم إسهاماتها الفكرية والعلمية، وتتبعت فيه ميلادها ونشأتها وتبيان لأهم إسهاماتهم الفكرية والعلمية والمتمثلة في القديس ترتوليانوس وكيبريانوس وأوغسطين. أما المبحث الثالث فقد تطرقت فيه إلى ذكر بعض النخب المثقفة الأخرى حتى لا نكون مقصيرين اتجاه ما أنتجته بلاد المغرب القديم من نخب مثقفة.

وختمت هذه الدراسة، بمجموعة من النتائج التي توصلت إليها، والتي جاءت كإجابات عن التساؤلات والإشكالية التي طرحتها في مقدمة هذه الأطروحة، والتي تمكنت من الوصول إليها بعد دراسة الموضوع والإلمام به من جل جوانبه.

- **صعوبات البحث:** لا تخلو مهمة الباحث في التاريخ القديم وخاصة السوسيوثقافي من صعوبات وعراقيل كثيرة ومتعددة، وما صادفته منها يمكن أن تعترض أي باحث في هذا المجال، وأذكر منها في الآتي:

1- تناثر المادة الخبرية عبر المصادر والمراجع والدراسات العلمية، ما صعب عملية الحصول عليها وجمعها وتصنيفها ودراستها.

2- وما زاد من صعوبة هذه الدراسة، كون أن المعطيات المعرفية وردت بصورة هامشية، في ثنايا المصادر القديمة دون تعمق، فقد تكون إما وردت بصورة متعمدة من قبل المؤرخين القدماء خاصة الكتابات الرومانية، أو أن المسألة لا تعني لهم شيئاً سوى أنهم صادفوها أثناء بحثهم وكتاباتهم، والنقطة الأخيرة تتعلق بضياع الكثير من المصادر المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب القديم بسبب الحروب والأزمات التي عصفت بالمنطقة. وقد تم الكشف عن أغلبها في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، أما ما تبقى منها في بلاد المغرب فتتمثل في الآثار المادية من العمائر والنقوش، ورغم حجم انتشارها إلا أن ما يؤسف له أن أغلبها في طريق الاندثار والزوال نتيجة غياب الوعي الاجتماعي بقيمتها التاريخية.

4- قلة الكتابات والدراسات المحلية التي تناولت هذا النوع من المواضيع، رغم أنني جمعت بعضاً منها وشكلت لي مراجعة مهمة في دراستي، غير أنه بالمقارنة مع طول الفترة التاريخية لبلاد المغرب القديم، إذ هناك غموض يشوب الكثير من مناطق بلاد المغرب وبعض المسائل الثقافية والاجتماعية لدراستها وفهمها تحتاج إلى البحوث الإمبريقية أكثر من النظرية، لأن مجمل الدراسات تناولت المناطق التي كانت بارزة خلال الفترة الرومانية وأثارها قائمة ووردت في المصادر الأدبية والمادية.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول:

الحقل اللغوي في بلاد المغرب القديم

المبحث الأول: اللغة والكتابة الليبية

المطلب الأول: أصل الكتابة والأبجدية الليبية

المطلب الثاني: انتشار اللغة والكتابة الليبية قبل وبعد الاحتلال الروماني

المبحث الثاني: اللغة والكتابة البونية

المطلب الأول: المسار التطوري للغة والكتابة البونية

المطلب الثاني: انتشار اللغة البونية في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني

المطلب الثالث: واقع اللغة والكتابة البونية خلال فترة الاحتلال الروماني

المبحث الثالث: اللغة والكتابة الإغريقية

المطلب الأول: تطور الأبجدية والكتابة الإغريقية

المطلب الثاني: انتشار اللغة الإغريقية في بلاد المغرب القديم

المطلب الثالث: انتشار اللغة الإغريقية في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية

المبحث الرابع: اللغة والكتابة اللاتينية

المطلب الأول: الجذور التاريخية للغة اللاتينية

المطلب الثاني: واقع اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم

المطلب الثالث: عوامل انتشار اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم

الفصل الأول: الحقل اللغوي في بلاد المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني

شهدت بلاد المغرب القديم ظاهرة الرباعية اللغوية[1] ذات أصول متفرقة وغير مشتركة وهي: الليبية والبونية والإغريقية واللاتينية[2]، التي شكلت الحقل اللغوي لبلاد المغرب القديم مع الاختلاف في درجات انتشارها، وسأتناول بالدراسة في هذا الفصل هذه اللغات الأربعة:

المبحث الأول: اللغة والكتابة الليبية

وظف مجتمع بلاد المغرب القديم في تعاملاته اليومية لغة خاصة به تعرف باللغة الليبية، والتي طُرحت حول أصلها الكثير من الفرضيات، وشاركتها حيزها الجغرافي أربعة لغات قوية وخاصة اللغة اللاتينية، خصوصاً وأن موضوع الدراسة يتناول الحقبة الرومانية. فما هي أهم فرضية من هذه الفرضيات؟ وما هو واقعها في ظل الاحتلال الروماني؟، وهذا ما سأجيب عنه في هذا المبحث:

المطلب الأول: أصل الكتابة الليبية

لم تفصل الدراسات في مسألة أصل الكتابة الليبية، ولا يزال النقاش والجدال بين الباحثين والمؤرخين واللغويين والأثريين قائم إلى حد الآن، فتباينت وجهات نظرهم حولها، وطرحوا جملة من الفرضيات، تنطلق من فكرة البحث لها عن أصول خارج حدود المنظومة السوسيوثقافية الليبية، وهذا ما دفع بـ: روني باسي R. Basset – حسب ما ورد عند شارل أندري جوليان– إلى القول: **"ولا نعلم البتة أن الليبيين أقاموا مدنية تعتمد على الكتابة أداتها لغتهم"**[3]، وأشار أندري باسي André Basset على أنها لم تقدم قط كلغة حضارة.[4]

1- اللغة حسب ابن جني: هي مجموعة الأصوات يعبربها كل مجتمع عن أغراضهم. ابن جني، الخصائص، تح.: محمد علي النجار، ط1، دار الكتب، القاهرة، 1956م، ص 33. وهي أيضاً مجموعة الكلمات والألفاظ التي ينطق بها مجتمع من المجتمعات، والتي تسود بين أفراده كأداة للتواصل والتعبير عن أخبارهم وأحوالهم ولتبادل الآراء والأفكار بينهم كقوة تعبير عن المشافهة. عبد الله حسين: تاريخ ما قبل التاريخ، ط.1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، 2013م، ص 140. وتتشكل كذلك في مجموعة الأصوات المنطوقة المكونة للكلمات والجمل، وأداة للتواصل والتعبير التي يعبر بها الأفراد عن جملة المشاعر والأحاسيس والأفكار والتصورات. وما دامت المفردات والألفاظ تتغير من عصر إلى آخر، فاللغة هي منظومة نحوية وصرفية تبقى وتستمر على الدوام. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008م، ص 206.

2- Albertini (E.): L'Afrique Romaine, 2ème édit., imprimerie administrative et commerciale Emile Pfister, Alger, 1927, P48. Bénabou (M): La résistance africaine à la romanisation, Éditions la Découverte, Paris, 2005, P.472.

3- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ج1، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، النشرة الرابعة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ص 78.

4- André (B.): La langue berbère morphologie, librairie ernest leroux, paris, 1929, P. VIII.

لكن مسألة دراسة هذه اللغة يستدعي معرفة مسبقة بها[1]، وبالمتغيرات اللغوية المنحدرة عنها، ومن ضمن الباحثين الأوائل الذين أسهموا في دراسة الكتابة والأبجدية والنقوش الليبية أذكر منهم: دو سولسي de Saulcy وأ. س. جوداس A. C. Judas، وج. ب. شابو Chabot وكارل ماينهوف Carl Meinhof والجنرال فيدرب Général Faidherbe والدكتور روبو Dr Reboud وجوزيف هاليفي J. Halévy[2]. وسأركز في هذه الجزئية على دراسة فرضية الأصل السامي الفينيقي للغة الليبية، وهي كما يلي:

1- فرضية الأصل الفينيقي والبوني للأبجدية الليبية:

ذهب بعض الباحثين إلى الأطروحة القائلة بالأصل الفينيقي للكتابة والأبجدية الليبية، حيث يستند أنصار هذا الفرضية على حجتين رئيسيتين؛ تتعلق الحجة الأولى بالحروف الصامتة (الساكنة) Consonnes التي تؤلف الأبجدية الليبية، والحجة الثانية تتعلق بتطابق بعض حروفها في الشكل والمدلول الصوتي مع بعض الحروف الفينيقية.[3]

لقد أولى الباحثون في هذا المجال، أهمية لمقارنة الأبجدية الليبية بالخط الفينيقي العتيق، الذي لا يتشابه مع الخط الليبي إلا في حرف التاء (+. X)[4]، وهذه الفرضية تشير إلى الإقرار بأن الأبجدية الليبية تعود على الأقل إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد واحتمالاً إلى ما قبل ذلك، وأن هذه الأبجدية ورثها مجتمع المغرب القديم عن المراكز التجارية الفينيقية القديمة على سواحل بلاد المغرب القديم[5] كليكسوس Lixus العائد تأسيسها إلى نهاية القرن 12ق.م (أي من حوالي 1130-1100ق.م)، وأوتيكا Utica في حوالي 1101ق.م.[6]

كما لعبت تلك المراكز التجارية في قيام علاقات مستمرة بين التجار الفينيقيين والمغاربة القدماء، والتي أفرزت حركة تأثير حضاري وثقافي على مجتمع المغرب القديم[7]،

1- Jimes (F.): Que savons-nous du libyque?, Re. Afri., 1956, A. Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, P.263.

2- Gsell (S.): histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.VI, librairie Hachette, Paris, 1927, P.94-95. Reboud: Recueil d'inscriptions Libyco Berbères, Imprimerie Adrien le Clere, Paris, 1870, P.6.

3- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، الحوار الفكري، جامعة أحمد دراية أدرار، مج.8، العدد 8، 2006م، (ص 168- 180)، ص 174، ص 174، 175-176.

4- وأشير هنا أن حرفي: + . X، في الأبجدية الأمازيغية المعاصرة مختلفان ولا يمثلان حرف التاء في الليبية القديمة، حيث أن حرف + يمثل حرف التاء، بينما X يمثل حرف الثاء.

5- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 175.

6- محمد الصغير غانم: محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م، ص. ص 87، 90.

7- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, P.106.

وفي هذا الصدد يشير ش. أ. جوليان إلى أن الكتابة الليبية مقتبسة عن الأبجدية الفينيقية[1]، ويفترض كل من أ. س. جوداس A. C. Judas وستيفان غزال أن مجتمع المغرب القديم بعدما اقتبس الأبجدية الفينيقية أجرى عليها تعديلاً واسعاً ولم يحتفظ في أبجديته إلا ببعض الحروف.[2]

وكنتيجة لفرضية التشابه الظاهري العام في الشكل والنطق لبعض حروف الأبجديتين (أنظر الجدول رقم 1، ص 3)، فقد تكون الأبجدية الليبية لم تشتق مباشرة من الفينيقية، وإنما كانتا وليدتا أبجدية أقدم بكثير عنهما، أو انبثقت من كتابات أخرى، وهذه الفرضية يدعمها الباحث فليندرز بيتري Flinders Petrie حسب إشارة حارش، غير أنها لا تحمل دليلاً واضحًا على وجود هذه الكتابة القديمة والتي يمكننا أن نعتبرها كأبجدية أم للأبجديتين الليبية والفينيقية، لذلك فهي تصطدم باعتراضات قوية.[3]

القيمة الصوتية	الحروف الفينيقية	الحروف الليبية
G	1	ⵣ.1
I	2	Z
M	3	ⵔ
N	4	ⵏ
S	5.W	W.ⵙ
T	X	X.+

الجدول رقم 1: الحروف المتشابهة بين الفينيقية والليبية (بتصرف الباحث)، نقلا عن:
Bates (O.): The eastern Libyans, an essay, Macmillan and Co., Limited, London, 1914, P.85.

كما خلصت الدراسة التي أجراها جوزيف هاليفي J. Halévy بعد مقارنته بين الأبجدية الليبية وأشكال حروف الأبجدية الفينيقية، إلى وجود ستة حروف متشابهة شكلاً وصوتاً (أنظر الجدول رقم 2، ص 4)، وهذا ما يدل على حدوث الاقتباس من الأبجدية الفينيقية. ولا بد من ربط الأبجدية الليبية بالنقوش الفينيقية، لأن توزيع النقوش الليبية المكتشفة تتركز في شمال تونس والشمال الشرقي للجزائر أكثر من المناطق الأخرى وهو إشارة إلى حركة التأثير الفينيقي على الأبجدية الليبية.[4]

1- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 78.

2- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.106. Judas (A.C.): Sur l'écriture et la langue berbères dans l'antiquité et de nos jours, Imprimerie de Pillet fils Aine, Paris, 1863, P.3.

3- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 124.

4- Halévy (J.): Étude sur l'alphabet libyque et ses rapports avec l'alphabet phénicien (partie 2). In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 16e année, 1872. P. 242; Persse, URL: https://www.persee.fr, Vu: 07/08/2024.

أما بالنسبة للتأثير البوني على الأبجدية النوميدية (الليبية) (أنظر الجدول رقم 2، ص 4)، فيذكر إميل فليكس غوتيي E. F. Gautier أن قرطاجة قد تركت أثراً على أفراد مجتمع المغرب القديم بحكم تفوقها الحضاري[1]، فمن الأدلة على ذلك هي احتواء الأبجدية النوميدية على أكبر عدد من الحروف، ولعل بعضها أضيفت لرسم بعض الأصوات الغير موجودة في الأبجدية البونية، وذلك هو نتاج الاحتكاك الحضاري والثقافي بين مجتمع المغرب القديم والمجتمع البوني وعلى رأسها الاحتكاك اللغوي. وحسب شابو Chabot فإن الحرف الليبي الذي يقابل الحرف (H-𐤇)، والذي هو حرف حلقي يطابق في الكتابات التي تدون أسماء الأعلام في اللغة البونية، ولعله جُعل ليدل على حركة الإعراب في آخر الكلمة أو مقابل علامة في أسماء الأعلام اللاتينية: US، تمامًا كالألف البوني (𐤀). ومما لا شك فيه أن تغير اتجاه الكتابة النوميدية في عهد الأغليد النوميدي ميكيبسا Micipsa، حيث أصبحت الكتابة في النصوص الرسمية تتم من اليمين إلى اليسار، هو نتاج تأثير الكتابة البونية التي تكتب من اليمين إلى اليسار.[2]

LIGNES HORIZONTALES se lisant DE DROITE À GAUCHE.	LIGNES VERTICALES se lisant DE BAS EN HAUT.	TRANSCRIPTION PUNIQUE.	NOTRE TRANSCRIPTION.	LIGNES HORIZONTALES se lisant DE DROITE À GAUCHE.	LIGNES VERTICALES se lisant DE BAS EN HAUT.	TRANSCRIPTION PUNIQUE.	NOTRE TRANSCRIPTION.	LIGNES HORIZONTALES se lisant DE DROITE À GAUCHE.	LIGNES VERTICALES se lisant DE BAS EN HAUT.	TRANSCRIPTION PUNIQUE.	NOTRE TRANSCRIPTION.
⊙	⊙	𐤁	B	≥	∾	𐤉	I	⊢	⊤	𐤑	Ç
⌐	⊦	𐤊	G	⇐	↟	𐤊	K	÷		𐤒	Q
⊓	⊏	𐤃	D	⫼	=	𐤋	L	○	○	𐤓	R
=	⫼	𐤅	U	⊐ ⊃	⊔	𐤌	M	⋛	ш w	𐤔	Ṡ
ш		𐤆	Ż	⫿	⫿	𐤍	N	+	+ ×	𐤕	T
H	⫩ H	𐤆	Ẓ	⧗ ⊂	⧗	𐤎	S	⫤		𐤕	Tɪ
—	—	𐤆	Z	⨯	⨯ ⤫	𐤅	F	≡	⫼ ≡	𐤄	H
⋗	⫼	𐤈	Ṭ								

الجدول رقم 2: جدول الأبجدية البونية والليبية، نقلا عن:
Le Quellec (J.L.): "Arts rupestres, écritures et protoécritures en Afrique: l'exemple du libyque", OpenEdition ,URL: https://journals.openedition.org, Vu: 06/09/2024.

كما طرح الباحث مارك ليدزبارسكي Mark Lidzbarski فرضية أن الأبجدية الليبية (النوميدية) مستمدة من الخط النيوبوني Néo-punique، رغم عدم الانسجام الواضح لهذا الأخير مع الخط الليبي (أنظر الجدول رقم 2، ص 4)، وأن هذا الخط البوني يعتبر كاستمرار للأبجدية الفينيقية وقريب منها بشكل واضح[3]، حيث أن الأول ذو خطوط انسيابية

1- Gautier (E.-F.): Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs du Maghreb, nouvelle édit., petite bibliothèque Payot, Paris, 1952, P.118.
2- محمد العربي عقون: "القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"، المرجع السابق، ص 176.
3- Lidzbarski (M.): Ephemeris für semitische Epigraphik, Erestre Band (1900-1902), Gießen: J. Ricker'sche Verlagsbuchhandlung, 1902, Deutschland, 1902, P.P.295-298.

متموجة على عكس الليبية ذات الأشكال الهندسية والزوايا، يضاف إلى ذلك أن الخط البوني الحديث ظهر وانتشر بعد سقوط قرطاجة في 146ق.م[1]، بيد الاحتلال الروماني.

وفي فترات الانفتاح على الحضارات البونية والإغريقية واللاتينية خلال القرن الثاني قبل الميلاد وما بعده مع حكم الممالك النوميدية والموريطانية، شهد أثناءها مجتمع المغرب القديم متغيرات في منظومته الحضارية والثقافية[2]، وحسب محمد الصغير غانم تلك المتغيرات دفعته إلى ضرورة وضع أبجدية كتابية تميّزه عن غيّره من مجتمعات ذلك العصر، فجاءت الكتابة النوميدية مستقلة عن مثيلاتها الفينيقية والبونية[3] وحتى غيرها من الأبجديات. لذلك افترض البعض أن هذا المجتمع أخذ فقط عن الفينيقيين والبونيين فكرة الحروف الصامتة لا غير، ثم اقتبسوا أشكالاً لحروفهم من جهات أخرى، أو أنهم اصطنعوا لأنفسهم علامات خطية خاصة لكتابتهم[4]، ليصبح ظهور هذه الكتابة لا يتجاوز حدود القرن الثالث قبل الميلاد، لأن فترة ازدهار هذه الكتابة يصادف فترة حكم الأغاليد النوميد، وعلى رأسهم ميكيبسا، الذي أعطى الأمر بتشييد معبد ثوغا Thugga، وكُتبت على أحد جدرانه نقيشة مزدوجة ليبية– بونية، وأن النص الليبي كتب بلغته الأصلية بدلاً من الترجمة عن النص البوني[5]، ويشير غوتييه إلى أن اللغة الرسمية لدى الملوك النوميد هي اللغة البونية.[6]

ومن هذا كله أشير إلى أن الفرضية القائلة بالتأثير الفينيقي على الأبجدية الليبية (النوميدية) تستند على جملة من المؤشرات: أولها مؤشر التأريخ Datation؛ حيث أن الأبجدية الليبية ظهرت بعد التمركز الفينيقي في بلاد المغرب القديم، بتأسيس قرطاجة في عام 814ق.م، والمستوطنات الأقدم منها في نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد[7]، حيث حدثت علاقات احتكاك حضاري وثقافي مستمر بين الفينيقيين والنوميد.[8]

1- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 175.

2- Derect (F.), Fantar (M.): L'Afrique de Nord dans l'antiquité, histoire et civilisation des origines au Ve siècle, histoire et civilisation des origines au Vème Siècle, éd. Payot, Paris, 1991, P.16.

3- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012م، ص. ص 87، 90.، ص 163، 166.

4- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 175.

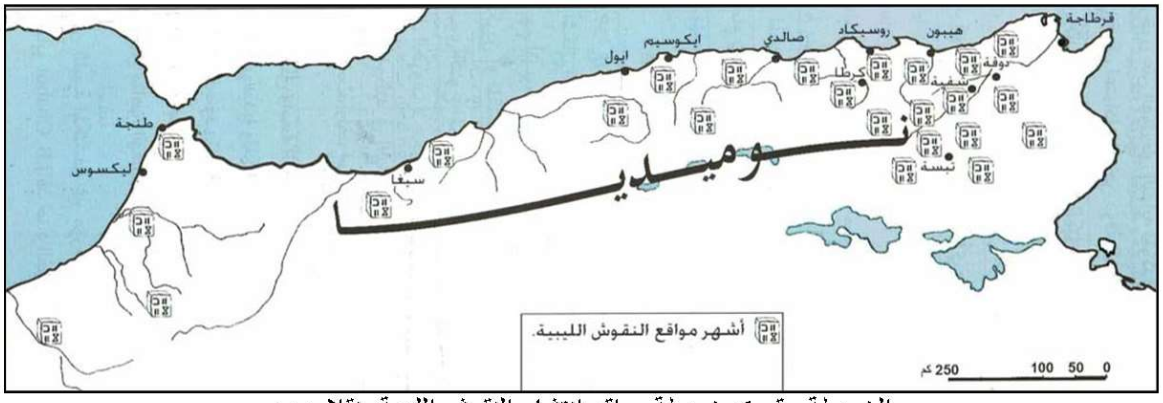
5- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 163، 166.

6- Gautier (E.-F.): Op.cit, P.118.

7- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Enc.Ber. [En ligne], 28-29| 2008, document L24, mis en ligne le 01/06/2013, consulté le 10/12/2020, URL: https://journals.openedition.org, P.3, Vu: 07/08/2024.

8- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.106.

والمؤشر الثاني يرتبط بالجغرافيا Géographie؛ إذ أن أغلب النقوش والنصوص الليبية (النوميدية) وجدت في المناطق التي تأثرت بشكل مباشر بالثقافة القرطاجية البونية (أنظر الخريطة رقم 1، ص 6)، والمتمثلة في شمال تونس وشمال قسنطينة وشمال المغرب[1]، وتتناقص كلما اتجهنا نحو المناطق الداخلية للجهة الغربية والشرقية، وعليه فمعظم النقوش الليبية التقطت من الركن الشمالي الشرقي للجزائر بداية من غارديماو Ghardimaou التونسية ومنطقة الشافية وبوحجار ثم أولاد بشيح وكسيبة مراو وتمتد إلى جنوب تبسة والأوراس وسطيف، ومن بجاية غرباً يقل عددها وتتناثر شمال المغرب حول مناطق التأثير البوني كما أشرت آنفًا.[2]



الخريطة رقم 1: خريطة مواقع انتشار النقوش الليبية، نقلا عن:
حفيظة لعياضي: مقومات الوحدة وعوامل التفرقة في تاريخ بلاد المغرب في العصر القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، 2017-2018م، ص 149.

أما الثالث مرتبط بمؤشر مبدأ الكتابة Principe de l'écriture؛ باعتبار أن الليبية هي أبجدية صامتة Consonantique[3]، أي أنها خالية من الحروف الصوتية Voyelles مثلها مثل الفينيقية[4]، بمعنى اعتماد الأبجديتين على الحروف الصامتة وعدم رسم الحركات[5]. وبالنسبة لمؤشر ما قبل الأبجدية Pré-alphabétique؛ حيث لا يوجد نظام كتابي سابق للأبجدية الليبية يمكن أن يفسر ظهور الكتابة الليبية على غرار الأبجديات في

1- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5. Gautier (E.-F.): Op.cit, P.118.
2- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 164. أنظر كذلك: Reboud: R.I.L.B., P.P.33-49.
3- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5.
4- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5.176.
5- عبد اللطيف الركيك: **"الكتابتان البونية والليبية بشمال إفريقيا القديم: إشكالية الأصل ومسألة التفاعل"**، مجلة أسيناگ - asinag، العدد 11، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب الأقصى، 2016م، (ص 15-36)، ص 18.

اللغات الأخرى المتمثلة في الكتابة التصويرية[1]، وهذا ما دفع بستيفان غزال إلى التساؤل إذا ما كان مجتمع المغرب القديم قد استعمل طريقة للكتابة التصويرية ثم تحولت إلى رموز صوتية؟.[2]

أما الخامس فيتمثل في مؤشر التشابه Ressemblances بين عدد من حروف الأبجدية الليبية مع الأبجدية الفينيقية- البونية Phénico-punique[3]، من حيث شكل الحرف ومقابله الصوتي[4]، حيث تشير المقارنة السالفة الذكر والتي أجراها هاليفي بين الأبجديتين، والتي أسفرت عن وجود ستة حروف متشابهة في الرسم والصوت (أنظر الجدول رقم 1 ص 3)[5]. والمؤشر الأخير هو مؤشر إيتيمولوجي Etymologie يرتبط بالتسمية الحديثة للأبجدية الليبية Dénomination، التي أصبحت تعرف باسم تيفيناغ Tifinagh[6]، وهي أبجدية مشتقة عن الليبية القديمة، حيث أن هذا المصطلح هو من صيغة جمع مؤنث ومفرده هو تافينغ Tafingh أو تافيناغت Tafinaght، ويدل حرف التاء (T) كعلامة للتأنيث، كما أنه من الجذر فنغ FNGH، مع العلم أن حرفي الغين بديل ألوفوني Allophone (البديل الصوتي) لحرف القاف في اللغة الأمازيغية ليصبح جذره اللغوي في هذه الحالة فنق FNQ[7]، وقد ذكرها غزال تحت مسمى تافينق Tafink، وهذا ما دفع بأودولف هانوتو Adolphe Hanoteau، أن يفسر هذا المصطلح بمعنى الحرف الفينيقي، وبذلك تكون الأبجدية الليبية ذات أصل فينيقي، ويرد غزال على هذه الفكرة بأن اسم الفينيقيين هو اسم أطلقه عليهم الإغريق Phoinike، ولا يبدو أن هذا الاصطلاح يمثل الاسم الذي كانوا يطلقونه على أنفسهم، ويسميهم بهم مجتمع المغرب القديم اقتداءً بهم.[8]

وأستخلص من هذا؛ أن النقد الذي نقدمه لفرضية الأصل الفينيقو- بوني للغة والأبجدية الليبية (النوميدية)، يتعلق بخاصية الاتجاه العمودي الذي تكتب به الكتابة الليبية أي من الأسفل إلى الأعلى، في الكثير من النصوص والنقوش وخاصة أحادية اللغة، وذلك

1- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 176. Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5.

2- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.101.

3- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5.

4- عبد اللطيف الركيك: المرجع السابق، ص 17.

5- Bates (O.): Op.cit., P.85.

6- وتكتب بالتيفيناغ المعاصرة حسب خطوط لوحة المفاتيح إركام Ircam كما يلي: (ⵜⵉⴼⵉⵏⴰⵖ).

7- عبد الله الحلوي: **"نعم، الأمازيغ هم أول من اخترع الكتابة الصوتية!"**، أكال بريس akalpress، الرابط: https://akalpress.com/author/haloui، 2024/08/10م.

8- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.105. والتسمية التي كان الفينيقيون يطلقونها على أنفسهم هي الكنعانيين، للمزيد ينظر: محمد غانم الصغير: التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المرجع السابق، ص 20.

يدل على وجود أسلوب أصيل متبع في الليبية ومخالف للكتابة الفينيقية والبونية[1]، أما مسألة تشابه بعض الحروف، مع الفينيقية وهي ستة حروف ليس بالضرورة دليلاً دامغاً على الاقتباس أكثر من دلالته على ظاهرة المثاقفة بين الفينيقيين ومن بعدهم البونيين مع مجتمع المغرب القديم.

2- أصالة ومحلية اللغة والكتابة الليبية:

يعتقد الباحث جوهان فريدريك J. Friedrich بأن الكتابة الليبية أصيلة، وهي نابعة من فكرة محلية تطورت حتى اكتسبت خصائصها المميزة، وليست لها أي علاقة مع الأبجدية الفينيقية أو البونية، ومنه أن شكل حروف الأبجدية الليبية لا يلتقي مع أي من أشكال تلك الكتابات، وعلى خلافها فقد سجلت الليبية الحروف الصوتية الأولى، وكُتبت في الأساس بشكل عمودي. ويخلص ذات الباحث إلى القول بأنه إذا كانت الكتابة الليبية قد خضعت لمؤثرات فنيقو- بونية، فذلك لا يعني بالضرورة أنها لم تنشأ بطريقة مستقلة.[2]

وفي هذا المقام سأشير إلى الدراسة التي قدمها الباحثان سالم شاكر Salem Chaker وسليمان حاشي Slimane Hachi، عن أصول الأبجدية والكتابة الليبية، وتوصلا إلى جملة من القرائن، تشير إلى أن نشأتها كانت نتيجة لمواد وأدوات وممارسات محلية في مرحلة ما قبل الأبجدية، وأن تأثير نموذج الأبجدية الفينيقية المحتمل كان نتاج الاحتكاك الحضاري بين ثقافتين وأبجديتين مستقلتين عن بعضها البعض[3]، بمعنى حدوث حركة مثاقفة[4] بين الثقافة الفينيقية والثقافة الليبية القديمة.

وتتمثل تلك القرائن؛ في أن الحروف المتشابهة بين الأبجدية الفينيقية والليبية محدود بين ستة إلى سبعة حروف من أصل 24 أو 25 حرفاً، منها أربعة حروف متشابهة شكلاً وصوتاً وهي: التاء والشين، والياء والجيم، فإذا استثنيت هذه الحروف، فإن معظم الحروف الليبية الأخرى المعروفة من خلال النقوش تختلف في رسمها وصوتها عن حروف الخط الفينيقي[5]، بينما المظهر العام واتجاه الكتابة بين الأبجديتين مختلف تماماً، من حيث شكل

1- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 175.
2- المرجع نفسه، ص. ص 175-176.
3- المرجع نفسه، ص 177.
4- المثاقفة تشمل جميع الظواهر الناتجة عن حدوث اتصال مستمر مباشر بين أفراد ينتمون لثقافتين مختلفتين، وما يترتب عن ذلك من تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية عند إحداهما أو كليهما. للمزيد ينظر: سارة بوزرزور: **"الترجمة والمثاقفة"**، مجلة البدر، مج.9، العدد 7، جامعة بشار، الجزائر، 2018م، (ص 243-258)، ص 210.
5- عبد اللطيف الركيك: المرجع السابق، ص 19.

الحروف واتجاه الكتابة، فالليبية تكتب من الأسفل إلى الأعلى على العكس مع الفينيقية التي تتخذ اتجاه اليمين إلى اليسار[1]، والكتابة العمودية من أسفل إلى أعلى، هي حجة دامغة على الاختلاف بين الأبجديتين[2]، وما هو إلا دليل على أنها مرحلة من مراحل تطور الكتابة الليبية ولعلها كانت كتابة مقطعية ثم تطورت إلى أبجدية بالتدرج في وقت لاحق.[3]

وتشير القرينة الثانية؛ إلى أن ظهور الأبجدية والكتابة الليبية هو أقدم بكثير مما كان يعتقد لدى أغلب الباحثين، حيث يعود على الأقل إلى القرن السادس قبل الميلاد، وهي الفترة التي لا يزال فيها النفوذ الفينيقو- بوني Phénico-punique محدود في بلاد المغرب القديم[4]، وبالتالي محدودية تأثيره الثقافي على مجتمع المغرب القديم خلال تلك الفترة.

أما القرينة الثالثة؛ فتبين لنا أن النصوص الليبية الأقدم تأتي من أماكن بعيدة عن مناطق النفوذ والتأثير الحضاري البوني[5]، مثل نقائش إكادن واشارن Ekaden Ouacharène بالهُقار Hoggar بالجنوب الجزائري، والتي أرخت ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، بالإضافة إلى نقيشة آعزيب نيكيس Azib n'Ikkis[6] بالأطلس الكبير بالمغرب، والتي أرخ جان مالوم J. Malhomme للوحة الصخرية الحاملة لحروف هذه النقيشة بالنصف الثاني من الألف الثاني ق.م (أنظر الشكل رقم 1، ص 10)[7]، وتزيد عن 500 سنة قبل الميلاد[8]، وأشير إلى وجود ارتباط بين الرسم والنقيشة.[9]

وتتعلق القرينة الرابعة بظاهرة الانتشار الكبير لنصوص النقوش الليبية (النوميدية) في أماكن التمركز البوني، حيث يظهر تأثير ذلك على آليات الكتابة والكثافة في النشاط

1- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5. Voir: Ghaki (M.): "Le Libyque", RE.T.A., 1, 2013, Academia, URL: https://www.academia.edu, Vue: 10/08/2024, P.10.

2 -Ghaki (M.): Op.cit, P.10.

3- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 176.

4- Chaker (S.): "l'écriture libyco-berbère état des lieux et perspectives", Op.cit, P.4.

5- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5.

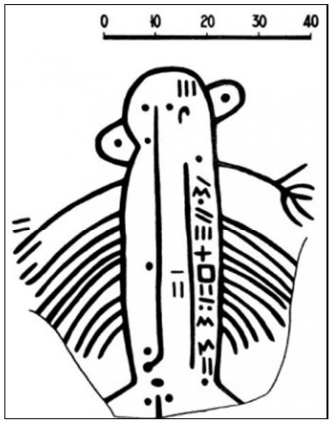
6- التأويل الغرافي لهذه النقيشة حسب عبد الله الحلوي كما يلي: (ييان أور- تاهلان آت ڤيغ YYN UR-TAHLEN AT GIGH)، وتعني باللغة العربية: "أنا إنسان تعيس" أو "أنا إنسان محروم من العناية أو المتعة". ينظر: عبد الله الحلوي: **"حل شفرة منقوش عزيب ن إيڭّيس"**، أكال بريس akalpress، الرابط: https://akalpress.com/5482-tifinagh-2، 2024/08/10م.

7- عبد اللطيف الركيك: المرجع السابق، ص. ص 21-22.

8- عبد الله الحلوي: **"نعم، الأمازيغ هم أول من اخترع الكتابة الصوتية!"**، المرجع السابق.

9- Skounti (A.) & autres: Tirra, Aux origines de l'écriture au Maroc, Institut royal de la culture amazighe, Ribat, 2003, P.44.

الكتابي، إذ هو نتاج الاحتكاك بالمجتمع الفينيقو- بوني، ولا يدل على أن الكتابة الليبية نشأة من أصل فينيقي (أنظر الخريطة رقم 1، ص 6).[1]



الشكل رقم 1: نقيشة آعزيب نكيس، نقلا عن: عبد اللطيف الركيك: المرجع السابق، ص 32.

وترتبط القرينة الخامسة بالجانب الباليوغرافي Paléographie[2]، المرتبط بطبيعة الخط الليبي، الذي يمتاز باحتوائه على أشكال هندسية Géométrique من خطوط مستقيمة ودوائر ومربعات وزوايا.. وغيرها وهي تتناسب مع طبيعة هذا الخط، وبينها تطابق كبير مع الرموز والرسوم والأشكال الهندسية للجداريات الصخرية[3] التي لا زالت أثارها بادية على واجهات الكهوف والصخور، والتي تدل على أن الفنان الذي أنتجها لم يكن مجرد هاوي بل كان متخصصاً يمتاز بالإتقان ويحمل حسًا إبداعيًا، وقد أشار م. ص. غانم أن غردون تشايلد G. Childe وصفه؛ بأنه كان أكثر مهارة من نظيره النيوليتي المصري، والمنتشرة في مختلف مناطق بلاد المغرب، كالجنوب الوهراني والأطلس الصحراوي وجبال الهقار والطاسيلي وتيبستي ومنطقة فزان، وغربي ليبيا..، والعائدة إلى حوالي الألف التاسعة قبل الميلاد (العصر النيوليتي)، أو إلى حوالي الألف الخامس قبل الميلاد.[4]

كما يتناسب مع الديكور الهندسي للفن الريفي المحلي، من زخارف النسيج[5] والفخار والحلي، بالإضافة إلى رموز وعلامات الوشم (أنظر الشكل رقم 2، ص 11) التي هي بمثابة كتابة تواصلية قابلة للقراءة بالتأويل، وتحمل دلالات يدركها أفراد المجتمع الواحد تماماً

1- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.5.

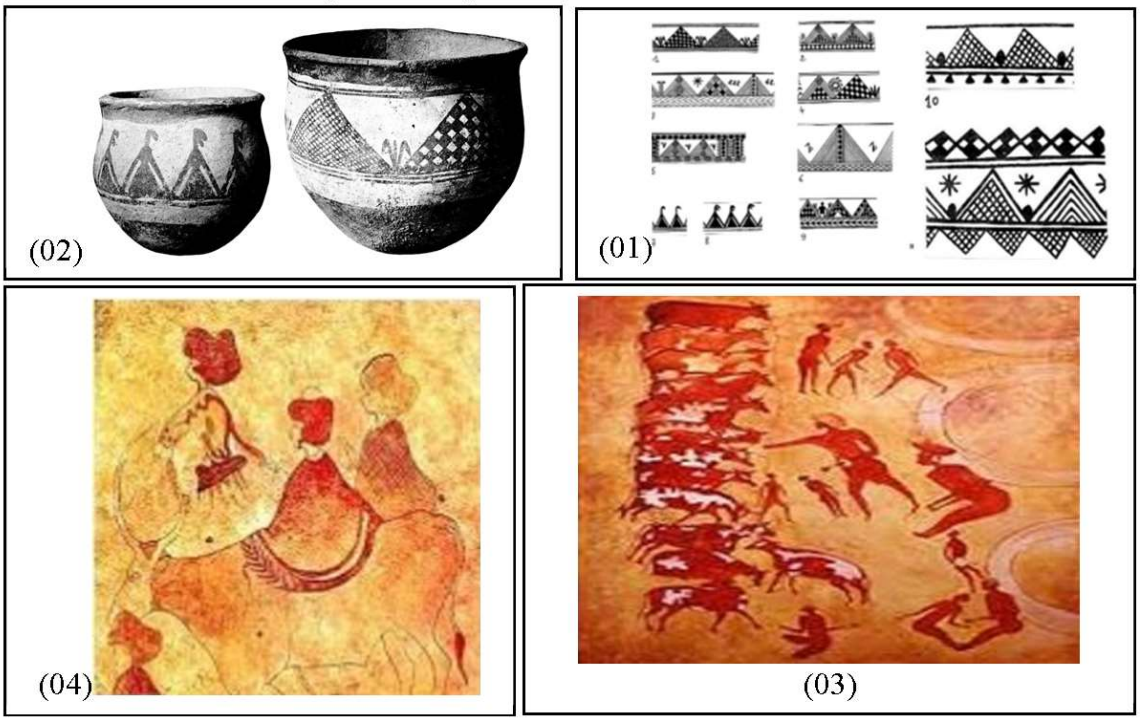
2- عبد اللطيف الركيك: المرجع السابق، ص 17.

3- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص.ص 175، 177.

4- محمد الصغير غانم: **"المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية، المعطيات الجغرافية والمناخية"**، مجلة الأصالة، العدد 72، الجزائر، 1979م، (ص 69-82)، ص 71-74.

5- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص. ص 175، 177. ينظر: Ghaki (M.): Op.cit, P.10.

كما يدرك اللغة[1]، وظاهرة الوشم قد أشار إليها الشاعر البيزنطي كوريبوس Corippus، أن نساء هذا المجتمع كن يضعن على جباههن أشكالاً مرسومة[2]، وأسماها الكاتب والطبيب الأفريقي كاسيوس فيلكس Cassius Félix الذي عاش خلال القرن الخامس للميلاد بمسمى ستيغماتا Stigmata أي علامات تحدث بالحديد المحمى[3]، وكل هذا يتعارض مع طبيعة الخط الفينيقي والبوني ونيوبوني بكون حروفها تمتاز بصغر حجمها واتجاهها نحو الرسم السريع وبالانسيابية ويعتمد في كتابتها على آلية التموج والانحناء والاستدارة، فمن المستبعد أن تتولد عنه أشكال كتابية بارزة وهندسية وبزوايا كالتي نجدها في الكتابة الليبية.[4]



الشكل رقم 2: أوشام وفخار مزخرف ورسومات الطاسيلي

(01)- أوشام أمازيغية، نقلا عن: غادة مجدي محمد شافعي: **"الرمز الأمازيغي وأثره على الفن التشكيلي"**، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، مج.21، العدد 2، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، مصر، 2021م، (ص 158-167)، ص 161.

(02)- آنية فخارية من تيديس، نقلا عن: Camps (G.): "Les Numides et la civilisation punique", In: AN.AFRI., 14, Persee, URL: http://www.persee.fr, Vu: 07/09/2024.

(03)- مشهد للأبقار في صفار الطاسيلي، (04)- مشهد لنساء من الطاسيلي، نقلا عن: بن بوزيد لخضر: الطاسيلي آزجر

1- ماهيتاب حسن البنا: **"سيميائية الرمز في أنماط الوشم القبلي كمصدر إلهام لتصميم وحدات زخرفية حديدية فريدة"**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج.9، عدد 11، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، مصر، 11 أفريل 2024م، (ص 610-231)، الرابط: https://mjaf.journals.ekb.eg، ص. ص 620، 622-623.

2- ذكر كوريبوس صفات القبائل الليبية، للاطلاع والمزيد ينظر: Corippus: The Iohannis, or De Bellis Libycis, Tran. George W. Shea, The Edwin Mellen Press, New York, USA 1998.

3- Felix Cassius: De Medicina, Valentino Rose, In aedibus B.G. Teubneri, 1879, XIII, 20-21.

4- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص. ص 175، 177.

وقد اعتبرت مليكة حشيد؛ بأن الوشم والرموز والعلامات والأشكال الفنية التي بدأ يصنعها أفراد مجتمع المغرب القديم منذ العصر القفصي 10000ق.م أو تلك المنقوشة أو المرسومة على اللوحات الصخرية، تمثل إرهاصات أولية للكتابة عند مجتمع بلاد المغرب القديم[1]، كما يشير أحمد السكونتي وعبد الحق لمجيدي والمصطفى نعمي أن الأبجدية الليبية قد أخذت مساراً تطورياً يبدأ من رسوم اللوحات الصخرية إلى أسلوب تازينا Tazina بالأطلس الصحراوي، وبعدها إلى الرموز والوشوم ومختلف الأشكال الزخرفية، لتبرز منها هذه الأبجدية.[2]

أما القرينة الخامسة فتتمحور حول مصطلح تيفيناغ Tifinagh، على عكس ظاهر هذه التسمية، فلا تدل على أصل فينيقي- بوني، فهي تسمية ذات مرجع جغرافي أو عرقي ولا يمكن اعتبارها دليلاً على أنه مشتق من مصطلح "فينيق"[3] الذي هو مفرد فينيقيين. والقرينة السادسة تتعلق بالتسمية العامة لكلمة "أُكتب Aru أو Ari والكتابة Tirra"، فجذرها المعجمي في معظم متغيرات اللغة الأمازيغية هو "رو rw"[4]، ويشير بالتأكيد عن تطور من معنى أقدم من ظهور الكتابة، حيث يدل على الدلالات التالية: "نقش Graver أو علامة Marquer أو قطع Inciser"[5]، أي أن نشأة الكتابة كان محلياً، ومرتبط بالنحت والنجارة وتقطيع الصخور، وهي سابقة لوصول العناصر الفينيقية إلى بلاد المغرب القديم.[6]

أما القرينة الأخيرة تشير إلى عدم وجود شكل وسيط forme intermédiaire بين الأبجدية والكتابة الليبية (النوميدية) والكتابة الفينيقو- بونية، فالكتابتين واللغتين قد تواجدتا جنباً إلى جنب منذ البدايات الأولى للاحتكاك الفينيقي الليبي، وهما متمايزتان تماماً

1- Hachid (M.): Les Pierres écrites de l'Atlas saharien. El-Hadjra El-Mektouba, T.I, ENAG, Algérie, 1992, P.P.185-186.

2- Voir: Skounti (A.) & autres: Op.cit., P.44.

3- أشار عبد الله الحلوي إلى أن لفظة فنيق تكون من الكلمة أفنيق التي تعني عند المتغير اللغوي القبائلي "صندوق التخزين المنزلي"، وفي المغرب الأقصى "الفضاء الضيق". ينظر: عبد الله الحلوي: **"نعم، الأمازيغ هم أول من اخترع الكتابة الصوتية!"**، المرجع السابق.

4- أشار حدادو إلى هاتين الكلمتين: آرو Aru تعني أكتب أو سجل أو أنقش، وتيرّا Tirra وتعني الكتابة أو النقش، ينظر: Haddadou (M. A.): Dictionnaire Des Racines Berberes Communes, haut commissariat à l'Amazigheté, les oliviers, Tizi Ouzou, 2007, P.180.

5- عبد الله الحلوي: **"نعم، الأمازيغ هم أول من اخترع الكتابة الصوتية!"**، المرجع السابق.

6- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 177. عبد اللطيف الركيك: المرجع السابق، ص 19.

ومختلفتان من حيث الأصل، وحتى الاقتراض أو الاقتباس من الفينيقية أو البونية تعني المرحلة، وتفترض وجود شكل وسيط بين الكتابتين.[1]

وبالتالي، من الصعب جدًا تفسير ظهور الأبجدية الليبية من خلال الاستعارة المباشرة للأبجدية السامية Alphabet sémitique؛ فالكثير من البيانات الموضوعية تميل إلى إظهار أن الكتابة والأبجدية الليبية نتاج ديناميكية ثقافية اجتماعية داخلية إلى حد كبير في الوسط الاجتماعي لبلاد المغرب القديم. وتبدو مسألة النشوء الداخلي لهذه الأبجدية، وحدوث الاتصال بحضارة أخرى تحمل الكتابة، أصبحت الآن مقبولة لدى غالبية المتخصصين في مجال الدراسات اللغوية.[2]

ومن هنا يمكنني القول؛ أن هناك الكثير من القرائن التي توحي بأن مجتمع المغرب القديم كان يملك ملكات مكنته من ابتكار أبجدية خاصة به، وحتى ولو طرحنا فرضية اقتراض بعض الحروف، فباقي الحروف من الأبجدية الليبية هي أصيلة ونابعة من عمق المنظومة الثقافية لمجتمع بلاد المغرب القديم، كما لا يمكن أن ننفي حركة التأثر والتأثير والتي هي نتاج حركة المثاقفة بين ثقافتين مختلفتين.

المطلب الثاني: انتشار اللغة والكتابة الليبية قبل وبعد الاحتلال الروماني

هناك تفاوت في مدى انتشار واستمرار اللغة الليبية وكتابتها قبل وبعد الاحتلال الروماني، وهذا ما سأوضحه في هذا المطلب.

1- اللغة الليبية وحيز انتشارها قبل الاحتلال الروماني:

إن اسم اللغة الليبية مشتق من تسمية المجتمع الذي كان يتكلمها وهم الليبيين القدماء[3]، وهم السكان الأصليون[4] الذين كانوا يقطنون منطقة جغرافية تسمى "ليبيا[5]" أو "لوبا"، وحسب المؤرخين القدماء أمثال هيرودوتس وديودوروس الصقلي وبلينوس الكبير

1- Chaker (S.): "l'écriture libyco-berbère état des lieux et perspectives", Op.cit, P.5.

2- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit. P.5.

3- Basset (R.): Recherche sur la religion des berbères, Revue de l'histoire des religions, publiée sous la direction de MM. René Dussaud et Paul Alphandéry, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1910, P1.

4- لقد ذكر هيردوت أن ليبيا يسكنها مجتمعين أصيلان وهما الليبيون في القسم الشمالي والأثيبيون في جنوب الصحراء، وأخرين أجانب وهم القرطاجيين والإغريق، ينظر: Gsell (S.): Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote), typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur-libraire de l'université, Alger, 1915, P. 113, 119.

5- يشير هيرودوت أن اسم ليبيا عند الإغريق مأخوذ عن اسم امرأة ليبية تسمى بنفس الإسم. هيرودوت: الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس (هيرودوت)، الكتاب السيكيثي والكتاب الليبي، نقله من الإغريقية: محمد المبروك الذويب، ط.1، منشورات جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2013م، 45، ص 54.

وغيرهم، تمتد بلادهم في المناطق المحصورة بين نهر النيل شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى بلاد الأثيوبيين جنوبًا (أنظر الخريطة رقم 2، ص 14).[1]



الخريطة رقم 2: خريطة انتشار القبائل الليبية في بلاد المغرب القديم، نقلا عن:
حفيظة لعياضي: المرجع السابق، ص 149.

ومصطلحي ليبيا والليبيين ورد ذكرهم في المصادر القديمة عند المصريين والإغريق واللاتين والنقوش البونية. حيث ورد في الكتابات الهيروغلفية المصرية تحت مسميات متعددة، أذكر منها هنا "ليبو Libou وريبو Ribou" وهي إشارة إلى المجتمعات التي تسكن غرب نهر النيل، وحتى قبيلة الماشوش التي دخلت مصر تنتمي إليها، بالإضافة إلى التحنو والتمحو[2]، كما تكلم فرجيليوس في الإنياذة عن مدن ليبيا، وذكرهم كل من شاعر أوغسطس بيليني الأكبر وسالوستيوس تحت مسمى الليبيين وبأنهم سكان بلاد المغرب القديم وهم المستوطنين الأوائل في هذه البلاد[3]، كما ذكر هيرودوت الكثير من أسماء القبائل الليبية منها: الأدورماخيداي Adyrmachides والغيلغامى Giligames والنسامونيس Nasamons والغرامانتيس Garamantes والماخليس Machlyes والأوسيس Anses والماكسييس Maxyes والمازيكيس

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010م، ص 155. محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالستيوس (86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة Bellum Jugurthinum، ط2، أذليس للنشر والتوزيع والترجمة، باتنة، الجزائر، 2021م، ص 97-100. هيرودوت: أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الأمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2009م، ف. ف 32-168، 197، ص 25-69، 106. سترابون: الجغرافيا، تر.: حسان ميخائيل إسحق، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 2017م، ج.1، ف. الثالث، ف.1، ص. ص 389-390. Gsell (S.): Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote), P. 118. Pliny: Natural History, Henry G. Bohn, London, 1855, BOOK V. 219.

2- للمزيد حول القبائل الليبية في الكتابات الهيروغليفية المصرية ينظر: بن السعدي سليمان: علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دوكتوراه دولة في التاريخ القديم، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008م، ص. ص 20-122

3- Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit, P.15-16.

Mazices والأنترانتيس Atarantes والآتالانتيس Atlantes وغيرهم (أنظر الخريطة رقم 2، ص 14).[1]

وقد وردت هذه التسمية كذلك في النقوش البونية والنيوبونية، تحت مسميات LBT وLBY، ومن أمثلة ذلك أذكر نقيشة بمعبد الحفرة ورد فيها اسم لشخصية تسمى "أريش ابن ليبي Arish fils de liby"، وفي نقيشة مزدوجة ليبية- بونية عثر عليها بمكثر ورد فيها "BŠD LYBM" ومعناها: "في الأراضي الليبية"، وفي طرابلس عثر على نقيشة نيوبونية ورد فيها: RB MHNT BŠD LWBYM، وتعني: قائد الجيوش في الأراضي الليبية[2]. وقد ورد اسم "ليبيا" بالحرف الإغريقي في بعض العملات النقدية العائدة إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وربما تعود إلى أحد الممالك النوميدية والموريطانية، خصوصًا أن الممالك النوميدية عرفت انفتاحًا على الثقافتين البونية والإغريقية خلال هذا القرن وفيما بعد على الثقافة اللاتينية[3]. بالإضافة إلى ورود اسمهم في التوراة والإنجيل تحت اسم لوبيم ولهابيم[4] على التوالي.

إن اللغة التي تحدثها المجتمع الليبي القديم، هي لغة ذات تاريخ طويل تعود جذورها إلى حدود الألف الخامس قبل الميلاد وقد تكون إلى فترة سابقة[5]، وهي أم المتغيرات اللغوية الأمازيغية المعاصرة[6]، مع وجود اختلافات طفيفة بينهما[7]، وتشترك في الجذر اللغوي للألفاظ والكلمات. كذلك وقد أشار إليها هيرودوتس حينما تكلم أن الليبيين كانوا يتكلمون لغة واحدة ورغم وجود بعض الاختلافات من قبيلة إلى أخرى إلى أنهم يفهمون بعضهم

1- ينظر: هيرودوت: الكتاب الرابع من تاريخ هيردوتوس (هيرودوت)، المصدر السابق، الفقرات 168، 169، 172، 174، 175، 178، 180، 181، 184، 191، 194، ، ص. ص 116-126، 129-131. Gsell (S.): Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote), P.P.119-155.

2- وهو القنصل لوكيوس أيليوس لاميا Lucius Aelius Lamia. أنظر: Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit, P.16

3- Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit, P.16.

4- ففي الثوارة ورد ما يلي: (ومصرايم ولد لوديم ويعنيم ولوبيم...). سفر الخليقة، القراءة 19، التوراة، تر. وتح.: سهيل زكار، ط.1، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، سوريا، لبنان، 2007م، ص 121. وفي الإنجيل أذكر موضعين: (ومصرايم ولد: لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم). سفر التكوين الإصحاح 10، الآية 13. وكذلك: (كوشٌ قوتُها مع مصر وليست نهايةٌ. فوطٌ ولوبيمُ كانوا معونتك). سفر ناحوم، الإصحاح 3، الآية 9. الكتاب المقدس، ترجمة العالم الجديد، الناشرون: Watchtower Bible and tract society of New York, INC, Brooklyn, New York, U.S.A، 2004م، ص. ص 20، 1400.

5- محمد علي حسين الدراوي: **"الثقافة واللغة الليبية القديمة في إقليم طرابلس"**، المؤتمر الدولي الرابع للبحث العلمي 2015م، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)، ومركز الاحتواء الاجتماعي (قطر)، حول مجالات العلوم المختلفة، المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)، الدوحة، قطر، 15- 16- 17 مارس 2015م، ص. ص 673-686.

6- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 206.

7- Reboud: R.I.L.B. , P.7.

البعض[1]، وأطلقت عليها تسميات عديدة، أذكر بعضاً منها: اللغة الليبية، النوميدية، البربرية، الليبو- بربرية، البربرية القديمة Proto-Berbère [2]، والأبجدية التي دونت بها تسمى عادة الكتابة الليبية وأحيانًا الكتابة النوميدية[3]، وقد فضلها فيدرب Faidherbe بتسميتها الأخيرة.[4]

ومن الإشارات التاريخية إلى هذه اللغة خلال فترة الاحتلال الروماني، إشارة القديس أوغسطين من أن مجتمع المغرب القديم كان يتحدث لغة واحدة مشتركة بين مكوناته الفردية أو القبلية- وسأشرح هذا لاحقاً-[5]، كما ذكرها الكاتب اللاتيني المتأخر كوريبوس[6]، وكتب عنها القديس فولجانتيوس Saint Fulgentius أسقف روسبي Ruspé[7]، في القرن الخامس أو السادس للميلاد خلال الغزو الوندالي، بين حوالي 470 إلى 530م.[8]

وفيما يخص هذه الأبجدية فقد أشار فولجانتيوس إلى أنها كانت تتكون من ثلاثة وعشرون حرفاً، بينما يذكر ستيفان غزال أنه بعد قراءة نقيشة دوقة تم تحديد 23 حرفاً كذلك و22 حرفاً في مجموعة النقوش المكتشفة بناحية سوق أهراس، وهو رقم ليس من السهل ضبطه بالتدقيق إذا أخذنا بعين الاعتبار النقوش الأخرى[9]، أما أوريك باتيس O. Bates

1- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.1، العدد 1، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، مارس 2017م، (ص 63-101)، ص 65.

2- Bates (O.): Op.cit, P.85. Reboud: R.I.L.B., P.7.

3- مها عيساوي: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، دارسة تاريخية لغوية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص 64.

4 -Voir: Faidherbe (G.): Collection complète des inscriptions numidiques (libyques), Avec Des Aperçus Ethnographiques Sur Les Numides, Librairie A. Franck, Paris, 1870, P.P.9-12.

5- Lakhlif (M.): "Saint Augustin et la langue punique", Asinag-Asinag, R.I.R.C.A, N°.11, Rabat, Maroc, 2016, P.28.

6- فلفيوس كريسكونيوس كوريبوس: ملحمة الحرب الليبية الرومانية، تر.: محمد الطاهر الجراري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، دار الكتاب، ليبيا، 1988م، ص 46. Corippus: The Iohannis, P.82.

7- سانت فولجانتيوس: وهو قس روسبي (467م -533م)، في تلابت Telepte في إقليم البيزاسان Byzacène (تونس حالياً)، وكان أسقفًا أفريقيا لروسبي Ruspe وكاتباً لاهوتياً دافع عن العقيدة التقليدية في أفريقيا في القرن السادس ضد الأريوسية. ينظر: Modéran (Y.): "Fulgence de Ruspe", Enc.Ber. [En ligne], 19|1998, document F52, mis en ligne 01/06/2011, consulté le 24/09/2020. URL: https://journals.openedition. org, Vu: 07/08/2024.

8- Fulgentius: De aetatibus mundi et hominis, ed. Rudolf Helm, Leipzig, B.G. Teubner, 1898, DE AETATIBUS, I, P.P.130-134. Chronicon (1.0), cite de Philippe remacle, URL: https://remacle.org/bloodwolf/vebr/ Chronicon.html, Vu: 07/08/2024.

9- إصطيفان أكسيل: إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، تر.: محمد التازي سعود، ج.6، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 2007م، ص 88. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.94.

وهاليفي Halévy وليتورنو Letourneux فيشيرون إلى احتواءها على ثلاثون حرفاً مع ما يعادلها[1]، كما حددت بـ 22 حرف منها 10 حروف لها شبه بحروف تيفيناغ الطوارق.[2]

تنقسم اللغة والكتابة الليبية في بلاد المغرب القديم إلى ثلاثة أبجديات تحمل في طياتها أوجه بعض الاختلاف (الأبجدية وليس اللغة)، وهي: الليبية الغربية والليبية الشرقية، والأبجدية الصحراوية التي ستتحول إلى التيفيناغ Tifinagh[3]، وأشار جيمس فيفري إلى الشرقية والغربية فقط[4]، ويطلق كذلك على الشرقية بلغة الماسيل والغربية بالماسيسيل[5]، حيث يتضح مجال انتشار الليبية الشرقية من خلال نقوشها المكتشفة في كامل نوميديا الشرقية، أي شمال تونس والشمال القسنطيني حتى نهر سيبوس بعنابة، كما تمتاز نقوشها باحتواءها على النقوش المزدوجة الليبية- البونية[6]، ودونت فيها بشكل أفقي[7]، وعلى رأس تلك النقوش أذكر نقيشة دوقة التي كانت مفتاحًا لقراءة نصوص هذه الأبجدية[8]، إذ تعتبر أبجدية دوقة l'alphabet de Dougga الأبجدية النوميدية الشرقية والغربية معاً.[9]

بينما تنتشر الكتابة الليبية الغربية إلى الجهة الغربية من قسنطينة[10] وعلى سواحل موريطانيا القديمة، أي أنها في كامل الوسط وغرب الجزائر والمغرب، ويتضح ذلك من خلال نقوشها المنتشرة في هذه المنطقة، وعلى رأسها النقوش المتيجية، وما يلاحظ عليها أنها قليلة جداً وقصيرة النصوص[11]، وتحتوي على حروف إضافية عن الليبية الشرقية.[12]

أما الأبجدية الثالثة وبلا شك كانت منتشرة خلال فترات العصور القديمة إلى العصور الوسطى، كما لا يمكن لنا الجزم بشأن[13] ترتيبها الكرونولوجي الغير واضح مع الكتابتين

1- Bates (O.): Op.cit., P.P.84, 86.

2- حفيظة لعياضي: المرجع السابق، ص 151. وقد أشار الدكتور روبو أنه بعد إهمال اللغة والكتابة الليبية، حفظها الطوراق، وتنقسم حسبهم إلى: التماهق في الشمال والتماشك في الجنوب، وكتبت بحروف التيفيناغ، ينظر: Reboud: R.I.L.B., P.16.

3- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.2. Chaker (S.): "l'écriture libyco-berbère état des lieux et perspectives", Op.cit, P.2.

4- Jimes (F.): Que savons-nous du libyque?, Re. Afri., Op.cit., P.265.

5- Galand (L.): Les alphabets libyques, An. Afri., T.25, 1989, P.80.

6- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 163، 166. غابرييل كامب: البربر ذاكرة وهوية، تر.: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، ص. ص 322.

7- Chabot (J.B.): Recueil des inscriptions libyques, imprimerie nationale, Paris, 1941, P.3.

8- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 163، 166.

9- Ghaki (M.): Op.cit, P.12.

10- يشير الدكتور روبو أن معظم النقوش الليبية أكتشفت في قسنطينة، ينظر: Reboud: R.I.L.B., P.18.

11- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 163، 166.

12- غابرييل كامب: المرجع السابق، ص 322.

13- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.2.

السابقتين، أي حول مسألة أسبقية الواحدة عن الأخرى، وما أشير إليه هو الاختلاف الطفيف بين الرموز الكتابية لهذه الأبجدية عن الليبية الماسيلية والماسيسيلية وهي قريبة من بعضها البعض، وذلك ما دفع بالباحثين في هذا المجال أمثال: هنري لوت H. L'hote، وأندري باسي A. Basset، وشارل دي فوكو Ch. de Foucauld، إلى اعتبار التيفيناغ استمراراً للرسوم والنقوش الصخرية الصحراوية[1]، كما أطلق كامبس Camps على هذه الأخيرة تسمية التيفيناغات القديمة بصيغة الجمع أي التيفيناغ القديمة، على اعتبار أن التيفيناغ الحديثة (النيوتيفيناغ) تعد استمرارًا وتسلسلاً عن هذه القديمة[2]. وما أشير إليه هو ووجود بعض الاختلاف بين رموز هذه الأبجدية عن الليبية الشرقية والغربية، وهو نفس ما ذهب إليه جوداس خاصة مع أبجدية نقيشة دوقة، حينما قام بدارسة بعض النقوش المكتشفة في منطقة عنابة[3]، بالإضافة إلى أن الليبية الصحراوية تطورت وأنتجت التيفيناغ، أما الليبية الغربية فاندثرت أمام انتشار اللاتينية، ويبدو أن الصحراوية أقدم من الليبية الشرقية، وهي منتشرة أيضًا في الجنوب التونسي والأطلس المغربي وهناك عشرات الآلاف من النقوش بهذه الأبجدية.[4]

أما بالنسبة لمجال انتشار اللغة الليبية، وبسبب كونها لغة التخاطب لدى العامة من مجتمع المغرب القديم وذات طابع المشافهة أكثر من الكتابة، فلم ترقى إلى مستوى اللغات القوية، أمام اللغة البونية اللغة الرسمية في قرطاجة ثم اللغة اللاتينية خلال فترة الاحتلال الروماني، ولم يكن يعترف بها في المعاملات الرسمية[5]، غير أن بعض الدراسات حصرت مجال انتشارها في الرقعة الممتدة من واحة سيوة في مصر شرقاً وإلى جزر الكناري غرباً وإلى أطراف الصحراء جنوباً[6]، وذلك ما يحدده المجال الجغرافي الذي تتوزع عليه القبائل الليبية التي ذكرت بعضاً منها آنفًا (أنظر الخريطة رقم 2، ص 13).

1- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 163، 166.
Foucauld, Charles de: Dictionnaire touareg-français: dialecte de l'Ahaggar, T.I, Imprimerie nationale de France, Paris, 1951-1952, P.P. 12–20.

2- غابرييل كامب: المرجع السابق، ص 322.

3- Voir: Judas (A.): sur vingt-sept inscriptions libyques, recemment trouvées aux èvirons de P.P.257-260.

4- Ghaki (M.): Op.cit, P.10. Galand (L.): "Les alphabets libyques", In: An. Afri., Persée, https://www.persee.fr, Vue: 10/08/2024, P.81.

5- مها عيساوي: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 72.

6- محمد علي حسين الدراوي: المرجع السابق، ص. ص 673-686. André (B.): La langue berbère morphologie, librairie ernest leroux, paris, 1929, P. VII.

أما النقوش الليبية عموماً الأحادية والمزدوجة البونية- الليبية واللاتينية- الليبية المكتشفة تعطي مؤشرات مغايرة، فتختلف نسب تواجدها من منطقة إلى أخرى، حيث تكثر في الشمال الغربي لتونس وشمال شرق الجزائر في حين تقل في ليبيا والمغرب[1]، وجزر الكناري التي أكتشف بها مجموعة من النقوش الليبية، تكون كتبت بليبية الغوانش القدماء.[2]

ورغم هذا الامتداد الشاسع لهذه اللغة، والممتد من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي[3]، ومن ناحية أنها شكلت لغة تواصل بين القبائل الليبية المنتشرة على هذا الحيز الجغرافي، ومن ناحية ثانية أنها كتابة سجلت نصوصها في شكل نقوش صخرية. إلا أنها وجدت أمامها عقبات كثيرة ومنافسة غير متكافئة عبر العصور أمام لغات دخيلة قوية، كان لتلك اللغات المنافسة السند السياسي والقانوني والثقافي والعلمي بدءاً بالفينيقية التي أصبحت تعرف فيما بعد باللغة البونية ثم الإغريقية التي فرضت نفسها كلغة علم في العالم القديم وترتكز في كيرينايكا (قورينائية)، وأخيراً اللغة اللاتينية لغة الاحتلال الروماني، لكن رغم ذلك فقد استطاع مجتمع المغرب القديم أن ينقلها بالوراثة عبر أجياله باستمرار[4]، رغم غياب سلطة سياسية مركزية تقوم بفرضها وتعميمها[5]، فقد حاول الملوك المحليين توظيفها كلغة رسمية إلى جانب اللغات الأخرى على رأسها البونية، بالإضافة إلى أفراد المجتمع، والكل شعر بضرورة حماية لغتهم الأصيلة وتدوين مرثيات أحبائهم، ويتضح ذلك من خلال النقوش الجنائزية والنذرية والإهدائية في المعابد والتذكارية تكريمًا للملوك النوميد والموريطانيين وكبار شخصيات المجتمع[6]، وكذا الإرشادية والتوجيهية.

لقد استمر تداول اللغة النوميدية طيلة الفترة الفينيقية والعصر البوني نظرًا لطابعهم السلمي في البداية، وذلك ما يؤكده انتشار ووجود نصوصها ضمن النقوش المزدوجة البونية- الليبية والنقوش الليبية الأحادية، المنتشرة في الجنوب الوهراني والمغرب وولايتي طرابلس وكيرينايكا، ومن الصعوبة تحديد تاريخ محدد لتلك النصوص.[7]

1- مها عيساوي: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 83-90. محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 175.

2- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.2. Galand (L.): "Les alphabets libyques", Op.cit., P.69.

3- Bates (O.): Op.cit., P.77.

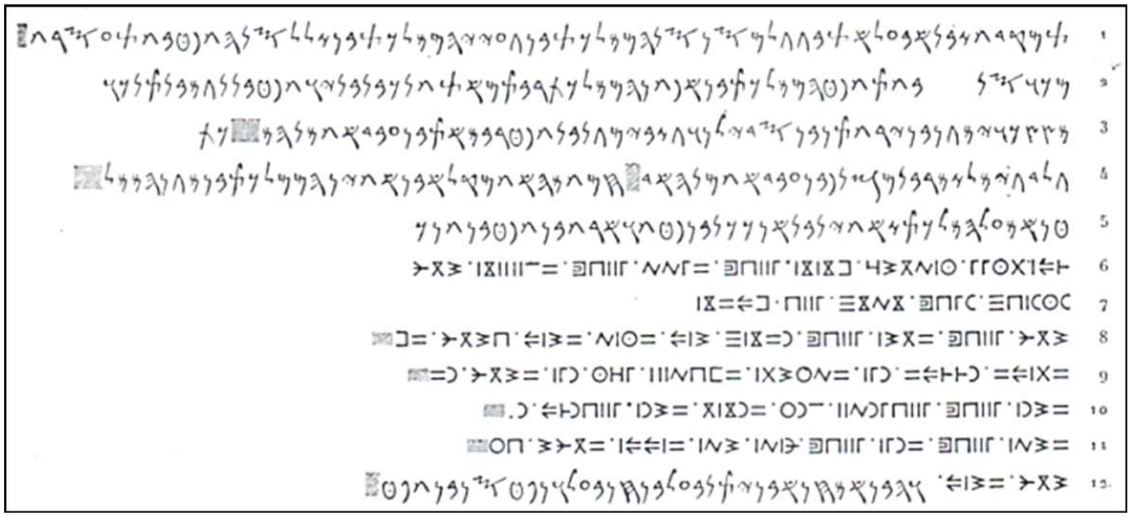
4- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 116.

5- Ghaki (M.): Op.cit, P.10.

6- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.2.

7- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 173. لقد ذكر جوداس الكثير من النقوش الليبية المكتشفة، ينظر: Judas (A.C.): Op.cit., P.8-9.

ومن أحسن الأمثلة للنقوش المزدوجة الليبية – البونية الدالة على استمرار اللغة النوميدية خلال الفترة البونية، أذكر هنا نقيشة دوقة Dougga (أنظر الشكل رقم 3، ص 20)، المكتشفة خلال القرن 17م[1]، والتي تعتبر بمثابة أول وثيقة مؤرخة، إذ تمثل كلمة إهدائية في معبد أقيم تخليدًا للأغليد النوميدي ماسينيسا Masinissa في السنة العاشرة من حكم ابنه الأغليد ميكيبسا Micipsa أي في سنة 139ق.م، أو سنة 149ق.م حسب شابو، يضاف إليها نقوش أخرى مكتشفة في نفس المكان، أذكر نقش مزدوج يخلد إقامة ضريح على طراز بوني، بالإضافة إلى نصوص أخرى مكتشفة في نفس المكان مكتوبة بخطوط أفقية مما لا شك فيه أنها تعود إلى نفس الفترة الزمنية.[2]



الشكل رقم 3: نقيشة دوقة Dougga، نقلا عن: Judas (A.C.): R.I.L, P.3.

والملاحظ أن كل الكتابات الليبية، التي وصلت إلينا في الأساس عبارة عن نقوش جنائزية ونذرية، وغالبيتها نقوش مختصرة وقصيرة تحتوي بشكل أساسي على أسماء الأعلام[3]، وقد استعمل لتدوين تلك النصوص الحجر أو كصور على الأدوات والوسائل التي يستعملها إنسان المغرب القديم، ويدل شكل الحروف المنقوشة على استعمال أدوات حادة مخصصة لذات الغرض، لأن الحروف تأخذ أشكال هندسية بارزة وبزوايا وخطوط ونقوش وغير متصلة فيما بينها[4]، وقد يكون سبب اقتصارها على ذلك أن التراث الذي

1 -Bates (O.): Op.cit., P.P.84, 86.
2- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.P.96-97. voir: Chabot (J.B.): R.I.L, P.5.
3- Chaker (S.): "l'écriture libyco-berbère état des lieux et perspectives", Op.cit, P.2.
4- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 173.

كتبت به قد اندثر عبر العصور[1]، فالوسائل التي كتبت عليها كورق البردي والبرشمان وألواح الخشب لم تستطع مقاومة عوامل الزمن.

أما بالنسبة لاتجاه الكتابة الليبية، فقد كتبت بمختلف الاتجاهات، ففي النقوش المزدوجة البونية- الليبية في دوقة المشار إليه أعلاه كتبت من اليمين إلى اليسار بنفس الطريقة الذي تكتب بها اللغة البونية، وقد يكون ذلك من مؤثراتها على الكتابة الليبية، وفي حين أن النصوص المزدوجة اللاتينية- الليبية كتبت بشكل عمودي فلقراءتها ينبغي البدء من الأسفل إلى الأعلى، أو بطريقة أفقية من اليسار إلى اليمين بنفس طريقة الكتابة اللاتينية[2]، أما السمة الغالبة في النصوص الليبية الأحادية المكتشفة نجدها مكتوبة في شكل عمودي تقرأ من الأسفل إلى الأعلى والبداية من اليسار إلى اليمين[3]، كما أننا نلاحظ الاختلاف في كتابة حروفها في النصوص المزدوجة والنصوص الأحادية، حيث يتغير رسم الحرف حسب وضعية الكتابة الأفقية أو العمودية.[4]

وفيما يخص عدد حروف هذه الأبجدية، فقد ذكرت سابقاً أن فولجانتيوس حدد ثلاثة وعشرون حرفاً، وغزال حدد 23 حرفاً بعد قراءة نقيشة دوقة و22 حرفاً في مجموعة نقوش سوق أهراس[5]، أما أوريك باتيس فيشير مع كل من هاليفي Halévy وليتورنو Letourneux إلى أنها تحتوي على 30 حرفاً[6]، وتمتاز حروفها بأنها حروف صامتة Consonantique ولا توجد فيها الحروف الصوتية Voyelles[7]، لذلك الكتابات الليبية لا تدون إلا بالحروف الصامتة، ولعل العقبة الكبرى هو قراءة النصوص الليبية (النوميدية) وفهم محتواها، وهي لا تزال بعيدة عن مضمونها المؤكد، ومع ذلك يعد الاعتماد على النصوص المزدوجة البونية- الليبية قاعدة لتفسير وفهم محتوى النقوش الليبية[8]، وذلك لا يعني أنها غير قابلة للقراءة بل يمكن قراءتها وفهم نصوصها.

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 206.
2- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص. ص 119-120.
3- Ghaki (M.): Op.cit, P.10.
4- مها عيساوي: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص. ص 68-69.
5- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.6، المرجع السابق، ص 88. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.94. Fulgentius:, DE AETATIBUS, I, P.P. 130-134.
6- Bates (O.): Op.cit., P.P.84, 86.
7- Ghaki (M.): Op.cit, P.10.
8- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 174.

إذن؛ ظهرت اللغة الليبية في بلاد المغرب القديم، وتنوعت متغيراتها اللغوية، وتكلمتها شرائح واسعة من مجتمع المغرب القديم، ووظفها ذات المجتمع للتواصل فيما بين أفراده وحملت في طياتها أفكارهم وتصوراتهم، لأنها من محض إبداعهم. فكانت لغة مفهومة فيما بينهم، وأسهمت في نسج علاقات بين مكونات هذا المجتمع ومع العالم الخارجي.[1]

2- استمرارية اللغة الليبية وانحصار أبجديتها خلال فترة الاحتلال الروماني:

لقد دامت فترة الاحتلال الروماني ما يقارب على خمسة قرون (146ق.م-430م)، وترك بصمات واضحة في مختلف المجالات، خاصة مع بداية القرن الأول قبل الميلاد، ما أدى إلى الضعف التدريجي للغة والكتابة الليبية بسبب المنافسة القوية للغة اللاتينية[2]، وكان ذلك نتيجة لتطبيق سياسة الرومنة في مقاطعات بلاد المغرب القديم، والتي جعلت من تلك اللغة لغة الإدارة والمعاملات الرسمية في جميع المؤسسات الإدارية والمحاكم والمجالس البلدية والفرق العسكرية في الجيش الروماني[3]، بل والأكثر من ذلك فقد امتدت تلك السياسة إلى خارج حدود النفوذ الروماني من المناطق الريفية والقبلية، وكل المجتمعات الرافضة والمعارضة لتلك السياسة تم طردها إلى المناطق المعزولة[4]، فبقيت تلك المجتمعات بعيدة عن الثقافة الرومانية وجاهلة للغة اللاتينية، فكان هذا الفعل إيجابياً مكن من صيانة اللغة الليبية ونجاتها.[5]

وقد تسببت هذه السياسة إلى بروز ثلاثة فئات اجتماعية في مجتمع المغرب القديم، تتمثل الفئة الأولى في سكان الأرياف التي شملتها حدود نفوذ الرومان، وتحيط بهم منشآتهم العسكرية[6] مثل: مراكز فرق الجيش الروماني (الفرقة الثالثة الأغسطية Tertia Divisio Augustana) وحصون خط الليمس[7]، والذين كان بعضهم باتصال مباشر بالمستوطنين

1- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، المرجع السابق، ص 66.

2- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، المرجع السابق، ص 72.

3- عائشة سعدان: التعليم في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني من القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه L.M.D تخصص التاريخ والحضارات القديمة، جامعة الجزائر -2-، 2020-2021م، ص. ص 75، 77.

4- Laraoui (A.): L'histoire du Maghreb, un essai de synthèse, éd. François Maspro, Paris, 1982, P.6.

5- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 196.

6- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص. ص 94-95.

7- Badel (Ch.) et Inglebert (H.): Grand Atlas de l'Antiquité romaine, IIIe siècle av. J.-C.-VIe siècle apr. J.-C, Éditions Autrement, Paris, 2014, P.122.

ويعملون في مزارعهم، والبعض الآخر يعيش في عزلة تامة عن الرومان. الفئة الثانية هي الفئة المهادنة والتي ظهر لها عدم جدوى الثورة ضد الرومان، فربطتهم معاهدات سلم أو تحالف مع الإدارة الرومانية، أما الفئة الثالثة التي قبلت بالترومن وهي الطبقة الأرستقراطية من سكان المدن.[1]

كما صنفهم عمار المحجوب إلى فئة المستوطنين الرومان الذين نقلوا معهم لغتهم اللاتينية وقيمهم الثقافية والحضارية الرومانية إلى بلاد المغرب القديم، أما الصنف الثاني يمثل الفئات التي نجت من تدمير قرطاجة والمدن التي كانت تحت حكمها، من الأفراد الذين تأثروا بالثقافة والحضارة القرطاجية، بينما يمثل الصنف الثالث أغلبية مجتمع المغرب القديم، من الذين حافظوا على أنماطهم الثقافية والحضارية الأصيلة وعلى رأسها اللغة الليبية.[2]

ورغم هذا الواقع الذي عرفته بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني؛ غير أنه هناك الكثير من الإشارات التي تشير إلى استمرارية اللغة والكتابة الليبية خلال هذه الفترة. وعليه فقد استمر تداول اللغة النوميدية (الليبية) طيلة فترة الاحتلال الروماني، رغم حالة العزلة التي مرت بها بسبب غياب السند السياسي والثقافي والديني[3]، ومن الإشارات حول استمرار هذه اللغة خلال فترة الاحتلال الروماني، أشير إلى الشهادات السالفة الذكر لكل من القديس أوغسطين وكوريبوس والقديس فولجانتيوس.

فقد قال أوغسطين: **"لقد زاد عدد الأمم أكثر بكثير عن عدد اللغات، بل إننا نعرف في أفريقيا معظم الأمم البربرية بلغة واحدة** in africa barbaras gentes in una lingua plurimas novimus"[4]، وما دام أوغسطين قد ذكر الأمم البربرية Barbaras Gentes، وهذا المصطلح (Barbaricum) لا يحمل المعنى الازدرائي لديه ولا يقصد به تماماً الناطقين باللغة البونية Punicophones، بل كانت تشير إلى الذين كانوا يعيشون خارج حدود النفوذ الروماني ولا يتحدثون اللاتينية[5]، لذلك ومما لا شك فيه أنه كان يقصد به المجتمع الليبي واللغة الليبية حسب ما أشار إليه فيدرب.[6]

1- محمد البشير شنيتي: المرجع السابق، ص. ص 94-95.
2- عمار المحجوبي: ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري 164ق.م-235م، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001م، ص. ص 138-139.
3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 205.
4- Ghaki (M.): Op.cit., P.18. Reboud: R.I.L.B., P.P.16-17.
5- Lakhlif (M.): Op.cit., P.28.
6- Faidherbe (G.): C.C.I.N (libyques), P.12.

أما بالنسبة لشهادته عن لغة المجتمع الريفي الهيبوني، فعلى الرغم من أنه أشار فيها إلى اللغة البونية – سأتحدث عن حيثياتها لاحقاً–، فقد كان أوغسطين يعتمد على مترجمين لإلقاء خطبه ومواعظه الدينية لجهل ذلك المجتمع للغة اللاتينية، واعتماده على أساقفة يعرفون اللغات المحلية مثل تعينه للأسقف أنطونيوس في قرية فوسالا[1]، ويكون هذا الإجراء ينطبق على المناطق الأخرى والغير ناطقة والجاهلة للاتينية وشهدت انتشارً للديانة المسيحية. وهذه النقطة حسب ما ذكر بينابو؛ أن اللغة التي يقصدها أوغسطين ليست هي اللغة الموروثة عن قرطاجة، وإنما هي مرادف للغة التي يتحدثها مجتمع بلاد المغرب القديم، وليست سوى اللغة الليبية.[2]

وأضيف إلى هذه الشهادة شهادة الكاتب اللاتيني المتأخر كوريبوس، حيث ذكر اللغة النوميدية خلال القرن الخامس أو السادس للميلاد[3]، وكتب عنها القديس فولجانتيوس أسقف روسبي، في القرن الخامس أو السادس للميلاد[4]، أي أنها استمرت في التداول بين أفراد مجتمع المغرب القديم إلى غاية فترة الغزو الوندالي لبلاد المغرب.

ومن هنا فإن استمرار اللغة الليبية (النوميدية) في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني يؤكد على أنها كانت تؤدي وظيفة هوياتية، نظراً لأن النقوش الليبية كانت من قبل مخصصة للأغاليد النوميد والموريطانيين، وكبار الشخصيات من مختلف الرتب الاجتماعية، فشعرت باقي الفئات الاجتماعية بالحاجة إلى تخليد أحبائهم عبر مرثيات نقشت بلغتهم الأصلية، رغم أنه كان في متناولهم اللغة والكتابة البونية من قبل، واللاتينية[5] خلال فترة الاحتلال الروماني. ويشكل ذلك نوعاً من المقاومة الثقافية أمام اللغات الدخيلة وعلى رأسها اللاتينية.[6]

أما النقوش الليبية المكتشفة، فتبين سعة انتشار استعمال هذه الأبجدية، ووجود ضمنها نقوشاً تحتوي على نصوص مزدوجة لاتينية– ليبية ونقوش ليبية أحادية، المنتشرة في مختلف مناطق بلاد المغرب القديم[7]، من إقليم تريبوليتانيا (طرابلس) إلى موريطانيا

1- Lakhlif (M.): Op.cit, P.25-26.
2- Bénabou (M.): Op.cit., P.473.
3- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.2.
4- Fulgentius: DE AETATIBUS, I, P.P. 130-134. Bates (O.): Op.cit., P.P.84, 86.
5- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.3.
6- Bénabou (M.): Op.cit., P.472.
7- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 173.

الطنجية[1]، والعائدة إلى فترة الاحتلال الروماني، هي مؤشر على استمرارية تداول اللغة النوميدية (الليبية) في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم رغم سياسة الرومنة، ومن الإشارات الدالة على ذلك انتشار النقوش الليبية- اللاتينية ووحيدة الكتابة خلال هذه الفترة، وامتازت لاتينية هذه النقوش بالركاكة إشارة إلى وجود فئات حافظت على لسانها الأصيل وتعلمت اللاتينية[2]، وتلك الركاكة دلالة على أثر اللكنة النوميدية.

وحسب ما أورده بينابو فهناك الكثير من النقوش الليبية، موزعة على جغرافية بلاد المغرب، تختلف من حيث العدد من منطقة إلى أخرى (أنظر الجدول رقم 3، ص 25).[3]

المنطقة	عدد النقوش	المنطقة	عدد النقوش
دوقة Dougga	18	سدراتة، تبسة	27
المنطقة الوسطى لتونس	39	قالمة	107
جنوب تونس	14	سكيكدة، بجاية	09
غارديماو Ghardimaou والحدود الجزائرية	19	قسنطينة	27
منطقة الغابات بشمال شرق الجزائر	52	ميلة	37
شيبنا Chiebna، مونييه Munier، بولعراس Boularas	162	سيقوس Sigus، عين مليلة	23
لامي Lamy	94	الجنوب القسنطيني (الأوراس)	09
بون Bône، موندوفي Mondovi، دوفيفيي Duvivier	36	سطيف	11
أولاد بشياح Ouled Bechi	60	ناحية وهران	07
سوق أهراس Souk Ahras	126	المغرب	27-8

الجدول رقم 3: توزيع النقوش الليبية المكتشفة حسب المناطق[4]، نقلا عن:
Bénabou (M.): Op.cit., P.475.

وتعتبر نوميديا من أكثر المناطق ذات التركيز العالي للنقوش، ويقصد هنا بالتقريب المناطق التي تغطي كامل منطقة شمال قسنطينة الواقعة ما بين البحر الأبيض المتوسط في الشمال، والحدود الجزائرية التونسية في الشرق، ووادي مجردة في الجنوب ووادي سيبوس في الغرب، وتقل خارج هذه الحدود، وقد أكتشف فيها حوالي 500 نقيشة، كمنطقة بوحجار وسوق أهراس وقالمة وسيقوس وميلة وغيرها..[5]. وأخص بالذكر هنا منطقة سدراتة وتبسة التي احتوت على نقش مزدوج وعشرة نقوش ليبية، ومنطقة الشافية بالقالة[6] التي اعتبرها

1- Bénabou (M.): Op.cit., P.475.
2- شارن شافية وآخرون: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص.ص 260-261.
3- Bénabou (M.): Op.cit., P.472.
4- هناك تغيير في تسميات بعض المناطق؛ فبالنسبة لـ: مونييه Munier هي عين الكرمة حالياً. لامي Lamy هي بوحجار حالياً. موندوفي Mondovi هي الذرعان حالياً، دوفيفي Duvivier هي بوشقوف حالياً.
5- Bénabou (M.): Op.cit., P.475.
6- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، المرجع السابق، ص. ص 87-88.

روبو بمثابة مقابرة ليبية Nécropoles Libyques[1]، حيث احتوت على 134 نقش ليبي، وتسعة نقوش مزدوجة ليبية- لاتينية[2]، وتقرأ النقوش الليبية من الأسفل إلى الأعلى[3]، فمثلا في غارديماو 19 نقيشة مزدوجة وفي الشافية 123 كذلك[4]، ومن بين النقوش المتكشفة في الشافية أذكر: النقيشة رقم 146 من R.I.L بكاف بني فرج[5] (أنظر الشكل رقم 4، ص 27)، الذي يعتبر من أشهر نقوشها حيث يتميز بثراء النصين اللاتيني والليبي، وبطول نصوصها، حيث يحتوي النص اللاتيني على ثمانية أسطر، والنص الليبي على أربعة أسطر عمودية[6]، ويمثل مرثية épitaphes لأحد أفراد مجتمع المغرب القديم خدم في الجيش الروماني ويسمى في النص اللاتيني: Caius Julius Gaetulus (كايوس يوليوس غايتولوس) ويقابله في النص الليبي: KTH U MSWLT (كطُه ؤ ماسوالت Katoh u Maswalt)[7]، والذي يعني آكطُه ابن آماسوالت. وأشير إلى أن حرف (آ) لا ينطق في هذه الحالة (آكطُه ؤ مسوالت)، وحرف (ؤ U) في الليبية دلالة على البينونة.

وبناءً على أن الأبجدية الليبية نقشت في هذه الإبيغرافيا بشكل عمودي، فسأحافظ على اتجاه وشكل الحرف كما هو في النقيشة وأوضح دلالة كل حرف كما يلي: (ⵅ: ك-K، ||||: ط-T، ☰: ه-H، ||: ؤ-W، ⵍ: م-M، ⵠ: س-S، ||: ؤ-W، 〓: ل-L، +: ت-T).[8]

وهناك الكثير من النقوش مزدوجة اللغة في هذه المنطقة والتي ذكرها شابو في R.I.L، وهي تحمل الأرقام التالية: 145 و147 و150 و182 و193 وغيرها، ونقوش عين الحفرة رقم 252 (أنظر الشكل رقم 5، ص 27) لشخص يحمل اسم شينديال Chinidial[9]، والنقيشة رقم 1 المكتشفة في بونة Bône التي درسها جوادس (أنظر الشكل

1- Reboud: R.I.L., P.13. Voir aussi: Gesll (S.): atlas archeologique de l'Algérie, AdolpheJourdan Adolphe Jourdan ; Fontemoing & C^ie, Algerie, Paris, 1911, 242, P.28.

2- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، المرجع السابق، ص. ص 87-88.

3- Judas (A.): sur vingt-sept inscriptions libyques, Op.cit., P.257.

4- Bénabou (M.): Op.cit., P.481.

5- Chabot (J.B.): R.I.L, P.38. Gsell (S.): Inscriptions latines de L'Algérie, T.1, N°.137, librairie ancienne Honoré Champion, Paris, 1922, P.15.

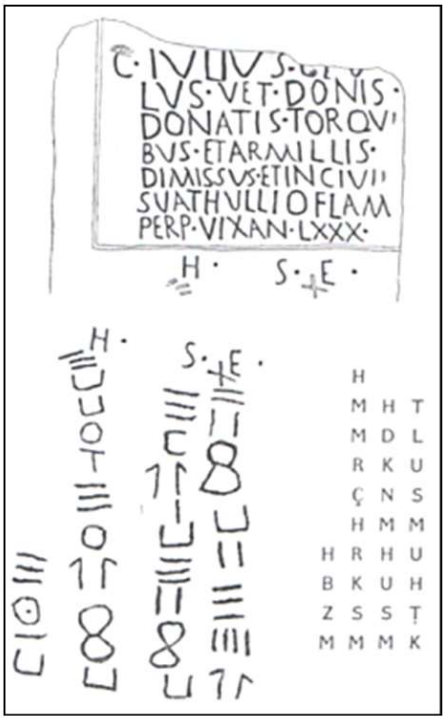
6- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، المرجع السابق، ص. ص 88-92.

7- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.3.

8- كما أشير هنا أن هذه الحروف أصبح لها مقابل في أبجدية التيفيناغ المعاصرة حسب خطوط إركام Ircam، وهي كما يلي: (ⵅ: K-ⴽ، ||||: T-ⵜ، ☰: H-ⵀ، ||: W-ⵓ، ⵍ: M-ⵎ، ⵠ: S-ⵙ، ||: W-ⵓ، 〓: L-ⵍ، +: T-ⵜ).

9- Voir: Chabot (J.B.): R.I.L, P.38, 39, 46, 48, 61. Gsell (S.): I.L.Alg., T.1, N°.156, P.16.

رقم 6، ص 28)[1]. وبعد قراءة تلك النقوش يظهر أنها تزخر بأسماء الأعلام والقبائل الليبية، مثل: القبيلة النوميدية مسكره (ميسيكيري)، وأسماء أشخاص: كطُه ومسوالت وبغاي وزيناي[2] ويوغرطه[3]، وماكورتام وماكورغوم والتي هي أسماء للآلهة المحلية تحمل في عمقها أسماء أعلام[4]، مقابل الأسماء اللاتينية. وهذا ما يؤكد الحفاظ على الأسماء الليبية والأجنبية في نظام الحالة المدنية الرومانية، وهي دلالة على استمرارية الوعي القوي بالهوية النوميدية، والذي يتجلى من خلال استخدام اللغة والكتابة المحلية خلال فترة الاحتلال الروماني.[5]



الشكل رقم 4: نقيشة مزدوجة لاتينية- ليبية مكتشفة بكاف سيدي فرج، نقلا عن:
J. B. Chabot: R.I.L, 146, P.38



الشكل رقم 5: نقيشة مزدوجة لاتينية- ليبية مكتشفة بعين الحفرة، نقلا عن:
J. B. Chabot: R.I.L, 252, P.61

1- Judas (A.): sur vingt-sept inscriptions libyques, Op.cit., P.275.

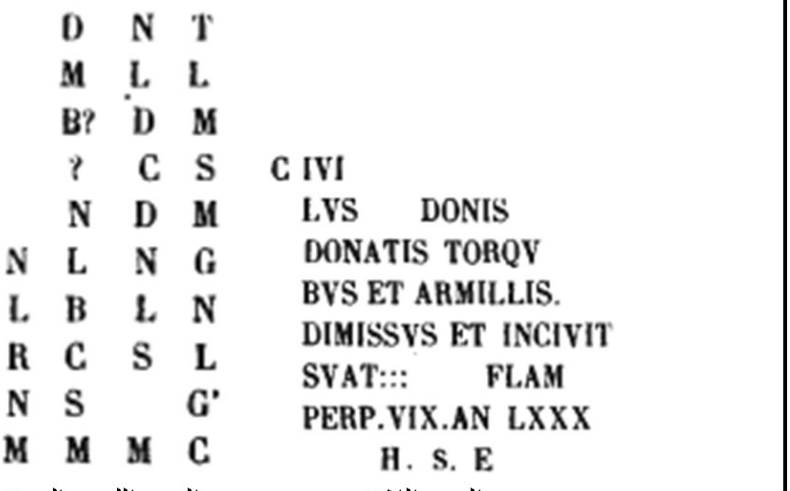
2- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، المرجع السابق، ص. ص 88-92. ينظر مقال جوداس المنشور في المجلة الأفريقية.
Judas (A.): sur vingt-sept inscriptions libyques, Op.cit., P.P.257-276.

3- أنظر النقيشة التالية ورد فيها اسم يوغرطة بصيغة يوغورثاي Iugurthae:
"M(arco) Virrio M(arci) fil(io) / Pap(iria) Flavio Iugur/thae eq(uiti) R(omano) fl(amini) p(er)p(etuo) decu/rioni splendidissi/mae coloniae / Carthaginiensium / curatori rei p(ublicae) tan/tum diserto quan/tum bono splendidis/simus ordo col(oniae) Tham[u]/gadensium [---]/tiatur[---]/sus[---]o[---] / N[---]". CIL, 17909 (VIII THAMVGADI, 1709).

4- Voir: Jimes (F.): Que savons-nous du libyque?, Re. Afri., Op.cit., P.268.

5- Chaker (S.): "Libyque: écriture et langue", Op.cit., P.3.

إذن تعتبر هذه النقوش من المصادر المادية التي قدمت الدليل على استمرارية اللغة والكتابة الليبية أو اللوبية (النوميدية) بين مختلف مكونات مجتمع المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.[1]



النص الليبي بالحرف اللاتيني النص اللاتيني

الشكل رقم 6: نقيشة مزدوجة لاتينية- ليبية مكتشفة ببونة، نقلا عن:
Judas (A.): sur vingt-sept inscriptions libyques, Op.cit., P.274.

وعلى أي حال، فلقد حلت اللغة والكتابة اللاتينية محل الكتابة الليبية، نتيجة لسياسة الرومنة، وتوسع الرومان القسري وازدياد حركة الاستيطان، انحصرت معها اللغة الليبية وتحولت إلى لغة مشافهة وتخاطب في الوسط الأسري أو القبلي لبلاد المغرب القديم[2]، ما أدى إلى اندثار الكتابة بالأبجدية الليبية، وبقيت مجرد نقوش على واجهات الأنصاب والصخور[3]، وبهذا تنقرض الأبجديات الليبية الشرقية والغربية أمام انتشار اللغة اللاتينية، ما عدا الليبية الصحراوية التي تطورت إلى التيفيناغ[4]، كما أشرت إلى هذا سابقاً.

إذن يمكن القول، أن اللغة الليبية ورغم فقدانها للسند السياسي بعد زوال المملكة النوميدية، لكنها استمرت خلال فترة الاحتلال الروماني، بالرغم من العزلة التي مرت بها خلال هذه الفترة بسبب سياسة الرومنة التي تسببت في خلخلة المنظومة الحضارية والثقافية والاجتماعية لمجتمع بلاد المغرب القديم، والشهادات التي قدمها بعض الشخصيات المعاصرة لتلك الحقبة التاريخية والنقوش العائدة إلى تلك الفترة دلالة على تلك الاستمرارية.

1- مها عيساوي: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، المرجع السابق، ص 88.
2- المرجع نفسه، ص 72.
3- محمد غانم الصغير: النقوش البونية والليبية، المرجع السابق، ص 172.
4- Ghaki (M.): Op.cit, P.10. Galand (L.): "Les alphabets libyques", Op.cit., P.81.

المبحث الثاني: اللغة والكتابة البونية

سلكت اللغة والكتابة البونية مساراً تطورياً، فقد انبثقت عن الفينيقية ونتيجة لظروف ومعطيات تاريخية تطورت لتصبح بما يعرف باللغة النيوبونية، وهذا ما سأتناوله بالدراسة في هذا المبحث، بالإضافة إلى دراسة مدى انتشارها في بلاد المغرب القديم وواقعها خلال فترة الاحتلال الروماني.

المطلب الأول: المسار التطوري للغة والكتابة البونية

تطورت اللغة البونية عن اللغة الفينيقية وبدورها تطورت لتصبح بما يعرف باللغة النيوبونية، لذلك سأتناول بالدراسة هذا المسار في هذه الجزئية.

1- اللغة الفينيقية: لقد تضاربت الآراء حول أصول الكتابة والأبجدية الفينيقية، حيث أشار المؤرخ الروماني بلينيوس Plinius بأن الأبجدية الفينيقية كانت قد أخذت من الكتابة المسمارية[1]. بينما وعلى ضوء الأبحاث اللغوية الحديثة وبالاستناد إلى الكتابة السينائية طرحت فرضية أن الأبجدية الفينيقية انحدرت عن الكتابة الهيروغليفية، وهذا ما أشار إليه الباحث اللغوي هنري ألان غارديز H. Alan Gardiner بعد تحليله للأبجدية السنائية[2]، التي اكتشفت أثارها من قبل الأثري البريطاني فيندرز بيتري Findres Petrie في سيناء خلال تنقيباته ما بين 1904-1905م وهي تعود لعمال كنعانيين يعملون في مناجم الفيروز لصالح الدولة المصرية القديمة، وهي عبارة عن كتابة خطية مستوحاة من الهيروغليفية، وقد اعتمد كاتبي هذه الأبجدية على المبدأ الأكروفوني Acrophonie، أي فكرة قصر القيمة الصوتية لرموز معينة من الهيروغليفية والاكتفاء بكتابة الشكل الأول من الرمز، أي أن هذا الطرح يرجح أن تكون الأبجدية الفينيقية نشأت من الهيروغليفية عن طريق الأبجدية السنائية.[3]

وبعد اكتشاف النص الكتابي الذي نقش على غطاء تابوت حيرام Hiram ملك بيبلوس Byblos (جبيل)، العائد تاريخه إلى حوالي 1000ق.م[4]، أي القرن العاشر للميلاد، وكتبه إيتوبعل بن حيرام كنصب تذكاري، ومن خلال النقيشة يتوعد كل من يحاول

1- Pliny: Natural History, BOOK V. XII. 65-XIV. 68, P.171.

2- Gardiner (A. H.): "The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet", Journal of Egyptian Archaeology, Vol. III, published by the Egypt exploration fund, London, 1916, P.P. 1-16.

3- أحمد هبو: الأبجدية نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، ط.1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1984م، ص 68.

4- المرجع نفسه، ص 72.

تحريك التابوت أو فتحه[1]، واكتشفه الباحث الفرنسي بيير مونتيه Pierre Montet في سنة 1923م[2]، وقد حلل الباحث الفرنسي رينيه ديسو René Dussaud تلك النقيشة المتكونة من سطرين، فتوصل إلى أنها كتابة تختلف عن الهيروغليفية والمسمارية وتتكون من 22 حرفًا ساكنًا Consonnes، وهي كتابة فينيقية تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد[3]. غير أن الباحث الأثري الفرنسي موريس دوناند Maurice Dunand، وبعد اكتشافه لنقش في جبيل يعود إلى حوالي القرن السابع قبل الميلاد، يشير إلى ضرورة البحث عن أصلها في الأبجدية الهيروغليفية.[4]

على كل حال، فإن الكتابة والأبجدية الفينيقية قد عرفت انتشارً واسعاً بين مجتمعات الشرق الأدنى القديم وعند اليونانيين ومنهم إلى مجتمعات إيطاليا وغيرهم، ويعود سبب هذا الانتشار هو أن الفينيقيين كانوا يعتمدون على النشاط التجاري البحري[5]، والذي يستدعي آلية بسيطة وسريعة لتحرير العقود التجارية آنذاك.

إن الفينيقية لا تبدوا مكتملة لأنها لا تسجل إلا من الحروف الصامتة (الساكنة) Consonnes (أنظر الجدول رقم 4، ص 33)[6]، وهي لغة وأبجدية أصلها من اللغات السامية الشمالية الغربية المنقسمة إلى الكنعانية والآرامية، وتتفرع عن المجموعة الكنعانية (العمونية والأيدومية والعبرية والمعابية والفينيقية)[7]. وتشترك مع اللغات السامية في مرونة الألفاظ والتصريف، وليس هناك مادة كثيرة عن هذه اللغة، ولعل من أسباب ذلك هو ضياع التراث اللغوي الفينيقي بسبب تعرض فينيقيا لغزوات متكررة كشعوب البحر وحتى اليونان على يد الإسكندر الأكبر Alexandre le Grand في 332ق.م، أو أنهم لم يسجلوا آدابهم

1- يحي عبابنة: اللغة الكنعانية دراسة صوتية صرفي دلالالية في ضوء اللغات السامية، ط.1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م، ص. ص 30-31.

2- Voir: Pierre (M.): Byblos et l'Égypte: Quatre campagnes de fouilles à Gebeil, 1921-1922-1923-1924, Bibliothèque Archéologique et Historique, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1928-1929, Pl. CXXVIIJ-Pl. CXLI

3- René (D.): "Les inscriptions phéniciennes du tombeau d'Ahiram, roi de Byblos", In: Syria, T. 5 fascicule 2, 1924. P.P.135-157; Persée, URL: https://www.persee.fr, Vus: 07/09/2024.

4- Maurice (D.): Byblia grammata: documents et recherches sur le développement de l'écriture en Phénicie, T.II, Ministère de l'Education Nationale et des Beaux-arts, Beyrouth, 1945, P.P. 193-195.

محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المرجع السابق، ص. ص 33-34.

5- محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المرجع السابق المرجع نفسه، ص 34.

6- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 34-35.

7- عبد الحفيظ فضيل الميار: دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، 2005م، ص 45.

وأفكارهم على مواد مقاومة للتلف وما بقي سوى ما كتب على المواد الصلبة كالنقوش الصخرية، وأن فترة الازدهار الفينيقي لم تدم طويلاً، ما لم يسمح لهم من الالتفات إلى الإنتاج الفكري والعلمي[1]، وقد يكون اهتمام الفينيقيين بالجانب التجاري أكثر من غيره من المجالات. ولذلك نجد أن اللغة الفينيقية قد اختفت في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في وقت مبكر، بسبب تعرض الساحل الفينيقي لغزو لغوي من قبل اللغة الآرامية التي نشأة في وسط سوريا، واللغة الإغريقية بعد غزو الإسكندر الأكبر لمنطقة الشرق الأدنى القديم.[2]

ومما سهل انتشار الأبجدية الفينيقية يعود إلى بساطة حروفها، عن الأنظمة التصويرية في الكتابات القديمة كالمصرية والحيثية والمسمارية وغيرها، فالفينيقيون عملوا على تخفيض عدد الحروف إلى أقل عدد ممكن، وتخلوا عن الفكرة المقطعية في الكتابة ووضعوا فكرة الرمز المنفرد لكل حرف.[3]

2- اللغة البونية: اشتقت هذه اللفظة من مصطلح بوينوس Poenus وبوينولوس Poenulus، والتي أطلقها الرومان على القرطاجيين[4]، وتعتبر اللغة والكتابة البونية تنوعاً لغوياً جديداً عن الفينيقية، وتحتوي على بعض الاختلافات فيما بينها (أنظر الجدول رقم 3، ص 29)[5]، فبعد انتقال التجار الفينيقيين إلى بلاد المغرب القديم، واحتكاكهم بمجتمع المغرب القديم خاصة بعد تأسيس قرطاجة في حوالي 814ق.م، وانفتاح هذا الأخير على لغات وثقافات البحر الأبيض المتوسط، حدثت حركة مثاقفة بين لغة الوافدين الجدد مع اللغة الليبية[6]، وقد أسماهم عبد المنعم المحجوب بمسمى الليبوفينيقيين Libophoenician أثناء حديثه عن رحلة حانون القرطاجي، وهي تسمية قديمة[7] لا تحمل دلالة قبلية أو إثنية، وإنما تشير إلى علاقات المصاهرة والمثاقفة بين الأكثرية الليبية والأقلية الفينيقية، التي حدثت على

1- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 31. محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المرجع السابق، ص. ص 35-36.
2- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 33.
3- عبد الحفيظ فضيل الميار: المرجع السابق، ص 48.
4- جان مازيل: تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)، تر.: ربا الخش، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1998م، ص 169.
5- محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006م، ص 149.
6- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص 205.
7- عبد المنعم المحجوب: رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، دار تانيت - مجلة لسان العرب، 2012م، ص. ص 9-22.

امتداد الشريط الساحلي الممتد من إقليم تريبوليتانيا Tripolitania (طرابلس) المتكون من المدن الثلاث (لبتيس ماغنا Leptis Magna وأويا Oea وصبراتا Sabratha) من الجهة الشرقية إلى قرطاجة غربًا.[1]

ونتيجة لتلك المثاقفة تعرضت الفينيقية لإضافات وتحويرات وتغييرات وتسربت إليها ألفاظ وكلمات وتراكيب وصيغ من المعجم اللغوي المحلي، بالإضافة إلى تأثرها بقواعد وطرق النطق الليبي[2] مثل ظاهرتي التفخيم والترقيق. وبذلك لم تستطع الفينيقية الصمود أمام اللغة الليبية المحلية التي أبعدتها عن طابعها الشرقي[3]، وهذا التداخل أدى إلى ميلاد حضارة شمال أفريقية حملت ميزات سوسيوثقافية خاصة، وعلى رأسها اللغة والكتابة بمعجم لغوي جديد ثري بمصطلحاته وقواعده اللغوية الخاصة[4]، وأصبحت تسمى باللغة البونية لغة المدن والنخب السياسية والمثقفة ولغة المعاملات التجارية على حد تعبير محمد العربي عقون.[5]

إذن فقد نشأة الكتابة واللغة البونية في بلاد المغرب القديم، باعتبارها نتاج الامتزاج الثقافي والحضاري بين الفينيقيين والمجتمع الليبي، وذلك ما دفع بغابريال كامبس G. Camps إلى القول أن قرطاجة: "**.. قامت على كيانين متواجهين: المدينة التجارية المشرقية وما يشبه السيادة الليبية ومن التقاء هاذين الكيانين المشرقي والليبي نشأ الواقع البوني..**"[6]. كما عُرفت كذلك بالكتابة القرطاجية، وتعد اللغة الرسمية في قرطاجة ومناطق نفوذها بداية من القرن السادس قبل الميلاد إلى غاية سقوطها سنة 146ق.م.[7]

وقد تميزت البونية بحروفها المائلة وخطوطها الطويلة والمتعرجة، فهي بشكل عام الكتابة البونية الخاصة بقرطاجة[8]، وكانت تتكون أبجدية هذه اللغة من 22 حرفًا متحركًا وتغيب عنها الحروف الصامتة، وتكتب من اليمن إلى اليسار، وتستعمل النقاط للفصل بين كلماته، وفقًا لما أظهرته النقوش المكتشفة بالأخص في مجال النفوذ القرطاجي، سواء العائدة

1- عبد المنعم المحجوب: معجم تانيت (معجم في الحضارة الليبية- الفينيقية في شمال إفريقيا وحوض المتوسط وما يتصل بها من الحضارات المصرية والإغريقية والرومانية وممالك نوميديا وموريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية والصحراء الكبرى)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص. ص 215، 230.

2- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.6، المرجع السابق، ص 100. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Lidzbarski (M.): Op.cit., P.P.295-298. .Op.cit., P.112

3- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 33.

4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 68.

5- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 205.

6- غابرييل كامب: المرجع السابق، ص. ص 188-189.

7- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 41.

8- Berthier (A.), Charlier (L.R.): Le Sanctuaire punique d'El hafra à Constantine, préface de Albert Grenier,arts et métiers graphiques, Paris, 1955, P.10.

إلى القرن السابع للميلاد أو المدونة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، والمنتشرة بشكل متفاوت في مناطق بكل من تونس الجزائر والمغرب.[1]

3- اللغة النيو- بونية: بعد الأثر الذي أحدثه الليبيون على اللغة الفينيقية الذي نتج عنه اللغة والكتابة البونية. حدث بعد ذلك تطور هذه اللغة لتتحول إلى مكون لساني جديد أصبح يطلق عليه اسم اللغة والكتابة البونية الجديدة أو الحديثة Néo-punique، فتصبح الأولى تحمل تسمية البونية القديمة تمييزًا لها عن النيوبونية (أنظر الجدول رقم 4، ص 33)[2]، وتم هذا التغيُّر بصورة تدريجية حيث بدأت حروف النيوبونية تتداخل مع حروف البونية القديمة شيئًا فشيئًا ثم أخذت تطغى عليها إلى أن وصلت إلى مرحلة الكتابة نيوبونية الخالصة[3]، وتداول الباحثون هذا المصطلح الأخير منذ القرن التاسع عشر للميلاد، وربطوه بالنقوش المكتشفة والمؤرخة لفترة ما بعد سقوط قرطاجة عام 146ق.م.[4]

العربية	الفينيقية	البونية	تسميته	معناه	البونية الحديثة
أ			آلف	ثور	
ب			بيت	بيت	
ج			جيمل	جمل	
د			دالت	باب	
هـ			هي	شبكة	
و			فاف V	وتد	
ز			زاين	سلاح	
ح			حيت	هانط	
ط			طيت	حنش	
ي			يود	يد	
ك			كاف	كف	
ل			لامد	عصا لضرب البقر	
م			ميم	ماء	
ن			نون	حوت	
س			سامخ	مسند	
ع			عاين	عين	
ف			بي P.	فم	
ص			صادي	صديق	
ق			قوف	سم الخياط	
ر			ريش	رأس	
ش			شين	سن	
ت			تاف	علامة	

الجدول رقم 4: الأبجدية الفينيقية والبونية والنيوبونية، نقلا عن:
محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 36.

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 68-69.
2- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 205.
3- Berthier (A.), Charlier (L.R.): Op.cit, P.10.
4- محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 149.

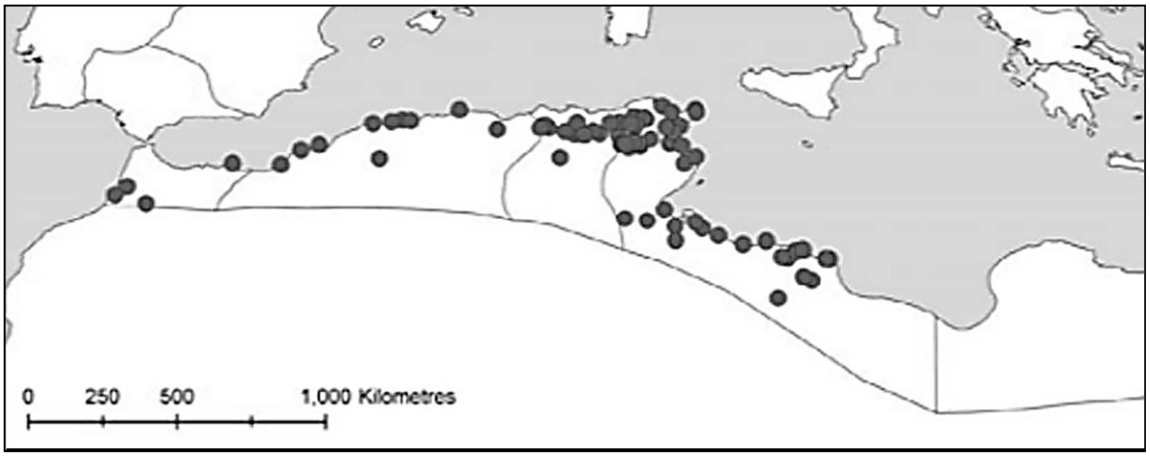
كما؛ وتعتبر شكلاً ومظهرًا جديدًا للبونية القديمة، واعتبرها ستيفان غزال وبعض باحثي الكتابات السامية أنها تعد آخر مراحل الانحطاط والرداءة وعدم الإتقان خطاً وكتابةً التي وصلت إليها الكتابة الفينيقو- بونية، فأصبحت كتابتها تميل إلى السرعة مع قلة الاعتناء برسم أبجديتها، وعدم التفريق بين بعض حروفها مثل حرف: الباء والدال والراء التي كانت تخط في شكل ربع دائرة أو قوس (أنظر الجدول رقم 4، ص 33)، مما جعل الشك ينتاب دارسي النقوش النيو- بونية[1]، ولأن هذه الحروف تكتب برأس دائرية يتطلع إلى الأسفل ولها ساق منحنية تشبه الرقم تسعة التي تخط بساق مائلة إلى اليسار، ولعل الفرق بين حرفي الدال والراء يتمثل في كون الحرف الأخير يتميز بساق طويلة على عكس الدال تمتاز بساق قصيرة، بالإضافة إلى إسقاط بعض الحروف كحرفي الدال واللام، كما في المثال التالي: فبدلاً من كتابة بودميلكار Bodmilcar يكتب بوميلكار Bomilcar ومولخومور Molchomor تكتب موخومور Mochomor.[2]

وتعود النقوش المكتشفة التي دونت بها هذه الكتابة إلى الفترات الأخيرة من السيادة القرطاجية، وتتفاوت نسب انتشارها في بلاد المغرب القديم (أنظر الخريطة رقم 3، ص 35)، حسب الباحثين الأثريين، حيث يزيد عددها بالقرب من مناطق التأثير الحضاري القرطاجي وتتناقص مع الابتعاد عنها، وفي طابعها العام تميزت كسابقتها البونية بحروفها المائلة والمنحنية أثناء الكتابة، والتي بلغ عددها ثلاثة وعشرون حرفاً صامتاً، وليس لها حروف صوتية، ويتصف الخط البوني بكتابة انسيابية ومنحنية[3] وسريعة عادية متصلة، تغيب فيها الفواصل بين الكلمات، ما جعل قراءتها صعبة وذات تأويلات عديدة خاصة للحروف المتشابهة، وما زاد من هذه الصعوبة عدم وجود نصوص أدبية تساعد على فهمها ودراستها بشكل أوضح وأدق، وتم التعرف عليها عن طريق النقوش.[4]

وجدت البونية والبونية الحديثة على حد سواء مدونة على الأمفورات، ومختلف الأواني والأشقاف الفخارية والأنصاب والنقوش، وكان أغلبها نصوص جنائزية. كما دلت المكتشفات

1- محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 41. :Gsell (S.) Lidzbarski (M.): Op.cit., P.P.295-298. .H.A.A.N, T.6, P.113
2- عبد الحفيظ فضيل الميار: المرجع السابق، ص. ص 53، 54، 64، 75.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 70.
4- عبد الحفيظ فضيل الميار: المرجع السابق، ص 46.

الأثرية على وجود أدوات مختلفة تستعمل في الكتابة، مثل: المحابر الفخارية والمساطر والأقلام، المصنوعة من العظام والعاج وبعض المعادن، العائدة إلى الفترة القرطاجية.[1]



الخريطة رقم 3: خريطة انتشار النقوش النيوبونية في بلاد المغرب القديم، نقلا وعن:
Wilson (A.): "Neo-Punic and Latin inscriptions in Roman North Africa Function and display", Multilingualism in the Graeco-Roman worlds, Cambridge University, Printed in the United Kingdom at the University Press, 2012, P. 270.

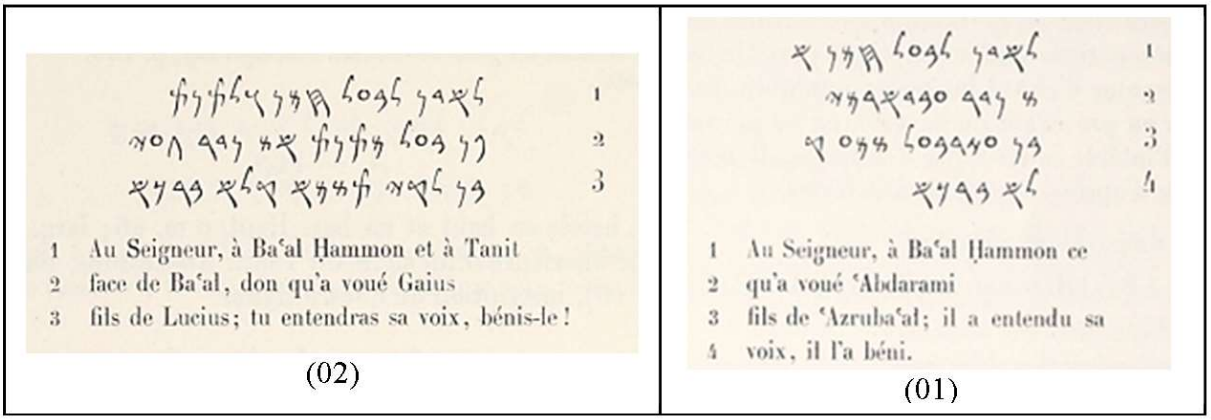
رغم استخدام الكتابة البونية إلا أننا لا نجد وثائق مكتوبة، ما عدا النقوش في أنحاء متفرقة من بلاد المغرب القديم، وهي مكتوبة على الحجارة أو الفخار أو على جدران بعض الأضرحة وشواهد القبور أو داخل الغرف الجنائزية أو على واجهات المباني والأنصاب، وفي العادة تكون حروفها منحوتة أو محفورة بواسطة المنقاش Chisel أو مكتوبة باللون الأسود.[2]

المطلب الثاني: انتشار اللغة البونية في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني

لقد عرفت اللغة البونية باعتبارها لغة قرطاجة، استخدامًا وتداولاً واسعًا في مناطق نفوذها، كما انتشرت كلغة الحضارة والثقافة والسياسة والتجارة في كل من نوميديا وموريطانيا خلال فترة استقلالهما إلى جانب اللغة الليبية[3]، ويبدو أن الكثير من أفراد مجتمع المغرب القديم كانوا من المهتمين بتعلم اللغات المساعدة على تلقي مختلف علوم ذلك العصر، لذلك فقد وفرت اللغة البونية فرصة للعلم وللكتابة والتأليف، ومن بين أهم المؤلفات أذكر موسوعة ماغون Magon الزراعية.[4]

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 70.
2- عبد الحفيظ فضيل الميار: المرجع السابق، ص 76.
3- Albertini (E.): Op.cit, P.48.
4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 47، 72.

وبما أن البونية كانت لغة التجارة والمعاملات الرسمية والإدارة والسلطة، ولغة الأدب والثقافة في الأوساط الاجتماعية المتحضرة والراقية، وذلك ما كشفت عنه النقوش البونية المكتشفة بالمدن والحواضر الكبرى الليبية حيث عثر على الكثير من النصب النذرية والجنائزية التي تعكس الهوية الاجتماعية لأصحابها[1]، فقد تم اكتشاف حوالي 6000 نقيشة بونية في قرطاجة، والتي كانت قد قدمت لمجمع الآلهة البونية (بعل حامون Baal Hammon، تانيت Tanit) (أنظر الشكل رقم 7، ص 36).



الشكل رقم 7: (01)، (02) نقوش بونية مهداة لبعل حامون وتانيت، نقلا عن:
Berthier (A.), Charlier (L.R.): Op.cit, P.P.12, 13.

وما يشير إلى حجم تسرب الثقافة واللغة البونية، إلى المناطق الداخلية، تتمثل في بقايا المعابد بنصبها التي حملت في معظمها نقوشاً بونيةً، خاصة في مدينة كيرتا باعتبارها عاصمة المملكة النوميدية المشهورة في فترة حكم الأغاليد ماسينيسا وميكيبسا[2]، حيث أكتشف فيها نقوشًا بونية ونيوبونية وأخرى إغريقية ولاتينية خاصة في معبد الحفرة El-Hofra، يتراوح عددها أزيد عن 700 نقيشة[3] مكتشفة في عام 1955م، ويذكر شنيتي حوالي 300 نقيشة منها 276 بونية و12 إغريقية وبعض النقوش اللاتينية، وتوضح لنا حجم انتشار اللغة البونية واستعمالها في الحياة اليومية للمجتمع الكيرتي خاصة والمغاربي عامة، وهذا ما دفع بألبير غرونيي Albert Grenier – حسب ما ذكر شنيتي – إلى الاستغراب من حجم الإشعاع الحضاري لقرطاجة في كيرتا التي تمثل في رأيه عمق بلاد المغرب القديم (أنظر الشكل رقم 8، ص 37).[4]

1- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، ط.1، دار الحكمة، (د.ب)، 2003م، ص 157.
2- محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية، ص 149.
3- Berthier (A.), Charlier (L.R.): Op.cit, P.7-8.
4- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 159.



النص باللغة البونية:

1- 𐤁𐤏𐤋𐤕 𐤌𐤋𐤒𐤕 𐤋𐤀𐤃𐤓𐤌𐤋𐤒 𐤍𐤆𐤓

2- 𐤁𐤍 𐤔𐤐𐤈 𐤁𐤍 𐤌𐤕𐤍𐤁𐤏𐤋 𐤔𐤋𐤔

3- 𐤔𐤍𐤄 𐤁𐤓𐤒𐤃 𐤔𐤍𐤄 𐤔𐤋𐤔

4- 𐤔𐤍𐤄 𐤔𐤋𐤔 𐤏𐤔𐤓𐤄 𐤁𐤍 𐤔𐤐𐤈

5- 𐤁𐤓𐤒𐤃 𐤔𐤍𐤄 𐤔𐤋𐤌𐤍𐤎𐤍 𐤌𐤋𐤊

6- 𐤔𐤋𐤌

ترجمة النص باللغة العربية: "إلى المولى بعل حمن نذر نذره متنالم بن شفط في الثامن عشرة لشهر مرفئم في السنة السادسة والأربعين لحكم مسنسن الملك لأنه سمع قوله باركه"

الشكل رقم 8: نقش بوني ذكر فيه إلى اسم ماسينيسا، نقلا عن:
محمد الصغير غانم: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 68-70.

بالإضافة إلى النقوش المزدوجة البونية– الليبية، المنتشرة في الجنوب الوهراني والمغرب وإقليم طرابلس (تريبوليتانيا) وكيرينايكا[1]، وأخص بالذكر هنا ما أشرت إليه سابقًا: نقوش دوقة منها نقش مزدوج يخلد إقامة ضريح على طراز بوني، ونصوص أخرى مكتشفة في نفس المكان مكتوبة في خطوط أفقية، وعلى رأسها نقيشة دوقة التي أقامها مكيبسا تخليدًا لوالد ماسينيسا في سنة 139ق.م (أنظر الشكل رقم 3، ص 20).[2]

لذلك نجد أن المملكة النوميدية والموريطانية قد تبنت اللغة والكتابة البونية، بحكم أنها وليدة التمازج اللغوي بين الليبية والفينيقية، ما جعل منها لغة مفهومة في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم، خاصة في مناطق الاحتكاك الحضاري الليبي (النوميدي) والبوني[3]، ولأن قرطاجة قد تركت أثرًا ثقافيًا على مجتمع بلاد المغرب القديم بحكم تفوقها الحضاري.[4]

فقد كان ماسينيسا شغوفًا بمجالس الأدباء والفنانين والموسيقيين الإغريق في بلاطه الملكي[5]، وما دام كذلك فإن الثقافة البونية كانت شيئاً مألوفاً لديه. فقد كان له ثلاثة أبناء وهم: مكيبسا Micipsa الابن الأكبر وغولوسا Gulussa ومستنبعل Mastanbal[6]، كانوا يتقنون اللغة النوميدية والبونية والإغريقية[7]، وقد كانت اللغة والكتابة البونية من اللغات التي

1- محمد العربي عقون: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، المرجع السابق، ص 173.
2- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.P.96-97. Bates (O.): Op.cit., P.P.84, 86. Chabot (J.B.): R.I.L, P.5.
3- محمد علي دبوز: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج.1، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، (د.ب)، ص 65.
4- Gautier (E.-F.): Op.cit, P.118.
5- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 162.
6- Tite-Live: Periochae, Trad., M. Nisard, T. II, Firmin Didot, Paris 1864, L.XXX, 50.
7- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص. ص 205-206.

كتب بها هؤلاء الأغاليد النوميد المثقفين مؤلفاتهم، وعلى رأسهم الملك هيمسال الثاني Hiempsal II (88-60ق.م) حفيد مستنبعل، فقد نسبت له المصادر القديمة وخاصة المؤرخ اللاتيني سالوستيوس Salluste كتب باللغة البونية اعتمد عليها عند حديثه عن أصول مجتمع المغرب القديم.[1]

كما احتوت عملات الأغاليد النوميد (أنظر الشكل رقم 9، ص 39)، على كتابات بالبونية، مثل نقود ملوك نوميديا الغربية كسيفاكس Syphax وابنه فيرمينا Vermina، ونقود ملوك نوميديا الشرقية كنقود ماسينيسا، ووجدت الكتابة النيوبونية على نقود يوبا الأول آخر ملوك نوميديا الشرقية المتوفي سنة 46ق.م، ونقود ملوك موريطانيا مثل: بوكوس Bocchus المتوفي سنة 33ق.م، ونقود الملك ماستانيسوسوس Mastanesosus الذي تولى حكم هذه المملكة في حوالي سنة 60ق.م. بالإضافة إلى النقود البلدية لكيرتا العائدة للفترة ما قبل 46ق.م، ونقود مدينة زليل Zilil الموريطانية ومدن ليبيا[2] الثلاثة (لبتيس ماغنا، صبراتا، أويا).

ومن الأدلة على انتشار اللغة البونية كذلك هو مكتبة قرطاجة التي كانت شهرتها تقارب شهرة مكتبة الإسكندرية، وللأسف أغلب كتبها قد احترقت أثناء سقوط قرطاجة بيد الاحتلال الروماني عام 146ق.م، هذه المكتبة التي تحدث عنها الإغريق واللاتين وعن أهمية محتوياتها القيّمة، وقد وافق مجلس الشيوخ الروماني على تسليم خزانات المكتبة للأغاليد النوميد، وقد يكون هيمسال الثاني قد احتفظ ببقايا تلك المكتبة.[3]

وهذه إشارة إلى أن قصور الأسرة الماسيلية الحاكمة في نوميديا، كانت هي الأخرى تحتوي على مكتبات تضم مؤلفات بمختلف لغات العالم القديم وخاصة باللغة البونية والإغريقية، ما عدا اللاتينية التي لم تسجل حضورها في بلاد المغرب القديم إلا بعد سقوط قرطاجة، ويشير قرار مجلس الشيوخ الروماني Sénat دليلاً على انتشار اللغة البونية في

1- Salluste: la guerre de Jugurtha (Bellum Jugurthinum), Prés. Kamel Chehrit, 3eme édit., Alger livres édition, Alger, 2006, P.30. Vassa (N.K.): "Le roi Hiempsal II de Numidie et Rhodes", In: L'antiquité classique, T.44, fasc.1, 1975, URL: https://www.persee.fr, Vue: 01/09/2024, P.94.

2- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.6، المرجع السابق، ص 102. مدينة زليل تقع حاليا بالمغرب وحملت اسم يوليا كونسطنتيا زليل Julia Constantia Zilil خلال فترة الاحتلال الروماني. أنظر: هشام الغرباوي: **"المستعمرة الرومانية يوليا كونسطنتيا زليس"**، دورية كان التاريخية، مج.8، العدد 30، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، ديسمبر 2010م، (ص 65-70)، ص 68.

3- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 159-160.

الوسط الاجتماعي للمغرب القديم وخاصة في المناطق المتأثرة بالإشعاع الحضاري القرطاجي[1]. ويشير شنيتي أن آخر المستفيدين من مخلفات تلك المكتبة هو الأغليد النوميدي يوبا الثاني، الذي استفاد من كتبها الجغرافية في رحلاته الاستكشافية[2]، كما أن تلك الكتب البونية قد أشار إليها أوغسطين في إحدى رسائله إلى أستاذه النحوي السابق ماكسيم المادوري، والتي ذكر فيها أن الكتب البونية تحتوي على معلومات ومعطيات مفيدة.[3]



الشكل رقم 9: عملات نقدية نوميدية تحمل كتابات بونية، نقلا عن:
Alexandropoulos (J.): "Les monnaies de l'Afrique antique 400 av.J.-C.-40ap.J.-C", Planches, openedition books, URL: https://books.openedition.org, Vu: 07/09/2024.

1- خديجة قمش: **"لغات الشمال إفريقيا القديم"**، مجلة أسيناگ asinag، العدد 11، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2016م، (ص 75-80)، ص 67.
2- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 159-160.
3- Lakhlif (M.): Op.cit, P.27.

ويحصر عبد اللطيف الركيك مجال انتشار اللغة البونية في المدن الساحلية، حيث يمتد من هيبوريجيوس Hippo Regius بشرق الجزائر حالياً إلى مذابح فيلان ويتجه إلى جزء من البلاد النوميدية بوسط وغرب تونس والشريط الساحلي الممتد بين خليج السرت الصغير والكبير.[1]

المطلب الثالث: واقع اللغة والكتابة البونية خلال فترة الاحتلال الروماني

إذن وكما أشرت؛ إلى أن البونية كانت اللغة والكتابة الرسمية في قرطاجة ومناطق نفوذها إلى غاية عام 146ق.م، وبعد هذا التاريخ استمرت لفترة وجيزة إلى أن سقطت بلاد المغرب القديم تحت الاحتلال الروماني، وظهرت فقط في كتابة النقوش على الآثار الخاصة بأفراد من مجتمع المغرب القديم، ثم استبدلت بعد ذلك بما أطلق عليه الباحثين بالكتابة واللغة البونية الجديدة Néo-punique[2]، وبذلك سقطت البونية إلى مرتبة لغة الفلاحين وأصابها التشوه والانهيار التدريجي، وهذا ما توضحه النقوش البونية، خاصة في بعض أسماء الأعلام المكتوبة بالإغريقية واللاتينية، مثل إخفات الحركات وتليين حروف الحلق وكثرة إلغاء حرفي اللام والراء بقرب حرف صامت[3]، وسبق أن أشرت إلى ذلك حينما طرحت مثال عن إسقاط حرفي الدال واللام في أسماء الأعلام (بودميلكار – بوميلكار، مولخومور – موخومور).[4]

وكنتيجة لسياسة الرومنة التي اتبعتها الدولة الرومانية في بلاد المغرب القديم، والتي سنت لها القوانين لجعل اللغة اللاتينية لغة رسمية في مختلف مناطق نفوذها، ولغة المعاملات الرسمية في جميع المؤسسات الإدارية من محاكم ومجالس بلدية وغيرها[5]، وهذه السياسة اللغوية التي أدت إلى انحصار اللغتين البونية والليبية وخاصة الكتابة، حيث يشير القديس أوغسطين إلى أن الدولة الرومانية تعدت مسألة السيطرة العسكرية والسياسية إلى محاولة فرض ثقافتها وعلى رأسها اللغة اللاتينية.[6]

ونتيجة لطول فترة الإشعاع الحضاري لقرطاجة على بلاد المغرب القديم، وخاصة مناطق الاحتكاك الثقافي، فإن اللغة البونية استمرت في الحضور على المشهد اللغوي

1- عبد اللطيف الركيك: المرجع السابق، ص 16.
2- عبد الحفيظ فضيل الميار: المرجع السابق، ص 74.
3- أحمد هبو: المرجع السابق، ص 100.
4- عبد الحفيظ فضيل الميار: المرجع السابق، ص 75.
5- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 329.
6- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.

للمغرب القديم إلى عهد القديس أوغسطين (354-430م)[1]، والذي كشف لنا أن البونية كانت منتشرة في بعض أرياف بلاد المغرب[2]، وأن المسؤولين الإداريين في الإدارة الرومانية والأساقفة المسيحيين في بلاد المغرب القديم كانوا يحتاجون إلى ترجمان بينهم وبين المجتمع الريفي المجاور لهيبوريجيوس، لأنهم كانوا يتحدثون اللغة البونية.[3]

إذن؛ لقد عاش أوغسطين في بيئة كان استخدام البونية فيها منتشرًا أو على الأقل ما تبقى منها إلى غاية القرن الخامس للميلاد، وكان رجال الدين المسيحي محتاجين إلى آلية للتواصل اللغوي مع الفئات الريفية البونية المعتنقة للديانة المسيحية، ولم يكن لا أوغسطين ولا غيره من الأساقفة قادرين على ذلك لعدم إتقانهم للبونية، لذلك اضطروا إلى الاستعانة بمترجمين فوريين للتعامل مع تلك الفئات التي كانت تجهل اللغة اللاتينية. وذلك لا يعني أن أوغسطين وغيره من الأساقفة كانوا يجهلون تماماً البونية، فقد كان هذا القديس ملمًا ببعض الكلمات والألفاظ من هذه اللغة، كما كانت تطغى عليه اللكنة الأفريقية، ما دفع بالأسقف الروماني جوليان الإيكلاني Julien d'Eclane التهجم عليه وإهانته عندما كان في روما، وتعرضه للمضايقات من قبل طلابه الرومان[4]، وأبوليوس هو الآخر كانت له لكنة ليبية وتعرض للسخرية حينما كان في روما.[5]

لقد كان هناك نقص في الأساقفة المتقنين للبونية في المناطق الريفية حول هيبون Hippone، لأن أكثرية الأفراد هناك لا يفهمون المواعظ الدينية التي كانت تلقى باللاتينية، ففي إحدى الرسائل التي أرسلها إلى البابا سيليستان Célstain 422-432م[6]، والتي كشف عنها الباحث النمساوي جوهان ديفجاك Johannes Divjak أن أوغسطين اضطر إلى تعيين أسقف شاب يدعى أنطونيوس Antoninus في قرية فوسالا Fussala، وكان هذا الأسقف في الواقع يتحدث اللغة البونية ما سمح له بالتواصل مع مجتمع هذه القرية، والتي هي إحدى القرى القريبة من هيبون[7]، وكانت تبعد عنها بحوالي 60كلم، ويذكر غوتييه أنها

1- خديجة قمش: المرجع السابق، ص 67.

2- Gsell (S.): H.A.A.N, T.IV, Op.cit, P.498.

3- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج.1، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، إنتاج دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ن)، ص 292.

4- Lakhlif (M.): Op.cit, P.P.25, 26.

5- Monceaux (P.): Les africains, étude sur la littérature latine d'Afrique, les païens, lecène, oudin et C10, Editions, Paris, 1894, P.268, 269.

6- Albertini (E.): Op.cit, P48.

7- Lakhlif (M.): Op.cit, P.25-26.

كانت تتبع النحلة الدوناتية. وعن الجهة التي تقع فيها هذه القرية فهي غير واضحة، فقد اقترح ستيفان غزال البحث عنها جهة الجنوب أو الجنوب الشرقي.

وفي رسالة أخرى أرسلها إلى أسقف كالاما Calama كريسبينوس Crispinus الدوناتي الذي قام بتحويل أهالي ماباليا Mappalia في جهة هيبون إلى اعتناق النحلة الدوناتية، وطلب منه أوغسطين الذهاب معًا إلى هذه القرية وإلقاء الخطب الدينية مستعينين في ذلك على مترجم بوني.[1]

إذن فإنه في المناطق الريفية التي شهدت انتشارً محتشمًا للاتينية، فإن أهالي هذه المناطق كانوا يتحدثون البونية، وكانت لغة معروفة لدى الكثير من الأساقفة، ففي إحدى المواعظ لأوغسطين في الخطبة رقم 167 استشهد فيها بمثل بوني وترجمه إلى اللاتينية، لأن غالبية الأتباع لا يفهمون البونية، حيث يقول: "**نحن نعرف مثلاً بونياً، ولكنني سأقوله لكم باللاتينية لأنه ليس كلكم يفهمون البونية، وفي الحقيقة هو مثل بوني قديم جداً: (الطاعون يطلب عملة معدنية؛ أعطه اثنتين واتركه يذهب!)**".[2]

وقد كان أوغسطين يفتخر بهويته الأفريقية، ففي رسالته 138 التي تحدث فيها عن أبوليوس يقول: "**أبوليوس إذا أردنا الحديث عنه فقط لأنه أفريقي مثلنا، نعرفه أفضل..**"، وفي رسالة رد فيها على ماكسيم المادوري Maxime de Madaure أستاذه النحوي السابق حينما سخر من الأسماء البونية للشهداء المغاربة (ميغين Miggin ونامفامو Namphamo) حيث قال فيها: "**كان من الممكن أن تنسى نفسك إلى درجة مهاجمة الأسماء البونية، أنت أيها الرجل الذي تكتب للأفارقة، وكلانا أنا وأنت من أفريقية... وأنت تتهجم على البونية، فيجب عليك إنكار ذلك بصفتك من أكثر الرجال المثقفين**"[3]، وهذا القول يوضح كذلك استمرار الأسماء البونية في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم.

وفي رسالة أخرى بعثها القديس أوغسطين إلى رومانوس Romanus يقول فيها: "**إذا سألت فلاحينا عن هويتهم، فسيجيبون بأنهم كنعانيين Chananaei**"، وهذه إشارة إلى أن فلاحي الريف بمنطقة هيبون كانوا متمسكين بلغتهم البونية وانتمائهم العرقي حسب اعتقادهم آنذاك، وقد يكون منهم من لا يفهم اللاتينية.[4]

1- Gautier (E.-F.): Op.cit., P.P124-125.
2- Lakhlif (M.): Op.cit, P.26.
3- Ibid., P. 27.
4- Gautier (E.-F.): Op.cit., P.128.

كما تجدر الإشارة إلى أنه كان هناك عدد لا بأس به من أفراد مجتمع المغرب القديم مزدوجي اللغة، سواء الليبية واللاتينية أو البونية واللاتينية، فيتحدثون بها على مستوى العلاقات الخاصة في الأسرة أو مع الأفراد من نفس الانتماء، أما اللاتينية فتوظف في جميع الأعمال ذات الأهمية وفي الإدارات والمحاكم وفي العلاقات العامة، لذلك نلاحظ تراكب لثلاث لغات ليس لها أصل مشترك وهي الليبية والبونية واللاتينية[1]، وأضيف إلى تلك اللغات اللغة الإغريقية بصفتها لغة العلم في العالم القديم.

ومن دلائل استمرار البونية هو ظهور فئات من مجتمع بلاد المغرب القديم ذات الثقافة البونية والليبية، والتي تعلمت اللاتينية وتبنت الكثير من مظاهر الحضارة الرومانية، وترقت في السلم الاجتماعي في حواضر المغرب القديم آنذاك، إلى أن وصلت إلى أعلى المراتب الاجتماعية ولعل أحسن مثال أدرجه في هذا السياق، هو وصول العائلة السيفيرية من لبتيس ماغنا إلى عرش الإمبراطورية الرومانية، وعلى رأسها سبتيميوس سيفيروس Septimius Severus والذي اعتبره المؤرخين اللاتين كإله لأفريقيا لأنه اهتم أكثر من غيّره ببلاد المغرب القديم.[2]

وتكون اللغة والكتابة البونية في الكثير من مدن بلاد المغرب القديم قد عرفت انحصارً وتراجعًا في التداول، ومنها ما أشار إليه غزال حينما تحدث عن تراجع هذه اللغة في مدينة كيرتا، وهو ما توضحه النقوش التي عثر عليها في قسنطينة منها النقوش البونية والنيوبونية ومنها ما اختلطت فيه الأبجديتين، حيث حقبت النقوش البونية بالقرن الثاني قبل الميلاد أما النيوبونية فلا تتجاوز القرن الأول قبل الميلاد.[3]

كما أنه لا ينبغي أن يجعلنا الانتشار الواسع للنقوش اللاتينية، أن نؤمن بالاختفاء الشبه الكامل للغتين الليبية والبونية، فمن الشواهد التي تبين أن اللغة البونية كانت متداولة بين بعض فئات مجتمع المغرب القديم، خاصة سكان الأرياف ولاسيما الطبقات الدنيا، هو وجود وانتشار النقوش العائدة إلى فترة الاحتلال الروماني، وهي نقوش بونية أو ليبية أحادية اللغة[4]، أو مزدوجة بونية- لاتينية المنتشرة داخل المدن أو بالقرب منها[5]، وهي نتاج بروز

1- Albertini (E.): Op.cit, P.48.
2- Gautier (E.-F.): Op.cit., P.120.
3- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.6، المرجع السابق، ص 103.
4- Albertini (E.): Op.cit, P.48.
5- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 264.

ظاهرة الازدواجية اللغوية التي أفرزتها الظروف والمعطيات بسبب السياسة اللغوية الرومانية في الوسط الاجتماعي لبلاد المغرب القديم، فمنهم من حافظ على لسانه الليبي أو البوني حسب انتمائه الثقافي.[1]

ومن الشهادات المتأخرة أن البونية تواصلت هي شهادة المؤرخ بروكوبيوس Procopius في الفترة البيزنطية خلال القرن السادس للميلاد، الذي أشار إلى أن البونية تواصلت كلغة تداول بين السكان القاطنين على طول المناطق الساحلية إلى أعمدة هراقل[2]، بينما يشير كل من غزال وغوتييه أنه يشير هنا إلى السكان الريفيين الذين يسكنون خارج مدينة قرطاجة[3]، لأن الحملات البيزنطية لم تتوسع في عمق بلاد المغرب القديم، حيث ارتكزت في القسم الشمالي الشرقي من المنطقة فقط.

والحال أن تكون البونية بقيت منتشرة في مناطقها السابقة ولكن انحصرت أمام اللاتينية، حيث انقرضت البونية كلغة علم وثقافة واندثرت أبجديتها، لتتحول إلى مجرد متغير لغوي تتخاطب به فئات اجتماعية معينة، كما يشير غوتييه أن النحلة الدوناتية كانت منتشرة في الأرياف المحتفظة على ثقافتها البونية[4]، أي أنها أصبحت نوع من اللهجة العامية المحلية التي كانت تستخدم بالضرورة مصطلحات لاتينية رسمية أو فنية.[5]

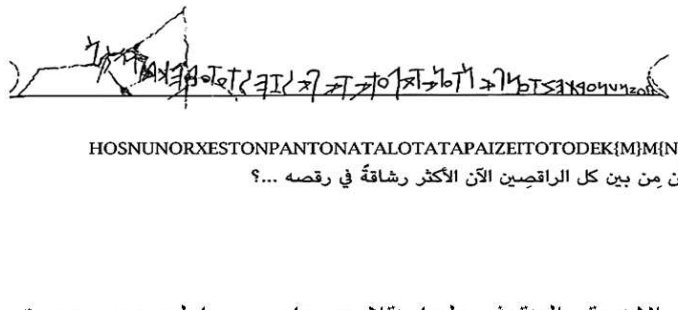
1- Faidherbe (G.): C.C.I.N (libyques), P.P.11-12.
2- Procopius: History of the Wars, Books III and IV: The Vandalic War, Tran. H. B. Dewing, Release date: September 27, 2005 [eBook #16765], Most recently updated: December 12, 2020, book online at: https://www.gutenberg.org/cache/epub/16765/pg16765-images.html, III, X, 24 à 2.
3- Gautier (E.-F.): Op.cit., P.129. Gsell (S.): H.A.A.N, T.IV, P.498.
4- Gautier (E.-F.): Op.cit., P.P.129-130.
5- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", In Dialogues d'histoire ancienne, Vol. 26, 2000, Persée, URL: https://www.persee.fr,Vu: 10/09/2024, P.P.166-167.

المبحث الثالث: اللغة والكتابة الإغريقية

كانت اللغة الإغريقية لغة العلم والثقافة في العالم القديم، فقد عرفت انتشارً لها في بلاد المغرب القديم، وسأتناول بالدراسة في هذا المبحث تطور الأبجدية والكتابة الإغريقية، وآليات انتشارها في المغرب القديم قبل وبعد الاحتلال الروماني.

المطلب الأول: تطور الأبجدية والكتابة الإغريقية

يشير المؤرخون القدامى أمثال بلينوس الروماني[1] وهيرودوتس اليوناني، إلى أن الأبجدية والكتابة الإغريقية تكونت بفعل التأثير الفينيقي، وذلك ما وضحته الآثار الكتابية الإغريقية مثل: نقوش أمفورة ديبيلون الأثيني Amphore du Dipylon العائد إلى القرن الثامن قبل الميلاد في حوالي سنة 740ق.م وقبر عثر عليه في ثيرا Théra العائد إلى القرن السابع قبل الميلاد (أنظر الشكل رقم 10، ص 45)، حيث يبدو من خلالهما التشابه بين الأبجديتين، واتجاه الكتابة في البداية كان من اليمين إلى اليسار، ويعود تاريخ هذا التأثير إلى بداية القرن التاسع قبل الميلاد أو قبله بقرنين أو ثلاثة، ذلك أن المجتمع اليوناني لم يعرف الكتابة دفعة واحدة، ولكن على دفعات متفاوتة زمنيًا.[2]



HOSNUNORXESTONPANTONATALOTATAPAIZEITOTODEK{M}M{N–

مَن مِن بين كل الراقصين الآن الأكثر رشاقةً في رقصه ...؟

الشكل رقم 10: أمفورة ديبلون والنص الإغريقي المنقوش عليها، نقلا عن: باري بي باول: هوميروس، تر.: محمد حامد درويش، مؤسسة هنادوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2017م، ص. ص 81-82.

وعليه فالإغريق طبقوا الأبجدية الفينيقية لكتابة لغتهم، إلا أننا نلاحظ وجود[3] فروق بين الأبجديتين، وتكمن في احتواء الإغريقية على الحروف الصامتة (الساكنة) Consonne والمتحركة (الصوتية) Voyelles معاً، على عكس الفينيقية التي لا تحتوي إلا على الحروف الصامتة. وهذا الفرق فتح المجال للأبجدية الإغريقية للتطور أحسن عن مثيلتها

1- Pliny: Natural History, BOOK VII. LVI. 192-195, 637.

2- أحمد هبو: المرجع السابق، ص. ص 99-101.

3- جوزيف فندريس: اللغة، تع.: عبد الجليل الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، 1950م، ص 401.

الفينيقية كتابةً ولغةً[1]، حيث طورها الإغريق وابتكروا حروفاً تناسب أصواتهم، كما استفادوا من حروف العلة للتعبير عن الحركات (الضم والكسر والفتح)[2]، وقد عرفت الأبجدية الإغريقية القديمة ثلاثة أنواع من الخطوط يختلف حيز انتشارها الجغرافي في بلاد اليونان، حيث ينتشر الخط الإغريقي القديم الأول في جنوبها، والخط الشرقي على السواحل الغربية لآسيا الصغرى والسواحل الشرقية لليونان وجزر بحر إيجه، والخط الغربي في سواحل اليونان وشمالها ومستعمراتها في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية.[3]

وفي عام 403ق.م تمكن المجتمع اليوناني من توحيد الكتابة والأبجدية الإغريقية على الطريقة الأثينية، وبهذا يعود ظهور الكتابة الإغريقية الكلاسيكية إلى القرن الرابع قبل الميلاد ولم تتغير طيلة العصور والقرون التي مرت بها، من مرحلة الهلينة إلى الرومنة، وجُل التغيّرات التي طرأت عليها هي تغيرات غير جوهرية، تعلقت بالشكل وارتبطت بفنيات الكتابة على حسب المادة المستعملة في ذلك كالحجر أو الجلد أو البرشمان أو الورق. ولقد أثرت اللغة والكتابة الإغريقية على لغات مجتمعات شبه الجزيرة الإيطالية عن طريق المستعمرات اليونانية، ومنها برزت اللغة اللاتينية التي ستسود كل إيطاليا ثم غرب أوروبا[4]، ثم تغزوا كل أقاليم الإمبراطورية الرومانية بما في ذلك بلاد المغرب القديم.

لقد أصبحت اللغة الإغريقية بعد التوسع اليوناني شرقًا وغربًا لغة عالمية للعالم القديم، حيث انتشرت في إيطاليا وآسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وبلاد المغرب القديم، وغدت لغة التجارة والعلوم والمعارف والفنون، فكان علماء ذلك العصر لا يُعتبرُون كذلك إلا إذا تلقوا المعرفة باللغة الإغريقية في المراكز العلمية في بلاد اليونان أو في مراكز ذات طابع يوناني[5]، على شاكلة كيرينايكا (قورينائية) في بلاد المغرب القديم.

المطلب الثاني: انتشار اللغة الإغريقية في بلاد المغرب القديم

لقد عرفت بلاد المغرب القديم اللغة الإغريقية في فترة مبكرة، خصوصًا بعد الانتشار الإغريقي عبر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط واستقرار الجاليات اليونانية في كيرينايكا وصقلية وسردينيا، وقيام الإغريق بمحاولات تخطي الطوق القرطاجي واكتشاف

1- أحمد هبو: المرجع السابق، ص. ص 99، 102.
2- عبد الحفيظ فضيل الميار: المرجع السابق، ص 48.
3- أحمد هبو: المرجع السابق، ص. ص 99، 102.
4- المرجع نفسه، ص. ص 102-104.
5- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 162.

نوميديا وموريطانيا. وقد تفاعلت جملة من العوامل دفعت بالإغريق إلى توطيد علاقاتهم بالنوميد، من خلال العلاقات التجارية بتواجد التجار الإغريق في الموانئ والمدن التجارية النوميدية، وتقرب الملوك الإغريق ووجهائهم من أغاليد وأمراء نوميديا، وتتمثل تلك العوامل في توتر العلاقات النوميدية والقرطاجية، واتفاق الطرفين في مسألة الحد من الهيمنة البحرية القرطاجية، وهزيمة قرطاجة أمام الرومان خلال الحروب البونية، ومعاهدة ما بعد الحرب التي منحت لنوميديا امتياز حق التعامل المباشر وربط علاقات تجارية ودبلوماسية مع العالم الخارجي[1]، تلك المعاهدة المعروفة بمعاهدة زاما 201ق.م.[2]

وتعود بداية انتشار الحضارة والثقافة اليونانية في بلاد المغرب القديم إلى ما قبل القرن الرابع ق.م، حيث تمركز الإغريق من جزيرة ثيرا Théra بكثرة في كيرينايكا Cyrenaica التي تعتبر موطنًا هامًا للإبداع الفني والعلمي الإغريقي، وبها شكلوا مستعمرة إغريقية، تجاورها مجموعة من المدن وهي: برقة Barce وتوخيرا Taucheira ويوسبيريدس Euhesperides وأبولونيا Apollonia[3]، كما وتعتبر أول تلك المدن التي أنشأها المستوطنين الإغريق، وتقع ضمن إقليم يحمل نفس اسمها[4]، حيث عرفت لغتهم الإغريقية تداولاً اعتياديًا على طول ساحل السرتين الكبير والصغير.[5]

لقد شهدت ازدهارً ثقافياً وأصبحت من أشهر المراكز العلمية والتعليمية في بلاد المغرب القديم، تفاعلت مدارسها مع مدارس الإسكندرية وأثينا الفلسفية، وظهرت بها مدارس علمية وفلسفية قصدها العلماء والمفكرين وكل طلاب العلم من كل أنحاء شمال أفريقيا[6]. والظروف التي ساعدت كيرينايكا في تَيسُر انتشار المعرفة فيها وتداولها بلغتهم الإغريقية، كونها كانت تمتلك ثورة زراعية وحيوانية هائلة عادت عليها بموارد مالية طائلة، بلغوا بها

1- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 161. ينظر: Tite-Live: Œuvres de Tite-Live (Histoire Romaine), Trad. M. Nisard, Paris, 1864, remacle, L.XXX, 30, 37.

2- علي أحمد شعبان: **"المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم"**، المدينة والريف في الجزائر القديمة، مؤلف جماعي، إشراف وتنسيق: مقرانطة بختة، أعمال الملتقى الوطني الأول، المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013م، جلمعة معسكر، قسم العلوم الإنسانية، فرع الآثار، الرشاد للطباعة والنشر، سدي بلعباس، الجزائر، 2014م، ص 354.

3- راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: **"قورينا: عاصمة الثقافة الإغريقية في القرن الرابع ق.م"**، مجلة البحوث التاريخية، دار المنظومة، مج.31، العدد 2، ليبيا، 2009م، (ص 19-55)، ص. ص 21-22.

4- كلاوديوس بطليموس: جغرافية كلاوديوس بطليموس (بطليموس)، الكتاب الرابع وصف ليبيا (قارة أفريقيا) ومصر، تر.: محمد المبروك دويب، ط1، الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004م، ص. ص 57-62.

5- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.6، المرجع السابق، ص 105. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.117.

6- عبد السلام بن ميّس: مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)، ط.2، طبعة إدجل (IDGL)، الرباط، 2010م، ص.ص 36-40. شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 260.

مراتب الترف والثراء، وقد عثر بها على حوالي 30 من النقوش باللغة الإغريقية تضمنت قوائم لحسابات كاملة للمنتجات الزراعية تعود إلى القرن الخامس والرابع والثالث والثاني قبل الميلاد دونت من قبل موظفين ماليين.[1]

ومع تصدر الممالك النوميدية الواجهة السياسية لبلاد المغرب القديم، وكنتيجة للعلاقات الودية بينها وبين بلاد اليونان، تمكنت العائلات النوميدية وخاصة الملكية الشغوفة بتعليم أبناءها من إرسال بعثات طلابية إلى المدن الإغريقية التي اشتهرت بمدارس الفلسفة والعلوم لتلقي العلم والمعرفة على أيدي الأدباء والفلاسفة والفنانين الإغريق.[2]

وكما أشرت سابقاً؛ فقد كان الأغليد النوميدي ماسينيسا شغوفًا بمجالسة الأدباء والفنانين والموسيقيين الإغريق الذين كان يعج بهم قصره الملكي، مما يدل على معرفته باللغة الإغريقية وإعجابه بالأدب والفكر اليوناني[3]، ويروي تيتوس ليفيوس Tite-Live أن ماسينيسا كان له ثلاثة أبناء وهم: ميكيبسا Micipsa وغولوسا Gulussa ومستنبعل Mastanbal على التوالي[4]، الذين أنشأهم تنشئة إغريقية فأصبحوا ثلاثي اللغة بالإضافة إلى لغتهم الأم النوميدية، كانوا مثقفين ويتقنون اللغتين الإغريقية والبونية[5]، فميكيبسا (148-118ق.م) حسب ما أشار إليه المؤرخ الإغريقي ديودوروس الصقلي Diodore de Sicile، قد استقدم إلى قصره مثقفين من بلاد الإغريق وزاوج بين ممارسة الحكم ودراسة الفلسفة اليونانية، وقد يكون ألف كتبًا باللغة الإغريقية.[6]

أما غولوسا فقد أقام على شرفه مجتمع ديلوس نقشًا تشريفيًا له، وقد يكون ذلك بحكم أنه كان ممثلاً لوالده هناك، حيث كان كقائد للجيش النوميدي وسفيرًا لنوميديا خلال سنوات 172-171ق.م وفي 152ق.م لدى روما[7]، وجاء في تلك النقيشة ما يلي:

ΓΟΛΟΣΣΑΝ ΤΟΤΣΕ//// ΦΟΙΝΙΞΙ// ΤΟΤΣΕΑΥΤΟ ΚΑΙΟΜΟΝΟ.

ومعناها: الشعب يكرس للآلهة... تمثال الملك غولوسا.[8]

1- راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص. ص 23-24.
2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 74.
3- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع نفسه، ص 162.
4- Tite-Live: Periochae, L.XXX, 50.
5- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص. ص 205-206.
6- خديجة قمش: المرجع السابق، ص. ص 75-76.
7- عبد الحق مسعي: **"العلاقات السياسية والتجارية بين المملكة النوميدية وجزيرة ديلوس خلال القرن الثاني قبل الميلاد"**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، مج.14، العدد 1، جوان 2017م، ص 142.
8- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 74. عبد الحق مسعي: المرجع السابق، ص 141.

وحسب المؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس فإن مستنبعل (139-148ق.م)، كان من ملوك النوميد المثقفين وضليعًا في الثقافة واللغة الإغريقية، واستنادًا كذلك إلى الإهداء الذي أقامه مجتمع جزيرة رودس الإغريقية على شرفه، بالإضافة إلى إهداء آخر أقامه نفس المجتمع على شرف الملك هيمسال الثاني Hiempsal II (88-60ق.م) وهي إشارة أن له ثقافة إغريقية وعارفًا بتلك اللغة[1]، ونتيجة لإطلاعه على كتابات الإغريق، فقد كتب عن أخبار رحلة هيراكليس Héraclès الإغريقي نحو غرب البحر الأبيض المتوسط وما نشأ عنها من ميثولوجيات[2]، وهي أخبار أوردها بصفة مطابقة لما وردت عند الإغريق[3]. ويشكل هؤلاء الأمراء والملوك المنتمين إلى العائلة الماسيلية كنماذج عن باقي أفراد مجتمع المغرب القديم من الفئات الاجتماعية ذات المكانة العليا ممن أتيح لأبنائهم فرصة تلقي الثقافة اليونانية وإتقان اللغة الإغريقية.

وتعتبر ظاهرة التعايش اللغوي الثلاثي في المملكة النوميدية: اللغة النوميدية والإغريقية والبونية، ظاهرة منتشرة في أوساط فئات محدودة من أفراد مجتمع المغرب القديم، من الفئات المثقفة من الطبقة الحاكمة والأرستقراطية والأعيان[4]، وكانت نتيجة للعلاقات الاقتصادية بين العالم الإغريقي ومملكة نوميديا، حيث عرفت انتشارً للجالية الإغريقية، في مدنها كهيبوريجيوس وروسيكادا Rusicada وصالداي Saldae ويول Yol[5]، وقد أشار سترابون إلى استقرار تلك الجالية في مدينة كيرتا[6]، ومعها عرفت هذه المدينة النوميدية هذه الظاهرة اللغوية[7]، وذلك ما توضحه مجموعة النقوش المكتشفة في معبد الحفرة بقسنطينة، التي تعكس استقرارً للإغريق في هذه المدينة خلال القرن الثاني قبل الميلاد[8]، وقد أرجعها بعض المؤرخين إلى أنها كانت تخص جالية إغريقية في كيرتا، وهناك افتراض أنها دلالة على وجود فئات ناطقة بالإغريقية من أفراد المجتمع الكيرتي.[9]

1- خديجة قمش: المرجع السابق، ص. ص 75-76. أنظر: Vassa (N.K.): Op.cit, P.P.89-93.
2- أساطير.
3- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 163.
4- المرجع نفسه، ص. ص 162-163.
5- علي أحمد شعبان: المرجع السابق، ص 355.
6- Strabon: Géographie, L'Egypte et la Libye, Trad. Amédée Tardieu, librairie de l. hachette et CIE, boulevard saint-germain, Paris, 1867, L.XVII, CH. III, N° 17.
7- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 162-163.
8- عبد الحق مسعي: المرجع السابق، ص 137.
9- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 162-163.

ومن هنا أقول؛ أن مجتمع المغرب القديم قد عرف اللغة الإغريقية، خلال فترة انفتاح الممالك النوميدية المستقلة على العالم اليوناني، فتشبّع الملوك النوميد بالثقافة الإغريقية، وشجعوا أبنائهم على تعلم اللغة الإغريقية وطلب العلم في مدارس اليونان، فبرز منهم أمراء وأغاليد مثقفين بالثقافة الإغريقية ونالوا مكانة هامة في بلاد اليونان. ولا يستبعد أن يكون أبناء الطبقات الأرستقراطية من المجتمع النوميدي قد اقتدت بأغاليدها في ذلك، كما أن انتشار الجالية اليونانية في حواضر بلاد المغرب القديم فتح المجال لباقي الفئات الاجتماعية للاحتكاك بتلك الجالية وبالتالي الإطلاع على ثقافة الإغريق ولغتهم.

المطلب الثالث: انتشار اللغة الإغريقية في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية

لقد استمر تداول اللغة الإغريقية في بلاد المغرب القديم خاصة في المجال العلمي والفكري والتعليمي إلى غاية القرن الأول للميلاد مع محدودية تواجد اللغة اللاتينية، وما عبّر على تداول الإغريقية هي النقوش المختلفة كعملة مدينة لبتيس ماغنا التي تحمل كتابة إغريقية، بالإضافة إلى مجموعة النقوش البالغ عددها 130 نقيشة اكتشفت من قبل لازار كوستا Lazare Costa سنة 1875م في قسنطينة وضواحيها، و17 نقيشة إغريقية مكتشفة في مبعد الحفرة.[1]

ورغم سياسة الرومنة التي اتبعها الاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم، حافظت اللغة الإغريقية على مكانتها خاصة في المجال التعليمي والعلمي، وبقيت لغة يتعلمها طلاب العلم صغارًا أو كبارًا ويعتبرونها علامة على المستوى الثقافي والرقي الحضاري[2] إلى أواخر الاحتلال الروماني، لأنها فرضت نفسها كلغة عالمية لكل العلوم والفنون في العالم القديم[3]، ففي المجال التعليمي كانت في البداية مواد التدريس سواء عند المجتمع الروماني أو المغرب القديم تنحصر فقط في الأدب اليوناني ونحو اللغة الإغريقية والريطوريكا والفلسفة والرسم والنحت والموسيقى والرقص وغيرها من العلوم وبهذه اللغة. ولم تبدأ اللغة اللاتينية تحل محلها في مجال التدريس إلا بعد ظهور كتاب لاتين مع نهاية القرن الأول الميلادي، أمثال:

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 75. مثل النقوش رقم: 1819 و1820. ينظر: Renier (L.): Inscriptions romaines de L'algérie, X, Alphonse Picard, Editeur, Paris, 1855-1886, P.220.
2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 75.
3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص. ص 205-206.

شيشـــرون Cicéron (106-43ق.م) وفرجيليـــوس Vergilius (70-19ق.م) وغيرهمـــا، وكلاهما نشطوا فكرياً مع القرن الأول للميلاد - رغم أسبقيت الأول عن الثاني.[1]

إذن؛ ونتيجة لحركة التفاعل الحضاري والثقافي مع العالم الإغريقي في بلاد المغرب القديم[2]، بلغت هذه اللغة أوج انتشارها واستعمالها كلغة علم خاصة على يد الملك يوبا الثاني Juba II[3]، المعروف بتشجيعه للمعارف اليونانية، من خلال استقدامه للفلاسفة والأدباء والعلماء والمفكرين ورجال المسرح والمؤرخين[4] والكُتاب والمهندسين والنحاتين والفنانين وغيرهم من بلاد اليونان، وعمل هؤلاء في مجال الهندسة والبناء والنحت والحلي والتصوير والفسيفساء والتأليف والتعليم[5]، كما ألف هو الآخر الكثير من الكتب والمؤلفات باللغة الإغريقية، فقد وصف بأنه اشتهر كمؤرخ أكثر من شهرته كملك[6]، حيث قال عنه المؤرخ بلينوس القديم Pline l'ancien صاحب كتاب التاريخ الطبيعي: **"فاقت شهرته العلمية شهرته كملك"**، وقال عنه بلوتارخوس Plutarque أنه: **"أحسن المؤرخين من الملوك"**، ويقول في موضع آخر أنه: **"يعد من أعلم المؤرخين الإغريق"**[7]، وقال فيه أيضًا شارل أندري جوليان: **"ولمّا لم تترك له الحماية الرومانية إلا المظاهر فقد تسلّى بالاعتناء بالمجموعات الفنية والأدب الرخيص"**[8]، وهنا يناقض جوليان المؤرخين القدماء الذين اعترفوا بانجازاته العلمية والفكرية.

وقد حاول الرومان الحد من هذا الانتشار الذي عرفته اللغة الإغريقية على يد يوبا الثاني، منذ عهد الإمبراطور كاليغولا Caligula (37-41م)، ما فتح المجال للغة اللاتينية للانتشار وأن تحل محل اللغة اليونانية من قرطاجة إلى طنجة[9] وغيرها من مناطق النفوذ الروماني، في إطار سياسة الرومنة المتبعة في بلاد المغرب القديم.[10]

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص.ص 32-33.
2- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 163.
3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص. ص 205-206.
4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.59.
5- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.8، المرجع السابق، ص 211.
6- Boissier (G.): L'Afrique Romaine promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1912, P.26.
7- خديجة قمش: المرجع السابق، ص. ص 76-77. ينظر: Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), tard. Dominique Ricard, bureau des éditeurs de la bibliothèque des amis des lettres, Paris, 1844, remacle, LX, 410. Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 231
8- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 172.
9- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.60.
10- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص. ص 205-206.

غير أن ذلك لم يحد من استمرار اللغة الإغريقية، فقد كانت من أهم المواد الدراسية في مدارس بلاد المغرب القديم خلال هذه الفترة، حيث كان يتلقى الطلبة دروساً باللغة الإغريقية، باعتبارها لغة مختلف العلوم من الفلسفة والريطوريكا والطب وغيرهما في العالم القديم، فقد تعلمها لوكيوس أبوليوس Lucius Apuleius في مدرسة مادوروس[1]، وأشار سانت أوغسطين إلى تعلمهم في تلك المدارس القراءة والكتابة والحساب، وباللغتين اللاتينية واليونانية[2]، وأبرز ميله وشغفه باللاتينية أكثر من اللغة اليونانية خلال القرن الخامس للميلاد.[3]

ورغم التراجع الذي شهدته هذه اللغة مع مرور الوقت، دون أن تختفي تماماً نتيجة الميل العام إلى اللغة اللاتينية التي شهدت انتشارًا واسعًا في بلاد المغرب القديم، فقد برز الكثير من خطباء وفلاسفة ومفكري المغرب القديم، من الذين كانوا يفضلون الكتابة باليونانية بحكم تلقيهم لمعارفهم باللغة الإغريقية، فقد هيمنت هذه اللغة على المواد العلمية خاصة خلال مرحلة الريطوريكا آخر المراحل التعليمية، مثل: الطب الذي كان يدرس باليونانية حتى القرن الخامس للميلاد، وما كان يدرس باللاتينية أحياناً ليس إلا ترجمات لنصوص يونانية الأصل.[4]

والواقع أن مثقفي مجتمع المغرب القديم آنذاك كانوا يتقنون اللغتين اللاتينية واليونانية معاً، إلى درجة أن تداولهما معاً في نفس المحاضرة كان أمراً عادياً لا يخلق أية مشكلة لدى الطلبة[5]، وقد انعكس ذلك على التعليم حيث شهدت الدروس تنوعًا لغوياً بين اليونانية واللاتينية، فقد كان الأساتذة يبدؤونها بلغة وينهونها بأخرى[6]، وهذا ما كان يفعله لوكيوس أبوليوس خلال إلقائه خطبه، حيث أشار إلى أن هذه المسألة تعتبر شيئاً مؤلوفاً لدى طلبته وجمهوره من المستمعين إليه[7]، ويؤلفون قصائداً وينشدها بكلا اللغتين اللاتينية

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 104-105.
2- القديس أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، نقله عن اللاتينية: إبراهيم الغربي، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، القاهرة، تونس، 2015م، ص 26.
3- Augustin (St.): les confessions, œuvres choisies, Trad. M. le Chanoine Pihan, maison de la donne presse, Paris, 1900, T.1, 120.
4- جميلة خالفي: **"الحياة الثقافية في الشمال الأفريقي القديم، المكتبات أنموذجًا"**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.7، العدد 4، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، ديسمبر 2023م، (ص 139-151)، ص 2.
5- المرجع نفسه، ص 2.
6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 131.
7- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P62-63. لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، تر.: أكرم بوعشة، ط.1، دار سيفار للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2023م، 18، ص 75.

والإغريقية[1]، كما أنه كان يستهزأ من خصمه أيميليانوس Aemilianus أثناء مرافعته الذي لا يتقن اللغة الإغريقية لعجزه عن قراءة رسالة زوجته أيميليا بودونتيلا Aemilia Pudentilla التي كتبتها بتلك اللغة وكانت تجيدها، وتكتبها بخط يدها[2]، وهي من أويا بتريبوليتانيا (طرابلس) وقد رحلت معه إلى قرطاج عند انتهاء محاكمته في صبراتا التي ألقى فيها مرافعته الشهيرة.[3]

إذن؛ فاللغة الإغريقية استمر تداولها خلال الفترة الرومانية، والسبب الرئيسي الذي ساعدها على الاستمرار كونها لغة العلم والفلسفة ومختلف العلوم الأخرى، غير أنه ومع لجوء الاحتلال الروماني إلى تطبيق سياسة الرومنة الثقافية في بلاد المغرب القديم، أدى إلى تراجعها النسبي فاسحة المجال أمام اللغة اللاتينية.

1- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، ص 78.
2- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، تر.: أكرم بوعشة، ط.1، دار سيفار للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2023م، 30، 87، ص. ص 47، 100.
3- عبد المنعم المحجوب: معجم تانيت، المرجع السابق، ص 43.

المبحث الثالث: اللغة والكتابة اللاتينية

عرفت بلاد المغرب القديم انتشار للغة اللاتينية مع الاحتلال الروماني، وسأتناول في هذا المبحث هذه اللغة وآليات انتشارها في المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

المطلب الأول: الجذور التاريخية للغة اللاتينية

اللغة اللاتينية هي لغة المجتمع الروماني، والرسمية في معظم أقاليم الإمبراطورية الرومانية. ولم يكن الرومان في بدايات عهدهم مهتمين بالجوانب الفكرية، بسبب ميل الأوائل منهم بصفة عامة إلى الناحية العملية على حساب الأدب والفن والخيال، وكان جل اهتمامهم محصور في الجوانب العسكرية التي تحتاج لأفراد يمتازون بالصرامة والرزانة والخشونة. إضافة إلى ظاهرة عدم الاستقرار اللغوي للغة اللاتينية، حيث كانت هذه اللغة تسير ببطء وراء جيوش روما.[1]

وسميت باللغة اللاتينية نسبة إلى منطقة اللاتيوم التي تتوسطها مدينة روما ولغة سكانها[2]، وهي من عائلة اللغات الهندوأوروبية Indo-européennes، وتعتبر من أنجح اللغات مع اللغة الإغريقية على حد تعبير عالم النحو الفرنسي أنطوان مييه Antoine Meillet[3]، وكانت نواة صغيرة وسط حقل من اللغات الإيطالية أهمها: لغة الأومبري Ombrien والأوسك Osque، فالأولى سادت في شمال روما والثانية في جنوبها بكامبانيا Campania وبوليا Puglia ولوكانيا Lucania والسامنيوم Samnium. ثم تطورت بالموازاة مع تطور القوة الرومانية وتوسعاتهم، لتجتاح الحقل اللغوي لمجتمعات شبه الجزيرة الإيطالية[4]، وتحولت إلى لغة الحضارة واللغة المعتادة لتلك المجتمعات[5]، وطبعاً بعد خضوع تلك المجتمعات للسيطرة الرومانية واندماجهم الكلي في الحضارة الرومانية. وعرفت

1- أحمد عتمان: الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م، ص 12.

2- أحمد هبو: المرجع السابق، ص 106.

3- Meillet (A.): Esquisse d'une histoire de la langue latine, 2eme édit., révisée et augmentée, Librairie Hachette, Paris, 1931, P.P.VII, 9. voir: Machonis (P.A): Histoire de la langue: Du latin à l'ancien français, University Press of America, Inc, Boston, U.S.A, 1997, P.9.

4- محمد الحبيب بشاري: **"الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"**، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة - علوم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد 20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، الجزائر، جانفي - جوان 2013م، (ص 18-49)، ص 18.

5- Meillet (A.): Op.cit, P.228.

اللغة اللاتينية أوج ازدهارها خلال القرن الأول قبل الميلاد نتيجة توسع الرقعة الجغرافية للإمبراطورية الرومانية.[1]

غير أن هذه اللغة؛ ونظرًا لمحدودية معجمها اللغوي المنحصر في الأساس على المفردات المرتبطة بالنشاط الفلاحي والجانب العسكري، دفع بالمفكرين الرومان ومن أجل التعبير عن أفكارهم وآرائهم، إلى الاعتماد على فكرة الاقتراض اللفظي من لغات المجتمعات التي أخضعها الرومان لسلطتهم، استجابة لتطور المتطلبات اليومية للمجتمع الروماني، لذلك فقد اقتبسوا الألفاظ والمفردات والمصطلحات السياسية والعسكرية والدينية من لغة الإتروسكيين[2] (وهي لغة ليست هندوأوروبية)[3]. والفنية والثقافية من اللغة الإغريقية، وما لم توفره لهم اللغتين الإتروسكية والإغريقية لجأوا إلى اقتراضه من لغات المجتمعات الأخرى خارج حدود شبه الجزيرة الإيطالية[4]، وقد أشار أولوس جيليوس إلى أن العديد من الكلمات والألفاظ اللاتينية كانت قد أشتقت من اللغة اليونانية.[5]

وعن الكتابة والخط اللاتيني، فقد اتصل المجتمع الروماني في وقت مبكر مع الإتروسكيين شمال إيطاليا ومع اليونانيين في جنوبها، وتعلموا منهم الكتابة[6]، فقد أشار يوبا الثاني في كتابه "الأشباه Similitudes" أن الإغريقية هي أصل اللغة اللاتينية، من خلال مقارنة عادات وتقاليد المجتمع اليوناني والروماني ودراسة قواعد كل لغة من اللغتين وأبرز إنتاجهما الأدبي[7]، كما يشير الباحث جوزيف فندريس J. Vendryes أن الإغريق نقلوا أبجديتهم ولغتهم إلى إيطاليا لتنتقل إلى الأتروسكيين واللاتين، ومن هناك إلى جهة الغرب الأوروبي[8]. ويفترض بعض الباحثين أمثال تيودور مومسن T. Mommsen أن المجتمع

1- بوعلام صالحي، منصوري فريدة: **"الكتابات أثناء الفترة القديمة بشمال أفريقيا"**، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، مج.22، العدد 3، وهران 1، 2023م، (ص 33-57)، ص 45.

2- الإتروسكيين: مجتمع لا يعرف موطنه الأصلي، ويرجح المؤرخون أنهم كانوا يسكنون الجهة الغربية من آسيا الصغرى، وفي 1000ق.م هاجروا إلى الساحل الغربي لإيطاليا، واستوطنوا فيه. أحمد علي عجيبة: دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط.1، دار الآفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، 2004م، ص 175.

3- Machonis (P.A): Op.cit., P.34.

4- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 18.

5- Aulu-Gelle: Les nuits attiques. trad. Victor Verger, Libraire, F. I. Fournier, Paris, 1820, T.1, XVIII, 99.

6- ألكسندر ستيبتشفيتش: تاريخ الكتاب، القسم الأول، تر.: محمد الأرناؤوط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م، ص 65.

7- Gsell (S.): H.A.A.N, T.8, P265-266.

8- جوزيف فندريس: المرجع السابق، ص 400.

اللاتيني، اقتبس الخط من الكتابة اليونانية، وأدخل عليها تعديلات مع مرور الوقت[1]، وبالمقابل يشير آخرين إلى أن الرومان أخذوا كتابتهم بشكل مباشر عن الإتروسكيين وهي فرضية لم تتأكد بعد، غير أننا لا يمكن أن ننفي التأثير اليوناني على المجتمع الروماني الذي سيدفعهم نحو عالم الأدب والفلسفة والعلوم، خصوصًا مع نهاية القرن الثالث قبل الميلاد خلال الحروب البونية، أين أخذت المؤثرات الثقافية اليونانية تفرض ذاتها على الثقافة الرومانية، والآخذة في الازدياد مع حركة توسعهم في العالم اليوناني[2]. بينما تشير باقي الدراسات إلى أن الرومان اعتمدوا الخط الإتروسكي في الكتابة، والحروف الناقصة في هذا الخط فقط اقتبسوها من الكتابة اليونانية التي كانت منتشرة في جنوب إيطاليا وفي صقلية في حوالي 800ق.م. وكانت اللاتينية الأولى العائدة إلى القرن السادس قبل الميلاد تكتب كالكتابات السامية واليونانية، في بداياتها الأولى من اليمين إلى اليسار، ثم استقرت كتباتها من اليسار إلى اليمين. وأقدم كتابة لاتينية عثر عليها في ساحة الفوروم في مركز مدينة روما القديمة العائد تاريخها إلى 500ق.م.[3]

ويمكن القول؛ أن اللاتينية اشتقت من الحروف اليونانية وتأثرت بالإتروسكية، أي أنها شكل من أشكال الكتابة الإتروسكية، وتتكون أبجديتها من ثلاثة وعشرين (23) حرفًا.[4]

وكنتيجة لذلك؛ فقد قسمت اللغة اللاتينية إلى عدة تصنيفات. فقد أشار بشاري إلى ثلاثة تقسيمات؛ لغة لاتينية عتيقة سادت إلى غاية القرن الثاني قبل الميلاد، ولاتينية كلاسيكية انتشرت من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول للميلاد، ولغة لاتينية متأخرة سادت ابتداءً من القرن الثاني للميلاد[5]، وكانت الأبجدية اللاتينية القديمة تتكون من 21 حرفاً وهي: A، B، C، D، E، F، H، I، K، L، M، N، O، P، Q، R، S، T، V، X، أما الكلاسيكية فأضيفت لها الحروف التالية: G، Y، Z.[6]

بينما صنفها جون كولار Jean Collart إلى لاتينية قديمة سادت منذ القرن الثالث قبل الميلاد إلى غاية وفاة ماريوس Marius، ولاتينية كلاسيكية تمتد من زمن سولا Sylla

1- Mommsen (T.): Histoire romaine, T.1, trad. C.-A. Alexandre, Librairie A. Franck, Paris, 1863, P.P.287-289.

2- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص. ص 65-66.

3- أحمد هبو: المرجع السابق، ص 106.

4- بوعلام صالحي، منصوري فريدة: المرجع السابق، ص 45.

5- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 18.

6- Machonis (P.A): Op.cit., P.34.

حتى وفاة أوغسطس، ولاتينية ما بعد الكلاسيكية المنتشرة خلال نهاية القرن الثاني للميلاد، وبعد هذا القرن تظهر اللاتينية المتأخرة.[1]

المطلب الثاني: واقع اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم

سأتطرق هنا إلى إبراز واقع اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم، فكيف وجدت هذه اللغة طريقها إلى مجتمع المغرب القديم قبل وبعد الاحتلال الروماني؟، وكيف فرضت نفسها على الواقع اللغوي للمغرب القديم؟:

1- اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني:

يعود تاريخ تواجد اللغة اللاتينية ببلاد المغرب القديم إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد باحتلال قرطاجة من طرف الرومان في سنة 146ق.م[2]، غير أنها كانت أقل انتشاراً إلى غاية النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد[3]، وتعرّف عليها مجتمع المغرب القديم ضمن العلاقات المختلفة مع الرومان خلال فترات السلم والحرب[4]، فقد كان أغاليد نوميديا وموريطانيا ملمين بهذه اللغة، بحكم العلاقات السياسية والعسكرية التي كانت تربطهم بروما، وعلى رأسهم الأغليد ماسينيسا ومن بعده ميكيبسا[5]، وتعلمها يوغرطة عندما عمل بالجيش الروماني أثناء الحرب في نومنسيا Numantia بأسبانيا (134-133ق.م)[6]، كما أن آذربال Adherbal الذي فر بعد مقتل أخيه هيمسال إلى روما وألقى خطاباً في مجلس الشيوخ الروماني[7]، بالإضافة إلى ذهاب يوغرطة إلى روما أثناء حربه ضد الرومان بطلب من مجلس السينا Sénat الروماني ومكوثه بها أيام معدودة ليغادرها بأمر من نفس المجلس وهو صاحب المقولة المشهورة "**مدينة للبيع، لا تلبث أن تسقط لو وجدت من يشتريها**"[8]،

1- Collart (J.): Histoire de la langue latine (Que sais-je?), 1er édit., 3eme trimestre, presses Universitaires de France, Paris, 1970, P.6.

2- بوعلام صالحي، منصوري فريدة: المرجع السابق، ص 45.

3- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.6، المرجع السابق، ص 105. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.117.

4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 75.

5- Salluste: La guerre de Jugurtha (Bellum Jugurthinum), Prés. Kamel Chehrit, Op.cit, P.9-10.

6- Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit, P.P.120-121.

7- سالوست: حرب يوغرطة، تر.: فيصل الأحمر وفاطمة بريهوم، ط.1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013م، ص 18-28. أنظر كذلك: Salluste: Œuvres complètes de Salluste, trad. Charle Durosoir, Librairie Garnier Frères, Paris, 1865, P.P.15-18.

8- محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالستيوس (86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة Bellum Jugurthinum، المصدر السابق، ص. ص 111-113.

ولم تشر المصادر التاريخية إلى وجود مترجمين لهم[1]، وأيضاً الملك غودا Gauda الذي حارب مع الرومان أثناء الحرب اليوغرطية، ويوبا الثاني Juba II فيما بعد، الذي كانت تربطه علاقات متينة مع أكبر الشخصيات الرومانية. كما سك هذا الأغليد نقوداً كتب على وجهها اسمه وصفته باللاتينية (الملك يوبا Rex Iuba)، ونفس الشيء قام به الأغليد الموريطاني بوغود Bogud (الملك بوغود Rex Bogut) (أنظر الشكل رقم 11، ص 58)[2]، وكلها تمثل أدلة تاريخية على معرفتهم وإتقانهم للغة اللاتينية.



عملة نقدية للملك بوغود عملة نقدية للملك يوبا الثاني

الشكل رقم 11: عملات نقدية للملك يوبا الثاني وبوغود (تصرف الطالب)، نقلاً عن: بوغود ويوبا الثاني، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط: https://ar.wikipedia.org، 2024/10/07م.

يضاف إلى ذلك؛ أن المدن النوميدية عرفت تواجد تجار وجاليات رومانية بالأخص في مدينة كيرتا Cirta. كما ضم الجيش النوميدي جنودًا رومان ضمن فرق الجند المأجور[3]، ومارست تلك الجاليات مختلف الأنشطة خاصة التجارية منها، ولها مصالح مختلفة في تلك المدن. وأن الجالية الرومانية في كيرتا كانت هي التي أمنت الدفاع عن هذه المدينة حينما حاصرها يوغرطة، وبعدما رأت أنه أصبح يشكل خطراً عليها وعلى مصالحها التجارية، قرروا الاستسلام له لأن هيبة الرومان في نظرهم ستضمن لهم الأمان والاحترام، فقد أشارت على آذربال أثناء صراعه مع يوغرطة، أن يرسل وفداً إلى روما لأنها ستضمن له الدعم والحماية.[4]

ما يلاحظ من خلال هذا السرد، أن اللغة اللاتينية كان وجودها محتشماً في بلاد المغرب قبل فترة الاحتلال الروماني، حيث كانت معروفة على مستوى الطبقات السياسية

1- بلقاسم رحماني: **"أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، العدد 2، جوان 2009م، (ص 1-26)، ص 305.

2- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.6، المرجع السابق، ص. ص 105-106. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.118.

3- بلقاسم رحماني: المرجع السابق، ص 305.

4- محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالستيوس (86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة Bellum Jugurthinum، المصدر السابق، ص. ص 104-105.

لمجتمع المغرب القديم، وفي أماكن محدودة مرتبطة بتواجد بعض الجاليات في بعض مدن بلاد المغرب القديم.

2- اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم بعد الاحتلال الروماني:

بعدما تمكن الرومان من توطيد وجودهم المباشر في المناطق الداخلية لبلاد المغرب القديم، الذي بدأ باحتلال قرطاجة سنة 146ق.م[1]، وسقوط نوميديا الشرقية سنة 46ق.م، لاحظت الإدارة الرومانية أنه إلى غاية القرن الأول بعد الميلاد كان التأثير الحضاري الروماني على المنطقة لم يكن عميقاً[2]، فعمدت إلى ضرورة الاهتمام بفرض الثقافة والحضارة الرومانية على أفراد مجتمع المغرب القديم عن طريق اللغة اللاتينية[3]، واستعمالها بصورة رسمية في المحاكم والأماكن العمومية والمراكز التعليمية والعلمية[4]، فطبقت سياسة الرومنة مزجت فيها بين القوة لمن يرفض ومنح الامتيازات والمكافآت لمن يرضخ. فمست جميع المجالات كالمجال الثقافي ومنه اللغة، وطبقت في جميع ولايات ومقاطعات الإمبراطورية الرومانية وخاصة بلاد المغرب القديم، بحكم موقعها الجيوستراتيجي؛ كالقرب الجغرافي والأهمية السياسية والاقتصادية والعسكرية للمنطقة.[5]

وكانت تلك السياسة محاولة من الإدارة الرومانية لجعل اللغة اللاتينية لغة رسمية في بلاد المغرب القديم من خلال جعلها لغة للإدارة والمعاملات الرسمية في جميع المؤسسات والمحاكم والمجالس البلدية وفرق الجيش وغيرها، وفي كل ما له علاقة مباشرة مع هذه الإدارة[6]، لأجل ذلك سنت قوانين جعلت من هذه اللغة لغة رسمية في مختلف مناطق النفوذ الروماني.[7]

كما امتدت تلك السياسة إلى المجال الثقافي لمحاولة نشر اللغة اللاتينية، خارج المراكز الحضرية إلى المجتمعات الريفية والبعيدة عن مؤثرات الثقافة والحضارة الرومانية، بحكم تمسك تلك المجتمعات بمقوماتها الثقافية الأصيلة ومنها اللغة. ونتيجة فشل هذا

1- Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit, P.P.124, 142.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 75.

3- رشيد الناضوري: تاريخ المغرب الكبير، المغرب الكبير 1، العصور القديمة أسسها التاريخية والحضارية والسياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م، ص 341.

4- محمد محي الدين المشرفي: بلاد المغرب القديم في العصر القديم، ط.4، دار الكتب العربية، لبنان، 1969م، ص 98.

5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 75.

6- المرجع نفسه، ص 77.

7- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 329.

الأسلوب الذي سلكه الاحتلال الروماني، قام بطرد كل الرافضين إلى خارج حدود النفوذ الروماني، إلى المناطق المعزولة والنائية كالجبال والصحاري.[1]

وبقوة السلاح وسلطة القانون؛ انتقلت المناطق الخاضعة للسيطرة الرومانية في بلاد المغرب القديم إلى الرومنة لغةً وثقافةً، ما دفعهم إلى التعامل باللغة اللاتينية خدمةً لمصالحهم وتفادياً للقمع خاصة مجتمعات المناطق الحضرية الكبرى والمدن، بسبب اتصالهم واحتكاكهم المباشر بالإدارات والمحاكم الرومانية والجيش الروماني.[2]

كما شكلت عقدة التفوق التي تميّز بها أفراد المجتمع الروماني، التي كانت وليدة الانتصارات التي حققوها على مجتمعات العالم القديم وخاصة مجتمع المغرب القديم. أفضل سند في عقولهم وباتت من المسلمات الغير قابلة للنقاش[3]، حيث كانوا يحتقرون الخصوصيات السوسيوثقافية للمجتمعات الخاضعة وخاصة مجتمع المغرب القديم، كهَيْأة أفراده واللغتين الليبية والبونية، فنعتوا المتمسكين بمقوماتهم الشخصية وهويتهم الأصيلة، بالجاهلين والمنحطين والمتخلفين[4]، أو كما يصطلح عليه تاريخياً بالبرابرة barbarus. فما كان الرومان ليتقبلوا أن تعوض ثقافتهم بثقافة أخرى ولغتهم بلغة أخرى حيث يقول أوغسطين في هذا الصدد حسب ما ورد عند جوليان: **"أنّ الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم المجتمعات لم تفرض عليهم سيطرتها السياسية فحسب، بل لغتها أيضاً".**[5]

بل والأكثر من ذلك فقد تعرض أفراد المغرب القديم المترومنين من الذين تميز لسانهم اللاتيني بطغيان اللكنة الليبية إلى التنمر والسخرية والازدراء من قبل أفراد المجتمع الروماني، مثل ما حدث للوكيوس أبوليوس حينما كان في روما ما دفعه إلى الاعتكاف على تصحيح أخطائه اللغوية[6]، وكذلك أوغسطين حينما احتقره وأهانه الأسقف الروماني جوليان الإيكلاني، والمضايقات التي تعرض لها من قبل طلابه حينما كان في روما.[7]

وعليه فمع بداية القرن الثاني للميلاد ظهرت نتائج سياسة الرومنة الثقافية، التي تمثلت في بروز نخب من كتاب وأدباء ومفكرين من مجتمع المغرب القديم الوثنيين أمثال:

1- Laraoui (A.): Op.cit, P.6.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 75.

3- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، المرجع السابق، ص 51.

4- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 329.

5- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.

6- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.268, 269.

7- Lakhlif (M.): Op.cit, P.P.25, 26.

لوكيوس أبوليوس وأولوس جيليوس Gellius Aulus وفرونطو Fronto الكيرتي[1] وكايليوس أوريليانوس Caelius Aurelianus ونونيوس مارسيلوس Nonius Marcellus وغيرهم، والمسيحيين أمثال: القديسين ترتوليانوس Tertullianus وكيبريانوس Cyprianus ولاكتانتيوس Lactantius وأرنوبيوس Arnobius وأوغسطين وغيرهم[2]، وكل واحد من هؤلاء ينتمي إلى فترة زمنية معينة أو متزامنين. وقد تبنت تلك النخبة الثقافة الحضارة الرومانية والتي كان مفتاحها اللغة اللاتينية[3]، فساهمت مساهمة فعالة في إثراء التراث اللاتيني، وسأتناول ذلك لاحقاً في فصل نخب المغرب القديم.

فقد تلاحم مختلف معتنقي الدين الجديد فيما بينهم من مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية من الرومان والمغاربة المترومنين والفئات المحرومة والفقيرة المنبوذة والعبيد، وأذابت الفوارق الطبقية التي ميزت المجتمع الوثني، فأصبح التعامل والرابط المشترك فيما بينهم هي العقيدة المسيحية ولغتها اللاتينية، رغم أن أغلبية الطبقات الدنيا تجهل هذه اللغة ولكنها تنصرت.[4]

ومع اعتناق الكثير من هؤلاء وخاصة نخب المغرب القديم المترومنة وتحولهم إلى رجال الدين المسيحي من أساقفة ورهبان، اعتمدوا منذ القرن الثاني للميلاد على اللغة الوحيدة التي تعلموها في المدارس لغةً للتخاطب مع مختلف الفئات الاجتماعية وإلقاء المواعظ الدينية والجدالات وتدوينها، لدعوة الأفراد والجماعات لاعتناق الديانة المسيحية[5]، ومعهم نشأ الأدب المسيحي اللاتيني، وقاموا بترجمة الكتب المقدسة من اليونانية والعبرية إلى اللاتينية، فكان نتاج ذلك تحول هذه الأخيرة إلى لغة للديانة المسيحية في غرب الإمبراطورية الرومانية، واشتهر معها الكثير من المفكرين المسيحيين من المغرب القديم[6]، أمثال: القديس ترتوليانوس الذي كانت له الأسبقية في تقديم ترجمة للكتاب المقدس باللغة اللاتينية[7]، وكيبريانوس في القرن الثالث للميلاد، ومن بعدهما القديس أوغسطين في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد[8]، بالإضافة إلى القديس أوبطاتوس الميلي Optatus Milév

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 206.
2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.102. P62.
3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 206.
4- المرجع نفسه، ص. ص 329-330، 351.
5- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 154.
6- المرجع نفسه، ص 149. Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.102.
7- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.
8- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص Monceaux (P.): les païens, P.102.149.

ودوناتوس الكبير Donatus وغيرهم، وبرز معها تيارين مسيحيين متجادلين التيار الكاثوليكي والدوناتي، حيث تحالفت الكاثوليكية مع السلطة وأثرياء المجتمع والدوناتية Donatismus مع الريفيين النوميديين، ولعب هذين التيارين دوراً مهماً في انتشار اللاتينية في وسط أتباعهم[1] دون أن تندثر الليبية تمامًا.[2]

إذن، فقد عرف مجتمع المغرب القديم اللغة اللاتينية في فترات سابقة للاحتلال الروماني بحكم العلاقات التي كانت تربط الممالك النوميدية المستقلة برومان خلال فترات السلم والحرب، وانتشار الجالية الرومانية في العديد من الحواضر ومدن المغرب القديم آنذاك. غير أن المعطيات تغيرت بعد سقوط المنطقة بيد الاحتلال الروماني وتطبيقه لسياسة الرومنة التي مست مختلف المجالات، والتي فرضت بموجبها اللغة اللاتينية على مجتمع المغرب القديم، فشهدت انتشارً واسعاً خاصة في مجال المعاملات الرسمية، والمجال العلمي والتعليمي، وزادت توسعاً وانتشارً مع الديانة المسيحية، فنتج عنها بروز نخب من بلاد المغرب القديم المثقفة بالثقافة اللاتينية وانتشار تداول اللغة اللاتينية.

المطلب الثالث: عوامل انتشار اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم

تفاعلت مجموعة من العوامل ساعدت في انتشار اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم؛ حيث تلقت هذه اللغة السند القانوني والإداري، فأصبحت لغة المحاكم والمداولات البلدية والمراسلات والمحادثات الرسمية والمجالس والقرارات والمراسيم والمذكرات والاتفاقيات[3]، فقد ساهمت الإدارة الرومانية في انتشار هذه اللغة في مدن الولايات والمقاطعات بتطبيقها النصوص القانونية اللاتينية مما حفز أفراد مجتمع المغرب القديم على تعلم هذه اللغة لفهم تلك القوانين وللتخاطب في شؤون الحياة العامة[4]، وأصبح كل فرد يشغل منصبًا أو يشارك في شؤون من أي حجم كانت، عليه أن يتحدث اللغة اللاتينية.[5]

سياسة الرومنة التي اتبعتها الإمبراطورية الرومانية في مختلف أقاليمها في بلاد المغرب القديم، والتي أقرت جملة من الشروط للارتقاء في السلم التراتبي الاجتماعي، والحصول على حق المواطنة الرومانية Civitate Romana أو اللاتينية، التي تخوّل لفئات

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2012م، ص. ص 341، 360، 372.

2- Lakhlif (M.): Op.cit, P.25-26.

3- Albertini (E.): Op.cit, P48.

4- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 263.

5 -Albertini (E.): Op.cit, P47.

مجتمع المغرب القديم الخروج من دائرة المهزومين وإيجاد حلول لمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، تلك السياسة التي استهدفت خاصة الفئات الأرستقراطية من مجتمع بلاد المغرب.[1]

وبفعل إلزامية استعمال اللغة اللاتينية في النظم الإدارية والاقتصادية، وخاصة القانونية التي أقرت جملة من الشروط للحصول على حق المواطنة[2]، التي من شروطها اتخاذ الاسم الثلاثي الروماني Tria Nomina المنصوص عليه في قانون الحالة المدنية الرومانية الذي يسمح بالاندماج الكلي في ثقافة المجتمع الروماني[3]، لذلك مع القرن الثاني للميلاد انتشرت الأسماء اللاتينية في أوساط أفراد مجتمع المغرب القديم حتى أصبح لا يفرق بين أحفاد المستوطنين الرومان والمترومنين، وتضاءلت بالمقابل الأسماء الليبية والبونية ونقلت الكثير منها[4]، أو ترجمت إلى اللغة اللاتينية أو أخضعت للنطق اللاتيني[5]، وهناك الكثير من النقوش اللاتينية التي بينت ذلك، وخاصة التي تشير إلى نسب وانتماء الشخص الوارد ذكره فيها، ومن المصطلحات التي كانت توظف هي كلمة: بربروس Barbarus، وبونيكا Punica وبوني، والملاحظ أن أغلب النقوش تسبقها ذكر قبيلة كويرينا Quirina.[6]

ومن الواضح أن الرومان شجعوا أفراد مجتمع المغرب القديم على التعليم، وعلى كل ما يمكن أن يربطهم بالثقافة والحضارة الرومانية، ليصبحوا أقل بربرية وأكثر استنارة ومعرفة للقراءة والكتابة باللغة اللاتينية على حد تعبيرهم، ولكن ليصبحوا أكثر وأسهل خضوعًا[7]، ومن أجل التفكيك الثقافي والاجتماعي لمجتمع بلاد المغرب القديم[8]. ورغم أن الإدارة الرومانية لم تسعى إلى تعميم التعليم وتركت الإشراف عليه للبلديات وأثرياءها[1]، لكنها أقرّت

1- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، المرجع السابق، ص. ص 84-95.

2- بلقاسم رحماني: المرجع السابق، ص 306.

3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 273.

4- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 149.

5- عبد المنعم المحجوب: معجم تانيت، المرجع السابق، ص 23.

6- مثل النقيشة رقم: 1868، لشخص يدعى غايوس يوليوس من كيرتا، وتذكر أنه بربري Barbarus، وكان كويستور وأيديل، ومحتواه ما يلي: (C(aius) Iulius, C(aii) fil(ius), Quir(ina tribu), Barbarus, quaest(or), aed(ilis), statuam, quam ob honorem aedilitatis pollicitus est, sua pecunia posuit. L(ocus) d(atus) d(ecreto) d(ecurionum). بالإضافة إلى النقيشة رقم 1887، التي ذكرت مجموعة من النساء من كيرتا، ومنهن سيريلا Cyrilla على أساس أنها بونية، وسأكتفي بذكر جزأ من النقيشة (Sat(urnina) , Cyrilla , quae et Punica Iulia Potita , Minucia). ينظر: Renier (L.): I.R.Alg., X, P.P.231, 234.

7- Boissier (G.): Op.cit, P.269.

8- علي أحمد شعبان: المرجع السابق، ص 355.

1- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.

جملة من الإجراءات كمنح الإمتيازات والإعفاء الضريبي تسهيلاً لفتح المدارس وتنظيم التعليم[1]، ودعم المعلمين والأساتذة المتميزين[2]، لذلك لعب معظم المعلمين والأساتذة دوراً هاماً في نشر اللغة اللاتينية بين التلاميذ والطلبة[3]، وكان يشترط على المتعلمين المغاربة أن لا يُدخِلوا الألفاظ والكلمات من لغتهم الأصلية إما الليبية أو البونية إلى اللغة اللاتينية والتركيز على تعلمهم للاتينية دون شوائب[4]، ما دفع ببعض فئات مجتمع المغرب القديم إلى تعلم هذه اللغة خاصة سكان المناطق الحضرية أو المحتكين بالرومان، وظل أغلبهم إما لا يجيدها أو لا يتقنها أو يجهلها تماماً، وبقي على لغته الأصلية خاصة اللغة الليبية[5]، وهذا ما دفع بأوغسطين إلى الإشارة أن معظم المكونات الديمغرافية لمجتمع بلاد المغرب كانت تتحدث اللغة الليبية من خلال قوله المشار إليه سابقاً: **"إننا نعرف في أفريقيا معظم القبائل الليبية بلغة واحدة".**[6]

غير أن الذين تعلموا اللغة اللاتينية كانوا من الفئات الاجتماعية المترومنة الغنية منها والفقيرة[7]، من الحضر أو الريف والمجندون والعمال والذين تربطهم مصالح مع الرومان أو تلقوا تعليماً رومانياً، كانوا يشكلون أقلية قليلة. وكان الدافع وراء ذلك؛ السعي من أجل تحقيق المنافع المادية والعلمية والحصول على الوظائف، فقد كانت اللاتينية لغة المعاملات التجارية والسياسية والإدارية ولغة التعليم والعلم والمعرفة.[8]

وباعتبار أن الجيش كان يشكل وسيلة من وسائل الرومنة[9]، فقد دعمت الخدمة العسكرية بشكل فعال لانتشار اللغة اللاتينية في أوساط المجندين من بلاد المغرب القديم ومنه إلى باقي أفراد المجتمع، حيث كانت لغة مفروضة على مجندي المغرب القديم[1] في

1- Boissier (G.): Op.cit, P.270.

2- Carcopino (J.): Daily Life in Ancient Rome: The People and the City at the Height of the Empire, Translated fro by E. O. I., George Routledge & Sons, LTD, London, (s.d), P.104. Id.: la vie quotidienne a Rome à l'apogée de l'empire, librairie hachette, Paris, 1939, P.129.

3- Talbot (F.): Apprendre et enseigner en Afrique proconsulaire, l'éducation classique et la vie municipale africaine, du second siècle a la fin du monde antique, mémoire présente pour l'obtention du grade de maitre et arts (M.A.), département d'histoire, faculté des lettres, université aval, Québec, Canada, 2007, P.21.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.51.

5- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 263.

6- Ghaki (M.): Op.cit, P.18. Bates (O.): Op.cit., P.79.

7- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 151.

8- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 344.

9- Laraoui (A.): Op.cit, P.36.

1- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 269.

الجيش الروماني، وخاصة من المناطق الأكثر مقاومة للحضارة الرومانية[1]، إما بالتطوع أو بالإجبار أو بالإلزام، فقد كان المجند يمضي 20 سنة أو أكثر قد تصل إلى 25 سنة خدمة في الجيش الروماني خلال العهد الإمبراطوري، بعدما كانت ستة عشرة في العهد الجمهوري[2]، فكان المجند يستغرق مدة طويلة في الخدمة العسكرية[3]، ومن أمثلة ذلك المقاوم النوميدي تاكفاريناس Tacfarinas الذي عمل ضمن الجند المساعد، وقاد مقاومة دامت سبعة سنوات من خريف عام 17م إلى بداية سنة 24م[4]، ما سهل عليهم إتقان وفهم والتخاطب بهذه اللغة.

كما ساهمت المرافق الثقافية والاجتماعية من أماكن التسلية والترفيه كالمسارح ومدرجات الألعاب والحمامات وساحات الفوروم والمدارس والمكتبات والأسواق والمعابد في انتشار اللغة اللاتينية، من خلال التمثيليات المسرحية وألعاب المصارعة والمناقشات والحوارات، وإنشاد القصائد الشعرية ورواية القصص وإلقاء الخطب الرسمية من قبل الخطباء، وكل ذلك كان يتم باللغة اللاتينية[5]، ولنا في خطابات لوكيوس أبوليوس في القرن الثاني للميلاد والتي ألقاها في مادوروس وقرطاجة وأويا وغيرها كمثال.

وكان للديانة المسيحية وتطورها مساهمة مهمة في انتشار اللغة اللاتينية، إذ تعتبر اللغة الوحيدة التي اعترفت بها الكنيسة الأفريقية في طقوسها الدينية[6]، وخاصة أنها انتشرت في وسط الفئات الاجتماعية الدنيا والبسيطة التي كانت تعتبرها ملاذاً يخلصها من مشاكلها التي كانت تعاني منه في ظل المنظومة الوثنية[7]، فمنذ القرن الثاني للميلاد أصبح رجال الدين المسيحي يعتمدون على اللاتينية لمخاطبة أفراد مجتمع المغرب القديم، واعتمدوا على مترجمين فوريين في ذلك مثل ما أشار إليه أوغسطين عند حديثه عن سكان الريف

1- Albertini (E.): Op.cit, P.48.

2- الطيب بوساحة: **"نشأة وتطور الجيش الروماني من العهد الملكي إلى الإمبراطوري (التركيبة والتجنيد)"**، مجلة الإحياء، مج.21، العدد 1، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، الجزائر، جانفي 2021م، (ص 895-906)، ص. ص 897-898. نورة مواس: **"التجنيد عند الرومان أوائل العهد الإمبراطوري الثاني"**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.5، العدد 2، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، 2021م، (ص 41-51)، ص 44.

3- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 19، ص 23.

4- Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit, P.320.

5- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 343. شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 269.

6- Gsell (S.): l'Algérie dans l'antiquité, Typographie Adolphe Jourdin, Imprimeur, Libraire, Editeur, Alger, 1903, P.80.

7- الربيع عولمي: المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ج.1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ القديم، جامعة باتنة 1، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، باتنة، 2016/2015م، ص. ص 283-239.

الهيبوني- أشرت إلى ذلك سابقًا-، وتم ترجمة الكتب المقدسة إلى اللاتينية لأول مرة في البروقنصلية[1]، وقد يكون ذلك دافعاً إلى جمعها فيما يعرف بالفولغاتا Vulgate من قبل القديس جيروم أواخر القرن الرابع للميلاد[2]. ونشأ ببلاد المغرب القديم الأدب المسيحي باللغة اللاتينية. ومنها أصبحت لغة الديانة المسيحية في غرب الإمبراطورية الرومانية، واشتهر مفكرين مسيحيين كثر كتبوا باللاتينية أذكر منهم: القديس ترتوليانوس في القرن الثاني للميلاد وكيبريانوس في القرن الثالث للميلاد وأوبطاتوس Optatus في القرن الرابع للميلاد ومن بعدهما القديس أوغسطين في أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس للميلاد.[3]

إن اندماج نخب المغرب القديم في الحضارة الرومانية وتبنيهم للغة اللاتينية، نتج عنه التخلي التدريجي عن ثقافتهم الأصيلة وعلى رأسها اللغتين الليبية والبونية، ورغم استمرارهما إلى ما بعد زمن أوغسطين، لكنهما فقدتا مكانتهما بعد ترومن تلك النخب التي أدركت أن مصالحها مرتبطة بالسلطة الرومانية، وأصبحت منذ بداية القرن الثاني تربطها علاقات مهمة مع الرومان، فكان تبني طرق الحياة الرومانية وتعلم وإتقان اللغة اللاتينية من الوسائل التي عبرت بها تلك النخب عن مدى التزامها بالقيّم السوسيوثقافية للحضارة الرومانية.[4]

وعلى الرغم من حرص المجتمع الروماني على نشر اللغة اللاتينية بالسند السياسي والقانوني، لكنها لم تستطع أن تحل محل اللغات المحلية الليبية والبونية، فبقيت اللاتينية بعيدة عن عامة أفراد المغرب القديم[5] بنسب متفاوتة، فمنهم من تعلمها ومنهم من جهلها تماماً. وحتى الذين أتقنوها؛ التي بفضلها تقمصوا مناصب عليا في الإدارة الرومانية[6]، قاموا بتكييفها وفقاً لنمط تفكيرهم وخيالهم وقربوها من لغتهم الأصلية[7]، وأذكر هنا أن الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس وهو أصيل لبتيس ماغنا كانت تطغى عليه اللكنة الأفريقية إلى فترة

1- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 154.

2- إلى غاية القرن الرابع للميلاد كثرت ترجمات عن الكتاب المقدس (الإنجيل) باللغة اللاتينية، ما دفع بالبابا دماسيوس إلى تكليف القديس جيروم إلى إنجاز نسخة أساسية عرفت بالفولغاتا مع أواخر هذا القرن. ينظر: الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس، الفولجاتا، فولغاتا، موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي، الرابط: https://st-takla.org/P-1_.html، 2024/09/07م.

3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.102.

4- Tlili (N.): "Les bibliothèques en Afrique romaine", Op.cit, P.167.

5- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص 292.

6- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 264.

7 -Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.100.

شيخوخته، وأخته كانت أسوء منه حينما ذهبت إلى روما فلم تكن تتقن الحديث باللاتينية[1]، ولم ينسوا ولم يتخلوا عن انتمائهم وبقوا متمسكين بهويتهم الأصيلة، ويتضح ذلك من خلال التصريح الذي صرح به فرونطو الكيرتي الذي قال أنه: **"ليبي من بين الليبيين النوميد"**[2]، والخطاب الذي ألقاه لوكيوس أبوليوس في مادوروس بقوله: **"أهلي النوميد أهلي الجيتول"**[3]، ويصف نفسه أنه نصف نوميدي ونصف جيتولي[4]، وقال عنه أوغسطين: **"أبوليوس إذا أردنا الحديث عنه فقط لأنه أفريقي مثلنا.."**، ويتضح من هذا القول أن أوغسطين كان يفتخر بهويته وانتمائه الأفريقي[5]، كما تحدث مينوكيوس فليكس Minucius Felix في الكثير مؤلفاته عن تاريخ بلاد المغرب القديم – حسب ما أشار إليه م. لح. بشاري.[6]

وبالنسبة للنقوش اللاتينية المكتشفة في بلاد المغرب؛ التي توضح حجم انتشار هذه اللغة، فقد أحصت الدراسات الأثرية خمسون ألف نقش لاتيني، مكتشفة في البروقنصلية بدرجة أكثر ثم في مقاطعة نوميديا وبالأخص في جزئها الشرقي، و850 نقيشة مكتشفة في الموريطانيتين وبالأخص الطنجية، أي أن النقوش مرتكزة في المثلث الشمالي الشرقي لبلاد المغرب القديم وتشكل ثروة مصدرية مادية مهمة (أنظر الخريطة رقم 4، ص 68)[7]، فمثلاً: تم إحصاء حوالي 126 نقيشة لاتينية في سوق أهراس، و18 أخرى في دوقا، و107 نقيشة في كل من قالمة والمغرب[8]، وتلك النقوش التي اكتشفها الباحثون على نسب متفاوتة في كتابتها من حيث الإتقان والازدواجية؛ وهي كما يلي:

1/ نقوش لاتينية متقنة ومحكمة الشكل والمضمون؛ حيث تم إحصاء ستمائة من تلك النقائش، وهي ثرية ومتنوعة كالنقوش البلدية بثاموقادي وكويكول Cuicul (جميلة) ونقوش مادوروس (مداوروش) وكيرتا (قسنطينة) ولمباز (تازولت) وثوبروسيكوم (خميسة) وتيفاست

1- Gautier (E.-F.): Op.cit, P.120.

2- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005م، ص 349.

3- Apulée: Apologie, trad. M. Victor Bétolaud, Garnier Frère Librairie Editeur, Paris, 1836, remacle, T.II.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.266.

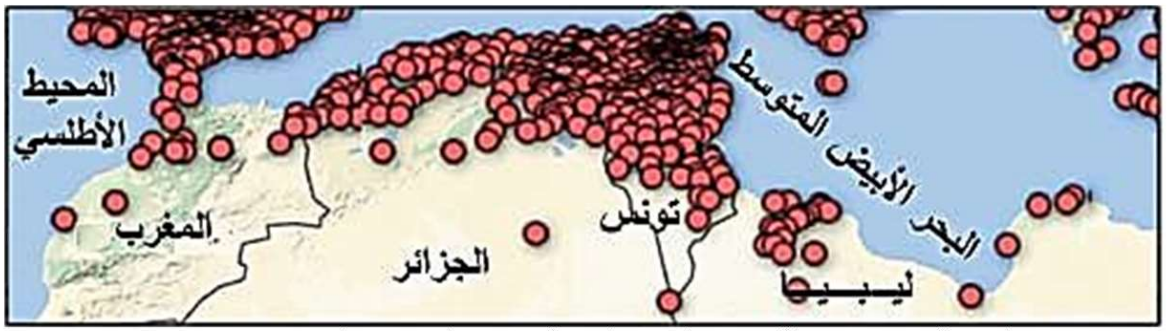
5- Lakhlif (M.): Op.cit, P.27.

6- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 42.

7- عبد النور العمري: **"دراسة عامة للنقوش اللاتينية: أصنافها، مجالاتها وقيمتها المصدرية في كتابة تاريخ المغرب القديم"**، مجلة عصور، مج.19، العدد 2، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2020م، (ص 10-27)، ص. ص 10-27.

8- Bénabou (M.): Op.cit, P.481.

(تبسة) وستيفيس (سطيف)... وغيرها، وقد ذكر الكثير منها رونيي Renier في I.R.Alg[1]، وكذا النقوش المنتشرة في البيزاسان (المزاق) وتريبوليتانيا (طرابلس) منها التي ذكرها ألفريد ميرلين A. Merlin في I.L.T مثل نقوش بوغارا Bou-Ghara (Gigthis) بالجنوب التونيسي، وهنشير ثينا Henchir-Thina (Thaenae)، والجم El-Djem (ثيسدروس Thysdrus)[2]، وفي مجملها ذات لغة سليمة نحواً وصرفاً وبنصوص كاملة واضحة المعاني ثرية الأفكار وجيّدة التحرير، وذات أسلوب رفيع وراقي ودقيق، وتوحي إلى المستوى العالي الذي كانت عليه اللغة اللاتينية[3]، وما سلامة لغة هذه النقائش وترديدها في المرثيات épitaphes إلا دليل على المستوى الرفيع الذي بلغته المدارس التعليمية في بلاد المغرب القديم.[4]



الخريطة رقم 4: خريطة تمركز النقوش اللاتينية في بلاد المغرب (بالتصرف)، نقلا عن:
Palermo (P.): "Words of power. Latin inscriptions and the Roman borderland in Mesopotamia (2nd-3rd c. CE)", openedition books, URL: https://books.openedition.org, Vu: 07/09/2024.

2/ نقوش لاتينية غير محكمة اللغة؛ فرغم أن استخدام اللاتينية كان أكثر شيوعاً، إلا أن الكثير من أفراد مجتمع المغرب القديم كانوا ينطقونها بشكل سيء واستخدموا تعبيرات غير صحيحة مستعارة من تعبيرات قديمة، حيث ظهرت الكثير من النقوش المدونة مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية[5] وركيكة الأسلوب وسيئة الخط، بسبب الأخطاء اللغوية التي احتوتها، مما يدل على عدم تلقي أصحابها القدر الكافي من التعليم[6]، أو كما أشار بول مونصو إلى أن اللاتينية في بلاد المغرب القديم قد تطورت بشكل منفصل عن نظيرتها في

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، المرجع السابق، ص 474. Renier (L.): I.R.Alg.

2- Merlin (A.): I.L.Tun., Presses Universitaires de France, Paris, 1944, P.P.3-15-19.

3- جيلبار شارل بيكار: حضارة شمال أفريقيا (تريبوليتنانيا- البروقنصلية- نوميديا- موريطانيا) خلال الفترة الرومانية، تر. وتح. وتع.: العربي عقون، ط1، دار المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020م، ص 296.

4- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 154.

5- Gsell (S.): Alg.Anti., Op.cit, P.80.

6- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 264.

روما وتأثرت باللغتين الليبية والبونية والخطاب الاجتماعي المحلي[1]، وقد ذكر عالم الآثار والرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان Heinrich von Maltzan بعض تلك النقوش المكتشفة في قسنطينة وكمثال على ذلك ما ورد في هذه النقيشة التي أشار إليها ذات الكاتب لزوجة تدعى أوريليا Aurelia ما نصها:

Casta pudica fui, Mnesitheona marito nati In fide qua potui, aurelia conjux Qui mecum sine lite fuit, vixit que marito, Natos amavit una mecum et laus referenda Rogatione tibi, vixi festinans viveres semper.

ولغتها تمتاز بالركاكة ومعناها: كنت عفيفة ومتواضعة يا منيسيثيونا، ولدت لزوج، وفي الإيمان استطعت يا أوريليا، الزوجة التي كانت معي بدون شجار، وعاشت مع زوجها، وأحبت أطفالها معي ومعك، ومع الثناء الذي يُقدم لك، عشت في عجلة، أدعو أن تعيش دائمًا.[2]

وهذه النقوش اللاتينية تزيد وتتناقص في العدد، حسب أهمية المنطقة تاريخيًا، فيعتبر موقعي شمتو Chemtou بالبروقنصلية وتبسة Tébessa بنوميديا ذا أهمية كبيرة، حيث تم العثور في شمتو على نقوش تصل إلى حوالي 200 نقيشة، وفي تبسة عثر على 460 نقيشة وثنية، معظمها صندوقيات نصف أسطوانية تمثل شواهد قبور لفئات البسطاء والفقراء من المجتمع.[3]

3/ نقوش مزدوجة ليبية لاتينية[4] وبونية لاتينية؛ داخل المدن الرومانية أو بالقرب منها[5]، وهي نتاج فرض اللغة اللاتينية كلغة رسمية في بلاد المغرب القديم، وظهور الازدواجية اللغوية في أوساط أفراد مجتمع المغرب القديم، الذين حافظوا على لسانهم اللوبي أو البوني، وأصبحوا يتكلمون في حياتهم الأسرية والعائلية وحتى القبلية بلسانهم الأصيل، واللاتينية في شؤون الحياة العامة[1]، وأذكر هنا بعض النقوش المزدوجة كنقوش الشافية التابعة لولاية

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.105-106.

2- Maltzan (H. V.): Drei Jahre im Nordwesten von Afrika : Reisen in Algerien und Marokko, Verlag der Dürr'schen Buchhandlung, Leipzig, 1863, P.31.

- هناك اختلاف بين النقيشة الواردة في كتاب هاينريش فون مالتسان المترجم إلى اللغة العربية، والنسخة الأصلية باللغة الألمانية، حيث أن نص النقيشة المترجم بالعربية محتواه كما يلي: (من دواعي غبطتي أن زوجي لا يخيب لي رجاء، ولا يخاصمني أبدًا. وكل تصرفاته تشهد له بالعفة والاستقامة، وكم من امرأة تتمنى أن يكون لها زوج، مثل زوجي الحبيب، تطمئن وتسكن إليه أبداً)، ينظر: هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا، ج.3، تر.: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 39.

3 - عبد النور العمري: المرجع السابق، ص. ص 10-27.

4- Faidherbe (G.): C.C.I.N (libyques), P.9.

5- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 264.

1- Faidherbe (G.): C.C.I.N (libyques), P.P.11-12.

الطارف المكتوب باللغة الليبية واللاتينية، ونقوش رأس الحداجة الذي عثر عليه بمنطقة ترهونة ونقوش وادي العامور[1]، وهي جملة النقوش التي تشير إلى وجود فئات حافظت على لسانها الأصيل وتعلمت اللاتينية وأصبحت مزدوجة اللغة، كما تدل أيضاً على مدى انتشار اللغة اللاتينية رغم ركاكتها[2]، وفشل هذه الأخيرة في القضاء على اللغتين الليبية والبونية.

لقد تفاعلت مجموعة من العوامل ساهمت في انتشار اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم، والمتمثلة في سياسة الرومنة وحق المواطنة وانتشار التعليم والمرافق الثقافية والخدمة العسكرية والديانة المسيحية، كما توضح خريطة توزع النقوش اللاتينية رغم تنوعها من النقوش المتقنة إلى الركيكة إلى المزدوجة لاتينية- بونية ولاتينية- ليبية، حجم انتشار هذه اللغة في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني. لذلك نجد أن ببروكبيوس قد أشار إلى أن أفراد مجتمع بلاد المغرب القديم كانوا مترومنين خلال هذه الفترة، حيث قال: **"جميع الليبيين كانوا رومان في العصور القديمة".**[3]

وخلاصة هذا كله؛ يمكنني القول أن بلاد المغرب القديم شهدت وخلال فترة الاحتلال الروماني، رباعية لغوية والمتمثلة في: الليبية والبونية والإغريقية والليبية، حيث استمرت اللغة الليبية في التداول في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم على مستوى الأسرة والعائلة وبالمدن والأرياف وخارج الحدود الحضرية، بينما انحصرت اللغة البونية في مناطق نفوذها في بعض الأرياف والمدن الساحلية، أما الإغريقية وبصفتها لغة الفلسفة والأدب والطب وغيرها من العلوم، ورغم السياسة اللغوية الرومانية، إلا أنها سادت في المجال العلمي والفكري، وتبنتها النخب المتعلمة. وبالنسبة للغة اللاتينية وبسبب تلقيها للسند القانوني والسياسي فقد انتشرت بشكل واسع في بلاد المغرب القديم بصفتها لغة رسمية ولغة المؤسسات الإدارية والمعاملات الرسمية والجيش والتعليم والعلم والديانة المسيحية، وتركت بصمات واضحة وذلك ما يوضحه حجم انتشار النقوش اللاتينية في بلاد المغرب القديم.

1- Chabot (J.B.): R.I.L, P.P.38, 39, 40, 46, 48, 61, 69.

2- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص.ص 260-261.

3- Procopius: Op.cit., III, XX, 21 à 3.

الفصل الثاني

انتشار التعليم في بلاد المغرب القديم ونتائجه

المبحث الأول: التربية والتعليم في بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: تطور التعليم عند المجتمع الروماني

المطلب الثاني: مراحل التنشئة والتعليم في بلاد المغرب القديم

1- مرحلة الحضانة

2- مرحلة الليتيراريوس

3- مرحلة الغراماتيكوس

4- مرحلة الريطوريكا

المبحث الثاني: المدارس التعليمية في بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: الهياكل والوسائل المدراسية

1- الهياكل المدرسية

2- الوسائل والأدوات المدرسية

المطلب الثاني: المناهج الدراسية والعقوبات والإجازات

3- المناهج الدراسية

4- العقوبات والإجازات

المبحث الثالث: نتائج التعليم في بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: أثر التعليم الروماني على مجتمع المغرب القديم

المطلب الثاني: ظهور النخب المثقفة في المغرب القديم

المطلب الثالث: تطور اللغة اللاتينية

الفصل الثاني: انتشار التعليم ونتائجه على مجتمع بلاد المغرب القديم

إن ظاهرة التربية والتعليم هي ظاهرة ثقافية معروفة لدى المجتمعات الإنسانية، وهو نمط متبع من أجل التنشئة الفكرية والعلمية للناشئة؛ ومجتمع بلاد المغرب القديم كغيره من تلك المجتمعات، قد عرف تلك الظاهرة الثقافية خلال فترة الاحتلال الروماني، ونتيجة لفرض هذا الاحتلال لأنماطه الثقافية في إطار سياسة الرومنة، فقد قلد النموذج التعليمي الروماني، وعرفت الظاهرة التعليمية خلال ذلك مراحل تتوافق مع مراحل نمو الناشئة من مرحلة الصبا إلى فترة الشباب، كما برزت معها مدارس مخصصة لممارسة النشاط التعليمي، وفق مناهج دراسية متدرجة حسب ما تقتضيه كل مرحلة، موظفةً وسائل وآليات لتسهيل سيرورة العملية التعليمية التعلمية، كما أفرز انتشار التعليم أثراً ونتائج على مجتمع المغرب القديم واللغة اللاتينية، وهذا ما سأتناوله بالدراسة في هذا الفصل.

المبحث الأول: التربية والتعليم في بلاد المغرب القديم

أولى مجتمع بلاد المغرب القديم أهمية بالغة لنشاط التربية والتعليم خلال فترة الاحتلال الروماني، من أجل التنشئة الجيدة للأبناء والرقي بهم في السلم التراتبي الاجتماعي والحصول على وظائف سامية في الإدارة الرومانية، لذلك فقد عرف هذا النشاط مجموعة من المراحل، فما هي؟ وما طبيعة كل مرحلة؟. وهذا ما سأتناوله في هذا المبحث.

المطلب الأول: تطور التعليم عند المجتمع الروماني

لدراسة طبيعة التعليم في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، أرى أنه من الضروري إعطاء لمحة عن التعليم وتطوره عند المجتمع الروماني. وعليه وكما أشرت في فاتحة هذا الفصل، أن الظاهرة التعليمية ظاهرة اجتماعية إنسانية، فقد عرفها المجتمع الروماني كذلك كغيره من المجتمعات، وبما أن هذا المجتمع كان متأثراً بمؤثرات الثقافة والحضارة اليونانية، التي عرفت نوعين من التربية، وهما: التربية الاسبرطية ذات الطابع العسكري ولا تهتم بالثقافة والفكر، والتربية الأثينية التي كانت تحاول التوفيق بين العناية الجسدية والفكرية، لذلك ساد النوع الأول في عهد الجمهورية حتى غزو اليونان[1]. أما في العصر الإمبراطوري خاصة بعد فترة حكم قيصر César[2]، فسادت التربية الأثينية، مع

1- عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 85.

2- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.140. Id.: D.L.A.R., Op.cit., P.115.

نزعة ظاهرة إلى تقديم التربية الأدبية والخطابية[1]، وذلك طبعاً لتحقيق التوازن بين الأسلوبين، التربية الجسدية والتربية الفكرية.

وكان من نتائج الحروب التوسعية على بلاد اليونان أن حدثت ثورة ثقافية في المجتمع الروماني، أحدثت تغييراً عميقاً في طبيعة عقلية أفراد هذا المجتمع، التي أدت إلى فتح أبواب روما أكثر من ذي قبل على الثقافة الوافدة من بلاد اليونان، فقد أدى احتلالها من قبل الرومان في سنة 148ق.م إلى نزوح الكثير من علماء ومفكري وفلاسفة اليونان إلى روما، فنهل الكثير من أفراد المجتمع الروماني من المعارف والعلوم المختلفة والمتنوعة لهؤلاء الأساتذة اليونان وحكمتهم.[2]

لقد أُنشئت في روما أول مدرسة للتعليم في حوالي 250ق.م، وقبل ذلك لم يكن فيها مدارس لتعليم النشء في تلك الفترة، لأن المجتمع الروماني اعتبر أن التعليم من واجبات المرأة، حيث كانت تتمتع الأم الرومانية Mater familias أو Matrona بمقام رفيع ومكانة بارزة في الأسرة، وتحظى باحترام أفرادها، وتجيد القراءة والكتابة، فكانت تشرف على شؤون بيتها من قاعة البيت الرئيسية الأتريوم Atrium، حيث تسهر على تربية وتعليم أولادها في فترة الصغر(أنظر الشكل رقم 12، ص 73)، وتغرس فيهم القيّم النبيلة والمثل العليا من شجاعة وإخلاص وعفة، وتعلم بناتها الغزل والنسيج والخياطة وإدارة شؤون البيت[3]، حتى يضطلعون بالمسؤوليات المنوطة إليهم حينما يكونوا رجالاً ونساءً.

وكان من عادات المجتمع الروماني، عندما يولد الطفل يوضع على الأرض أمام الأب، فإذا كان ذكرًا ويريد الاعتراف به وقبول تربيته وتنشأته يحمله، وإذا كانت أنثى فلا يلتقطها ويأمر إحدى النساء سواءً زوجته والخادمة، بإطعامها، وإذا لم يرغب الأب في قبول الطفل ذكراً أو أنثى لأي سبب من الأسباب فيتركه على الأرض ويهجره.[4]

ولقد كانت الأم في الأسرة الرومانيّة موضع محبّة واحترام أولادها لما تغدقه عليهم من قيّم الحب والحنان والرحمة والمودة، وتقديراً من أبنائها لما بذلته من تضحية وعناء في سبيل

1- عبد الله عبد الدايم: المرجع السابق، ص 85.
2- أحمد محسن الخضر وآخرون: نحن ومسألة الأسرة (الأسرة في الحضارتين الشرقية والغربية)، ج.1، تق. وتح.: الشيخ حسن أحمد الهادي، سلسلة استراتيجيات معرفية 6، ط.1، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف، العراق، 2021م، ص 226.
3- أحمد محسن الخضر وآخرون: المرجع السابق، ص 208.
4- Aldrete (G. S.): daily life in the roman city Rome, Pompeii, and Ostia, Greenwood Press, London, 2004, P.62.

تربيتهم والسهر على صحتهم ورعايتهم[1]، من أمثال كورنيليا Cornelia والدة الأخوين غراكوس Gracchus (تيبريوس وغايوس)، وأوريليا Aurelia والدة قيصر César وآتيا Atia والدة أوكتافيوس أوغسطس Octavius Augustus[2]، وكانت الأمهات الغنيات يشترين عبيداً لتكلفهم بمهمة تربية أبنائها.[3]



الشكل رقم 12: الأم تعلم طفلها (لوحة جدارية من بومبي)، نقلا عن:
L'école dans l'antiquité Romaine, La toge et le glaive, URL: http://latogeetle glaive.blogspot.com, Vu: 05/11/2024.

ورغم ذلك فأشير إلى أن الرومان يعتقدون أنه ليصير الأطفال أقوياء حينما يكبرون، يجب عدم المبالغة في التعامل معهم بلطف، وأن يستحموا بالماء البارد وعدم الاستحمام بالماء الدافيء خوفاً من أن يجعلهم ذلك طريين.[4]

وما إن يصير الأبناء شباباً حتى يتولى الوالد تعليمهم الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب والألعاب الرياضية من جري وسباحة وملاكمة ومصارعة واستخدام للأسلحة المعروفة آنذاك، وتعليمهم قواعد المحافظة على النظافة وآداب السلوك العام والخاص وتاريخ بلادهم وميثولوجيات أبطالهم[5]، وذلك ما قام به الأرستقراطي الروماني الصارم كاتون الكبير Caton l'Ancien مع أبنائه، حيث كان يتباهى بأنه علم أبنائه القراءة والكتابة والسباحة

1- أحمد محسن الخضر وآخرون: المرجع السابق، ص 210.
2- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.103. كورنيليا أشار إليها يوفينال ضمن قصائه الشعرية، ينظر: Voir: Juvenalis: Juvenal and Persius, printed for A. Watson, Capel-Street, Dublin, 1822, Sat.VI,101.
3- Id.: V.QU.R.A.E., Op.cit., P.128.
4- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.62.
5- إبراهيم أيوب: التاريخ الروماني، ط.1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996م، ص 94-95.

والمبارزة[1]، وهذا ما كان مطلوباً قبل أن يتطور التعليم عند الرومان[2]، إذ كان كل والد معلمًا لطفله حسب ما نقله كاركوبينو عن بيلينوس.[3]

وليكتسب الأولاد الخبرة كان على الأب إصطحابهم معه أثناء أداء أعماله اليومية، فيتدربون على الأعمال الزراعية والحرفية، ويتعرفون على أساليب الحياة العامة كأداء الطقوس الدينية وتقديم القرابين والأضاحي للآلهة، وحفظ أيام الأعياد الرسمية والعطل، ونمط الإجراءات المتبعة في الجمعيات الشعبية عند الإنتخابات وإصدار التشريعات والنظر في الأحكام، واختصاصات الحكام على اختلاف درجاتهم، وعقود البيع والشراء وانتقال الملكية وغيرها من المسائل والقضايا السياسية والقانونية. فما إن يبلغ الأبناء سن الرشد حتى يكونوا قد اكتسبوا بعض المهارات والمؤهلات التي تجعلهم يضطلعون بالمسؤولية وممارسة الواجبات والحقوق الدستورية على أكمل وجه، ويبدأ ذلك منذ بلوغ سن الثامنة عشرة، السن التي يصبح الفرد من المجتمع الروماني مؤهلاً للدخول كعضو في الجمعية الشعبية أو الخدمة العسكرية التي يقضي فيها أكثر من عشر سنوات[4]، ففي العصر الجمهوري كانت في حدود الستة عشرة سنة، أما العصر الإمبراطوري فما بين 20 سنة إلى 25 سنة.[5]

وكان هدف المجتمع الروماني من التربية والتعليم، تكوين النشء وإعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين يتسمون بسماة الرجولة والجدّ والبساطة والصلابة والقناعة والطاعة والدأب على العمل، والحفاظ على سنن الآباء وأداء الواجبات نحو آلهتهم بتعظيمها وتمجيدها وإقامة الشعائر الدينية في مواعيدها، ونحو مجتمعهم بالحفاظ على سنن الآباء والشعور بالواجب نحو بلادهم بالدفاع عنها واحترام القانون وطاعة السلطة السياسية الحاكمة[6]. بالإضافة إلى ضرورة أن لا يكون أبنائهم أقل ثقافة من المجتمعات التي أصبحت تابعة وخاضعة لهم، وخاصة مجتمعات بلاد اليونان، لذلك فقد شجعوا على تأسيس مدارس على شاكلة المدارس الهيلينستية hellénistique، لمنافسة المراكز الثقافية في اليونان كأثينا Athènes ورودوس Rhodes وبرغاموم Pergamum، وتوظيف ذلك لخدمة تفوقهم السياسي.[1]

1- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.128.
2- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.P.62-63.
3- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.P.103-104.
4- إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص 95.
5- الطيب بوساحة: المرجع السابق، ص. ص 897-898. نورة مواس: المرجع السابق، ص 44.
6- إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص 95.
1- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.P.107-108. Id.: V.QU.R.A.E., Op.cit., P.P.132-133.

ولقد ساهمت هذه السياسة التربوية في البداية والمتأثرة بالعادات البيئية والاجتماعية والتقاليد العسكرية، في بناء قوة روما وهيمنتها على إيطاليا، وبعد ذلك ومع القرنين اللاحقين سيكتشف الرومان أن ذلك النظام التربوي لم يكن كافياً لتكوين رجال لديهم القدرة الكافية على معالجة مختلف الصراعات والأزمات والمشاكل الأكثر تعقيداً من تلك التي صادفتها روما[1]، منذ تأسيسها في تاريخ 21 أفريل 753ق.م وحروبها فيما بين منتصف القرن الثامن قبل الميلاد إلى بداية القرن الخامس للميلاد، التي بدأت مع جيرانها في اللاتيوم خلال سنوات 534-509ق.م، وفترات توسعاتها للسيطرة على إيطاليا من 396-264ق.م، إلى فترات الحروب البونية الممتدة من 264-201ق.م وغيرها من الحروب التوسعية والداخلية خلال مراحلها التاريخية من العصر الملكي مروراً بالجمهوري إلى الإمبراطوري.[2]

كما تأثرت التربية عند الرومان بأربعة عوامل رئيسية مرتبطة بالمجتمع، فارتبط العامل الأول بالسلطة المنزلية؛ شكل فيها الأب صاحب الشخصية الكاريزماتية charismatique والسلطة المطلقة وطاعته كانت عمياء، أما العامل الثاني يعود إلى دور الأم في الأسرة، فقد كانت المرأة في المجتمع الروماني ذات مكانة مرموقة، تساوت مع الرجل تقريباً ومثلت حامية الأسرة ومربية الأبناء، أما الثالث فهو العامل الديني لأثره في تعزيز دور الأسرة، وكان الفرد الروماني يعيش محاطاً بمعبودات وآلهة متنوعة الاختصاصات. والعامل الرابع فهو أن الطفل كان يتعلم القراءة في كتاب قانون الألواح الاثني عشر[3]، ثم إعادة نسخه[4]، حتى يعتاد النظر إلى القانون نظرة مقدسة لا تُنتهكُ حرمته[5]، كما يشير إلى ارتباط التربية والتعليم عند الرومان بأربعة متغيرات كذلك وهي: الحرب والعبادة، والقانون والبلاغة، وهذه هي العلوم الرومانية الحقيقية، فلا يمكن أن يتقلد الفرد الروماني منصباً ما أو وظيفةً ما، إلا إذا أحاط علماً بهذه المتغيرات الأربعة، فمثلا شيشرون كان جنرالاً ومحامياً ومالياً وفقيهاً قانونياً وخطيباً وشاعراً وفيلسوفاً ورجل سياسة.[1]

1- إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص 96.

2- Le Bohec (Y.): histoire des guerres Rpmaines, milieu de VIIIe siècle avant J.-C.-410 après J.-C., édit. Tallandier, Paris, 2017, P.P.5-19, 41, 64.

3- قوانين اللوحات الإثني عشرة Leges Duodecim Tabularum: هي قوانين صدرت في حوالي 450ق.م، وتلقي الضوء على مختلف الجوانب في الجمهورية الرومانية. إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى عام 133ق.م، ج.1، ط.2، القاهرة، 1978، ص 103.

4- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.136.

5- عبد الله عبد الدايم: المرجع السابق، ص. ص 86-87.

1- De Champagny (F.): les Césars, (les Césars jusqu'a Néron), T.I, édit.III, Ambroise Bray, libraire-éditeur, Paris, 1859, P.245.

كما يشير مصطلح هومانيتاس Humanitas في اللغة اللاتينية عند المجتمع الروماني القديم، إلى مجموعة الأنشطة المعرفية والفكرية والتعليمية والثقافية، والتي أشار إليها فارو Varro وشيشرون، والتي تعني تربية وتعليم الأطفال[1]، وعليه فإن المجتمع الروماني عرف ظاهرة التعليم كغيره من المجتمعات، وكانوا أكثر تأثراً بمؤثرات الثقافة والحضارة اليونانية، فكان الأطفال الرومان يلتحقون بالمدارس ويزاولون الحركة التعليمية، وهناك معلمين يقومون بالتدريس، ومن أشهر هؤلاء المعلمين أذكر المعلم نوميريانوس Numérianus الذي كان يعلم الأطفال قواعد اللغة[2]، بالإضافة إلى أنهم كانوا مدركين لمدى فعالية ذاكرة الأطفال وقدرتها على الاستيعاب والفهم السريع، فرأوا أنه لا بد من تعليمهم في سن مبكرة حتى ينشأوا في وقت مبكر.[3]

أما عن أهداف التعليم الروماني في مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية فقد ارتكز على هدفين رئيسيين؛ فالأول يتعلق بضمان تماسك ووحدة الإمبراطورية الرومانية، والثاني يتعلق بالحفاظ على النسيج الاجتماعي في المدن والحواضر في مختلف أرجاء الإمبراطورية، لذلك كان أداة للحفاظ على النخب وناقلاً للحراك الاجتماعي والثقافي.[4]

وعلى كل حال؛ فإن التعليم عند المجتمع الروماني عرف تطوراً مهماً، خاصة بعد احتكاكهم بالإغريق، واستعباده للكثير من الإغريق المتعلمين، الذين اعتمد عليهم في تنشيط وتطوير الهيكل التعليمي عند الرومان، فأصبح من الضروري تعلم الأرستقراطيين والمسؤولين الإداريين والعسكريين للغتين اليونانية واللاتينية، ليكونوا متحدثين فصحاء وقادرين على إلقاء الخطب الرسمية في الأماكن العامة خاصة، وبعدها أخذ التعليم مساره التطوري وظهر المعلمين وبرزت المدارس وشاع التعليم في العالم الروماني ككل.[1]

من خلال هذه اللمحة عن التربية والتعليم في المجتمع الروماني، يمكن القول أنه قد أعطى أهمية بالغة لهذه المسألة المتعلقة بالتنشئة التعليمية والعلمية للناشئة، لتتمكن من

1- دعاس فارس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د، تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم، جامعة الشهيد حمه لخضر، وادي سوف، 2021/2020م، ص 212.

2- ديون كاسيوس: التاريخ الروماني، ج.10، الكتب: LXXX-LXXI، تر.: مصطفى غطيس، ط.1، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، المغرب، 2013م، ص 92.

3- Quintilien: institution oratoire, trad. Henri Bornecque, librairie Garnier freres, Paris, 1934, T. I, I, 19.

4- Talbot (F.): Op.cit., P.19.

1- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.P.62-63.

السير على خطى الأجداد والحفاظ على المكتسبات التي حققها المجتمع الروماني، ونلاحظ كذلك أن التعليم كان مرتبطاً بالأسرة والدين والسياسة.

المطلب الثاني: مراحل التنشئة والتعليم في بلاد المغرب القديم

عرفت ظاهرة التنشئة والتعليم في مجتمع المغرب القديم، مجموعة من المراحل، سأقسمها وفقاً للمادة التي ترتكز عليها الدراسة في كل مرحلة، وتبدأ من الحضانة إلى مرحلة الليتيراريوس وتمر بالغراماتيكوس وتنتهي بمرحلة الريطوريكا، وسأتناولها بالدراسة في هذا المطلب.

1- مرحلة الحضانة:

تعتبر المرحلة الأولى من مراحل التنشئة الاجتماعية للأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم من أهم المراحل، وهي مرحلة الحضانة التي سماها القديس أوغسطين بالطفولة الأولى[1]، وتبدأ من ولادة الطفل إلى غاية التحاقه بالمدرسة الابتدائية (الليتيراريوس). فلقد اهتم الآباء في مجتمع المغرب القديم بأبنائهم منذ ولادتهم، ومن أهم ما يتوجب عليهم اتجاههم إعطاء الاسم الذي سيُنَادَى به أو الكنية التي سوف تميّزه عن غيره من الأطفال، واتسمت الكنيات بالتنوع ما بين أسماء لاتينية وإغريقية وليبية وبونية، ويحبون اختيار أسماء تدل على النجاح أو ترمز للحظ والسعادة وغيرها.[2]

كما يعتبر الأب المسؤول الأول وصاحب السلطة على كل أفراد أسرته، حيث يتكفل بتوفير احتياجات أسرته من ملبس ومشرب ومأكل ومسكن، بالإضافة إلى المساهمة في تربية وتنشئة أبنائه، وخاصة الذكور منهم، فيصاحبهم إلى الخارج ليعلمهم أصول المعاملات وليكتسبوا مهارات المهنة أو النشاط الذي يمارسه الأب.[3]

وحرصت الأمهات على إرضاع أولادهن رضاعة طبيعية ليتمتعوا بالصحة الجيدة ولخلق علاقة روحية وطيدة وروابط أخوية متينة بين أولادها، وذلك ما أشار إليه أولوس جيليوس Aulus Gellius من أن الرضاعة الطبيعية تكون لصالح الطفل وأسرته[1]، ولما لها من أثار جيدة على صحة الأطفال ونموهم العقلي السليم. بالإضافة إلى هذه فقد كانت

1- القديس أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، نقله عن اللاتينية: إبراهيم الغربي، ط.2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، القاهرة، تونس، 2015م، ص 21-22.

2- بنت النبي مقدم: **"الطفل في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.4 ، العدد 1، جامعة الوادي، جوان 2020م، (ص 480-493)، ص 482.

3- دعاس فارس: المرجع السابق، ص 197.

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 79.

الأسرة تترك أولادها يلعبون مع الأطفال العبيد، حتى إذا كبر العبيد يكونون مخلصين وأوفياء لهؤلاء الأولاد الذين سيصبحون سادتهم، بل والأبعد من ذلك فكان الأباء يأمرون الأمهات أو المرضعات على إرضاع أبنائهم وأبناء العبيد لتحقيق ولائهم لأن كلاهما نشأ من نفس الحليب.[1]

كما كانت الطبقات الأرستقراطية تستعين بمرضعات من العبيد أو من الفئات الوسطى من المجتمع، للقيام بعملية الإرضاع lactatio، لأن نساء هذه الطبقة لا يملن إلى ذلك حفاظاً على رشاقتهن وجمالهن، بسبب طول مدة الرضاعة التي تصل إلى مدة ثلاثة سنوات.[2]

كما اهتموا أيضاً بحسن تربية وتعليم الأبناء، حيث يبدأ ذلك مع سنواته الأولى لضمان الحصول على تربية لائقة، إذ يخصص للطفل ذكراً أو أنثى مربية من العبيد لرعايته على شاكلة ما هو سائد عند المجتمع الروماني[3]، لما تمتاز به من خصوصيات الرحمة والعطف والحنان، حيث تشرف على احتياجاته البيولوجية والفيزيولوجية من الرضاعة والطعام والشرب والنوم واللباس وقضاء الحاجة وغيرها[4]، حيث يلازمها الطفل الرضيع طوال اليوم ثم يعود ليلاً للمبيت إلى حضن أمه، ويستمر على ذلك إلى أن يستقل بغرفة لوحده أو مع إخوانه. وبعد فترة الرضاعة يكلف عبدٌ بتعليم الأطفال الذكور آليات الاعتناء بنظافة الجسد واللباس وحسن السلوك، كما ترسل بعض العائلات المالكة لمنازل وفيلات في الأرياف أبناءها إليها، لضمان الصحة الجيدة وتجنب سوء الأدب والأخلاق المنتشر في المدن، والحواضر الكبرى آنذاك.[5]

كان الرضع إما عراة أو ملفوفين بشرائط قماش طويلة بإحكام، حتى لا يتمكن من الحركة، ثم يحررون الذراع اليمنى للرضيع، وليس اليسرى اعتقاداً من أنه يكبر باليمنى لأن اليسرى تعتبر نذير شؤم، ويأتي تحريرهم من القماط هو لأخذ حمامهم البادر، كما تقوم بالعمل على تشكيل جمجمة الرضيع حتى تتشكل في شكل دائري لطيف[1]. وبالنسبة للأطفال فليس لهم لباس موحد، حيث منهم من يرتدي لباساً في قطعة واحدة كالرداء قصيراً

1- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.62.

2- دعاس فارس: المرجع السابق، ص 193.

3- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104.

4- Augustin (St.): les confessions, T.1, 76.

5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 79-80.

1- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.62.

كان أم طويلاً، ومنهم من يرتدي أكثر من قطعة واحدة، وهناك من يكون بلا لباس خاصة أبناء الفئات الفقيرة من المجتمع، وتكون ألبسة الأطفال تتشابه مع لباس الوالدين، وهو أسلوب القدوة الحسنة التي كان يقتفى بها في التنشئة الاجتماعية للأبناء، حيث يقلد الولد أباه والبنت أمها.[1]

ويتكون لباسهم من التونيكا Tunique الذي يتم صناعتها من القماش ويكون دون أكمام أو بأكمام، وأما التوجا Toga التي يتم حياكتها من الصوف، وفي العادة تكون توجا الأطفال الأحرار ذات اللون الأبيض، أما الذين ينتمون إلى الطبقات الأرستقراطية فتزين بشريط أرجواني على حافتها[2]، بينما يشير جورج ألدريت G. Aldrete إلى أن الطفل Puer، يمثل لباس توجا برايتيكستا بالنسبة له رمزاً للطفولة، كما كان في العادة يعطى حقيبة جلدية صغيرة مملوءة بالتمائم bulla، يلبسها في كل الأوقات حول عنقه لحمايته من الشرور (أنظر الشكل رقم 13، ص 79).[3]



الشكل رقم 13: تماثيل أطفال (واحد عاري والآخر بلباس التونيكا)، نقلا عن:
Mille (B.) & autres: «Les deux statues d'enfant en bronze (Cap d'Adge): étude iconographique et technique », in «Bronzes grecs et romains, recherches récentes » Hommage à Claude Rolley, INHA («Actes de colloques»), 2012 [En ligne], en ligne le 17/07/2012, consulté le 06/08/2013. URL: http://inha.revues.org/3949, P.P.3, 7.

1- دعاس فارس: المرجع السابق، ص. ص 205-206.
2- المرجع نفسه، ص. ص 205-206، 208.
3- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.62.

وتعتبر هذه الفترة العمرية للأبناء من الفترات الحساسة جداً، تحتاج إلى تعاون بين الأب والأم، باعتبار الأبناء كنسل يحتاج لتنشأته ترتيبات محددة[1]، لذلك تعهد وتوكل مهمة التربية لمربين ومعلمين متخصصين عرفوا في تلك الفترة بتسمية البيداغوغوس Paedaguogus (أنظر الشكل رقم 14، ص 80)[2]، وكانت الأسر في مرحلة الحضانة تميل إلى تفضيل المرأة كمربية Paedagoga، وفي الغالب ينتمي هؤلاء إلى فئة العبيد أو المعتوقين الذين تم تعليمهم وتثقيفهم منذ الصغر لتكليفهم بمهام تربية الطفل[3]، تربية قائمة على التوجيه والحماية ومرافقته في خروجه كل مرة لتعليمه آداب التعامل مع عامة أفراد المجتمع[4]، وتعليمه كذلك الكلمات الأولى، ويشترط على المربية أن تتكلم مع الأطفال بشكل صحيح وبلغة واضحة، لأن كلامهم سيكون مجرد تقليد لحديثها، وفي العادة يتعلمون خلال هذه الفترة الأبجدية والقراءة البسيطة[1]، بالإضافة إلى كبح جماح الطفل المشاغب وتأديبه، وعادة ما يكون ذلك بلف الأذن أو ضربه بعصى.[2]



الشكل رقم 14: تمثال بيداغوغوس يقود طفلاً إلى المدرسة، نقلا عن:
L'école dans l'antiquité Romaine, La toge et le glaive, Op.cit..

1- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104.
2- Quintilien: T.I, IX, 267.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 79-80.
4- خاشة السعيد: **"الأسرة، طقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج. 5، العدد 11، سبتمبر 2017م، مركز الحكمة، الجزائر، (ص 57-68)، ص 66.
1- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104.
2- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.63.

وكان يشترط في البيداغوج، أن يكون متعلماً تعليماً جيداً[1]، واتصافه بالأخلاق الفاضلة[2]، حيث كان يعوّل عليه في الإشراف على تربيته وتكوينه خلقياً، بسبب نشأة البيداغوج في أسرة الطفل واتصاله المستمر بها ومعرفته بخصوصياتها.[3]

كما كانت المربيات يحظين بالاحترام والتقدير كتلك المربية التي تحدث عنها القديس أوغسطين، التي ربّت جدّه لوالدته ومن بعد ذلك كانت تساعد زوجته في تربية بناته وتعليمهن[4]، وقد خلدت النقوش اللاتينية بعض تلك المربيات، اللائي كن يتمتعن بسير حسنة، ومن تلك النقوش أذكر نقيشتي دوقة Dougga وثاغاست Thagaste، فالأولى ذكرت المربية كورنيليا فورتوناتا Cornelia Fortunata Paedogoga.[5]

أما النقيشة الثانية، فقد ذكرت المربية كايليا فكتوريا، حيث تشير إلى اشتغالها ليس كقابلة Obstetrix فقط، وإنما أيضاً كمدبرة منزل ومربية[1]:

D(is) M(anibus) s(acrum)/ Noviae/ Dativae/ boni o/minis/ feminae/ Piae qui/ v(ixit) a(nnos) XXXV/ h(ic) s(ita)/.

D(is) M(anibus) s(acrum)/ Caeliae/ Victori/ae obste/trici ra/rissimae/ piae quae/ vixit an/nis XXVI/ h(ic)s(ita)/[C]ae[l]il[u]s Nori/[cus] coniugi et/ [so]ror[i] caris[si]mis.[2]

ومن هنا؛ يستغرق الطفل خلال هذه المرحلة مدة خمسة سنوات أو ستة سنوات كاملة، ليكون مهيئاً للانتقال إلى المرحلة التالية.

2- مرحلة الليتيراريوس Litterarius:

عند بلوغ الأطفال سن السادسة[3] أو السابعة من العمر، يكونوا جسمياً في كامل هيئتهم الجسدية، لكن غير قادرين على القيام بشؤونهم بمفردهم وحماية أنفسهم، فكانت الأسر تحرص على فرض الانضباط والصرامة على أبنائها، لذلك أوصى أولوس جيليوس بمنع الحمامات الساخنة وكثرة الاستلقاء للأطفال، وأن يلزموا بالتقيّد بفترات النوم والأكل[4]،

1- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104.

2- فارس دعاس: المرجع السابق، ص 220.

3- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 65.

4- بنت النبي مقدم: **"الطفل في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني"**، المرجع السابق، ص 483.

5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 88-89.

1- بنت النبي مقدم: **"الطفل في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني"**، المرجع السابق، ص 483.

2- Gsell (S.): Inscriptions latines de L'Algérie, T.1, N°.887, librairie ancienne Honoré Champion, Paris, 1922, P.84.

3- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.63.

4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 80.

لأن كثرة النوم يقلل من الذكاء ويقزم النمو، كما يستحسن تفادي إطعامهم بالمأكولات التي تؤدي إلى تليّنهم[1]، ومنعهم من تناولها وهم مستلقين[2]، وحث على أن يمارس الأطفال بعض الأنشطة الرياضية: كالسباحة في الماء البارد والمبارزة وركوب الخيل تفادياً لتعرضهم للضعف الجسدي والفسق الأخلاقي، يضاف إلى ذلك الحرص على تعليم الأولاد لتحقيق الموازنة بين الصحة الجسدية والخلقية مع المستوى التعليمي اللائق.[3]

وعل أية حال؛ فإن الطفل خلال هذه السن يغادر مرحلة الحضانة، حيث يصبح قادراً على الكلام بطلاقة وعلى الحركة بسهولة تامة، ويسميها أوغسطين بمرحلة الطفولة الثانية[4]، إذ يُطلق على الطفل هنا اسم إيمبوبس Impubes اللفظة التي تعني الصبي الذي لم يصل إلى سن البلوغ[1]، ويكون الطفل مجهزاً على القراءة ومستعداً للذهاب إلى المدرسة الابتدائية[2]، التي ذكرها كاركوبينو تحت مسمى لودوس ليتيراريوس Ludus litterarius (ludi litterarii)[3]، حيث ينتقل لتلقي التعليم فيلتحق بالمعلم الأول المعروف باسم الليتيراتور litterator والمعروف كذلك بـ: (Magister ludi، Primus magister)[4]، وهذا المعلم لا تربطه مع أسرة الطفل سوى عقداً يبرمه مع والديه لتعليمه، فيتردد هذا التلميذ (الطفل) على دروس هذا المعلم ليلقنه ثلاثة مواد وهي: القراءة والكتابة ومبادئ علم الحساب[5] المرتكز على تعلم الأرقام الرومانية لإجراء العمليات الحسابية (أنظر الجدول رقم 5، ص 83)[6]، ويقول في ذلك أوغسطين: ".. **تلك البدايات كنا نتعلم فيها القراءة والكتابة والحساب**"[7]، حيث يتشارك التعليم مع أقرانه من مختلف الطبقات الاجتماعية في مدرسة المدينة، حتى يبلغ سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر[8]، بعد أن يكون قد استغرق

1- Quintilien: T.I, II, 41.
2- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.62.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 80.
4- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 21-22.
1- زايد مصطفى محمد قنديل: التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2001م، ص 12.
2- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104.
3- Id.: D.L.A.R., Op.cit., P.104. Id.: V.QU.R.A.E., Op.cit., P.131.
4- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 151. شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.
5- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.63. Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.130.
6- والملاحظ في الأرقام الرومانية عدم وجود رقم صفر (0) لأنه لم يخترع بعد.
7- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 26.
8- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 80.

في هذه المرحلة التعليمية مدة خمس سنوات. وطبعاً هذا حسب سن التحاقه بالتعليم ومستواهم الاجتماعي.[1]

1	I	20	XX	2000	MM
2	II	40	XL	5000	V
3	III	50	L	10000	$\overline{X}$
4	IV	90	XC	20000	XX
5	V	100	C	50000	L
6	VI	200	CC	100000	$\overline{C}$
7	VII	500	D	1000000	X
8	VIII	600	DC	5000000	L
9	IX	900	CM	100000000	M
10	X	1000	M		

الجدول رقم 5: الأرقام الرومانية، نقلا عن:
Fichée enseignant: l'enfant romaine a l'école, Le Pont du Gard, URL: https://pontdugard.fr, Vue: 03/11/2024.

وبما أن منطقة كيرينايكا (قورينائية) في الجزء الشرقي من بلاد المغرب القديم، كانت مستعمرة يونانية منذ القرن السابع قبل الميلاد، فإن التعليم الليتيراريوسي (الابتدائي) يكون قد ظهر في المغرب القديم متزامناً مع ظهوره في روما[1]، ولم ينتشر في باقي أقاليمه إلا مع الفترة الرومانية.

وقد كان التعليم في الواقع؛ حكرًا أكثر على الفئات الاجتماعية المترومنة الثرية منها والمتوسطة، التي تسكن مدن وحواضر بلاد المغرب القديم[2]، حيث يتلقى أطفال الطبقات الثرية تعليمهم في منازلهم عن طريق الأمهات أو بجلب معلمين خصوصيين لأداء هذه المهمة التعليمية[3]، لأن هؤلاء المعلمين سيركزون جهدهم على تعليم هؤلاء الأطفال بكل سخاء، ما سينعكس إيجاباً على السيرورة التعلمية لهم[4]، وقد تستمر إلى غاية التحضير للدراسات البلاغية، أي إلى آخر المراحل التعليمية.[5]

أما الطبقات المتوسطة فلا تتعدى فترة تعليم أبنائهم المرحلة الأولى منه، حتى يتسنى لهم مساعدتها على ممارسة مهنة أو حرفة ما، وقد يصبح بعض أبناء هذه الطبقة الأخيرة

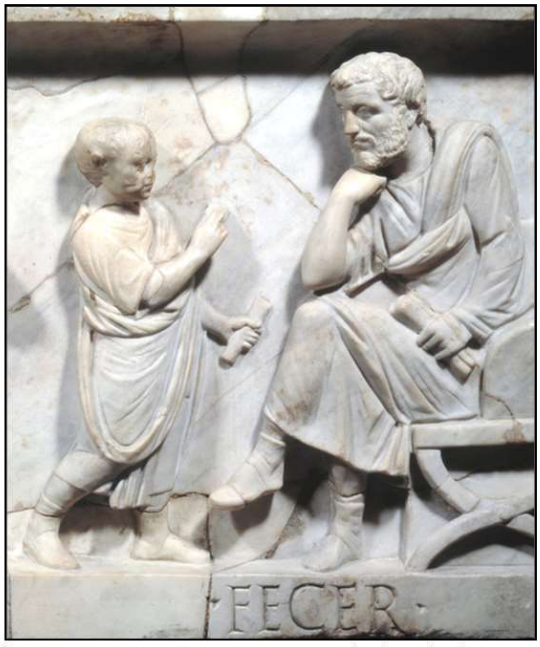
1- Talbot (F.): Op.cit., P.78.

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 33.
2- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 151.
3- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 261.

4- Quintilien: T.I, II, 51.
5- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104. Id.: la vie quotidienne à Rome, Op.cit., P.129.

كمتدرب يتلقى تدريباً بحرفة معينة، وارتبط مصير البنات بالمكوث بالبيت ليتعلمن شؤونه الخاصة المتعلقة بالغزل والخياطة والطبخ.. وغيرها، بالإضافة إلى تعلم فنون العزف على الآلات الموسيقية والرقص والغناء، وفي النادر ما يوفر لهن تعليماً في البيت لأن غالبيتهن يتزوجن في سن السابعة عشرة[1]، والأساس هو أن الآباء في المغرب القديم كانوا يلجئون إلى إجبار أبنائهم على التعليم والدراسة، حيث يقول أوغسطين: **"لم أكن أحب الدراسة وكنت أمقت أن أرغم عليها؛ ومع ذلك كانوا يرغمونني وحسناً فعلوا، لكني لو لم أفعل: فقد لا أتعلم شيئاً، إلا إذا أكرهت عليه".**[2]

ويرتكز التعليم هنا على صقل مواهب المتعلمين وتأديبهم وتوجيههم بالتركيز على تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة والحساب[3] كما ذكرت آنفاً. وقد أشار نحت بارز على أحد التوابيت التي تُؤرخ بالنصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وهي تمثل معلماً يجلس على مقعد يمسك بيده لفافة ورقية، يفرد جزءاً منها، بينما يلتف حوله مجموعة من التلاميذ يستمعون لقراءته في وضع الوقوف وقد اتجهت أنظارهم إلى المعلم (الليتيراتور) (أنظر الشكل رقم 15، ص 84) باهتمام بالغ، شغفاً للتعلم وحباً للمعلم.[1]



الشكل رقم 15: نقش بارز لمعلم وتلميذ من تابوت ماركوس ستاتيوس حوالي 150م، نقلا عن:
Meisterdrucke, URL: https://www.meisterdrucke.lu, Vu: 04/11/2024.

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 82-82.
2- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 25. Augustin (St.): les confessions, T.1, 116.
3- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 292.
1- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 67.

وكانت مهنة التعليم غير مريحة وحساسة جداً لأن المعلم كان ملازماً للأطفال طيلة اليوم، وتترجى الأسر منه أن ينحت منهم أفراداً ومواطنين صالحين، ورغم ذلك فكان يعتبر عمل الليتيراتور تكملة لعمل المربيات والبيداغوج[1]، وعليه أن يفهم جيداً طبيعة شخصية تلاميذه ومستويات ذكائهم، وقدرتهم على التقليد أثناء التعلم، وكل ذلك يرتبط بمؤشرات الفوارق الفردية المرتبطة بالذاكرة والاستعداد والحرص والحيوية والسلوك والغباء والذكاء، وهذا كله يحدد لدى المعلم الآلية التي تمكنه من التعامل مع عقول تلاميذه.[2]

وامتاز الليتيراتور (المعلم) بالقسوة والشدة في تعامله مع المتعلمين، فتصفه المصادر بالوغد الذي يكرهه التلاميذ إناثاً أو ذكوراً، ويخافون سوطه وصوته المرتفع، ويُتهم بالمزعج لمن يجاور مدرسته لاستيقاظه مبكراً، وسأتحدث لاحقاً بشيء من التفصيل عن هذا في جزئية العقوبات. وقد شكلت ميزة القسوة لدى معلم هذه المرحلة نوعاً من الحرص والفائدة في صالح مدرسته وتلاميذه الذين يجب أن يكونوا نجباء وممتازين، والذين سيتخرجون منها[1]، بمكتسبات وقاعدة معرفية تمكنهم من الانتقال إلى المرحلة التعليمية اللاحقة.

أما من الناحية الاجتماعية فقد كان الليتيراتور (المعلم) محبوباً في مجتمعه وعند تلاميذه، ولكن ليس بالدرجة التي يحظى بها باقي أصحاب المهن الأخرى، وأساتذة المراحل التعليمية الأرقى[2]، وكان يعتمد في دخله على المبالغ المالية البسيطة التي كان يدفعها له آباء تلاميذه، ونتيجة عدم كفايته كان يلجأ إلى ممارسة أنشطة أخرى لاستكمال دخله كمعلم[3]. ورغم ذلك؛ فقد أشارت بعض النقوش إلى أنه كرست له المرثيات والإهداءات والأشعار؛ ومن بينها المعلم ماريوس المنحدر من مدينة مادوروس الذي زاول إلى جانب التعليم مهنة إدارية، وقد كرست له ابنته ماكسيما أبياتاً شعرية، تبيّن أنه كان محبوباً ومحترماً عند أهل مدينته، والعائدة لما بين القرنين الثالث والرابع للميلاد، وترثي والدها هذا بحزن شديد الذي مات وتركها لوحدها، وهو المعلم المحبوب الذي درّس لسنوات طوال في مدينته إلى جانب وظيفته الإدارية.[4]

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 84.

2- Quintilien: T.I, III, 53, 55.

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 85.

2- زموري خديجة: القديس أوغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، أطروحة مقدمة لينل شهادة الدكتوراه L.M.D، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2018/2017م، ص 33.

3- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104. Id.: la vie quotidienne à Rome, Op.cit., P.129.

4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 86.

Marius Factis et Nomine quonda(m)/ O partiea dilectus amore/ docens plevit Civibius annos/ men vitea septemque peregit/ ol(i)m patriea virtius amator/ nans produxit fascibus anno/ ens qua caudet Maxima prols.[1]

وهناك نقيشة أخرى تذكر المعلم فلافيوس المنحدر من مدينة مادوروس، وتعني: هنا يرقد فلافيوس معلم الحساب. وهي كما يلي:

DMS/ In isto (t)umulo qu(i)e(scit) T.Fl(avius) Ammonia(nus). quem arit(hmetica?) discipl(ina)…[2]

كما أشارت كذلك نقيشة تيغزيرت العائدة لمنتصف القرن الرابع الميلادي، إلى معلم الآداب ماركوس دوميتيوس روفينوس المسيحي، الذي عاش خمسة وسبعين عاماً وميزته أنه رجل طيب، ونصها كما يلي:[3]

M(arco)/ Domitio/ Rufino, ma/gistro Iide/ar/ium l/ittera/rum, homi/ nobono/ v(ixit) a(nnis) LXXV.

ولا تقتصر هذه المرحلة في تعليم الطفل على يد الليتيراتور بل تتعدى إلى البيداغوج[1]، فكان يؤدي أدواراً مهمة اتجاه الأطفال، حيث يشرف على رعايتهم وتربيتهم وتعليمهم، ومرافقتهم إلى المدرسة وحمايتهم من أخطار الطريق، فكان يجلس في غرفة الدرس ويستمع إلى ما يقدمه المعلم من دروس وما سيكلفهم به من واجبات، لأنهم بعد العودة إلى المنزل سيراجع للطفل دروسه ويساعده في أداء واجباته.[2]

وبما أن لا أحد يمكنه تحمل التدريس المتواصل والدراسة باستمرار، لذلك هناك حرص على منح التلاميذ فترات للراحة[3]، وعليه فقد كانت يوميات المتعلمين في المدرسة خلال مرحلة الليتيراريوس، فينقسم الدوام المدرسي إلى قسمين: الفترة الصباحية والفترة المسائية؛ حيث تبدأ الفترة الأولى مع الصباح الباكر قبل شروق الشمس[4] حتى منتصف النهار. فيستيقظ البيداغوج باكراً قبل الطفل، وبأمر من هذا الأخير بفتح نافذة الغرفة للتهوية بنسيم الصباح، ويحضر له إناء ماء للغسل، فيحمل الطفل منشفة ويغسل وجهه وأطرافه وينظف أسنانه، ثم يخلع لباس النوم ويرتدي عباءة بحزام[5]، المتمثلة في توجا الأطفال المعروفة

1- Gsell (S.): I.L.Alg., T.1, N°.2209, P.209.
2- Ibid., N°.2234, P.212.

3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 86.
1- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 65.
2- فارس دعاس: المرجع السابق، ص 221.

3- Quintilien: T.I, III, 55.

4- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 21.
5- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج.7، العدد 1، جامعة محمد بن أحمد وهرن 2، الجزائر، جانفي 2018م، (ص 319-348)، ص 323.

بتوجا برايتيكستا Toga Praetexta، وهي رمز طفولة الطفل Puer ومزينة بشريط أرجواني على طول حافتها[1]، وفي العادة يلبسها أبناء الطبقات الأرستقراطية من المجتمع، أما باقي الطبقات فيلبسون التونيكا بأكمام طويلة تصل إلى الكوعين، ومربوط بحزام عند الخصر، وطوله يصل إلى فوق الركبة.[2]

وبعد ذلك يمشط شعره ويلف منديلاً حول عنقه، ويرتدي جواربه ونعليه، ثم يغادر غرفته ويقبل ويسلم على والديه. ويحمل أدواته الدراسية البيداغوج الذي سيرافقه نحو المدرسة[3]، ويكون قد تناول في البيت وجبة الإفطار[4] Lentaculum البسيطة، المتكونة من الخبز والجبن[1]، ثم يمشي رفقة البيداغوج نحو المدرسة، وفي الطريق يشتري قطعة حلوى أو الكعك عندما يمر بمحل الخباز.[2]

وعند الوصول يعلق الطفل معطفه في رواق المدرسة، ويتسلم محفظته من البيداغوج، ويدخل حجرة الدرس ويسلم على معلمه، ويتبادل التحية مع أقرانه، وفي بعض الأحيان يدور نزاع بين المتعلمين حول أماكن الجلوس؛ قائلين: **"أعد لي مكاني، تعالى هنا، إنه مكاني قبلك.."**[3]، ثم يجلس الجميع ويعم الهدوء لتلقي دروس القراءة والكتابة والحساب حتى منتصف النهار، فيأذن لهم المعلم بالانصراف، ليعودوا إلى بيوتهم لأخذ قسط من الراحة وتناول الخبز الأبيض والجبن والزيتون ثم التين والجوز وشرب كوب من الماء كوجبة الغداء[4] Prandium، رغم أن في العادة تتكون من اللحوم الباردة والخضر والخبز[5]، وبعدها يعودون إلى المدرسة لتبدأ الفترة المسائية، لأخذ المواد الدراسية لهذه الفترة حتى يحين نهاية هذا الدوام، فيغادرون مع تبادل التحية، ثم في نهاية اليوم الدراسي يمارس الطفل بعضاً من الأنشطة الرياضية، حيث اعتاد الرومان إقامة البالايسترا Palaestra (الملعب) بجوار الحمامات العامة، ليختتم الطفل يومه بالحمام في فترة ما بعد العصر تحت إشراف

1- خاشة السعيد: **"الأسرة، طقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية"**، المرجع السابق، ص 60.
2- دعاس فارس: المرجع السابق، ص. ص 206، 208.
3- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 323.
4- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 21.
1- كاثي ك. كوفمان: الطبخ في الحضارات القديمة، تر.: سعيد الغانمي، ط.1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011م، ص 232.
2- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 21.
3- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 323.
4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 90.
5- كاثي ك. كوفمان: المرجع السابق، ص. ص 232-233.

بيداغوجه، ثم تناول وجبة العشاء Cena[1]، والتي تعتبر من أكثر وجبات النهار اتساعاً وتبدأ قبل مغيب الشمس.[2]

غير أن الكاتب المسرحي الروماني تيتوس بلاوتوس Titus Plautus يلخص لنا ذلك في، أن اليوم الدراسي يبدأ مع الصباح عن طريق التدريب البدني، ليستمر طوال الفترة الصباحية، ليعود المتعلم إلى بيت والديه لتناول وجبة الغداء، ثم يلتحق بالمدرسة في المساء لتلقي دروس بعد فترة الظهيرة.[3]

وقد أدى المربي أو البيداغوج دوراً هاماً في توسيع دائرة التعليم، لما يشكله من ضمان الأمان للأطفال في تلك الفترة، إذ يعتني بالطفل ويضمن له الرجوع سالماً إلى بيته، فيحميه من أخطار الطريق، كظاهرة اختطاف الأطفال خاصةً فئة البنات من قبل تجار العبيد والنخاسة وقطاع الطرق، حيث استمرت هذه الظاهرة حتى القرن الخامس للميلاد، فقد اشتكى القديس أوغسطين من تلك المشكلة التي شغلت باله كثيراً في أحد رسائله إلى أليبيوس Alypius سنة 428م، على الرغم من محاولة الإدارة الرومانية الحد منها باستصدار القوانين، كقانون قسطنطين عام 316م الذي ينص على السجن المؤبد أو العمل القسري في المناجم أو الإعدام أو الرمي إلى الوحوش في مدرجات الألعاب لمرتكبي هذا الفعل الشنيع.[1]

إذن؛ هناك حرص من الآباء في مجتمع المغرب القديم على تعليم أبنائهم، فهذا باتريكيوس أوريليوس Patricius Aurelius والد أوغسطين الذي لم يكن من كبار الأغنياء يلجأ إلى الاستدانة من أجل توفير الأموال اللازمة ليتمكن أبناءه من الوصول إلى أعلى درجات التعليم[2]، وتشهد على ذلك النقوش التي ترثي رحيل الأطفال الذين كانوا يدرُسُون وماتوا قبل إنهاء دراستهم، كالسيد سيوس فوندانوس Seius Fundanus من كالاما Calama (قالمة Guelma) الذي مات والديه في سن الدراسة[3]، وكرست لهما خالتهما

1- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 21.
2- كاثي ك. كوفمان: المرجع السابق، ص 233.
3- Plaute: les deux Bacchides Bacchis, trad. J. Naudet, 1865, Remacle, T.II.
1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 324. فارس دعاس: المرجع السابق، ص 186-187. Wolff (C.): "À propos des voleurs d'enfants: saint Augustin, Lettre 10", OpenEdition Books, URL: https://books.openedition.org, Vue: 26/03/2024.
2- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 298.
3- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 322.

يوليا بريما Julia Prima نقيشة تحتوي على أبيات رثاء تذكر بفخر تعب الأب وإغداقه في تعليم ولديه وترثي الطفلين اللذين توفي في سن مبكرة دون الاستفادة من تعليمهما:[1]

Scius Fundanus nutrivit natos duo in prima aetate ex Germana coniuga, in studiisq(ue) misit et honores tribuit. Post tantos sumptus no(n) fruitus nemine, funeravit natos et hanc coepit opera(m); senex laborans haec perfe(cit) omnia. V(ixit) a (nnis), Germana coniux v(ixit) a (nnis) LXXX. Sorori(que) coniugis ornavit memoria(m) quae Julia Prima V(ixit) a(nnis) LXXX. Valeas viator, lector mei(s) carminis.[2]

ومعناه: السيد سيوس فوندانوس ربّى منذ سن مبكرة، ولدين من زوجته جيرمانا أرسلهما للدراسة وضمن لهم مرتبة الشرف، وأمام حجم ما أنفق عليهما، لم يستفد من أي واحد منهما؛ لقد دفنهما في هذا النصب الذي بناه لهما، وعاشا وعاشت زوجته جيرمانا حتى الثمانين من العمر، قامت يوليا بريما أخت جيرمانا، بتزيين هذه النقيشة لهما، كن بخير أيها المسافر قارئ قصيدتي.[1]

وهناك نقيشة أخرى لتلميذ من كالاما Calama (قالمة حالياً):

Praesenti M(arcus) Ulpius Victor Seianus pius decur(io) m(unicipii) K(alamensium) bonus verecundus s(tu) diosus v(ixit) a (nnis) XVI.[2]

ومعناها: ماركوس فيكتور سيانوس المعروف بـ: برايسنتيوس دكوريون من بلدية كالاما مجتهد وأكمل دراسته بشكل جيد، عاش ستة عشرة سنة.[3]

وهناك نقيشة أخرى لولد يدعي أوريليوس أوبطاتوس من قالمة كذلك عاش أحدا عشر عاماً ثم توفي:

A(urelius) (?) Optatus Vixit annis undecim II(ic) s(itus est).[4]

والنقيشة الآتية لطفل مسيحي توفي أثناء دراسته في مادوروس:

Qui non Vitas Casus Quaeris Qu…/ Flavius Victorianus Na.../ Qui Innocens Puberta/ Dum Obsequens Studia Se.../ Amore Aemula Non/ Heu Pietas Non Dignos.../ Qui Religio so Adfectum M.../ Ponerent In Per Pctuum Sac../ Hic Corpus Tcrra Tcgct S... / Nunc In Pacc Qui Esccnti Parentes.[5]

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 95.

2- Gsell (S.): I.L.Alg., T.1, N°.326, P.37. Renier (L.): I.R.Alg.,XIV, 2810, P.335.

1- Tlili (N.): "Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine", OpenEdition Books, URL: https://books.openedition.org, Vu: 22/02/2024, P.5.

2- Gsell (S.): I.L.Alg., T.1, N°.330, P.38.

3- Tlili (N.): "Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine", Op.cit., P.7.

4- Renier (L.): I.R.Alg.,XIV, 2848, P.339.

5- Gsell (S.): I.L.Alg., T.1, N°.2769, P.258.

وترثي هذه النقيشة الطفل فلافيوس فيكتورينوس، الذي توفي وهو صغير في سن بريئة، وهو لا يزال يزاول دراسته، وهو يستريح هنا بسلام.

وهذه نقيشة مهداة إلى ولد من البيزاسان (المزاق) والمتوفي في سن الثامنة عشرة، ودوّن عليها:

D(is) m(anibus) s(acrum) M(arcus) Antoninus Faustianus nepos Principinus insigni piaetate praebitus moribus et ingenio clarus acceptus patriae dicendi peritus his cum summo honore parentium dilectus p(ius) v(ixit) a(nnis) XVIII d(iefus) VI.[1]

لآلهة أرواح الأجداد، ماركوس أنتونينوس فاوستيانوس، الحفيد المعروف باسم برينسيبينوس، يتمتع بميزات العبقرية، والأخلاق الحميدة، ويحظى بتقدير هام في بلدته، يتمتع بمهارة في البلاغة، عاش بسعادة غامرة مع والديه الأتقياء، عاش ثمانية عشرة سنة وستة أيام فقط.[1]

وهذا أحد الآباء يعاني من سوء حظه بفقد ابنه وهو صغير، حيث يخبرنا: أنه كان يدرس، وأنه توفي أثناء دراسته في قرطاج، وأنه أصبح بالفعل ماهراً. وفي كالاما (قالمة حالياً)، يروي رجل فقير بحزن أنه كان لديه طفلان، وأنه جعلهما يدرسان، لكنهما ماتا صغيرين، وأنه بعد نفقات كثيرة لم يتمكن من الاستمتاع بأي منهما.[2]

إذن فقد كان أطفال المغرب القديم في فترة الصبا والطفولة يحضون بالاهتمام اللازم من قبل عائلاتهم، سواء كانت من الطبقات الأرستقراطية أو المتوسطة وحتى الميسورة الحال، باعتمادها على المربيين والمربيات، وبإرسالهم إلى مدارس المدينة المحلية لتلقي تعليمهم الليتيراريوسي، والهدف الأسمى في هذه المراحل هو أن يتحصل الأطفال على تربية حسنة وخلق فاضل وتعليم أولي جيد.

3- مرحلة الغراماتيكوس Grammaticus:

لم تظهر هذه المرحلة من التعليم في الوسط الثقافي للمجتمع الروماني إلا في القرن الثالث قبل الميلاد، وهي الفترة التي شهدت فيها منطقة كيرينايكا (قورينائية) ازدهارً ثقافياً واسعاً بسبب علاقات التلاقح الثقافي مع أثينا في بلاد اليونان من جهة والإسكندرية في مصر من جهة أخرى، ولم يأخذ هذا التعليم عند الرومان صيغته النهائية إلا في أواخر القرن

1- Tlili (N.): "Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine", Op.cit., mar.16, P.20.
1- Ibid., P.20.
2- Boissier (G.): Op.cit., P268.

الأول قبل الميلاد، بعدما بدأت نصوص بعض الشعراء والأدباء اللاتين تُدّرس في هذه المرحلة[1]، وسأشير إلى بعضهم لاحقاً من الذين كان يدرس إنتاجهم الأدبي.

ولقد ازدهرت مدارس هذه المرحلة في بلاد المغرب القديم، حيث كان الطابع العام لمدرسة الغراماتيكوس[2] لا يختلف من حيث الهياكل عن مدرسة الليتيراريوس، والاختلاف بينهما يكمن في نوعية التعليم المقدم فيها إذ كان أرفع وأعمق درجة ودقة عن السابقة، غير أنها تخضع لنفس المنظومة التعليمية السائدة في المرحلة التي سبقتها[3]، ويتم المزاوجة بين اللغتين الإغريقية واللاتينية في هذا التعليم، ودراسة وحفظ المختارات الشعرية باللغتين لكبار الشعراء، ودراسة النحو والخطابة.[1]

وكانت هذه المدارس عبارة عن قاعات إما في ساحة الفوروم أو في بعض أحياء المدن، واحتوت حجراتها على مقاعد دون مساند الظهر، يجلس عليها الطلاب في وضع نصف دائري ملتفين حول معلم الغرماتيكوس، وتحتوي أيضاً في الداخل على تماثيل نصفية لأدباء مشهورين أمثال: فيرجيليوس Vergilius وهوراتيوس Horatius وغيرهم، كما ثُبتَت خرائط جغرافية على جدرانها[2]، وقد تكون على شاكلة خريطة بوتنجير Table de Peutinger[3]. وأشار أوغسطين أنه كانت تتدلى على أبوابها ستائر[4] من القماش السميك ليعزل الداخل عن الخارج ويتيح للطلبة التركيز مع الدراسة، واقتصرت هذه المرحلة على الذكور دون الإناث، وهي خصوصية التعليم في بلاد المغرب القديم، وقد أشار سانت أوغسطين إلى ذلك حينما تمنى زوجة متعلمة[5]، على الرغم من أن تعليم الإناث كان شائعاً في روما.[6]

وليلتحق التلاميذ بهذه المرحلة وبمعلم النحو، يجب أن يكونوا قد أتقنوا القراءة والكتابة، ومن الناحية السلوكية فيكثر طيشهم وسوء خلقهم الذي اكتسبوه في العادة من مرحلة الليتيراريوس نتيجة اختلاطهم بتلاميذ آخرين، وهم هنا بلغوا سن المراهقة

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 34.
2- ومدراس الغراماتيكوس كانت سائدة عند اليونان كذلك، ومعلم هذه المرحلة يسمى غراماتيكوس، ينظر: Plutarque, Les Vies des Hommes illustres, Alcibiade, trad. Alexis Pierron, Paris, 1853, I, 453.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 99.
1- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 36.
2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 99-100.
3- Voir: Tables de Peutinger, Bibliothèque nationale de France, URL: gallica.bnf.fr.
4- القديس أوغسطينوس: إعترافات، المصدر السابق، ص 27. Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P50.
5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 100.
6- أحمد محسن الخضر وآخرون: المرجع السابق، ص 226.

Adolescentia[1]. وقد يضطرون خلالها للتنقل خارج بلداتهم لإتمام تعليمهم، لأجل ذلك كان تلاميذ ثاغاست يتنقلون إلى مادوروس كما حدث مع أوغسطين وليكينتيوس Licentius[2]، أما سنوات الدراسة فهي تخضع لعاملين؛ الأول يتعلق بقدرة الطلاب على الاستيعاب وروح الاستمرارية والثانية ترتبط بالإمكانيات المادية لعائلاتهم وقدرتها على توفير الأغلفة المالية لإرسالهم لتلك المدارس خارج بلداتهم، فقد أنهى أوغسطين هذه المرحلة في عمر السادسة عشرة في مدرسة مدينة مادوروس التي تبعد عن بلدته ثاغاست بحوالي 24 كلم.[1]

وكان والد أوغسطين قد مدحه ومجده أهل بلدته لتحمله أكثر من طاقته المادية ليتحصل أبناءه على التعليم اللائق[2]، فكان نموذجاً للآباء من المغرب القديم الحريصين على توفير ما يحتاجه ابنه لتلقي العلم[3]، ولا يستبعد أن يكون لهذه المدارس ملحقات تستعمل كسكن مدرسي، لإيواء الطلبة الوافدين عليها من أماكن بعيدة.

وعرفت مدارس الغرماتيكوس التي لمعت في أغلب أقاليم بلاد المغرب؛ ككيرتا وتيفاست ومادوروس وثاغاست وهادروميتوم Hadrumitum وأويا ولبتيس ماغنا وغيرها[4] نظاماً تعليمياً متشابهاً، حيث كانت تلك المدارس تفتح أبوابها لبداية الدخول المدرسي مع منتصف شهر أكتوبر، وتغلق أبوابها في فصل الصيف مع نهاية شهر جويلية حينما تبدأ فترة الطقس الحار، كما تخللت السنة الدراسية إجازات أغلبها مناسبات لها علاقة إما بالاحتفالات العامة السائدة في المجتمع كالأعياد الدينية والأعياد الخاصة بالإمبراطورية الرومانية، وإما بالمناسبات الشخصية كأعياد الميلاد والزواج.. وغيرها، وهناك أيضاً الإجازات السنوية المرتبطة بفترة فصل الصيف، ضف إلى ذلك عطلة نهاية الأسبوع الدائمة التي تصادف يوم السبت من كل أسبوع.[5]

1- Quintilien: T.I, II, IV, 39, 61.

2- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 261.

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 98.

2- القديس أوغسطينوس: إعترافات، المصدر السابق، ص 37.

3- Talbot (F.): Op.cit., P.78.

4- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 249.Albertini (E.): Op.cit., P49.

5- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 22.

كان معلم هذه المرحلة المعروف بالغراماتيكوس[1] يرتدي عباءةً[2] خاصةً، تسمى باينولاتوروم ماجيستروروم Paenulatorum Magistrorum الشبيهة بمعطف الباينولا Paenula، وهو عبارة عن عباءة نصف دائرية ورداء أو معطف سميك وثقيل دون أكمام يأخذ شكل جرسي يصل لحد الركبتين وخال من كل أناقة وزركشة[3]، مصنوع من الأنسجة السميكة والخشنة كالصوف والجلد واللباد[1]، وتلبس عن طريق فتحة الرقبة، وتترك مفتوحة من الأمام وتثبت بواسطة أزرار أو مشبك، ويلبس معها الكوكولوس Cucculus (خمار)، وتكون عادة بالألوان القاتمة كالبني والأسود والرمادي القاتم[2]، أما التلاميذ فيلبسون ثوب برايتيكستا المذكورة آنفاً إلى غاية سن السابعة عشر وخاصة أبناء الطبقات الأرستقراطية[3]، ويتضح من تمثال لأوغسطين في فترة الطفولة (أنظر الشكل رقم 16، ص 94) أنه يلتحف معطفاً، ومما لا شك فيه أن يكون معطف بيروس Birus، ويشير جيلبار شارل بيكار أنه كان مزود بقلنسوة Paenula، وشهد انتشارً في مجتمع المغرب القديم خلال العهد السيفيري.[4]

كما امتازت شخصيته بالصرامة والجدية، وتربطه بتلاميذه علاقة طيبة، وله مكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي أفضل من الليتيراتور. ولقد أشارت النقوش والمصادر الأدبية إلى الكثير من أساتذة الغراماتيكوس من بلاد المغرب القديم، أمثال: فيكتورينوس Victorinus والقديس أوغسطين، وقبلهما كل من: سولبيسيوس أبوليناريس Sulpicius Apollinaris القرطاجي، وفوليزيوس يونيوريوس Volusius Iniorius أصيل قيصرية (شرشال حالياً) خلال القرن الثاني للميلاد، وهذا الأخير أهدت له أمه كورنيليا نقيشة ذكرت أنه كان أستاذ نحو اللغة اللاتينية، جاء فيها ما يلي[5]:

1- Plutarque: Les Vies des Hommes illustres, Alcibiade, I, 453. Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.107. Id.: V.QU.R.A.E., Op.cit., P.132.

2- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، ص 37.

3- الطيب بوساحة: **"اللباس من خلال الحضارات القديمة (الحضارة المصرية والحضارتين الإغريقية والرومانية)"**، حولية الاتحاد العام للأثريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، مج.19، العدد 1، مصر، 2016م، (ص 1-35)، ص 24.

1- سلوى هنري جرجس: طرز الأزياء في العصور القديمة (الفرعوني، يوناني، روماني، بيزنطي، قبطي)، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2001م، ص. ص 82، 91.

2- حسين تحية كامل: تاريخ الأزياء وتطورها، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ص 131.

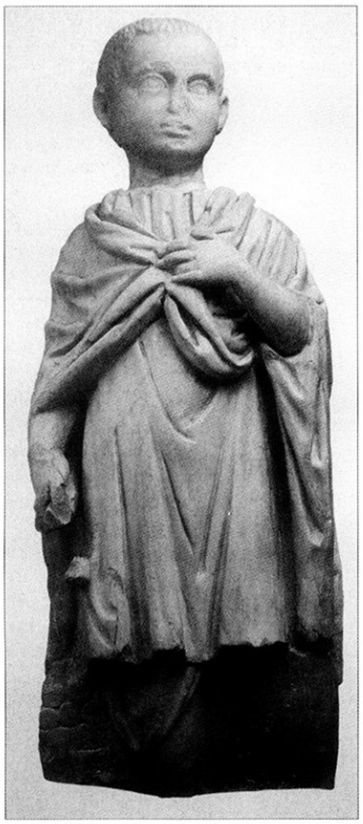
3- Aulu-Gelle: T.1, LIV.I, 141.

4- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 227.

5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 101-102.

[D](iis) m(anibus) s(acrum) [..]o Volus[io I]uniori g[rammatic]o latino annis [X.] [..]I die[bu]s IIII [Cor]nelia Afr[--] mater filio [-i-]mo adque d[ulc]issim.[1]

ومعناه: إلى أرواح آلهة الأجداد، فولوسيوس جونيور نحوي لاتيني لمدة عشر سنوات، تهدي الأم كورنيليا أفريكا لابنها هذا النصب وبكل لطف.



الشكل رقم 16: تمثال الطفل أوغسطين من مادوروس يلتحف معطف بيروس، نقلا عن:
Baratte (F.): «La sculpture en Numidie à la fin de l'Antiquité», (P.P. 153-171), URL: https://books.openedition.org/ausonius/8133, Vu: 22/02/2024.

ارتكز التعليم في هذه المرحلة على دراسة قواعد نحو اللغة اللاتينية وصرفها، وحفظ نصوص وأشعار أحد كبار الشعراء أو الأدباء كشعر فرجيليوس Vergilius ونثر شيشرون Ciceron[1]، بالإضافة إلى دارسة الأدب وفن الريطوريكا[2] (الخطابة). كما يركز أستاذ الغراماتيكوس على نصوص لأدباء من المغرب القديم، مثل أشعار ونصوص الشاعر تيرانتيوس آفر Terentius Afer القرطاجي، التي تتحدث عن ميثولوجيات ومغامرات

1- CIL, T.VIII, 21107, (CAESAREA, P.2002).

1- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 151. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 324.

2- الريطوريكا: هي فن الخطابة، لأن الخطباء كانوا يستخدمون الريطوريكا كأسلوب من أجل انتزاع القرار بدلاً من البحث البرهاني الاستدلالي على الحقيقة. ينظر: سارة التونسي الزواري: المعجم الفلسفي النقدي، ط.1، مطبعة السفير الفني، 2005م، ص 227.

الآلهة، وكذا نصوص سالوستيوس، ويتم تجميع هذه النصوص ونسخها لتوزع على التلاميذ لمعالجتها بالتفصيل وفق مراحل خلال الموسم الدراسي.[1]

بالإضافة إلى تلقي دروس في اللغة الإغريقية[2]، باعتبارها اللغة الأم للعلوم والفلسفة وغيرها، وذلك ما أشار إليه القديس أوغسطين وكذلك لوكيوس أبوليوس الذي تعلمها في مدرسة مادوروس، لكنها أخذت في التراجع مع مرور الوقت دون أن تختفي تماماً بسبب ميل التلاميذ للغة اللاتينية لانتشارها في الوسط الاجتماعي لمجتمع المغرب القديم[1]، بسبب سياسة الرومنة التي مست الجانب الثقافي كذلك.

وعموماً فمن بين الشخصيات التي كانت تُدرَّس نصوصها آنذاك في هذه المدارس أذكر: الشعراء ليفيوس أندرنيكوس وإينيوس وتيرينس وفيرجيليوس والكاتب شيشرون ورسائل سينيكا Sénèque وروائع هوراس Horace وأوفيد Ovide ولوكان Lucain[2]، وأوريبد Eurpide 480-406ق.م وهيزيود Hésiode الذي عاش ما بين القرن الثامن ق.م إلى القرن السابع ق.م وديموستين Démosthène 384-322ق.م، ولوكيوس أبوليوس المادوري 125-170م وغيرهم...[3]، لذلك أولى أساتذة هذه المرحلة اهتماماً بالأسلوب والبلاغة، والتعاليم اللغوية للنصوص القديمة التي لها علاقة بتاريخ بلاد المغرب القديم، فكان لذلك فوائد أدبية وأخرى تاريخية للتلاميذ المغرب القديم. وتمكن تلاميذ هذه المرحلة من حفظ الكثير من نصوص الأدباء والشعراء والفلاسفة ورجال السياسة والقانون[4]، كما لقن هؤلاء الأساتذة تلميذهم بعض المبادئ في مجال العلوم العقلية مثل: الرياضيات والهندسة والحساب وعلم الفلك، والفيلولوجيا Philologia[5] ودراسة التاريخ والجغرافيا، لتتبع مثلا يوليسيس Ulysse والأحداث التي مر بها بعد عودته إلى بلاده، وتوسعات الإسكندر الأكبر في الشرق، وبعض الفنون: كالمسرح والموسيقى والرقص والقصائد الغنائية[6]، وهذا التنوع

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 102.
2- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 151.
1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 104-105.
2- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.P.136-137.
3- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 34.
4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 105.
5- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 34. الفيلولوجيا هو علم اللغات، ويتكون من لفظتين يونانيتين وهما: فيلوس أي محب أو صديق أو مؤثر، ولوغوس أي كلمة أو كلام أو فن، والفيلولوغ هو مؤثر الكلمة والباحث فيها، وبمفهوم آخر هو العلم الذي يبحث في جميع النواحي العقلية لدى مجتمع من المجتمعات بدراسة اللغات. عبد الله حسين: المرجع السابق، ص 141.
6- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.138, 142.

المعرفي مكن هذه المدارس أن يتخرج منها المتعلمين في سن مبكرة ويكونوا أدباءً وفلاسفةً ومحامين وخطباء، وحتى مسيرين للإدارات والمحاكم على مستوى بلديات أو مقاطعات بلاد المغرب القديم[1]، وحكام وقناصل على بعض المقاطعات مثل تعيين يوبا الثاني بروقنصل على مقاطعة أفريكا نوفا Africa Nova (نوميديا)[2]، وفرونطو Fronto الكيرتي في آسيا الصغرى (الأناضول Anatolie)[1]، ويوليانوس الهدروماتي Julianus d'Hadrumète الذي تولى منصب البريطور Praetor (قاضي يأتي بعد منصب القنصل في الإدارة الرومانية)، وماكروبيوس Macrobius على قرطاجة وهيسبانيا Hispania[2]، وقد ارتقى بعضهم لرتبة الأباطرة مثل: سبتيميوس سيفيروس وغيرهم.

وهناك الكثير من النقائش التي ذكرت بعض طلبة هذه المرحلة أذكر هنا مثالين؛ فبالنسبة لمحتوى النقيشة الأولى لطالب من كيرتا ينتمي إلى قبيلة كويرينا Quirina العائد إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد، والذي كان مجتهداً في دروسه وكان من المفترض أن يأخذ دروساً في البلاغة ولكن الموت عاجله وهو في عمر العشرين عاماً:

D(is) m(anibus) [s(acrum)]- Q(uintus) Iulius- Q(uinti) f(ilius)- Quir(ina) Felix omnium stud(iorum) peritissimus v(ixit)- a(nnis) XX- h(ic) s(itus) e(st).[3]

ومعناها: لآلهة أرواح الأجداد كوينتوس يوليوس فيليكس بن كوينتوس من قبيلة كويرينا ماهر جدًا في جميع التخصصات عاش عشرين عاماً لقد دفن هنا.[4]

أما النقيشة الثانية من البيزاسان (المزاق) فورد فيها ما يلي:

[--] us (?) Clarus Bonicianus Iu(venis) inter omnia emendatus verecundia incomparabili moribus et ingenio clarus omni simplicitate iucundus semper parentibus carus is cum summo eorum dilectu p(ius) v(ixit) a(nnis) XXI m(ense) uno, h(ic) s(itus) e(st).[5]

ومعناها: كلاروس بونيكيانوس، شاب بارع في جميع التخصصات، لا مثيل له في التواضع، بارع في الذكاء والأخلاق، مطيع لوالديه دائماً، كان عزيزاً عليهما ومحبوباً جداً،

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 105.

2- محمد تازي سعود: صفحات من تاريخ المغرب القديم، ط.1، منشورات فكر، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ص 78.

1- Charlet (J.L.): "Fronton", Enc.Ber. [En ligne], 19|1998, document F49, mis en ligne le 01/06/2011, consulté le 25/09/2020. URL: https://journals.openedition.org, Vu: 03/10/2024, P.1.

2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.446.

3- Tlili (N.): "Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine", Op.cit., P.P.8, 20.

4- Ibid., P.P.8, 20.

5- Ibid., P.P.14, 20.

تقي، عاش واحد وعشرين سنة وشهر، دفن هنا[1]، إذن تشير هذه النقيشة إلى هذا التلميذ الشاب الذي كان بارع في دراسته، وأتقن الكثير من العلوم والمعارف، كما اتصف بحسن الأخلاق وطاعة والديه، فكان عزيزاً عليهما، وقد ترك في نفسيهما أثراً بليغاً.

إذن؛ تعتبر مرحلة الغرماتيكوس المرحلة التعليمية الثانية، ولا تختلف عن مرحلة الليتيراريوس، إلا في نوعية التعليم المقدم، إذ يكون أرفع من السابقة، حيث يحفظون نصوص الأدباء والشعراء والفلاسفة والقوانين، ويدرسون مختلف العلوم الرياضيات والهندسة والحساب والفلك والتاريخ والفنون وغيرها، ويركز الآباء في المغرب القديم على توفير نفقات الدراسة لأبنائهم من أجل الالتحاق بهذه المرحلة، وفي الكثير من مناطق بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، يضطر التلاميذ للانتقال إلى مناطق أخرى من أجل الالتحاق بهذه المرحلة التعليمية.

4- مرحلة الريطوريكا Rhétorica:

بحكم استفادة منطقة كيرينايكا (قورينائية) من الثقافة اليونانية، ظهر في هذه الجهة من بلاد المغرب القديم نظام الريطوريكا (التعليم العالي) قبل ظهوره في روما أي قبل القرن الأول قبل الميلاد، ولقد سيطرت مادة الريطوريكا Rhétorica[1] (الخطابة) على هذا المستوى التعليمي آنذاك. وبعدها ظهرت مدرسة ريطوريكية عند المجتمع الروماني تأثراً بذلك، لكن كانت الدروس تعطى باللغة اليونانية وليس باللاتينية، ونفس الظاهرة الثقافية سادت في مجتمع بلاد المغرب القديم.[2]

ولقد اهتم المجتمع الروماني كثيراً بالريطوريكا خدمة للأهداف السياسية، ولما لها من تأثير على المجتمعات والأفراد، وكانت تُلقى في مجلس السينا Sénat في روما وفي الولايات والمقاطعات الرومانية لتهدئة النفوس أو بعث الحماس حسب ما تقتضيه المعطيات والظروف، والملاحظ أن الرومان لم يسمحوا لأي قائد بارتقاء أعلى المراتب مهما كانت

1- Tlili (N.): "Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine", Op.cit., P.P.14, 20.

1- الريطوريكا (الخطابة Oraturiam): وهو نفس المصطلح في بعض اللغات الأوروبية المعاصرة مع الاختلاف في طريقة النطق في الفرنسية Rhétorique وفي الإنقليزية Rhetoric كلها مشتقة من الاصطلاح اللاتيني Rhetorica، أما مقابله في اللغة العربية هو مصطلح الخطابة، وتعني علم البلاغة، وليس الغرض منها تعليم الكلام البليغ فحسب، وإنما عرض الأفكار بأسلوب مقنع. للاستزادة ينظر: جميل صليبيا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص 531.

2- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 35. لقد كانت دروس البلاغة تقدم عند المجتمع الروماني حصرياً باللغة اليونانية. ينظر: Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., Id.: D.L.A.R., Op.cit., P.P.107-108. P.P.132-133.

خصاله إذا لم يكن يتقن فن الريطوريكا، التي تسمح له بالتأثير في صفوف أفراد الجيش الروماني.[1]

وتعتبر هذه المرحلة آخر مراحل التعليم، وهي مقتصرة على المراكز التعليمية الكبرى في منطقة المغرب القديم، وكانت موكلة إلى أستاذ يسمى أوراطور Orateur[1] أو الريطور Rhetor (الخطيب)[2]، الذي وصفه كاتون الكبير Caton l'Ancien بالرجل الصالح والماهر في التحدث[3]، لذلك فقد كانت البلديات آنذاك شديدة الحرص على جلب من ذاع صيته من المدرسين[4]، ممن لهم مستوى ثقافي رفيع وضليع في فن الخطابة، ولأجل ذلك تُقام المنافسات والمسابقات لاختيار أحسنهم عن طريق إلقاء خطبة أمام حاكم المقاطعة Praefectus الذي سيختار[5]، أمهر هؤلاء في فن الخطابة وأحسنهم أدباً وأخلاقاً[6]. ويعتبر لوكيوس أبوليوس من الخطباء الذين مارسوا هذه المهنة[7]، حيث كان يُعرف بالأستاذ المتميز لأنه كان يبدأ محاضرةً من محاضراته باللغة اللاتينية وينهيها باليونانية أو العكس[8]. بالإضافة إلى أوغسطين الذي أرسله والده إلى قرطاجة لمواصلة تعليمه[9] فأصبح أستاذاً بارزاً من أساتذة الخطابة الإقناعية[10]، التي تعتمد على الحجج والأدلة والبراهين المقنعة واللغة المؤثرة، وكذلك أستاذاً للأدب والبيان، وعند انتقاله إلى روما وميلانو كان أستاذاً للبلاغة[11]، ومكنه ذلك من فتح مدرسة للبيان حينما كان في ميلانو.[12]

وقد أشار بول مونصو أن الطلبة الواصلين إلى هذه المرحلة يكونون في حدود سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة[13]، وينهونها في سن العشرين أو الخامس والعشرين،

1- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 261. Boissier (G.): Op.cit., P.P.270-271.
1- زموري خديجة: المرجع السابق، ص. ص 37، 39.
2- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص. ص 151-152.
3- باللاتينية: «vir bonus et dicendi peritus». Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.P.114-115. Id.: V.QU.R.A.E., Op.cit., P.140. Quintilien: T.IV, L.XII, I, 268.
4- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 249.
5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 112.
6- Quintilien: T.IV, L.XII, I, 269.
7- Talbot (F.): Op.cit., P.22.
8- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.P.62-63, 275. لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 26، ص 99.
9- Augustin (St.): les confessions, T.1, L.II, CH.III, P.168.
10- هنري تشادويك: أوغسطينوس، ط.1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2016م، ص 127.
11- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 84-85، 93.
12- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين (تاغست 354م- هيبون 430م)"**، الحوار الفكري، العدد 3، جامعة منتوري، قسنطينة، جوان 2002م، (ص 119-134)، ص 121.
13- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.58.

ويعتبرون من ضمن الطلبة المحظوظين والمتميزين، لأنها تضمن لهم مكانة وقيمة اجتماعية مرموقة، وطبعاً في الوسط الاجتماعي الذي ينتمون إليه وربما في مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية.

إضافة إلى أن المنظومة التعليمية لهذه المرحلة تمكن المنتسبين إليها وخلال هذه السن، من ارتداء أنواع من عباءات التوجا Toga باعتبارها رمز الرجولة ومن رموز المواطنة الرومانية، وكدلالة على ارتقاءهم في السلم التراتبي الاجتماعي إلى أعلى الطبقات الاجتماعية[1]، وتتمثل في توجا بورا فيليريس Toga Pura Viliris، وتكون بلا زخرفة وغير مزينة، ومصنوعة من الصوف باللون الطبيعي[2]، بالإضافة إلى توجا الطلبة المسماة بتوجا كانديدا Toga Candida، وتكون باللون الأبيض الناصع كدلالة على النقاء الذي يعيش فيه الطلبة (أنظر الشكل رقم 17، ص 100)[3]، وهذا ما جعل الآباء في المغرب القديم يدفعون أبنائهم لإتمام تعليمهم إذا ما تمكنوا من تحمل تكاليف الدراسة، وأما مسألة إتمام التعليم بالنسبة للطلبة المنتمين للفئات الأرستقراطية فكانت من الأمور اليسيرة عليهم.[4]

إذن وكما أشرت سابقاً؛ حينما يصل هؤلاء الطلبة إلى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة يمكنهم الالتحاق خلال هذه المرحلة بأحد المراكز التعليمية في المدن والحواضر الكبرى مثل: مادوروس وكيرتا[5] وماكتاريس Mactaris وقيصرية وقرطاجة، هذه الأخيرة نصح بها الشاعر يوفينال Juvenal أحد طلابه بحكم ما كانت تتميز به من مستوى تعليمي راقي. وكانت الفصول الدراسية مقتصرة على الذكور الذين كانوا أكثر حظاً من الإناث. وقد تحدث سانت أوغسطين في كتاب الاعترافات بشيء من التفصيل عن أوضاع هؤلاء الطلبة ووصف حياتهم في قرطاجة منذ وصوله إليها، وقد جاء هؤلاء بهدف التمكّن من دراسة فن الريطوريكا[6] بالدرجة الأولى، ثم دراسة علم البيان والفصاحة، والقانون[7] والتاريخ والفلسفة، ومختلف العلوم بدرجة ثانية، ومثل هذا التعليم لم يكُن موجودًا إلا بقرطاج ومادوروس

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 109.
2- الطيب بوساحة: المرجع السابق، ص 21.
3- حسين تحية كامل: المرجع السابق، ص 133.
4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 109.
5- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 261.
6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 109. الأبيات التي ذكر فيها يوفينال ذلك ينظر: Juvenalis: Sat. VII, 123.
7- المقصود هنا هو القانون الروماني (قانون الألواح الإثني عشرة). ينظر: Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.132.

وماكتاريس[1] بـبلاد المغـرب القـديم، وقسـمه الشـرقي بكيرينايكـا، وموجـود فـي رومـا وأثينـا والإسكندرية.



الشكل رقم 17: تمثال لطالب ومعه محفظة عند قدميه، نقلا عن:
L'école dans l'antiquité Romaine, La toge et le glaive, Op.cit.

وربطت بين طلاب هذه المرحلة علاقات تقاسموا فيها مكان السكن وظروف البعد عن أهاليهم بالمؤانسة والتعاطف والتكافل وتشاركوا قراءة الكتب وتحصيل المعرفة، حيث يقول أوغسطين: **"كان بيننا الحديث والمؤانسة والتمازج والتعاطف والتلاطف والتشارك في قراءة كتب عذبة.. كان بيننا الخلاف دون بغض، وعند الاختلافات.. يكون النقاش.. وكان بيننا تحصيل المعرفة.."**[2]، وكما أشار كذلك أبوليوس إلى روابط الصداقة التي كانت بينهم حينما درسوا على يد المعلمين أنفسهم[3]، كما منحهم ذلك البعد هامش من الحرية الكافي لقضاء وقت في الملذات على حساب الدراسة والمشاغبة أثناءها، فهذا الأستاذ المدعو فوسفوروس Phosphorus انزعج على غير العادة من شغب طلبته[4]، وقد تحدث أوغسطين لمّا وصل إلى قرطاجة أنه كانت تستهويه المشاهد المسرحية الماجنة المقامة في مسرح هذه المدينة، وألعاب سباق العربات والمصارعة المقامة في مضامير السباق Hippodromes والملاعب

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 325.
2- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 66.
3- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 16، ص 66.
4- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 299.

المدرجة Les Amphithéâtres[1]، وأسماها مرجل الأهواء التي يندى لها الجبين، والميل إلى الشغب والمشاكسة.

وكان طلبة المغرب القديم يتباهون بوصولهم إلى هذه المرحلة من التعليم، واعتُبروا كفئات راقية من المجتمع لتمكنهم من مختلف العلوم والآداب، ورغم الاختلاف بينهم من حيث الانتماء الطبقي المعروف آنذاك في مجتمع بلاد المغرب القديم، فقد كان بعض الأثرياء يتكفلون بتحمل نفقات بعض النجباء من بسطاء المجتمع لتمكينهم من تنمية ملكاتهم العلمية والفكرية[2]، وهذا يمثل مظهراً من مظاهر التكافل الاجتماعي التي سادت بين الفئات الاجتماعية للمغرب القديم[3]، فعندما عجز باتريكيوس Patricius والد أوغسطين عن تغطية نفقات إرسال ابنه إلى قرطاجة لمواصلة تعليمه، تكفل أحد الأسخياء المدعو رومانيانوس Romanianus باعتباره من أعيان وأثرياء مدينة ثاغاست وصديق العائلة[4]، وقد فعل أوغسطين نفس الشيء مع ليكينتيوس Licentius ابن رومانيوس حينما تكفل بدفع تكاليف دراسته وهو أحد طلابه.[5]

ومما لا شك فيه أن هناك الكثير ممن عجز أوليائهم من تغطية تكاليف تعليم أبناءهم وتحمل نفقاته في هذه المرحلة، وما حدث لليكنتيوس[6] ومن قبله لأوغسطين، هو إشارة إلى انتشار ظاهرة التكافل الاجتماعي في مجتمع المغرب القديم آنذاك، وقد يكون هناك الكثير من الطلبة الذين تلقوا دعماً من قبل أثرياء بلداتهم لم تذكرهم المصادر التاريخية. لذلك كان طلبة المغرب القديم آنذاك يعتزون بالتحصيل المعرفي الذي تلقوه، والذي كان نتاج المثابرة والشقاء والتعب الذي بذلوه من أجل إكمال هذه المرحلة التعليمية، فقد أشار إلى ذلك أبوليوس، الذي كان متمسكاً أشد التمسك بالدروس ومواصلة التعليم رغم التعب والشقاء، فلم يدخر جهداً ولا مالاً لأجل ذلك[7]، ونفس الأمر لأوغسطين الذي كان يفتخر بكونه الأول في فصله.[8]

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.P.48, 66.

2- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 249.

3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 110.

4- Marrou (H. I.): Saint Augustin et l'augustinisme, éditions du Seuil, Paris, 2003, P.16.

5- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 345.

6- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 38.

7- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 111.

8- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.67.

وكما أشرت أن الريطور هو الأستاذ المسؤول عن تقديم الدروس في هذه المرحلة، وكان عارفاً ومتقناً لمختلف العلوم، فنال مكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه وحتى في كافة مقاطعات الإمبراطورية الرومانية بما فيها بلاد المغرب القديم، كما كان محبوباً عند طلابه وتأثروا به، ومثل لهم القدوة التي طالما تمنوا أن يحذوا حذوها. وكان الخطيب في قرطاجة يستأجر مدرسة واسعة، مثل ما فعل أبوليوس لإلقاء خطب الفلوريدا، والذي اضطر إلى استئجار مسرح هذه المدينة بسبب كثرة عدد طلابه ومتابعيه الحاضرين[1]، بالإضافة إلى أنه كان عنصراً فاعلاً في الحياة العامة، ويحب أن يكون معروفاً من خلال المشاركة في الحياة المدنية كأستاذ أو خطيب أو محام.[2]

كما عرفت المدن والحواضر في بلاد المغرب القديم تشييد الإكسيدرا Exédra، التي كانت ذات شكل نصف دائري[3]، حيث شكلت أمكنة لائقة للخطيب ليلقي فيها دروسه، حيث يجلس الطلبة في وضعية نصف دائرية ويجلس بالمقابل الريطور على مصطبة، حيث يصعد إليه كل من حان دوره لتقديم واجبه، وقد أشار إليها أبوليوس العديد من المرات، وأنها كانت تزدحم بالطلاب أثناء إلقاء دروسه في قرطاجة[4]، وهذه البناية كانت منتشرة في كل من: شمتو ولبتيس ماغنا[5] وقرطاجة وماكتاريس ومادوروس وغيرها، ونظرًا لأهميتها، كان يستأجرها أستاذ هذه المرحلة حينما يكثر لديه عدد الطلبة.[6]

وكانت كذلك هذه المرحلة التعليمية – حسب ما أشار القديس أوغسطين – تتم في حجرات عادية كالمراحل التعليمية التي سبقتها، كما يلجأ الريطور إلى تدريس فوج من أفواج طلبته في منزله، وهي ظاهرة كانت منتشرة في معظم مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، وقد ذكر ذلك أوغسطين أثناء تواجده في ميلانو بإيطاليا، ومن هناك أخبر وحذر عن ظاهرة هروب الطلبة قبل نهاية الفصل الدراسي من ريطور إلى آخر تهرباً من دفع مستحقات

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 111-112. ينظر: لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 16، 18، ص. ص 64-68، 74.

2- Talbot (F.): Op.cit., P.95.

3- Sabine (L.): "Scholae, un espace grâce auquel les notables construisent leur mémoire?", In: Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 2008, 2015, (P.P. 137-158), Persée, https://www.persee.fr, Vu: 02/02/2024, P.P.143-144.

4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 112.

5- Sabine (L.): Op.cit., P.P.149.

6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 113.

التعليم، لذلك فإن من أهم ما يميز مدارس الريطوريكا في بلاد المغرب القديم، هو الهدوء والسكينة والاحترام المتبادل والثقة بين الخطيب وطلابه.[1]

ولقد هيمنت الريطوريكا على معظم العلوم التي كانت تدرس خلال هذه المرحلة[2]، وكانت وسيلة من وسائل تعليم المقررات الدراسية. ويكون طلبة هذه المرحلة قد تعلموا هذا الفن في مرحلة الغراماتيكوس، وذلك ما أشارت إليه نقيشة رثاء الطفل المدعو بوبليوس كاليديوس روفوس Publius Caledius Rufus صاحب الأربعة عشرة سنة، المتمكن من لغتي التعليم والمتقن لكتابة خطبة باللغة اليونانية وتأديتها أمام الحضور بطريقة جيدة[3]، وهو من آغار Aggar بالبيزاسان (المزاق) Byzacene:

D(is) m(anibus) s(acrum) P(ublius) Caledius Rufus Parcae quos tribuerunt ter quinos bis singulos pergi annos ingenio non humili quo gratus apud magistros fui qui dixi pinsci bene puer doctrinae aeque dedidi mentem nam bis septenos cum agerem annos notas graecas quis in comm(atibus)m [ore] graeco (utuntur dicendi arti) fices. Quand[oquide] m[--]viserim, il[li]/ perpet[uo dolebunt crudeli] mortis meae vulnere.[4]

وتعني هذه النقيشة ما يلي: لآلهة أرواح الأجداد، بوبليوس كاليديوس روفوس، لقد سافرت ثلاث مرات وخمس ومرتين في السنوات التي منحتها لي الأقدار، بذكاء نادر، حظيت بتقدير أساتذتي، أنا الذي أجيد التحدث والكتابة والرسم. عندما كنت طفلاً، عهدت بعقلي بنفس الطريقة (مثل البالغين) إلى الأنشطة الفكرية. في الواقع، بينما كنت أكمل فصلين دراسيين مدة كل منهما سبع سنوات، كنت أؤلف باستخدام الحروف اليونانية، التي يستخدمها أساتذة الأدب، أبياتاً بأسلوب اليونانيين هؤلاء (الآباء) سيتألمون دائماً بشدة بسبب جرح موتي.[5]

وفي هذه المرحلة التعليمية غلبت النزعة الخطابية على تدريس مختلف المواد الدراسية كالأدب والتاريخ والفلسفة ومختلف العلوم، لذلك وجد فن الريطوريكا في المدارس المكان الملائم لها[6]، من خلال إجراء تمارين مدرسية لمختلف المرافعات، حيث يختار الريطور موضوعات وهمية، مع إعطاء التعليمات والتوجيهات والشرح المعمق سواء لمرحلة الكتابة

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 113. ينظر: القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 91-92.
2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.63.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 114.
4- Tlili (N.): "Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine", Op.cit., P.19.
5- Ibid., P.P.6-7.
6- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 249.

والتأليف أو لمرحلة الحفظ والإلقاء. ولقد هيمن هنا الخطاب القانوني على بقية الخطابات، لأنه كان يشترط على الطلبة معرفتهم الجيدة بالقانون المدني[1]، ما أفرز ميل طلبة المغرب القديم إلى هذا الخطاب، فكان الريطور يركز على النصوص القانونية والأوامر القضائية، ويطرح لهم القضايا المعروفة حتى يتمكن طلبته من التعرف على القانون الروماني ويكلفهم بحفظها، ثم يحدد لهم إشكاليات قانونية ويطالبهم بنسج قضايا على مناولها ويحررون لها مرافعات يقدمونها أمامه بشكل ارتجالي.[2]

وبفضل ذلك اشتهر الكثير من المحامين في بلاد المغرب القديم الذين زاولوا مهنة المحاماة في المغرب القديم أو خارجها، أمثال: لوكيوس أبوليوس المادوري وفرونطو أصيل مدينة كيرتا، وهذا الأخير ساعدته شهرته أن يصبح عضواً في مجلس السينا الروماني في عهد الإمبراطور هادريانوس Hadrianus، وقنصلاً في عهد أنطونيوس التقي Antonius Pius، وأن يكون خطيباً لأبناء هذا الإمبراطور وهما ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius ولوكيوس فيروس Lucius Verus[3]، إضافة إلى القاضي والمشرع سالفيوس يوليانوس Salvius Julianus أصيل هادروميتوم[4]، والفقيه سيرفيليوس سيلينوس Servilius Silenus من هيبوريجيوس[5]، وغيرهم من الذين ضلعوا في مجال القانون الروماني.

كما حظيت مادة التاريخ[6] والسياسة بعناية هامة، لتحفيظ الأجيال ببطولات وأمجاد الأبطال وما حققوه من انتصارات؛ كبناء مجد روما وتعريفهم بالاستراتيجيات والوسائل المتبعة في ذلك ومنه ليحافظوا على مكتسبات الإمبراطورية الرومانية[7]. بالإضافة إلى ما تناولته لبعض الأحداث التاريخية الكبرى؛ كعبور هانيبال Hannibal بجيشه إلى إيطاليا وانتصاره على الرومان في معركة كاناي Cannae سنة 216ق.م التي وصفها المؤرخين

1- Quintilien: T.IV, L.XII, III, 305.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 114-115.

3- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 36. Nicole (F.): Le milieu culturel africain à l'époque antonine et le témoignage d'Apulée. In: Bulletin de l'Association Guillaume Budé, N°3, octobre 1987, Persée, URL: https://www.persee.fr, Vue: 25/03/2024, P.285.

4- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 249. Alfred (M.): "Le Jurisconsulte Salvius Julianus proconsul d'Afrique", In: Mémoires de l'Institut national de France, T.43, 2eme partie, 1951, URL: https://www.persee.fr, Vue: 26/03/2024, P.P.98-99.

5- Nicole (F.): Op.cit., P.288.

6- يشير كوينتيليان أنه على طلبة هذه المرحلة وبحكم دراستهم لفن الريطوريكا المعرفة الجيدة للتاريخ. ينظر: Quintilien, T.IV, L.XII, IV, 311.

7- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 262.

الرومان بالكارثة وأنها آخر أيام روما، ودراسة إشكالية ماذا لو حقق هدفه في دخول روما؟[1]، وهو جدل ولد فريقين بخطبتين بين مؤيد ومعارض. ومكن ذلك الطلبة في هذا المجال أن يقدموا خطبهم في فوروما ت مدن المغرب القديم للحصول على ألقاب ومناصب بلدية Municipium، مثل أبوليوس الذي تدرج في المناصب إلى أن أقيم له تمثال يمجده وهو يقدم أحد خطبه في مدينة قرطاجة[2]، وكما أشار أولوس جيليوس في كتابه الليالي الأتيكية إلى حرب يوغرطة لسالوست، حينما حلل بعض الألفاظ اللاتينية مثل: Superaverant، والحروب البونيقية[3]، بالإضافة إلى دراسة التاريخ اليوناني والهلينيستي ومناقشة أحداث أثينا مثلاً، ومجريات توسعات الإسكندر الأكبر في منطقة الشرق القديم.[4]

وكان للفلسفة أهمية بالغة في هذه المرحلة التعليمية، وهي أكثر العلوم التي يقبل عليها طلاب هذه المرحلة. وقد امتدحها أبوليوس حيث أشار إلى أنه كان في فترة شبابه متعطشاً لمختلف العلوم من ريطوريكا وشعر وموسيقى وهندسة، إلا أن الفلسفة كانت لها مكانة خاصة في نفسه[5]، وقد كانت تقدم دروسها داخل المدارس أو بشكل حرّ من طرف أساتذة مستقلين، وهناك كذلك أساتذة متجولين، حيث يبدأ الطالب بدراسة تاريخ الفلسفة ثم يتعمق في دراسة المدرسة الفلسفية التي ينتمي إليها[6]، وقد ركز أبوليوس كريطور لتعليم فلسفة أفلاطون وطرحها في أسلوب بلاغي وخطابي جيّد حتى يستفيد منها الطلبة[7]. كما قرأ أوغسطين لما كان لا يزال طالباً، مؤلفاً ألفه شيشرون Ciceron الذي كان يعجب الكثير بلسانه، يحمل عنوان "هُرتينسيُوس Hortensius"، ويحث هذا المؤلف على دراسة الفلسفة اليونانية.[8]

1- بن عبد المؤمن محمد: **"(حنبعل- Hannabal) ومعركة (كاناي-Cannae) 2 أوت 216ق. م"**، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، مج.2، العدد 6، مركز الحكمة، الجزائر، 2015م، (ص 74-81)، ص. ص 74-81.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 115. ينظر: Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, trad. Victor Bétolaud, Nouvelle édit., Garnier Frère, Libraires-éditeurs, Paris, 1904, III, XVI, 40.

3- Aulu-Gelle: T.1, L.IV, 115, L.III, VIII, 285, 287.

4- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.142.

5- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 37.

6- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص. ص 36-37.

7- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 116.

8- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 48. Augustin (St.): les confessions, T.1, L.III, CH.IV, 224.

وإلى جانب هذه المواد الدراسية المشار إليها، هناك مواد أخرى يتم دراستها خلال هذه المرحلة مثل المنطق والجغرافيا والأخلاق ومادة الطب[1]، فقد كان هناك الكثير ممن مارس مهنة الطب ولا شك أنه كان قد تلقى تعليماً فيها وهو البلاغي ألوريوس جمينيوس Alurius Geminius من ماكتاريس Mactaris.[2]

تعتبر مرحلة الريطوريكا أعلى مراحل التعليم في بلاد المغرب القديم، حيث يقدم خلاله تعليماً رفيعاً وراقياً يرتبط بفن الريطوريكا، وكانت تختص به مراكز تعليمية وعلمية محددة مثل: كيرينايكا (قورينائية) وقرطاجة وقيصرية (شرشال) ومادوروس، حيث ينتقل إليها طلبة مقاطعات بلاد المغرب القديم، وكان الآباء في المغرب القديم يجهدون أنفسهم لتوفير تكاليف الدراسة لأبنائهم لاستكمال هذه المرحلة المهمة والتي بعدها سينال المتخرجين من مراتب الشرف وأحسن الوظائف، وبفضلها سيمارسون مهناً هامة على رأسها مهنة المحاماة.

ومن هذا كله؛ فإن تلاميذ وطلبة بلاد المغرب القديم كانوا يتلقون تعليمهم عبر مراحل وهي الليتيراريوس والغراماتيكوس والريطوريكا، ولكل مرحلة تقدم نوعاً من التعليم يبدأ من البسيط إلى الأرفع، يشرف عليها معلمين وأساتذة يؤدون أدوار التدريس والتعليم، وفي هذا الصدد نجد أن لوكيوس أبوليوس قد وصف تلك المراحل بالأقداح حيث يقول: "**القدح الأول يمنحك إياه المعلم الذي يعلمك القراءة والكتابة ويخلصك من الجهل، القدح الثاني يمدك إياه معلم الأدب ويزودك بالمعرفة، الثالث يسلحك ببلاغة الخطباء، ومن هذه الأقداح الثلاثة ينهل معظم الرجال**".[3]

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 116.
2- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 298.
3- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 20، ص 84.

المبحث الثاني: المدارس التعليمية في بلاد المغرب القديم

رغم ازدهار التعليم في بلاد المغرب القديم بمختلف مراحله، غير أنه لا يعرف إن كانت هناك هياكل عمرانية خاصة للمدارس التعليمية. إلا أن وجود وانتشار ظاهرة التعليم يؤكد وجود ولو أماكن مخصصة لممارسة النشاط التعليمي، وهذا يشير إلى توفير الوسائل الخاصة بذلك، مع وضع مناهج دراسية يعتمد عليها معلمي وأساتذة كل مرحلة من مراحل التعليم المشار إليها سابقاً، بالإضافة إلى أن انتشار التعليم يكون قد ترك أثراً على بلاد المغرب القديم ونتائجاً على مجتمع المغرب القديم خلال تلك الفترة، وهذا ما سأوضحه في هذا المبحث.

المطلب الأول: الهياكل والوسائل المدراسية

سأتطرق في هذا المطلب إلى محاولة إثبات وجود هياكل معينة مخصصة كمدراس لممارسة النشاط التعليمي في بلاد المغرب القديم، موضحاً الوسائل والآليات والأدوات التعليمية.

1- الهياكل المدرسية:

سميت المدرسة في الفترة الرومانية باسم لودوس Ludus وهي تعني في قاموس اللغة اللاتنية "المدرسة"؛ وتعني أيضاً مكان تعلم الأطفال إذا أضيفت لها كلمة ليتيراريوس "Litterarius Ludus" ليصبح المعنى "مدرسة تعليم الصغار"، واستخدمت لفظة سكولا Schola[1] بمعنى مدرسة، ولكنها كانت تعني عند الرومان المكان الذي يتعلمون فيه النقاش والحوار، وربما كانت المكان الذي يُدرس فيه الفلاسفة فن الحوار أي مدرسة الكبار[2]، وكما أشرت سابقاً أن كاركوبينو ذكرها تحت مسمى لودوس ليتيراريوس Ludus litterarius.[3]

ويذكر بلوتارخوس Plutarche أن أول من أسس مدرسة في روما معلم يدعى سبوريوس كارفيليوس Spurius Carvilius عام 234ق.م وقام بالتعليم فيها بأجر، وهي دون شك نوع من المدارس الخاصة التي تشرف عليها الدولة، إذ يذكر نفس المؤرخ أن هذا

1- أشار محمد العربي عقون إلى أن اسم المدرسة والمعلم في بعض المناطق كعين البيضاء وخنشلة وتبسة وربما في جهات أخرى ينطقونها بصيغتها اللاتينية، فالمدرسة تلفظ باسم شكولا من الكلمة اللاتينية Scola، والمعلم باسم "الميسترو" من الكلمة اللاتينية: Magistre. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 272.

2- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 237.

3- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104.

المعلم كان عبداً حرره القنصل آنذاك وكلفه بذلك[1]، بالإضافة إلى أن هؤلاء المدرسين سيقومون في العادة بالإشراف على إدارة وتسيير شؤون المدرسة.[2]

وعلى العموم، فإننا نعرف القليل عن مبنى المدرسة في الفترة الرومانية، إذ لم يُعثر على أي عمارة المدارس بين أنقاض المدن، فقد كانت تقام بشكل عام تحت الأروقة أو في الطوابق العليا من المنازل الخاصة[3]، كما تحدثنا المصادر الأدبية أن المعلم كان يرضى بمجرد حجرة واحدة، أو حتى شرفة Pergula والتي تعني حجرة إضافية لمبنى رئيسي ما، أو يقوم بالتعليم بين أروقة الفوروم Forum، وهذا ما كان سائداً في المدن الخاضعة للامبراطورية الرومانية، وأنه غالباً ما كان يتم اليوم الدراسي في الهواء الطلق أو تحت مظلة، وبطريقة ارتجالية مع ضوضاء المارة.[4]

وبما أن منطقة كيرينايكا (قورينائية) في الجزء الشرقي من بلاد المغرب القديم، كانت مستعمرة يونانية منذ القرن السابع قبل الميلاد، فإن هذه المدارس تكون قد ظهرت في منطقة المغرب القديم متزامنةً مع ظهورها في روما[5]، وعرفت انتشاراً واسعاً في المدن والقرى مهما كان حجمها من المدارس[6]، فقد واشتهرت في كل من كيرتا وتيفاست وهيبوريجيوس وثاغاست وسيغا وهادورميتوم وأويا وصبراتا وغيرها..[7]، وذلك ما أشارت إليه بعض النخب المثقفة من المغرب القديم والذين تلقوا تعليمهم بمكان ميلادهم مثل القديس أوغسطين أو مارسوا النشاط التعليمي[8]، حيث أشار أوغسطين إلى وجود مدارس عمومية وأنه كان يُدرّس في واحدة منها لمّا كان في قرطاجة حيث قال: "**كنت أنا.. أعكف هنالك على تدريس البلاغة في مدرسة عمومية**"[9]، ومن دلائل انتشار المدارس كذلك شهادة أرنوبيوس Arnobius من سيكا فينيريا Sicca Veneria حينما ذكر أن هذه المدينة تعج بالخطباء وأساتذة النحو والبلاغة ورجال القانون والفلاسفة والأطباء[1]، وقد أشار أولوس جيليوس إلى المدارس كذلك.[2]

1- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 237.

2- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.104.

3- Boissier (G.): Op.cit., P.267.

4- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص. ص 237-238. Aldrete (G. S.): Op.cit., P.63.

5- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 33.

6- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 31.

7- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.P.48,61.

8- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 31.

9- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 103. Augustin (St.): les confessions, T.1, L.IV, CH.II, 224.

1- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 36.

2- Voir: Aulu-Gelle: T.1, 9, 23.

ورغم هذه الإشارات في المصادر الأدبية والتاريخية، والتي تؤكد لنا على وجود المدارس، ولكن يبقى الشكل المعماري للمدرسة خلال الفترة الرومانية مجهولاً لدينا، لكن هناك دراسات وحفريات حديثة تطرقت إلى دراسة بعض البنايات في بعض مدن المغرب القديم، طرحت حولها فرضية أن تكون عبارة عن مدارس، ومنها دراسة الباحثة يفون آليس Yvonne Allais، حينما وصفت مخططات أحد البنايات بمدينة كويكول Cuicul على أنها كانت مدارس، والواقعة في الحي الشرقي وأخرى في الحي الغربي من نفس المدينة.[1]

فبالنسبة للبناية الواقعة في الحي الشرقي (أنظر الشكل رقم 18، ص 110)، فتقع شرق المعبد السيفيري ولها بوابة باتجاه الطريق الموصل إلى المسرح Théâtre، وذات شكل مربع تقريباً، إلا أن قياساتها تبين أنها مستطيلة الشكل، وهي بطول 16.10 متر وعرض 14 متر، ويتم الدخول إليها من الجهة الشمالية، ويسبق هذا المدخل ردهة، وعلى جانبيه غرفتين صغيرتين بطول 3.70 متر وعرض 3.10 متر، ولها فناء داخلي يبلغ طوله 14 متر وعرضه 12.80 متر، ولا تزال بعض جدرانها مرتفعة نسبياً من جهة الغرب والجنوب والشرق أما جدار الواجهة فلم يبقى منه إلا القليل، وتؤرخ ذات الباحثة هذه البناية بنهاية القرن الثاني وبداية الثالث للميلاد.[2]

أما البناية الواقعة في الحي الغربي (أنظر الشكل رقم 19، ص 110)، فهي عبارة عن قاعة طويلة اتجاهها شرق غرب، في نهايتها هناك حنية تتخذ شكلاً نصف دائري تبلغ فتحته 3.40 متر وعمقه 1.60 متر، واحتوت هناك على منصة hémicycle ارتفاعها حوالي 60 سنتمتر، وينتهي في الجهة الغربية بفناء طوله 9.40 متر وعرضه 6.60 متر، وبشبه دعامات مربعة يقع عندها مدخل هذه البناية بعرض متر واحد في الزاوية الجنوبية للفناء. وتشير ذات الباحثة إلى أن هذين الهيكلين كانا يمثلان مدرستين من مدارس مدينة كويكول (جميلة حالياً)، وقد أعتمد في بناءهما على التقنية الأفريقية Opus Africanum.[1]

1- خادري مبروك: المرجع السابق، ص. ص 151-152.

2- المرجع نفسه، ص. ص 152-153. أنظر: خاشة السعيد: كويكول دارسة اجتماعية وأثرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، 2016/2015م، ص. ص 398-399.
Yvonne (A.): "Le quartier occidental de Djemila (Cuicul)". In: Anti. Afri., 5,1971. P.P. 95-120; URL: https://www.persee.fr, Vu: 23/09/2024, P.102.

1- خادري مبروك: المرجع السابق، ص. ص 152-153. خاشة السعيد: كويكول دارسة اجتماعية وأثرية، المرجع السابق، ص. ص 398-399. Yvonne (A.): Op.cit., P.102.



الشكل رقم 18: مخطط يوضح مكان بناية المدرسة في الحي الشرقي لكويكول (تصرف الباحث)، نقلا عن:
خادري مبروك: **"التعليم والمنشآت التعليمية خلال الفترة الرومانية (مقاطعة نوميديا مجال جغرافي للدراسة)"**، مجلة العلوم وآفاق المعارف، مج.3، العدد 1، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 2023م، (ص 243-262)، ص 252.



الشكل رقم 19: مخطط يوضح بناية المدرسة في الحي الغربي لكويكول (تصرف الباحث)، نقلا عن:
خادري مبروك: المرجع السابق، ص 253.

لقد عرفت المدن خلال الفترة الرومانية تشييد أماكن مخصصة للاستراحة في أماكن معزولة عند ساحات الفوروم، عرفت بتسمية الإكسيدرا Exédra وهي ذات شكل نصف دائري، ويطلق الرومان على هذه الأمكنة كذلك اسم سكولا Schola، أي أمكنة الجلوس والمناقشة في الهواء الطلق، والتي يمكن أن يضاف إليها بعض الأثاث ويتم تغطيتها لتؤدي أدواراً أخرى كممارسة النشاط التعليمي[1]، فقد كانت مشابهة للمسرح بمساحة أقل، حيث

1- Sabine (L.): Op.cit., P.P.143-145.

أشار إليها أبوليوس العديد من المرات، وأنها كانت تزدحم بالطلاب أثناء إلقاء دروسه في قرطاجة، ويتم استئجارها من قبل الأساتذة والمعلمين، وكانت منتشرة في مدن وحواضر مقاطعات المغرب القديم كقرطاجة وماكتاريس ومادوروس[1] وشمتو ولبتيس ماغنا وغيرها.[2]

كما تعتبر الإكسيدرا من الأمكنة اللائقة لاحتضان الأنشطة التعليمية، لاحتوائها على دُرُجات استعملت كمقاعد للجلوس، وأذكر هنا إكسيدرا كنيسة البوابة الشرقية بمدينة مادوروس (أنظر الشكل رقم 20، ص 111)، هذه الكنيسة شيدت في فترة متأخرة ومن المحتمل أنها بنيت في مكان مدرسة، وما يبين هذا الاحتمال الاختلاف الواضح في تقنية البناء، حيث بنيت جدرانها الجانبية بمواد تختلف عن طريقة بناء حنيتها المتقنة البناء المعروفة في الفترات السابقة لفترة بناء هذه الكنيسة. وهو ما يوضح قدم هذه الحنية، المكونة من خمسة صفوف من الحجر الكلسي، ارتفاع الصفوف الأربعة الأولى ما بين 25 سم إلى 28 سم، أما الصف الخامس فيصل ارتفاعه إلى 42 سم. وهذه القياسات تشير إلى أنها كانت مكان لجلوس الأطفال، وهذا ما يطرح احتمال أن تكون تابعة لمدرسة بنيت في فترات سابقة، وربما تعود إلى زمن لوكيوس أبوليوس ومن بعده القديس أوغسطين.[3]



الشكل رقم 20: حنية الكنيسة الشرقية في مادوروس، نقلا عن:
خادري مبروك: المرجع السابق، ص 256.

كما يشير نص نقوشي قصير يرتبط ببناية تم التعرف عليها في شمتو Chemtou وهي لوحة رخامية تم اكتشافها في الجهة الغربية لفوروم المدينة، ويحتمل أن يكون النص طويل إذا ما تم الكشف عن بقيته، ما يمكن من معرفة محتواه وصاحبها وتفاصيل هذا

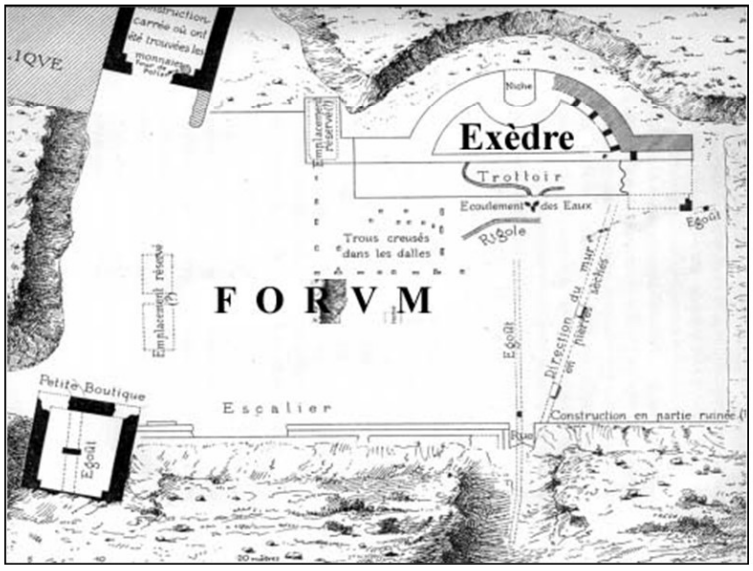
1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 112-113.

2- Sabine (L.): Op.cit., P.P.149, 153.

3- خادري مبروك: المرجع السابق، ص. ص 152-153.

البناء، وما يلاحظ على النقيشة أنه على الرغم من عدم إكتمالها فيتضح أنها كتبت عليها كلمة سكولا Schola، وقد يكون يقصد بها إكسيدرا هذه المدينة[1] (أنظر الشكل رقم 21 و22، ص 112)، والملاحظ في النقيشة أنه ورد فيها ثلاثة كلمات وهي:

(SCHOLA. G ■ ANT(O). TVND)



الشكل رقم 21: إكسيدرا فوروم مدينة شمتو، نقلا عن:
Sabine (L.): Op.cit., P.P.147, 148.



الشكل رقم 22: قطعة نقشية شمتو مكبرة، نقلا عن:
Sabine (L.): Op.cit., P.P.147, 148.

كما أظيف؛ أن روما عرفت في عهد الإمبراطور هادريانوس نوع من اليهاكل التعليمية، والتي بناها هذا الإمبراطور وتعرف باسم مبنى الأثينيوم Athenæum، وقد شيدت ما بين 133 إلى 135م، من أجل تعزيز الدراسات التاريخية والعلمية Ingenuarum Artium وحتى الأدبية، وخاصة الموجهة لطلبة الدراسات العليا أي المرتبطة بمرحلة الريطوريكا، حيث كان يدرس فيها أستاذة متخصصون في مختلف الفروع، من خطباء ونحويين وفلاسفة وقانونيين وأدباء وشعراء وغيرهم، الذين اعتادوا على إلقاء خطبهم في هذا المبنى[1]، غير أن

1- Sabine (L.): Op.cit., P.147.
1- Smith (W.), Anthon (Ch.): A Dictionary of Greek and Roman Antiquities, Harber & Brothers, Franklin Square, New York, U.S.A, 1932, P.119.

البحوث والدراسات الأثرية لم تكشف لنا عن وجود هذا المبنى في مدن وحواضر المغرب القديم. أما من حيث الوظيفة التي يؤديها، فهي مثل بعض الأماكن المؤدية للدور التعليمي والعلمي في المنطقة.

وعلى كل حال، فقد اتبعت الإدارة الرومانية جملة من الإجراءات، تسهيلاً لفتح المدارس وتنظيم التعليم في بلاد المغرب القديم خدمة لسياسة الرومنة الثقافية، وأهم هذه الإجراءات: منح الإمتيازات والإعفاءات الضريبية على كل من يفتح مدرسة[1]، والمصادقة على تعيينات الأستاذة[2]، وهذا الإجراء استوهى ذوي المؤهلات العلمية والراغبين في امتلاك مدرسة، وارتبط إنشاؤها بالحصول على بعض الترقيات والتبرعات والمكافآت. وطمعاً في الحصول على بعض الوظائف والامتيازات[3]، يلجأ مواطن أو مجموعة من المواطنين بتقديم نفقات لانشاء مدرسة، ومن أجل نشر الثقافة والتعليم الروماني في مقاطعات المغرب القديم.[4]

كما تركت الدولة الرومانية الإشراف عليها للبلديات وأثرياءها حيث كانت هي المسؤول المباشر في تنظيم أمور التعليم ومؤسساته[5]، ومن خلالها يتم تشكيل وانتقاء هيئات وهياكل التعليم وانتداب المعلمين الذين يقومون بمهنة التدريس، وتحديد رواتبهم ودفعها بشكل منتظم، أو يتطوع بعض الأثرياء أو جماعة من الأفراد بتأسيس مدرسة والقيام بشؤونها وتحمل نفقاتها.[6]

إذن؛ أسندت مسؤولية المدارس منذ القرن الثاني للميلاد من الترخيص بالإنشاء حتى مزاولة مهنة التعليم إلى مجالس البلديات؛ فبعدما يجتاز المعلم الإجراءات القانونية ويحصل على الموافقة لفتح مدرسة لتعليم الأطفال، وهنا يمكن طرح ثلاثة أطروحات: حيث يصبح على المعلم أو الأستاذ الإلتزام بالبحث عن محل صالح لمزاولة مهنته، فإذا كانوا من ذوي المكانة الرفيعة في المجتمع فقد يلجأ إلى التدريس في منزله، وإذا كان من الفئات المتواضعة ففي الغالب يكون محل التدريس مجرد متجر صغير منفتح على الهواء الطلق، ينتقيه في طرف المدينة هرباً من ضوضائها وصخبها لمساعدة الأطفال الذين هم مختلطون في هذه

1- Boissier (G.): Op.cit., P.270.
2- Gsell (S.): Alg.Anti., Op.cit., P.80.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 83.
4- Albertini (E.): Op.cit., P.48.
5- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.
6- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 260. Albertini (E.): Op.cit., P.48.

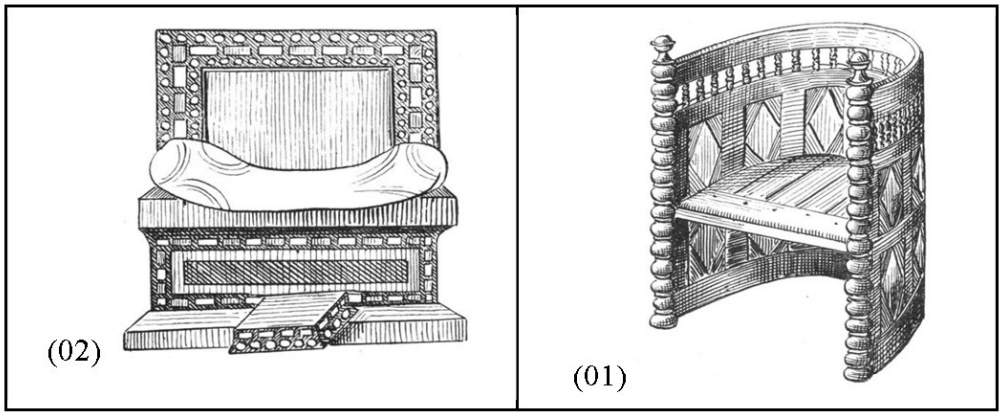
المرحلة بين الذكور والإناث على التركيز[1]. والثانية هي أن تتكفل مجالس البلديات على توفير هيكل معين تُوجهْ إليه هؤلاء المعلمين والأساتذة، ويكون في العادة تتوفر عليه المدن في ساحات الفوروم، أو بعض المباني العامة التي تصلح لممارسة النشاط التعليمي، كالإكسيدرا أو المسرح أو المكتبات العامة[2] أو الأثينيوم[3]، أو بعض الغرف البسيطة، أما الأطروحة الثالثة فقد يتكفل بعض أرستقراطيي المدينة أو جماعة من الأفراد على توفير هيكل ما تتوفر فيه الشروط التي تؤهله لأن يكون مدرسة.[4]

أما عن الطابع العام للمدرسة، فهي عبارة عن قاعة مستقلة أو حجرة تابعة لمنشأة ما، أو أربع جدران له أحياناً مدخل صغير يسبق حجرة الدرس، وأحياناً تكون ضمن طابق أعلى في بعض البنايات يصلون إليها عبر درج[5]، ومتجراً يستأجره المعلم ويحوله إلى قسم، وبعض الأروقة الضيقة، أو مكاناً مكشوفاً يستره بستائر، والأهم في هذا توفر عنصر الهدوء حفاظاً على تركيز التلاميذ.[6]

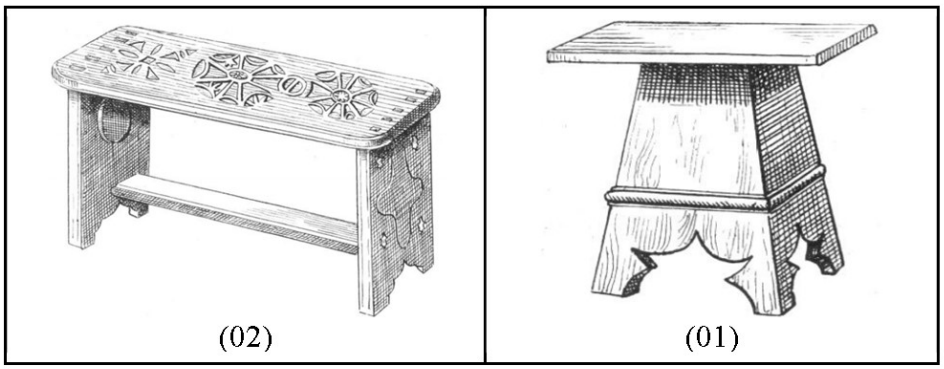
2- الوسائل والأدوات المدرسية:

تتوفر المدارس خلال تلك الفترات التاريخية على مجموعة من الواسائل والأدوات التي تساعد على سيرورة العملية التعليمية التعلمية، حيث يجلس المعلم أو الأستاذ على كرسي يشبه العرش[7]، يسمى الكاثيدرا Cathédra ذو مسند الظهر (أنظر الشكل رقم 23، ص 115) الذي تتقدمه منصة وإلى جانبه أحياناً مساعده، وحوله التلاميذ والطلبة جالسين على مقاعد بسيطة تسمى: سكابيلا Schabella ليس لها مساند للظهر (أنظر الشكل رقم 24، ص 115) قد تكون فردية أو جماعية[8]، كما كان ضمن أثاث الفصل الدراسي، وجدت أيضاً السبورة عرفت باسم تيتولو Titulu، ولكن لم يعثر على أثر مادي لهذه الوسيلة التوضيحية المشار إليها في المصادر الأدبية.[1]

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 84.
2- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 237.
3- Smith (W.), Anthon (Ch.): Op.cit., P.119.
4- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 237.
5- المرجع نفسه، ص 237.
6- فارس دعاس: المرجع السابق، ص 218.
7- Aldrete (G. S.): Op.cit., P.64.
8- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 87.
1- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص. ص 243، 245.



الشكل رقم 23: نماذج كراسي الكاثيدرا المخصصة للمعلم والأستاذ 01 و02، نقلا عن:
Claude (D.): "Les chaises et les sièges au moyen âge", In: Bulletin Monumental, T.74, année 1910, Persee, URL: https://www.persee.fr, Vu: 10/09/2024, P.P.210, 227.

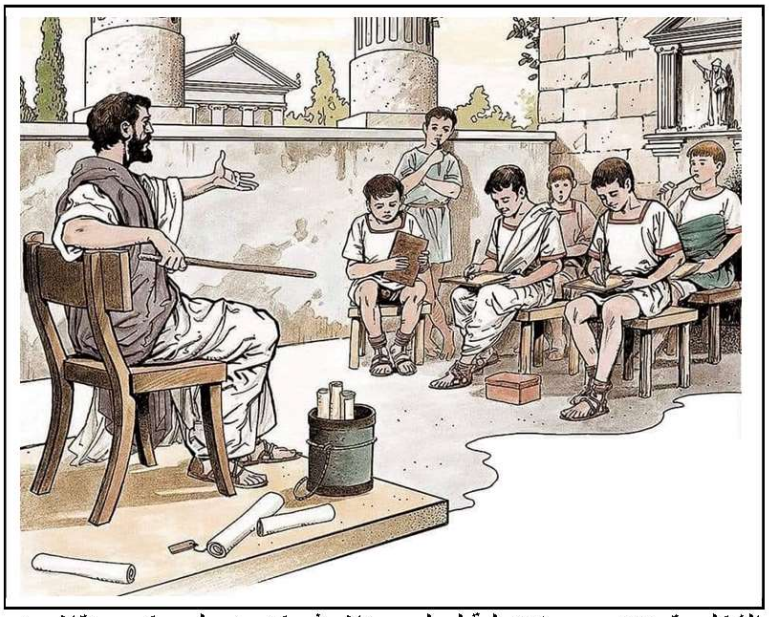


الشكل رقم 24: نماذج لأنواع كراسي سكابيلا المخصص للتلاميذ 01 و02، نقلا عن:
Claude (D.): Op.cit., P.P.231, 239.

ولم يكن أمام هؤلاء التلاميذ طاولات لأنهم[1] يكتبون على ركبهم ولم يكونوا في حاجة إليها، لأنهم كانوا يكتبون على لوحات كتابة صلبة Tabulae (أنظر الشكل رقم 25، ص 116)[2]، والتي يتخذونها كوسيلة للكتابة وتلعب دور الطاولة كذلك، وقد كانت تلك الألواح مصنوعة من الخشب أو العاج وتطلى بطبقة رفيعة من الشمع، وتربط بشريط يسمح بطيها، وإذا كانت تتكون من لوحتين يسمى ديبليكيس Dyplices وإذا كانت من ثلاثة ألواح تسمى تريبليكيس Triplices[3]، وأُدرج هنا مثالاً للوحة مؤرخة بالنصف الثاني من القرن الأول الميلادي، تصور فتاة تحمل لوحات كتابة محزمة بقطعة قماش على هيئة كتاب، وممسكة قلماً بيدها اليمنى مسندة طرفه بين شفتيها، ويبدو من نظرات عينيها أنها تفكر فيما ستكتبه على تلك اللوحات[1]، بالإضافة إلى استعمال كراسات صغيرة كانت تسمى بـ: كوديكيلي

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 87.
2- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص. ص 243، 245.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 73.
1- أحمد محسن الخضر وآخرون: المرجع السابق، ص. ص 226-227.

Codicilli أو بوغيلاريس Pugillares وكان يمكن حملها بسهولة في اليد (أنظر الشكل رقم 26، ص 116).[1]



الشكل رقم 25: صورة تخيلية لمعلم مع تلاميذه يكتبون على ركبهم، نقلا عن:
School in ancient Rome, URL: https://englishsplashintothemediterraneansea.wordpress.com, Vu: 04/11/2024.



(02)



(01)

الشكل رقم 26: ألواح خشبية للكتابة من القرنين الأول والثاني الميلاديين، نقلا عن:
Laura Kate C. McCormack: "Roman Education",World History Encyclopedia, URL: https://www.worldhistory.org/index/, Vu: 10/09/2024.

يضاف إلى هذه الأدوات لفائف الأوراق التي تسمى فولومينا Volumina المصنوعة أحياناً من البردي Papyrus، ولا يتعدى طول الصفحة من 25 إلى 30 سم، تلف حول عود من الخشب أو العاج، وتصنع كذلك من البرشمان (الرق) Pergamen المصنوع من جلد الغنم والماعز المدبوغ، ويكتب عليها عمودياً بالتوازي مع ترك مسافة للهامش، وللتدوين على هذه الفولومينا (اللفائف) يستعمل الحبر الأحمر أو الأسود، وكان هذا الحبر مصنوعاً من

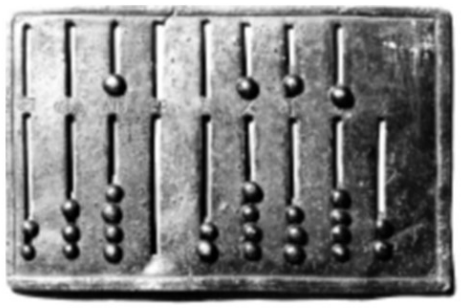
1- ألكسندر ستيتشفيتش: المرجع السابق، ص 73.

فحم الكربون المكثف، وعند جفافه يضاف إليه قليل من الماء عند الحاجة، وكان يحفظ في محابر خاصة تصنع من الفخار وفي حالات نادرة من البرونز، وقد تكون مزدوجة، ويعلوها ثقب حسب سمك القلم Stylet، وكانت محابر البرونز تمتاز بشكلها الأسطواني وبوجود غطاء لها، وتزين في الغالب برسوم مأخوذة من الميثولوجيا الرومانية أو الإغريقية (أنظر الشكل رقم 27، ص 117).[1]

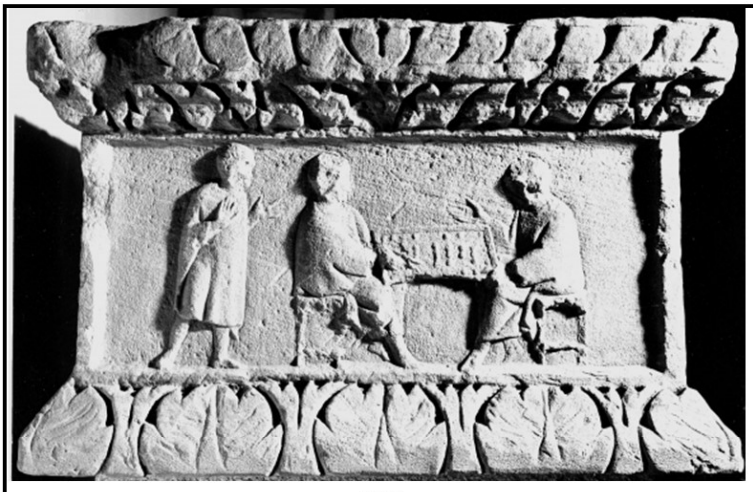


الشكل رقم 27: نموذج محابر الحبر، نقلا عن:
De Loïc Cerise: L'éducation des jeune romaine dans l'antiquité, URL: https://www.academia.edu, Vu: 04/11/2024, P.22.

ويستعان بالمسطرة والقريصات والمعدادات Abacus لدراسة الحساب (أنظر الشكل رقم 28، ص 117) والهندسة حيث تساعد في عمليات العدّ ورسم الأشكال الهندسية. يضاف إلى هذه الوسائل الكتب المدرسية التي كان من خلالها يحفظ التلميذ مقاطع من الأشعار والخطب والأحداث التاريخية والعمليات الحسابية، والتي يبدو أنها تنوعت بتنوع المواد المقررة للدراسة مثل ملخصات فرجيليوس.[2]



(01)

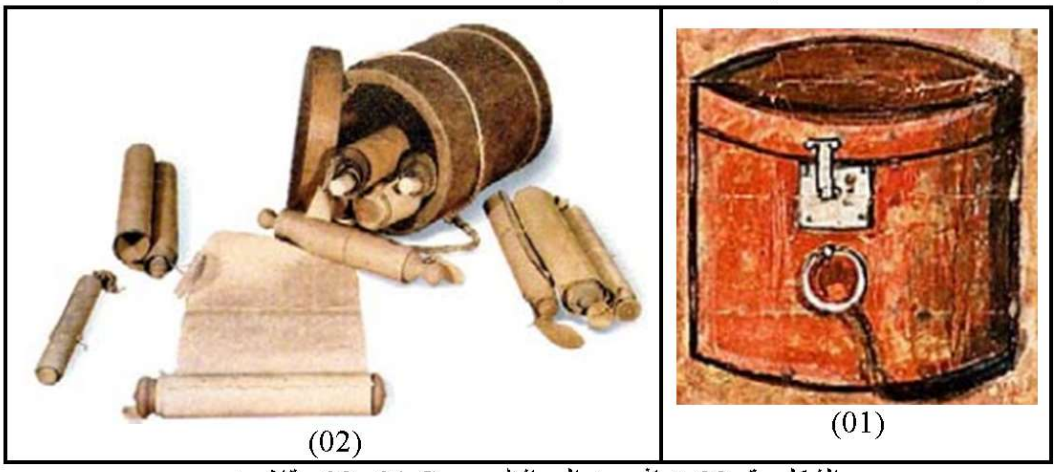


(02)

الشكل رقم 28: المعداد الروماني ونقش بارز لأشخاص يحسبون به، نقلا عن:
(01), (02): Schärlig (A.): «Les moyens de calcul du comptable antique», Comptabilités [Online], 6 | 2014, Online 15/12/2014, connection 10/12/2020. URL: http://journals.openedition.org/comptabilites/1491, Vu: 04/11/2024.

1- ألكسندر ستييتشفيتش: المرجع السابق، ص. ص 78، 87، 80.
2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 91.

يضاف إلى هذه الأدوات فالتلميذ يحمل معه محفظة Capsa، تحتوى على أداوته الخاصة المشار إليها من أقلام ولوحات والفلومينا، والتي يحملها له البيداغوج كما أشرت إلى ذلك سابقاً (أنظر الشكل رقم 29، ص 118).[1]



(01) (02)

الشكل رقم 29: نماذج من المحافظ Capsa 01 و02، نقلا عن:
Delord (R.): Fiche civilisation;l'école à Rome, URL: https://www.arretetonchar.fr, Vu: 10/09/2024, P.2.

المطلب الثاني: المناهج الدراسية والعقوبات والإجازات

كانت المنظومة التعليمية، ستند إلى مناهج دراسية، محددة تخص كل مرحلة، كما يلجأ المعلمين والأساتذة إلى آلية العقاب لاضفاء طابع الجدية على العملية التعليمية، ويتحصل التلاميذ والطلبة المتخرجين على اجازات، وهذا ما سأتناوله في هذا المطلب.

1- المناهج الدراسية:

لم تتدخل الإدراة الرومانية في صياغة ووضع برامج دراسية خاصة بالتعليم، وإنما خضع لتقاليد محددة، فكان نظاماً مستقلاً يحافظ على نفسه وسيرورته، تناقلتها مدارس المغرب القديم عن المنظومة الرومانية[2]، لذلك فقد امتازت مدارس بلاد المغرب القديم منذ ظهورها بالحيوية والنشاط وجودة التعليم ودقة برامجها وصرامة معليميها، خاصة خلال القرن الثاني وما بعده (أنظر الشكل رقم 30، ص 119)[3]؛ فهذا يوفينال من القرن الأول الميلادي ينصح خطيباً من روما أن يذهب إلى الضفّة الجنوبية للمتوسط بحثاً عن الحظ حيث قال:

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 323.
2- Talbot (F.): Op.cit., P.23.
3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P69.

"إن أفريقيا هي الأرض التي أنبتت المحامين Nutricula causidicorum والفصحاء..".[1]



الشكل رقم 30: نقش بارز لمعلم مع ثلاثة طلاب (نيومجين حوالي 180-185م)، نقلا عن:
Laura Kate C. McCormack: Op.cit.

وقد أشار أبوليوس في وصف الحركية العلمية في قرطاجة بقوله: **"إنك لا ترى في قرطاج إلا نخبة المثقفين الضلعين في مختلف العلوم؛ وتلاميذ يدرسون، وشباب يتباهون بعلومهم.."**[2]، كما توجه أيضاً إلى القرطاجيين الذين كانوا يهتفون به في مسرح قرطاجة قائلاً: **"إني أرى فيكم مواطنين من ذوي الثقافة والمعرفة الواسعة، تلقيتم علوماً متنوعة منذ الطفولة، وتألقتم بها شباباً، ويعلمها شيوخكم وبكل أشكال المعرفة، نعم: قرطاجة لهي المدرسة المبجلة لمقاطعتنا بأكملها، وقرطاج الملهمة السماوية لأفريقيا، وقرطاج هي مصدر الإلهام لكل العالم الروماني"**.[3]

وفي مرحلة التعليم الليتيراريوسي يتم تعليم التلاميذ المبادئ الأولية والأساسية للمعرفة، حيث انحصرت في تلقين مبادئ القراءة والكتابة والحساب[4] إلى أن يحسنها، حيث يبدأ بالاستماع إلى الأبجدية وأصوات الحروف، بداية من A إلى X والعكس من X إلى A، ثم مزواجة الحروف مع بعضها البعض مثل: XA وVB وTC وغيرها.. [5]، وبما أن التعليم يتم باللغتين اللاتينية والإغريقية – كما أشرت إلى ذلك سابقًا– فيكون التلاميذ كذلك يتعلمون

1- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 349. Boissier (G.): Op.cit., P.271 .Juvenalis: Sat. VII, 123

2- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 272. النص باللاتيني هو: Carthago, provincae nostrae magistra venerabilis, Carthago, africae musa musa Caelistis...، أنظر: نفس المرجع، ص 272، ومحمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، ص 350.

3- Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, IIII, XX, 66.

4- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 32.

5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 92.

الأبجدية اليونانية، مع التمييز بين الحروف الساكنة والحروف المتحركة في الأبجديتين، والتداخلات بينها، ومعرفة الفوارق بين مختلف الحروف وأشكالها.[1]

بالإضافة إلى ذلك؛ يتم حفظ الأرقام وقال في ذلك أوغسطين: "**.. أصبح ترديد واحد وواحد اثنان، اثنان واثنان أربعة، بغيضاً في نفسي..**"[2]، أو كما ذكر بول مونصو: "**واحد وواحد يساوي اثنان، اثنان واثنان يساوي أربعة**"، ويتم ترديدها من قبل المتعلمين بشكل جماعي[3]، بواسطة آلية التلقين الشفوي بالتكرار وبصوت عال ويعيدونها خلفه باستمرار[4]، إلى درجة حفظها بشكل تلقائي.

بالإضافة إلى القراءة بصوت عال من طرف المعلمين والأساتذة، ما يفتح المجال لتدخلات التلاميذ والحوار بينهم ومع المعلم، حتى يستوعبوا دروسهم بشكل جيد. وبعدها يجبر التلاميذ على حفظ النصوص والدروس[5] وتركيب الكلمات ثم الجمل القصيرة وهكذا دواليك حتى يتمكن التلميذ من كتابة الفقرات والنصوص التي يختارها له المعلم من الكتب المدرسية، والتي هي ملخصات لكبار الأدباء والشعراء أمثال: هوميروس صاحب الإلياذة L'Iliade والأوديسيا L'Odyssée والشاعر الملحمي الروماني ورجيليوس صاحب مؤلف الإنياذة L'Enéide والمسرحي ترنتيوس الأفريقي (فتاة أندروس)[6]، ويعتبر أسلوب التلقين والتكرار المتواصل وتلاوة الأشعار أفضل طريقة لتدريب ذاكرة المتعلمين الصغار وعقولهم تدريباً جيداً[7]، وبالموازاة يتعلمون الكتابة من خلال تكرار خط هذه الحروف والأعداد على ألواح الشمع، ونفس الشيء بالنسبة للغة اليونانية التي استمر تعليمها في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني[8]، وقد أشار أوغسطين أن التلاميذ كانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب في هذه المرحلة، وباللغتين اللاتينية واليونانية[9]، وأنه كان شغوفاً باللاتينية

1- Voir: Quintilien : T.I, IV, 63, 65, 67.

2- القديس أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 27. Augustin (St.): les confessions, T.1,126.

3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.48.Augustin (St.): les confessions, T.1, 126.

4- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.137.

5- فارس دعاس: المرجع السابق، ص 216.

6- وهي أولى مسرحيات ترنتيوس عرضها ما بين عامي 166-160ق.م في المهرجانات التي كانت تقام في روما. للمزيد ينظر: ترنس الأفريقي: الأعمال المسرحية الكاملة (فتاة أندروس/ أو أندرية)، ج.1، تر.: علي الجلاصي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2000م، ص. ص 4-6.

7- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.P.137-138.

8- القديس أوغسطينوس: مصدر سابق، ص. ص 27-29. Augustin (St.): les confessions, T.1, 128-134, 136.

9- القديس أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 26.

أكثر من اللغة اليونانية[1]، كما يركز معلم هذه المرحلة على أن تكون العملية التعليمية في شكل مسلي لتلاميذه مع خلق روح التنافس بينهم.[2]

وعندما ينتقل التلاميذ من هذه المرحلة سيكون الطفل قد تجاوز سن الثانية عشر وهي الفترة الثانية بعد هذا التعليم، ووجب عليهم حفظ النصوص والملخصات المدرسية لكتب النحو[3]، وبعض أمهات الكتب، ويتم التركيز على القراءة والكتابة والحساب ثم النحو[4]، بعد أن يشرح لهم المعلم قواعد النحو، ويحرص على تصويب أخطائهم من أجل سلامة نطقهم، فقد كان التلاميذ يخافون من ارتكاب الأخطاء النحوية، وينظرون نظرة غيّرة اتجاه أقرانهم الذين لا يخطئون في ذلك[5]. كما يدرسهم الآداب ثم يطالبهم بالإنشاء باللغة اللاتينية[6]، بعدما يقوم بشرح ما اختاره لهم جملة جملة ومعاني الكلمات، والمجازات والاستعارات التي تحملها في عمقها. ويتم تدريبهم على فن الخطابة رغم أنهم في هذه المرحلة لا يزالون بعيدين عنها[7]. ويشير كوينتيليانوس أن القواعد النحوية ترتكز على فن التحدث الصحيح وشرح الأشعار، ولكي يتمكن التلميذ من إتقان الكتابة (فن الكتابة الصحيحة) فعليه أن يتحدث بفصاحة، ولكي يشرح الشعر يجب أن يتقن القراءة، ونفس الشيء بالنسبة لباقي النصوص الأدبية، وللقراءة الجيدة فيعلمه معلم هذه المرحلة كيف يبدأ القراءة ومتى يتوقف لالتقاط أنفاسه، ويكون من بداية المعنى وينتهي إلى نهايته، وأين يرفع صوته، وأين يخفضه، وما يجب أن ينطق ببطء أو بسرعة، أو بقوة أو بهدوء، وهذه لا تكتسب إلا بالممارسة.[8]

يبدأ التلميذ بالكتابة على لوح من الشمع أو الخشب أو على شاقوف من الفخار، واضعاً إياها على ركبتيه، ويكتب عليها بطريقة النحت بواسطة قلم من معدن حاد Stylet في حالة الكتابة على لوح الشمع، وفي حالة الكتابة بالحبر على ألواح رفيعة من الخشب يستعمل قلم Calamus من قصب مبري باتقان (أنظر الشكل رقم 31، ص 122)، وأحسن مثال هنا ألواح ألبرتيني رغم تاريخها العائد إلى القرن الخامس للميلاد في الفترة الوندالية،

1- Augustin (St.): les confessions, T.1, 120.
2- Quintilien: T.I, III, 57.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 93.
4- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 272.
5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.51.
6- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.
7- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.P.137-138.
8- Quintilien: T.I, III, 57, 133, 147.

ولكنها تعطيناً ملمحاً عن ذلك[1]، كما أشير إلى أن أبوليوس ذكر أنه يستعين بالقلم لكتابة أشعاره[2]. ويقوم المعلم بتدريب التلاميذ على الكتابة بأن يمسكوا بيدهم حتى يتقنوها، أو بتكرار الكتابة عدة مرات على لوح الشمع المنحوت عليه الحروف بالمثقاب ثم تكتب بالحبر على ألواح الخشب من طرف التلاميذ.[3]



(01)



(02)

الشكل رقم 31: نماذج الأقلام من القصب والمعدن.
(01): نموذج لقلم معدني، نقلا عن: Martin (M.): Objets quotidiens de l'époque romaine, Augster Blatter zur Romerzeit 3, 1994, P.51.
(02): أقلام قصب مبرية. نقلا عن: Delord (R.): Fiche civilisation: L'école à Rome, Op.cit., P.1.

مما كان يلقن للتلاميذ دروس في التاريخ خاصة تلك التي تخدم المجتمع الروماني، حيث يذكر أوغسطين ما يلي: **"فيما يخص تلك البدايات.. كنت أُجبر فيها على أن أحفظ عن ظهر قلب تشردات أينياس Aeneace المجهول لدي"**[4]، إضافة إلى مباديء العروض والفلسفة والفلك والرياضيات والموسيقى[5]، وهذه الأخيرة مهمة لأنها تتعامل مع المقاييس والإيقاعات الشعرية، وقد أخبرتنا المصادر الأدبية أن الشعراء كانوا يلحنون أبياتهم الشعرية[6]، لذلك كان الفصل الدراسي يتخلله من وقت لآخر فاصل من الموسيقى والغناء كترنيمة ميديا Medea.[7]

ويقوم المعلم بتعليم تلاميذه الحساب بطريقة العدّ بالأصابع، تسهيلاً لهم لإجراء العمليات الحسابية، وهي طريقة نقلها الرومان عن الإغريق، استمرت هذه الطريقة لفترات

1- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص. ص 292-293.
2- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 9، ص 43.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 93.
4- القديس أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 26. Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.50.
5- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.
6- Quintilien: T.I, IV, 61, VIII, 147.
7- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.52.

طويلة واستخدمت أيضاً أقراص صغيرة إذا زاد العدّد عن الأصابع، كما يدربهم على عمليات الجمع والطرح والضرب للأعداد الصحيحة أو حتى الكسور العشرية.[1]

وعليه فلقد كانت المدارس في بلاد المغرب القديم أكثر تطوراً عن مثيلاتها في المناطق الأخرى، حيث ابتكرت طرق مسلية وبسيطة، تحبب وترغب وتسهل على التلاميذ الدراسة، ومن بينها طرق المقاطع الغنائية المسلية لدروس الحساب للتلاميذ حديثي الدراسة، منها ما ذكرها[2] أوغسطين: "**.. ترديد واحد وواحد اثنان، اثنان واثنان أربعة..**"[3]، أي أن التلاميذ يرددون 1+1=2 و2+2=4 وهكذا[4]، ونفس الشيء بالنسبة لباقي العلميات الحسابية. وليتأكد المعلم من تمكن تلاميذه من الحساب يباغتهم بطرح الأسئلة الرياضية، مثلاً يسأل أحد تلاميذه: واحد على اثنا عشرة من خمسة على اثنا عشرة فماذا تبقى؟ فيجيب التلميذ؛ يتبقى واحد على ثلاثة، فيقول له؛ حسناً أنت تستطيع الحفاظ على نقودك، فماذا يكون لو أضفنا واحد على اثنا عشرة إليها (يقصد لخمسة على اثنا عشر)، فيجيب التلميذ؛ تكون النتيجة النصف[5]، وهذا ما يعبر عن مدى نجاعة التعليم وجودته في مدارس المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

لقد كان للمدرسة في بلاد المغرب القديم صبغتها الخاصة رغم أنها تحت سلطة الاحتلال الروماني، وذلك من خلال ما تطرحه من مقررات دراسية، كتدريس تلميذ المغرب القديم الأحداث التاريخية التي جرت على بلاده، كالتاريخ القرطاجي وأسطورة إليسا ديدون Elissa Didon وعلاقتها بأينياس الطروادي Aeneace de Troie[6]، وفي هذا الصدد يقول بول مونصو على لسان أحد تلاميذ المغرب القديم: "**لقد اضطررت إلى أن أحفظ مغامرات أينياس الذي لا أعرفه، وأن أبكي على ديدون التي قتلت نفسها من أجل الحب**"[7]، وقد تأثر أوغسطين في فترة شبابه بقصة ديدون هذه[8]. وحكاية أوريستيس

1- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 117.
2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 94.
3- القديس أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 27.
4- خديجة زموري: المرجع السابق، ص 31.
5- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 116-117.
6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 94.
7- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.50.
8- Gsell (S.): Alg.Anti., Op.cit., P.81.

Orestis وبيلاديس Pylades، الذين تمنيا الموت من أجل بعضهما البعض أو كليهما في نفس الوقت.[1]

فطيلة هذه القرون الطويلة تلقى تلميذ المغرب القديم من تاريخ بلاده ولو الجزء اليسير منه، ومن غير المستبعد أنه لم يتعرف على الحروب البونية وأهم شخصياتها كهانيبال وسيفاكس وماسينيسا، كما تعرف على يوغرطة وحربه ضد الرومان ونهايته، ويوبا الأول وتحالفه مع بومبيوس Pompeius ضد يوليوس قيصر Julius César ونهاية المملكة النوميدية، وغيرهم من مشاهير بلاده وأهم أحداثها التاريخية[2]، ومما لا شك فيه أنه كانت تصور له الفترة الرومانية كأحسن مرحلة تاريخية عرفتها مقاطعات بلاد المغرب القديم. ومن أمثلة ذلك نجد أن أبوليوس حينما تحدث عن الموقع الجغرافي لمادوروس، تطرق إلى إعطاء لمحة تاريخية عنها، فذكر أنها كانت تحكم سيفاكس في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، وبعد الحرب البونية الثانية ونتيجة انهزامه فيها، أصبحت تحت حكم ماسينيسا، وواصل إلى أنها وبعد خضوع المنطقة للرومان تحولت إلى مستوطنة لقدماء الجيش الروماني.[3]

وبما أن الريطوريكا تعني فن التحدث بشكل جيد عند كوينتيليانوس، فقد قسمها هذا الأخير إلى إلى خمسة أجزاء وهي: الاختراع ثم الترتيب ثم الأسلوب وبعدها الذاكرة وفي الأخير الإلقاء[4]، لذلك يركز أساتذة مرحلة الريطوريكا أثناء تعليمهم للخطابة، على تقسيم الخطب إلى أقسام؛ تبدأ بالمقدمة وتنتهي بالخاتمة، وفي ثنايها العرض الذي يتم فيه مناقشة مجموعة من التراكيب بتقديم البرهان والدحض، والهدف من وراء ذلك هو تخريج طلبتهم كخطباء يرقون إلى مستوى البراعة في مجال فن الخطابة.[5]

كما تجدر الإشارة إلى أن طلبة هذه المرحلة يدرسون مختلف العلوم والفنون؛ كالتاريخ والجغرافيا والسياسة والفلسفة والطب والرياضيات والقانون والهندسة والموسيقى والمسرح والديالكتيك وغيرها..، وفي هذا الصدد يشير كوينتيلانوس أن الخطيب ليكي يكون خطيباً جيداً يجب أن يكون ملماً بمختلف المعارف والعلوم والفنون.[6]

1- Augustin (St.): les confessions, T.1, L.IV, CH.VI, 242.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 94.

3- Mansouri (KH.): "Madauros", Enc.Ber. [En ligne], 30|2010, document M 09, mis en ligne le 17/09/2020, consulté le 15/10/2020, URL: https://journals.openedition.org, Vu: 08/04/2024, P.1.

4- Quintilien: T. IV, I-V, 307-383, T. I, XV, 315.

5- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.115. Voir: Marrou (H. I.): Op.cit., P.19.

6- Quintilien: T. I, XXI, 359-360.

ويشير أوجان ألبتيرني E. Albertini إلى أن التعليم في بلاد المغرب القديم عرف تدرجاً في التمارين حسب عمر المتعلم ومعرفته، تبدأ بالقراءة أولاً، ثم شرح شعر الشعراء ومؤلفات المؤرخين، وأخيرًا التدريب على فن الريطوريكا في شكل تمارين في الخطابة والجدل. وهي أسمى هذه التمارين، الموجهة إلى الشباب الأكثر تقدماً في العمر وخبرة.[1]

وعلى أية حال أقول؛ بأن المناهج الدراسية كانت تعتمد على أسلوب التدرج، في نوعية المادة المعرفية المقدمة للتلاميذ، حيث تبدأ من البسيطة وتسير نحو التعقيد، وتتوافق مع النمو العقلي والفكري لهؤلاء المتعلمين.

2- العقوبات والإجازات:

بالنسبة للعقوبات البدنية؛ فقد كانت من الوسائل المباحة لما لها من أثر في التربية وتقويم السلوكات، وتدفع بالتلاميذ إلى احترام وطاعة المعلمين والأساتذة[2]، وهي تدل على مدى حرص وصرامة المدارس الليتيراريوسية والغراماتيكوسية في بلاد المغرب القديم، وفي هذه الحالة يجب أن نستثني مرحلة الريطوريكا بحكم تعاملها مع الطلبة المتقدمين في العمر. وعليه فقد كانت تسلط العقوبات الشديدة على تلاميذ تلك المدراس، ففي حالة التقصير وعدم انجاز الواجبات أو ارتكاب أخطاء أثناء قراءة مقاطع لفظية من الكتب أو في العمليات الحسابية أو عدم حفظ بعض النصوص والأشعار، فإن معلمي وأساتذة هذه المراحل يلجأون إلى استخدام السوط والعصا كوسيلة عقابية، حتى يلتزم التلاميذ ويتقنوا المواد العلمية والأدبية.[3]

وقد أشار إلى ذلك القديس أوغسطين فقال: **"كنت أتضرع حتى لا أُضرب في المدرسة.. فحتى والداي اللذان لم يكونا يريدان لي أي أذى يضحكون من كدمات السوط، وهي آنذاك في نفسي أذى وألم كبير"**، ويقول كذلك: **"فمن منا لا يهاب أن يحيا حياة الطفولة مرة أخرى ولا يفضل الموت لو أتيح له الاختيار"**[4]، وهي نفس المقولة التي أشار إليها ش. ج. جوليان حيث قال على لسان أوغسطين: **"من الذي لا يروعه أن تعاد له طفولته ولا يُؤثر الموت إذا هو أتيح له أن يحيا حياته من جديد"**[5]، أو كما كان

1- Albertini (E.): Op.cit., P.49.

2- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 34.
3- فارس دعاس: المرجع السابق، ص 214.
4- القديس أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 23. Augustin (St.): les confessions, T.1, IX, 96.
5- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 248.

ديوسكوروس Dioscore زميل الدراسة يستعين بأوغسطين لمساعدته في حفظ وإتقان نصوص شيشرون مخافة أن يُسأل عنها أثناء الدراسة.[1]

ورغم انتقادات القديس أوغسطين هذه، إلا أنه حينما أصبح معلماً رأى في العقاب حزم وحرص وواجب على المعلم أداؤه، لأن الطفولة لا تؤهل المتعلمين لمعرفة ما ينفعهم مما يضرهم فتجرهم للتكاسل وحب اللّعب بدلاً من الدراسة الجيدة وأداء الواجبات المدرسية؛ وعليه فقد شكلت قسوة المعلم نوع من الحرص والفائدة في صالح مدرسته التي سيتخرج منها هؤلاء التلاميذ، ويجب أن يكونوا نجباء وممتازين[2]، وحتى الآباء كانوا يضحكون من جروح وكدمات السوط رغم أنهم كانوا لا يريدون لأبنائهم أي شر، والتي وصفها أوغسطين بأنها كانت تترك أثراً مروعاً في نفسه.[3]

لذلك كان مبدأ العقاب المدرسي أهم دعائم العلاقة بين المعلم والمتعلم باعتباره من الوسائل المثلى للتعليم عند استنفاذ جميع الوسائل الأخرى من ود وترغيب وتسامح، وكذا من وسائل التربية المنزلية[4]، ولقد انتقد كوينتيليانوس الأسلوب العقابي وحذر من عواقب الإساءة في استخدامه، وأن الخوف والألم قد يدفعاني التلاميذ إلى الوقوع في الأخطاء، أو يترك أثار بدنية على أجسادهم، ونفسية كذلك مثل الخجل.[5]

لذلك تخبر المصادر الأدبية خلال القرن الأول للميلاد، أنه كانت هناك حقيقة ثابتة وهي: (الأطفال المعاقبين يصرخون، والمدرسون يغضبون ويغتاظون)، وهناك قول من الأقوال المأثورة السائدة في تلك الفترة تقول: Manum ferulae subducere وتعني: أبسط يدك للعصا، وهذا تأكيد على أن العصا كانت وسيلة عقابية (أنظر الأشكال رقم 32 و33، ص 127)، بالإضافة إلى الجَلّد على الظهر[6]، وأسماها أبوليوس بعصا أيام الدراسة.[7]

وبالمقابل أشارت ذات المصادر أيضاً إلى أن العلاقة القائمة بين المعلم والمتعلم مبنية على أساس احترام التلميذ لمعلمه وحب وحنان المعلم للتلميذ[1]، ويعني هذا أن المعلم كان يلجأ إلى مبدأ العقاب الجسدي إذا فشل الود والترغيب والتسامح.

1- Talbot (F.): Op.cit., P.69.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 85.

3- Talbot (F.): Op.cit., P.95.

4- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص 67.

5- Quintilien: T.I, II, 59. Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.105.

6- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص. ص 67، 77-78.

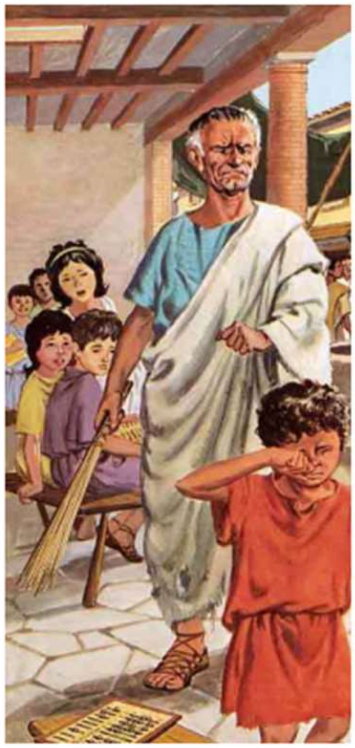
7- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 12، ص 51.

1- زايد مصطفى محمد قنديل: المرجع السابق، ص. ص 67، 77-78.

وفي هذا الإطار؛ فمن واجب التلاميذ والطلبة، أن يُوكِنُوا الحب والاحترام والطاعة للمعلمين والأساتذة، وأن يثقوا فيهم ويعتبرونهم وكأنهم آباء حقيقيين، لأن حبهم من حب العلم والمعرفة نفسها، وما لذلك من مساهمة في تحقيق النجاح في المسار الدراسي؛ من خلال الاستمتاع بالانتباه والاستماع إلى دروس معلميهم وأساتذتهم والتركيز على الحضور اليومي إلى مقاعد الدراسة بكل فرح وحماس، ومحاولتهم تقليدهم، وعدم الانزعاج من النقد في حالة الخطأ، ويقول كوينتليانوس أن: **"الفصاحة والبلاغة لا يمكن أن تؤتي ثمارها إلا من خلال التناغم الوثيق بين من يعطي التعليم ومن يتلقاه".**[1]



الشكل رقم 32: نقش بارز لمعلم ممسك بعصا، نقلا عن:
Delord (R.): Fiche civilisation: L'école à Rome, URL: https://www.arretetonchar.fr, Vu: 10/09/2024, P.1.



الشكل رقم 33: صورة تخيلية لمعلم يعاقب تلميذاً، نقلا عن:
De Loïc Cerise: Op.cit., P.11.

وفور إنهاء الطالب للتحصيل الدراسي ورغبة في الحصول على إجازة، عليه القيام ببحث تاريخي أو قانوني لإيجاد حل لمشكلة شائكة تواجه الفرد في حياته الاجتماعية[2]، أو أن يؤلف خطبة أو مرافعة ويلقيها بشكل ارتجالي أمام جمع من الحضور، مع التزامه بجملة من الشروط كالتطبيق الفعلي للقواعد والأسس البلاغية، وتدعيمها بالأدلة والحجج المقنعة[1]، مع الإتصاف بالهدوء والرزانة في شخصيته[2]. بالإضافة إلى ضرورة عدم تطابق المواضيع بين الطلبة، وتعكس ميول كل طالب إلى النشاط المهني الذي يطمح إلى ممارسته فيما بعد

1- Quintilien: T.I, IX, 267.
2- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 325.
1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 116.
2- Aulu-Gelle: T.1, XV, 87.

التخرج. وتتنوع تلك المرافعات فتكون إما قضائية أو سياسية أو تاريخية، ويحدد لهم يوم معين لإلقائها وكأنه أمام هيئة المحكمة، في منصة الإكسيدرا أمام جمع من الحضور المتكون من أساتذته وزملائه وأهله وأصدقائه[1]، لأنه سيتخرج كريطوريكي، يلقي خطبه على الجماهير الاجتماعية وليس بشكل انفرادي[2]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم طلبة المغرب القديم كانوا يميلون إلى دراسة القانون والإدارة، رغبة في الحصول على وظائف ومناصب عليا والوصول لمراتب مرموقة في الإدارة الرومانية آنذاك.[3]

ومن خلال هذا، فإن بلاد المغرب القديم عرفت انتشارًا للتعليم بهياكله ووسائله وآلياته ومناهجه التعليمية، ورغم جهلنا لشكل عمارة المدرسة، لكن من المؤكد أنه هناك هياكل عمائرية كانت مخصصة لممارسة النشاط التعليمي والعلمي، فكان يتم التركيز على الأماكن الهادئة والبعيدة عن الضوضاء، ولا يشترط في ذلك أن يكون لها شكلاً معمارياً محدداً، فقد تكون منزلاً أو غرفة أو مكاناً مخصصاً للاجتماعات والمناقشات أو للتمثليات المسرحية، يستغلها الأساتذة لممارسة التعليم على حسب ما تستدعيه كل مرحلة، كما كان يعتمد على مناهج تعليمية تدريجية تتوافق مع المستوى العقلي للتلميذ وحسب المرحلة التي بلغها، مع توظيف جملة من الوسائل والأدوات المدرسية المساعدة في ذلك. ولإضفاء طابع الجدية على العملية التعليمية يلجأ هؤلاء الأساتذة إلى أسلوب العقوبات لكل المتهاونين في أداء واجباتهم المدرسية.

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 116-117.

2- Quintilien: T.I, II, 53.

3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 117.

المبحث الثالث: نتائج التعليم في بلاد المغرب القديم

خلف الانتشار الواسع للتعليم بمختلف مراحله في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، أثراً واسعاً ونتائج على مجتمع المغرب القديم، فما هو أثره ونتائجه؟.

المطلب الأول: أثر التعليم الروماني على مجتمع المغرب القديم

لقد ترك التعليم الروماني أثراً على مجتمع المغرب القديم خلال فترة الاحتلال، حيث اتبع نفس المنظومة التعليمية التي كانت سائدة عند المجتمع الروماني، والذي بدوره أخذها عن اليونان، وكانت ترتكز وبشكل عام على الريطوريكا والدراسات الأدبية والقانونية.

لذلك ومع بدايات انتشار هذه المنظومة؛ سواءٌ عند مجتمع المغرب القديم أو عند الرومان، كانت مواد التدريس تنحصر بشكل عام في الأدب اليوناني ونحوْ اللغة اليونانية والريطوريكا والفلسفة والقانون والرسم والنحت والموسيقى والرقص، وكانت هذه المواد تدرس في شكل دروس للتلاميذ والطلبة، في أماكن مخصصة لذلك كالمدارس، أو أنها في شكل دروس خاصة في المنازل أو جماعية في الأماكن العامة كالمسارح أو الإكسيدرا، وكانت تقدم باللغة اليونانية سواءٌ في روما أو في بلاد المغرب القديم، ولم تبدأ اللغة اللاتينية تحل محل اليونانية في مجال التدريس إلا مع ظهور الكتاب اللاتين، خاصة مع القرن الأول كشيشرون Cicéron (106-43ق.م) وفرجيليوس Vergilius (70-19ق.م) وغيرهما[1]، وقد أشار كاركوبينو أن الخطيب بلوتيوس غالوس Plotius Gallus، كان من أوائل من كان يمتلك الجرأة الكافية لمخاطبة طلابه باللغة اللاتينية، وبعد تولي الفلافيين Les Flaviens الحكم في روما، ترسخت تقاليد التعليم باللغة اللاتينية فضلاً عن اليونانية عند المجتمع الروماني، وتأثر بها مجتمع بلاد المغرب القديم، واستمر ذلك إلى نهاية العصر الإمبراطوري.[2]

ورغم ذلك؛ بقيت الفلسفة يونانية في مضمونها وفي لغة تدريسها، حيث سيطرت على الساحة الفلسفية في المجتمع الروماني ومثله مجتمع المغرب القديم مجموعة من المدارس اليونانية، وخاصة المدرسة الفيثاغورية والأبيقورية والرواقية[3]، وأخيراً المدرسة النيوأفلاطونية

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص.ص 32-33.

2- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.108. Id.: V.QU.R.A.E., Op.cit., P.P.133-134.

3- أسس الأبيقورية الفيلسوف اليوناني أبيقور (241-270ق.م)، وهي علم الطبيعة الوحيد الذي بإمكانه تعليل مغزاه على أتم وجه. أما الرواقية Stoicisme، والتي أشتق اسمها من ستوا Stoa باليونانية أي الرواق، فتبدأ من زينون الرواقي إلى ماركوس أوريليوس إلى كليانتيس وسينيكا وإبيكوس، وتقول بأن الطبيعة هل الواقع الذي يرجع فيه كل شيء باستمرار إلى

من القرن الثالث قبل الميلاد إلى غاية القرن الخامس للميلاد[1]، التي تأثر بها وتبناها الكثير من نخب المغرب القديم المثقفة وسنرى ذلك لاحقاً في الفصل الرابع.

بعد شيشرون كتب بعض الفلاسفة في بلاد المغرب القديم سواءٌ من أصول رومانية أو من المغرب القديم مترومنين باللغة اللاتينية الذين شكلوا نخباً مثقفة، ولكن أغلبهم كان يفضل الكتابة باليونانية، لأن تكوينهم العلمي والفلسفي كان باليونانية خاصة في القرون الأولى من الاحتلال. يمكن أن أشير إلى نفس الملاحظة على المواد العلمية التي دُرست في مرحلة الريطوريكا – التي يقابلها مصطلح التعليم العالي حالياً–، حيث بقيت هذه المواد تقدم باللغة اليونانية، مثل الطب؛ الذي كان يدرس بالإغريقية إلى غاية القرن الخامس للميلاد، وما كان يدرس باللاتينية أحياناً ليس إلا ترجمات لنصوص دونت باللغة اليونانية في الأصل.[2]

والواقع أن مثقفي مجتمع المغرب القديم آنذاك كانوا يتقنون اللغتين اللاتينية واليونانية معاً، إلى درجة أن تداولهما معاً في نفس المحاضرة كان أمراً عادياً لا يخلق أية مشكلة لدى الطلبة.[3]

شهد التعليم في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، انتعاشاً متميزاً، وهذا ما أوردته المصادر التاريخية التي تشير إلى وجود مراكز تعليمية وعلمية، منتشرة في أقاليم بلاد المغرب[4]، حيث أشار أوغسطين إلى أنه كان يذهب إلى المدرسة حينما تكلم عن أحد أصدقاء الطفولة، بقوله: **"لقد نشأنا معاً، وذهبنا إلى المدرسة معاً ولعبنا معاً"**[5]، وأن أبوليوس تلقى تعليماً في مدارس قرطاجة منذ صغره[6]، ويعود ذلك الازدهار إلى شيوع التعليم بين أفراد الطبقة الوسطى من مجتمع المغرب القديم، وانتشار الوعي بأهميته كنشاط معرفي خلاق يعتمد على برامج تعليمية تتوزع على أطوار ومراحل تعليمية محددة[7]، والتي سبقت دراستها.

الحالة ذاتها. ينظر: دومنيد فولشيد: المذاهب الفلسفية الكبرى، تر.: مروان بطش، ط.1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011م، ص. ص 31، 34-35.

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص.ص 32-33.

2- جميلة خالفي: المرجع السابق، ص 2.

3- المرجع نفسه، ص 2.

4- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 33.

5- Augustin (St.): les confessions, T.1 L.IV, CH.IV, 234.

6- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 18، ص 78.

7- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 33.

ومن ناحية أخرى فقد لعب التعليم دوراً هاماً في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم من خلال الحفاظ على المنظومة الاجتماعية في مدن وحواضر بلاد المغرب القديم ذات الطابع الروماني، والتي فرضتها الإدراة الرومانية من خلال المستوطنين الرومان وسياسة الرومنة، وكان التعليم وسيلة لتحقيق ذلك.[1]

وعلى أية حال؛ فإن مجتمع المغرب القديم عرف نفس المنظومة التعليمية الرومانية، ومما لا شك فيه أن الإدارة الرومانية لها مساهمة فعالة في نشرها في إطار سياسة الرومنة، وهي نفس المنظومة المعروفة عند اليونان، والتي ارتكزت على دراسة الريطوريكا والأدب، وباللغتين الإغريقية واللاتينية، فنتج عنه بروز فئات نخبوية مثقفة مزدوجة اللغة- وهذا ما سأشير إليه ضمن الجزئية الآتية-، مما يشير إلى شيوع وانتشار التعليم من خلال ما أشارت إليه المصادر التاريخية.

المطلب الثاني: ظهور النخب المثقفة في المغرب القديم

لقد شهد التعليم انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، بين الطبقات الأرستقراطية والفئات الحضرية من سكان المدن خاصة، وقلته أو انعدامه بين باقي الفئات، وهو أسلوب اتبعته الإدارة الرومانية من أجل خلق فئة مثقفة ومتشبعة بقيم الثقافة والحضارة الرومانية ومبتورة عن ثقافتها الأصلية، لأن تعليمها الروماني سيفقدها لغتها الأصلية وبالتالي فقدان قيّمها الثقافية الأصيلة، لتتكفل بنشر اللغة اللاتينية والثقافة الرومانية في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم.[2]

وعليه فقد كان للتعليم وظيفة عملية، إذ يمكن أن نعتبره تنشئة اجتماعية يتشكل من خلالها مواطنون ذوي ثقافة رومانية، وقد ركز على الأفراد المتفوقين اجتماعياً وفكرياً، من الذين درسوا جيداً في المدارس التعليمية والتزموا بتوجيهات معلميهم وأساتذتهم، وأصبحوا أكثر انسجاماً وتناغماً وتخلقوا بسلوكات محترمة بالمنظور الروماني طبعاً[3]، فأفرز ذلك كوكبة من النخب المثقفة؛ من مفكرين وأدباء وفلاسفة وغيرهم، تفوقوا في مختلف ميادين المعرفة وخلفوا ورائهم أعمالاً راقية لا تزال ذات قيمة علمية ومعرفية إلى الآن[4]، وكانت

1- Talbot (F.): Op.cit., P.25.

2- دعاس فارس: المرجع السابق، ص 214.

3- Talbot (F.): Op.cit., P.25.

4- محمد حشلاف: **"المفكرون الأفارقة بين آثار الطمس ومحاولات اثبات الذات، مارسيانوس كابيلا (Martianus Capella) أنموذجا"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، مج.7، العدد 3، الجزائر، 2023م، (ص 952-964)، ص 953.

نتيجة لمفعول المثاقفة التي فرضها الرومان على مجتمع المغرب القديم[1]، بسبب سياسة الرومنة الثقافية التي اتبعتها الإدارة الرومانية بعد أن تيقنت من محدودية السيطرة العسكرية، لذلك لجأت إلى إتباع منطق الإخضاع الثقافي، فكان لزاماً على الرومان أن يتشاركوا وجودهم مع مجتمع المغرب القديم من خلال جملة من القوانين التي فرضتها في مقاطعاتها ببلاد المغرب القديم، والتي بموجبها فرضت قيّم الحضارة والثقافة الرومانية على الواقع الثقافي للمغرب القديم.[2]

وإلى جانب نشر وفرض اللغة اللاتينية كلغة رسمية في مختلف الهياكل الإدارية والمرافق العامة لمدن وحواضر بلاد المغرب مهما كان حجمها[3]، سعت إلى إيجاد نخب محلية تهدف من ورائها إلى تحقيق هدفين؛ الأول استمالة الفئات الاجتماعية الرافضة للوجود الروماني، والثاني هو أن تحقق من وراءها نشر مظاهر الثقافة الرومانية في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم وضمان استمرارية الوجود الروماني في المنطقة، هذا الإجراء الذي اتبعته سلطات الإدارة الرومانية أفرز نخبة من المثقفين كان لها صيت في مجال الفكر والأدب ومختلف العلوم باللغة اللاتينية[4]، وكانت عَلاَمَة متميزة عن النخب المترومنة[5]، فلعب التعليم في ذلك إلى تحويل الكثير من التلاميذ والطلبة إلى نخب مثقفة ذات جودة عالية، وتحولوا إلى مواطنين تحسن من خلاله وضعهم القانوني والاجتماعي[6]، وبفضلها ازدهرت الحركة الثقافية ولمع نجم بعض مقاطعات بلاد المغرب القديم ما بين القرن الأول والثاني للميلاد إلى القرن الرابع للميلاد[7]، والتي تحولت إلى مراكز علمية وتعليمية أكسبتها شهرة واسعة في عالم البحر الأبيض المتوسط خلال تلك الفترة، وسأتناولها عند دارسة المراكز التعليمية والعلمية.

وبسبب اندماجهم في قيّم الحضارة والثقافة الرومانية واتخاذهم للأسماء الثلاثية وفق القانون الروماني Tria Nomina المنصوص عليه في قانون الحالة المدنية الرومانية[8]، ما

1- محمد شفيق: ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، أعده للنشر تامنغاست، تاولت الثقافية، (د.ب)، (د.ن)، ص 78.
2- خالد محفوظ: **"النخبة الإفريقية المرومنة ومواقفها من الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم (القديس كبريانوس نموذجا)"**، مجلة الحقيقة، مج.21، العدد 3، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2022م، (ص 195-214)، ص 197.
3- Albertini (E.): Op.cit, P48.
4- خالد محفوظ: المرجع السابق، ص 197.
5- بلقاسم رحماني: المرجع السابق، ص. ص 307-308.
6- Talbot (F.): Op.cit., P.27.
7- خالد محفوظ: المرجع السابق، ص 197.
8- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 273.

أدى إلى تعذر الفرز الدقيق بين النخب المنحدرة من الفئات المحلية الأصيلة المترومنة ومن المستوطنين الرومان، ويشير ش. أ. جوليان أن أكثرها كانت أصيلة المغرب القديم وتبنت الثقافة الرومانية[1]، وخصوصاً بعد القرن الثاني للميلاد في معظم مقاطعات بلاد المغرب في البروقنصلية أو تريبوليتانيا (طرابلس) أو غيرها، حيث اختفت الفروق العرقية وحلت محلها في التسلسل الهرمي الاجتماعي الفوارق الاقتصادية والسياسية والإدارية، وكان للتعليم دوراً هاماً في ذلك، فأصبحت لتلك النخب ثقلاً ثقافياً واضحاً لا يمكن إنكاره في بلاد المغرب القديم وخارجها.[2]

ورغم المساهمة الفعالة لتلك النخب في ممارسة النشاط التعليمي وإغناء الفكر والأدب اللاتيني[3]، وازدهار الحضارة والثقافة الرومانية، إلى أن رواسب ثقافتهم الأصلية تسربت في عمق الثقافة اللاتينية، فبرز نموذجاً ثقافياً يحمل في عمقه خصائص سيوسيوثقافية ميزته عن غيرها من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، على الرغم من محاولات الإدارة الرومانية منع تسرب مؤثرات الثقافة المحلية إلى اللغة والثقافة اللاتينية، ومن تلك المؤثرات ما أشار إليه بول مونصو حول تأثر اللاتينية بالبيئة اللغوية للمغرب القديم، وسأتطرق إليها بعد هذه الجزئية[4]، ذلك التأثير يمكن تفسيره على أنه نوع من الوعي الهوياتي لدى تلك النخب المثقفة، وانعكس ذلك في أعمالهم التي عبّرت فيها وبطرق مختلفة عن آرائهم وتوجهاتهم الفكرية والعلمية.[5]

وعليه فقد كانت تلك النخب من نتائج النظام التعليمي شاركوا في تنشيط الحياة التعليمية وحتى الإدارية، وتشاركت تقريباً نفس القيم الثقافية[6]، وتعددت وتنوعت أعمالها العلمية والفكرية والفنية، وكانت من مصاف كبار العلماء والمفكرين باعتراف الكثير من مؤرخي ذلك العصر، على غرار الأغليد يوبا الثاني الذي ألف باللغة الإغريقية أكثر من اللاتينية، ونال شهرته كعالم[7]، فقد وصفه بلينوس القديم بأن شهرته كعالم سبقت شهرته كملك، وذكره بلوتارخوس بأنه من أحسن المؤرخين[8]، بالإضافة إلى المفكر والفيلسوف

1- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 252.

2- Talbot (F.): Op.cit., P.34.

3- محمد شفيق: المرجع السابق، ص 78.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.51, 105.

5- خالد محفوظ: المرجع السابق، ص 198.

6- Talbot (F.): Op.cit., P.23.

7- Boissier (G.): Op.cit., P.26. Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), LX, 410.

8- خديجة قمش: المرجع السابق، ص. ص 76-77. Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 231.

والأديب لوكيوس أبوليوس صاحب أشهر راوية أدبية في تاريخ الأدب العالمي، وهي رواية التحولات المعروفة بالحمار الذهبي والتي ترجمت إلى مختلف لغات العالم، ومؤلفات أخرى كالأبولوجيا والفلوريدا وغيرها، وبها نال شهرة منقطعة النظير.

بالإضافة إلى الخطيب البليغ والسياسي فرونطو Fronto الكيرتي الأستاذ الإمبراطوري للأنطونيين[1]، والشاعر القرطاجي نيميسيانوس Nemesianus صاحب مؤلف الصيد Cynégétiques[2]، وكايليوس أوريليانوس من سيكا فينيريا والذي كتب في مجال الطب، والشاعر سولبيسيوس أبوليناريس من قرطاجة ونونيوس مارسيلوس من ثوبورسيكوم Thubursicum، والقديس ترتوليانوس Tertulianus وكيبريانوس Cyprianus القرطاجيين، ولاكتانتيوس Lactantius وأرنوبيوس Arnobius والقديس أوغسطين وغيرهم[3]، والذين ساهموا بكتاباتهم الدينية المسيحية، وسأتحدث عن بعضهم في الفصل الرابع.

إذن، فقد أصبحت بلاد المغرب القديم مركزاً فكرياً وعلمياً، خاصة منذ بداية النصف الثاني للقرن الثاني للميلاد امتاز بالنشاط التعليمي والحركية الثقافية، بفضل تلك النخب المثقفة ذات أصول من المغرب القديم[4]، وبفضل إنتاجهم الفكري وبراعتهم العلمية والبلاغية والشهرة الخطابية ما يدل على عظمتهم وقوتهم وقدرتهم على التأثير على غيرهم من المجتمعات في ذلك العصر.[5]

المطلب الثالث: تطور اللغة والكتابة اللاتينية

إنه من نتائج إنتشار التعليم كذلك مساهمة نخب المغرب القديم في تطوير اللغة والكتابة اللاتينية، حيث يشير بول مونصو إلى أنه حدث وأن تطورت اللغة اللاتينية في روما بسبب النشاط العلمي الذي شهدته هناك. وبقيت تلك اللغة محافظة على الكثير من مصطلحاتها وألفاظها القديمة حيث يشير إلى أن المستوطنين الرومان الأوئل ساهموا في

1- خالد محفوظ: المرجع السابق، ص 198.

2- Stace, Martial, Manilius, Lucilius Junior, Rutilius, Gratius Faliscus, Némésianus et Calpurnius: collection Des auteurs Latins, œuvres complètes avec traduction, publiées sous la direction de M. Nisard, imprimeurs de l'institut de France, Paris, 1865, P.795.

3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P62. Nettleship (H.): "Nonius Marcellus", Gorgias Press LLC, Piscataway, NJ, 08854, USA, 2009, URL: https://dokumen.pub, Vu: 06/04/2024, P.2.

4- خالد محفوظ: المرجع السابق، ص 199.

5- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 326.

الحفاظ عليها بسبب انفصالهم عن الوطن الأم ردحاً من الزمن، وتواصلت مع أحفادهم جيلاً بعد جيل.[1]

وكما أشرت سابقاً؛ وبما أن الدولة الرومانية لم تتدخل بشكل مباشر في التعليم، فقد بادرت البلديات والأثرياء لإدارة والإشراف على التعليم[2]، الذي ساهم في نشر وانتشار اللغة اللاتينية التي كانت معروفة ببلاغتها وقوة خطاباتها وخطبائها، بينما انحسرت اللغة البونية في بعض المدن أو المناطق الريفية المحاذية لها خاصة الساحلية منها، وظل أغلبية أفراد المغرب القديم محافظين على لغتهم الليبية على مستوى الأسرة والقبيلة وفي الأرياف وخارج الحدود الحضرية.[3]

ورغم محاولات الإدارة الرومانية إبعاد اللاتينية عن أي تأثير لغوي ليبي أو بوني، فقد كانت نتائج ذلك الإجراء نسبياً، حيث تأثرت لاتينية بلاد المغرب القديم باللغات التي كانت سائدة قبل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب. فيشير بول مونصو أنها تأثرت باللغة البونية خاصة في المناطق الساحلية والليبية في المناطق الداخلية، والفئة التي أدت إلى نقل تلك المؤثرات هي نخبة المغرب القديم المثقفة المترومنة، فقد كانت مسرحية بلاوتوس تسلي الجمهور من خلال إلقاء بعض خطبها الغنائية من قبل أحد الأفراد من مجتمع المغرب القديم[4]، بالإضافة إلى أنها كانت تمارس نشاطها التعليمي ومساهمتها في الإنتاج الفكري.

بالإضافة إلى اللغة العبرية؛ التي تزامن وصولها إلى المنطقة مع إنشاء المراكز التجارية الفينيقية، بعد سقوط مملكتهم على يد الأشوريين في عام 710ق.م، وخضوع مصر لحكم البطالمة سنة 322ق.م[5]، وفي عهد الإمبراطور أوغسطس Augustus وجدت طريقها إلى مدن بلاد المغرب القديم حيث الجماعات اليهودية Syntagmata[6]، فمارست تأثيرها الديني على مجتمع المغرب القديم[7]، فبالإضافة إلى عملها التجاري والصيرفي وافقت الإدارة الرومانية على استمرار ممارسة طقوسها وشعائرها الدينية[8]. وقد تركت بصماتها

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.100.

2- Talbot (F.): Op.cit., P.P.19-20.

3- الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م، ص.ص 102، 113.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.102.

5- بوعلام صالحي، منصوري فريدة: المرجع السابق، ص 44.

6- مصطفى كمال عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م، ص 171.

7- Mouloud (G.): Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, T.I, éd. Mimouni Hichem Rouïba, Alger, 2009, P.138.

8- رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص 342.

على لاتينية بلاد المغرب القديم، حيث كانت فئات من الجالية اليهودية مجتمعة حول معابد اليهود، وكانت لغتهم التي تنتمي إلى اللغات السامية مثل البونية في متناول المتحدثين بهذه الأخيرة، كما أن المجادلين المسيحيين في بلاد المغرب كانوا في العادة قادرين على قراءة وتفسير النص الأصلي للعهد القديم من خلال التعليقات والترجمة والأعمال التبشيرية، ما أدى إلى تسرب بعض المصطلحات العبرية إلى اللغة اللاتينية التي يتكلمها العامة في الأماكن العمومية.(1)

لذلك فقد كان من خصائص لاتينية العامة؛ تأثرها بالبيئة الليبية واللغة البونية، وكذا احتفاظها بأشكالها القديمة كما أشرت إلى ذلك آنفاً، ومن تلك المؤثرات ضعف حروف العلة واختفاء الحروف الساكنة وتآكل الكلمات، ما أدى إلى ازدهار المركبات والمشتقات، ومضاعفة الضمائر وحروف الجر. بالإضافة إلى الميل لاختزال الأسماء والأفعال في نوع واحد من التصريف، وهنا تكثر الأخطاء في استخدام الأجناس والحالات والأزمنة، وبالتالي الميل إلى تبسيط الإعراب، ما يؤثر في بناء الجمل.(2)

ومن الألفاظ والمصطلحات ذات الأصل البوني أو الليبي أو اليوناني، التي أشار إليها بول مونصو، وتسربت إلى اللاتينية أذكر منها: أتوربيس Aturbis، كيوبسونس Quopsones، بعض الأسماء التي تنتهي بـ: ica و icus المفقودة في اللاتينية الكلاسيكية، والتي أشار صراحة إلى أصلها كل من: أولوس جيليوس Aulus Gellius وكاسيوس فيليكس Cassius Félix من كيرتا، وكذلك ألفاظ أخرى تنتهي بـ: itta و ita و itu. وكذا إضافة لاحقة إلى جذر بعض الأفعال والأسماء لم تكن معروفة في اللغة اللاتينية خارج بلاد المغرب القديم، حيث ذكر لوكيوس أبوليوس لفظة: "ديسيمولامينتوم Dissimulamentum" بدلاً من الصيغة العادية "ديسيملانتيو Dissimulatio" (التظاهر)، وهناك أمثلة أخرى في الألفاظ التالية: "كروكيابيليس Cruciabilis"، "كروكيابوندوس Cruciabundus"، "كروكياريوم Cruciarium"، "كروكياطور Cruciator"، "كروكيافوريوس Cruciaforius".(3)

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.103.
2- Ibid., P.105.
3- Ibid., P.107.

ونتيجة فقر المعجم اللغوي للاتينية دفع بنخبة المغرب القديم المثقفة إلى الاستعانة بقاموسهم اللغوي الأصلي من أجل ملء ذلك الفقر، بينما العامة من أفراد المجتمع سواء من الناطقين بالبونية أو الليبية فامتازت لاتينتهم بالركاكة أو ينطقونها وفقاً لمخارج أصواتهم الليبية أو البونية[1]، وقد أشرت سابقاً لأمثلة عن أوغسطين وأبوليوس.

وإلى غاية نهاية القرن الثاني للميلاد لا يعرف سوى نمط واحد من الحروف اللاتينية التي ينقشها النحاة على الأحجار، أما الكتبة والنساخ والمتعلمين في المدارس والمراكز التعليمية والعلمية مهما كان حجمها، فيكتبون بآلية سريعة على ألواحهم وفولومياتهم أو كراساتهم، وتأتي كتاباتهم مشوهة تصعب قراءتها[2]، وكما أشرت إلى أن نخبة المغرب القديم المثقفة من طلبة ومعلمين وأساتذة ومفكرين وفلاسفة وغيرهم، استطاعوا تكييف اللغة اللاتينية لنمط تفكيرهم وخيالهم وقربوها من لغتهم الأصلية[3]، فأسهموا بذلك في تطوير اللغة اللاتينية وفقاً للنسق الثقافي للمغرب القديم، حيث أثروا هذه اللغة، وطوروا حروفها فوضعوا الخط النسخي الصغير miniscule latain بديلاً للحروف الكبيرة التاجية Capitis litterae[4]، وهذا الخط حسب جيلبار شارل بيكار G. Ch. Picard وضع في بلاد المغرب القديم في وقت متأخر نسبياً، وكان مخصص في الأساس للنصوص المكتوبة على ورق البردي Papyrus والرّق Parchemin وألواح الخشب بواسطة الحبر. ويرى باحثي النقوش أن ظهور الحرف اللاتيني الصغير يعود إلى آلية الكتابة آنذاك، حيث كان النساخ والكتاب يرتكزون على قمطر Pupitre مائل، ويكتبون على أوراق البرشمان المنفصلة وفيما بعد الملتصقة[5]، ونفس الشيء بالنسبة للطلبة، أما المتعلمين الصغار فيرتكزون أثناء كتابتهم على ألواحهم.

وسأشير هنا إلى مجموعة من النقائش التي تشير إلى ذلك، وتعبر عن الانتقال التدريجي إلى الكتابة بالخط النسخي، عثر على جميعها في بلاد المغرب تعود إلى القرن الثالث للميلاد، منها نقيشة تاموقادي Tamougadi وهي عبارة عن نص إهدائي للسيناتور النحوي فلافيوس بودنس بومبونيانوس Flavius Pudens Pomponianus، ونقيشتين

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.102. Voir: Aulu-Gelle: T.1, II, XXIX, 245-247.
2- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 293.
3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.100.
4- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 151.
5- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص. ص 293-294.

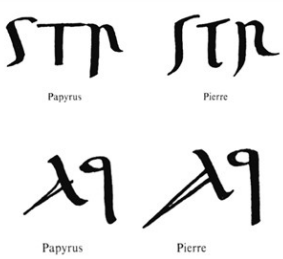
مكتشفتين في ماكتاريس Mactaris؛ الأولى تسمى نقيشة حصاد مكثر الشهيرة، ونقيشة أخرى عبارة عن شاهد قبر لسيدة شهيرة تدعى بكُّوت Le cippe de Beccut[1]، فالملاحظ في هذه الأخيرة أنها كتبت بحروف صغيرة، حيث يبلغ ارتفاع الأحرف القصيرة فيها 10ملم وارتفاع الأحرف الطويلة 15ملم في السطر الأول والثاني والثالث والعشرين، وعموماً حروفها القصيرة تبلغ ارتفاع 20ملم، والحروف الطويلة 30ملم؛ لذا فإن ارتفاع الأحرف القصيرة في كل مكان يساوي ثلثي ارتفاع الأحرف الطويلة (أنظر الشكل رقم 34، ص 138).[2]



(02)



(01)



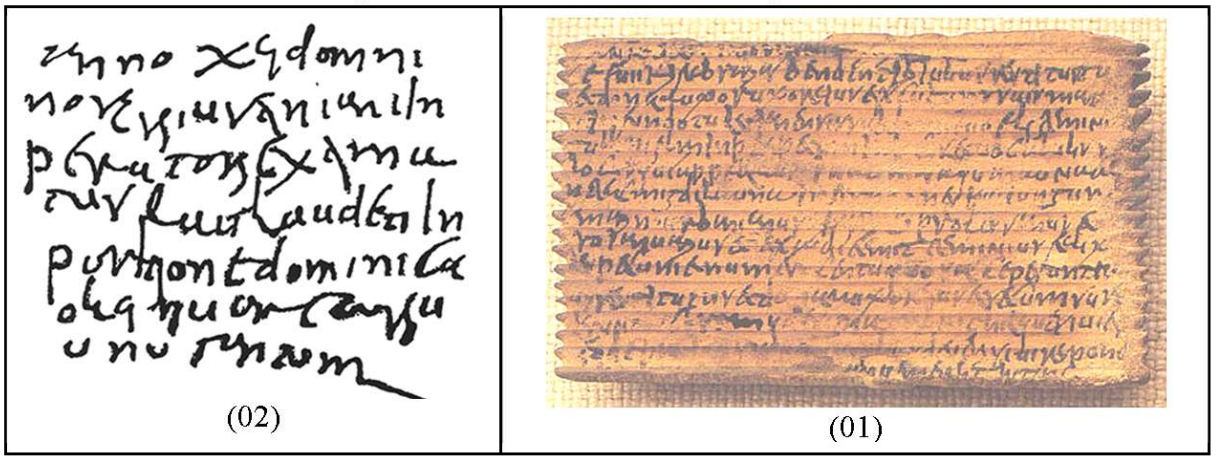
(03)

الشكل رقم 34: نقيشة بكوت وورقة البردي وشكل حروفها.
(01): نقيشة شاهد قبر السيدة بكُّوت.
(02): نص لاتيني على ورقة البردي.
(03): مقارنة الحروف بين النقيشة وورقة البردي، نقلا عن:
Gilbert (C.P.), Le Bonniec (H.), Jea (M.): "Le cippe de Beccut", Op.cit., P.160.

وألواح ألبرتيني (أنظر الشكل رقم 35، ص 139) المكتشفة على الحدود الجزائرية التونسية (100كلم جنوب تبسة و65كلم غرب قفصة) عام 1928م، وهي عبارة عن مخطوطات لاتينية عددها 53 لوحة تشكل عقود بيع وشراء، كتبت بالحبر ذو اللون الأسود

1- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 293.
2- Gilbert (C.P.), Le Bonniec (H.), Jea (M.): "Le cippe de Beccut", In: An. Afri., 4, 1970, P.P.125-164, Persée, URL: https://www.persee.fr, Vu: 08/09/2024, P.P.125, 129.

المائل إلى البني على ألواح خشبية[1]، سلمت إلى مدير الآثار الجزائرية يوجين ألبرتيني Eugène Albertin. تشير إلى التطور الذي شهدته الكتابة اللاتينية خلال القرن الخامس للميلاد، حيث كتب بخط متصل وتحتوي على العديد من الأحرف المركبة والمختصرات[2]، وبذلك تكون بعيدة كل البعد عن الأحرف التاجية الكبيرة التي كانت تكتب بها اللغة اللاتينية القديمة. ورغم أن استخدام الحرف الصغير يعود للقرن التاسع للميلاد، فمما لا شك فيه أنه كان نتاج العديد من المحاولات لوضع الأسس الأولى لهذا الخط. كما تؤكد هذه الألواح أن بلاد المغرب القديم كانت سباقة في معرفة هذا الحرف وتوظيفه في الكتابة.[3]



(02) (01)

الشكل رقم 35: لوحة من ألواح ألبرتيني وكتابة نقرين Negrine.

(01): لوحة من ألواح ألبرتيني. نقلا عن:

Les Tablettes Albertini, URL: https://unpays uneidentit.wordpress.com, 08/09/2024

(02): كتابة نقرين (جستنيان 542-543م). نقلا عن:

Chaker (S.) et autres: "Olivier (La culture de l'olivier, de l'Antiquité à la Kabylie contemporaine)", ENC.BER.[En ligne], URL: http://journals.openedition.org, Vu: 08/09/2024.

وبهذا فقد شهدت اللغة اللاتينية تغيرات مهمة في بلاد المغرب القديم، بفضل انتشار التعليم وتأثير البيئة اللغوية لبلاد المغرب القديم، وبنمط التفكير السائد لدى نخب المغرب القديم من معلمين وأساتذة وطلبة ومفكرين وغيرهم، فعرف المعجم اللغوي اللاتيني تسرب الألفاظ من تلك البيئة اللغوية وتطور على مستوى رسم الحروف، حيث ظهرت بوادر

1- العود محمد الصالح: **"ألواح ألبارتيني ودلالاتها الاقتصادية خلال القرن الخامس الميلادي"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.4، العدد 8، مركز الحكمة، الجزائر، 2016م، (ص 28-37)، ص. ص 28-37.

2- Georges (T.): "Tablettes Albertini. Actes privés de l'époque vandale (fin du Ve siècle)", édités et commentés par Christian Courtois, Louis Leschi, Charles Perrat, Charles Saumagne", Arts et métiers graphiques, Paris, 1952, P.P. 225-229, https://www.persee.fr, Vu: 29/07/2024.

3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 104.

الحروف الصغيرة كبديل للحرف الكبير، وذلك ما وضحته المصادر النقوشية المكتشفة في بلاد المغرب.

كما يمكنني القول؛ أن مجتمع المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، عرف نفس المنظومة التعليمية التي كانت سائدة عند الرومان، وساهم الوجود الروماني في ترسيخ وانتشار تلك المنظومة في الوسط الاجتماعي لبلاد المغرب، ما أدى إلى إحداث أثر على الواقع التعليمي للمغرب القديم، وأفرز نتائج على مجتمع المنطقة، فأدى إلى ظهور كوكبة من النخب المثقفة الأصيلة وذات الثقافة لاتينية، وكذا إحداث تغيرات على مستوى اللغة والكتابة اللاتينية.

وصفوة القول؛ فإن بلاد المغرب القديم عرفت انتشاراً واسعاً للتعليم على النمط الروماني، حيث كان أطفال المغرب القديم يتلقون تعليماً عبر مراحل، فبعد خروجهم من مرحلة الحضانة ينتقلون إلى مرحلة الليتيراريوس ثم الغراماتيكوس وينهونها بمرحلة الريطوريكا، ويتدرج خلالها في نوعية المعرفة المقدمة، فتبدأ من الحساب والقراءة والكتابة إلى دراسة نفس المواد وتكون أرفع ويحفظ خلالها أشعار ونصوص لمؤلفين مشهورين، مع بعض العلوم الأخرى كالأدب والجغرافيا والتاريخ، كما يعكفون في المرحلة الأخيرة على دراسة فن الريطوريكا والأدب وعلم اللغة والقانون والفلسفة ومختلف علوم ذلك العصر، كما كان يعتمد على هياكل ووسائل وأدوات معينة في ممارسة النشاط التعليمي. ونتيجة للانتشار الواسع للتعليم فقد ترك نتائج على مجتمع المغرب القديم، وعلى اللغة اللاتينية، وأدى إلى ظهور نخب من بلاد المغرب مترومنة مثقفة بالثقافة اللاتينية وتمظهرت بمظاهر الحضارة الرومانية.

الفصل الثالث:

المراكز التعليمية والعلمية والثقافية في بلاد المغرب القديم

المبحث الأول: المراكز التعليمية والعلمية في بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: المراكز التعليمية والعلمية في كيرينايكا وأفريقيا

المطلب الثاني: المراكز التعليمية والعلمية في نوميديا وموريطانيا

المبحث الثاني: المراكز الثقافية (المكتبات) في بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: ظهور المكتبات عند المجتمع الروماني

المطلب الثاني: انتشار المكتبات في بلاد المغرب القديم

المبحث الثالث: أنواع المكتبات في بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: المكتبات العامة

المطلب الثاني: المكتبات الخاصة

المبحث الرابع: طبيعة عمل المكتبات في بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: مصادر تمويل المكتبات وآلية التخزين والفهرسة والعمل بها

المطلب الثالث: الكتب المسموح بها وتقييم حجم الاستيعاب في المكتبات

الفصل الثالث: المراكز التعليمية والعلمية والثقافية في بلاد المغرب القديم

عرفت بلاد المغرب القديم خلال فترة الهيمنة الرومانية، مجموعة من المدن التي اشتهرت كمراكز تعليمية وعلمية مثل: روما وأثينا والإسكندرية، مورس فيها النشاط التعليمي وقصدها الكثير من علماء ومفكري وفلاسفة ذلك العصر، كما كانت قبلة طلبة مختلف أقاليم المغرب القديم، وكانت مراكز للعلم واحتوت على منشآت مكتبية عامة وخاصة، وسأتطرق بالدراسة في هذا الفصل لأهم المراكز التعليمية والعلمية والمكتبات التي عرفتها بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

المبحث الأول: المراكز التعليمية والعلمية في بلاد المغرب القديم

إزدهر في بلاد المغرب القديم مجموعة من المراكز التعليمية والعلمية، ككيرينايكا ذات المنشأ الإغريقي، وقرطاجة وقيصرية ومادوروس وغيرها التي نشأة مع فترة الاحتلال الروماني (أنظر الجدول رقم 6، ص 158)، وقد نالت شهرة واسعة بسبب تحولها إلى مراكز نشطة في المجال التعليمي والعلمي، يقصدها الأساتذة والطلاب من مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية، بالإضافة إلى مراكز أخرى صغرى، وسأتناول في هذا المبحث بعض تلك المراكز.

المطلب الأول: المراكز التعليمية والعلمية في كيرينايكا وأفريقيا

لقد ازدهر في القسم الشرقي من بلاد المغرب القديم، وخاصة في إقليمي كيرينايكا وأفريقيا، مجموعة من المراكز التعليمية والعلمية، وأخص بالذكر مدينة كيرينايكا وقرطاجة، وسأتناولهم بالدراسة في هذا المطلب.

1- مدينة كيرينايكا[*1] Cyrenaica:

أول المدن التي أنشأها المستوطنين الإغريق من جزيرة ثيرا Théra في ليبيا، والواقعة ضمن إقليم يحمل نفس الاسم[2]، وتجاورها مجموعة من المدن هي: برقة Barcaia (فاركي) وتوخيرا Taucheira ويوسبيريدس Euhesperides وأبولونيا Apollonia، وقد ساهم في شهرتها كونها كانت تمتلك ثروة زراعية وحيوانية هائلة عادت عليها بموارد مالية طائلة، بلغوا

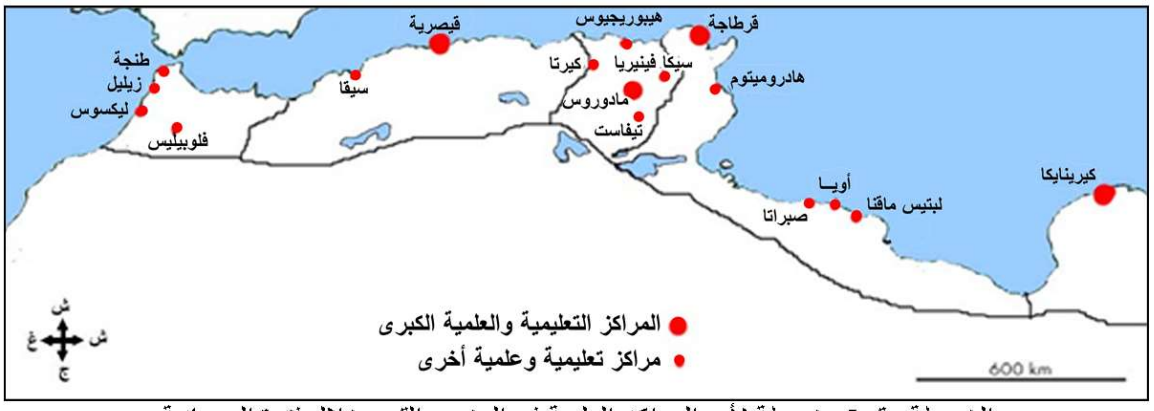
*- **كيرينايكا:** أو قورينا أو قورينائية أو قورين Cyrénaique، تتكون من بلاد السيرت بما في ذلك طرابلس وفزان الحالية في الداخل، حيث واحات النخيل والرمال ومنها يمرُّ أقرب طريق نحو أفريقيا الوسطى من البحر المتوسط. محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالستيوس (86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة Bellum Jugurthinum، المصدر السابق، ص 43.

2- كلاوديوس بطليموس: المصدر السابق، ص. ص 57-62. هيرودوت: أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الأمازيغ)، المصدر السابق، 169 ص 38.

بها مراتب الترف والثراء[1]، فقد أشار هيردوت إلى أن هذه المنطقة كانت لها ثلاثة مواسم حصاد ويستمر ثمانية شهور[2]، كما وعرفوا أيضاً بتجارة السيلفيوم Silphium وتربية الأغنام.[3]

وخضعت للحكم الروماني بعد تنازل حاكمها بطليموس أبيون Ptolémée Abion عن الحكم للرومان سنة 96ق.م، إلا أنها بقيت تتمتع باستقلال ذاتي لمدة عشرين سنة لتُضم نهائيًا سنة 74ق.م (القرن الأول قبل الميلاد).[4]

وقد شهدت ازدهارً ثقافياً؛ وأصبحت من أشهر المراكز العلمية والتعليمية في بلاد المغرب القديم (أنظر الخريطة رقم 5، ص 142)، لتكون من أشهر المدن على الساحل الشمال الأفريقي بعد كل من قرطاجة والإسكندرية، وكانت تنافس أثينا من حيث ثقافتها وفنونها وآدابها، وقد قال عنها سينزيوس الكيرني Synésios de Cyrène أحد علماءها خلال القرن الرابع الميلادي أن: **"قورينا اسم قديم سجل ذكره الكُتاب ألف مرة".**[5]



الخريطة رقم 5: خريطة لأهم المراكز العلمية في المغرب القديم خلال فترة الرومانية
(من إنجاز الباحث)

ولقد تفاعلت مدارسها مع مدارس الإسكندرية وأثينا الفلسفية، فظهرت بها مدارس علمية وفلسفية وطبية وهندسية ورياضية وموسيقية وغيرها، لم يكن لها نظير لا بمصر ولا بقرطاجة ولا بقيصرية، وأشهر تلك المدارس أخص بالذكر مدرستين وهما: المدرسة الأولى

1- راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص. ص 21-24. هيرودوت: أحاديث هيرودوت (487/489-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الأمازيغ)، المصدر السابق، ف. 199، ص 115.

2- هيرودوت: الكتاب الرابع من تاريخ هيردوتوس (هيرودوت)، المصدر السابق، ف. 199، ص 134.

3- Léon (M.): "La Cyrénaïque. Esquisse géologique et géographique". In: Revue de géographie alpine, T.24, N°3, 1936, PP.539-578; URL: https://www.persee.fr; Vue: 14/04/2024, P.573.

4- سعد صالح عوض الدلال: المجتمع الروماني في قوريني Cyrene (96ق.م-248م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة من قسم التاريخ (يوناني وروماني)، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، جامعة بنها، مصر، (د.ن)، ص. ص 2، 17، 19.

5- راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص. ص 32-33.

أسسها أريستبوس الكيريني Aristippus de Cyrène (435-356ق.م)، وهي مدرسة فلسفية تنادي بمذهب اللذة[1]، فكانت تهتم بسبل تحصيل السعادة ناصرة مذهب اللذة، وازدهرت في القرن الرابع ق.م[2]، وقد استمرت هذه المدرسة في نشر مذهبها الفلسفي وتطوره حتى بداية القرن الثالث قبل الميلاد[3]، وقد أشار إلى أن دراسته الطويلة للفلسفة أمدته بالقوة لمناقشة أي أحد دون خوف أو وجل[4]، وترأستها من بعده ابنته آريتي الكيرينية Arété de Cyrène بعد وفاة والدها ثم ابنها أريستبوس الأصغر Aristippe le Jeune. أما الثانية فهي مدرسة فيثاغورية أسسها ثيودوروس الكيريني Théodore de Cyrène بصفته عالم في الرياضيات والهندسة، حيث ركز فيها على تعليم علم الرياضيات والعلوم الطبيعية إلى جانب تعليم باقي الفنون.[5]

وكنتيجة لذلك فقد شهدت اهتماماً واسعاً بالتعليم وتطويره، لدرجة أنه أصبح مواكباً للتعليم في أثينا، مما فتح المجال لطلبة كيرينايكا (قورينائية) للذهاب إلى أثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد طلباً للعلم والمعرفة، حيث أن معظم أعلام كيرينايكا المشهورين قد تلقوا تعليمهم في أثينا لمختلف العلوم الأدبية والفلسفية والطبية والرياضية والفلكية وغيرها من العلوم.[6]

ومن أهم أعلامها أذكر هنا: الفيلسوف ثيودوروس الكيريني (465-398ق م)، الذي تتلمذ في أثينا على يد الفيلسوف اليوناني بروتاغوراس Protagoras أستاذ أفلاطون[7] في الرياضيات، وقد كان يزور كيرينايكا من حين إلى آخر قصد التذاكر معه. وعالم الرياضيات الشهير إراثوستينوس Erathostène (276-194ق.م)، الذي عمل بها كمدرس ثم انتقل إلى الإسكندرية ثم أثينا، وقد تتلمذ على يد ليزانياس Lysanias الكيريني والفيلسوف الرواقي أريسطو Ariston خلال القرن الثالث قبل الميلاد، والشاعر كالماخوس Callmachos الكيريني (315ق.م-240ق.م).

1- راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص 48. وقد ذكر أبوليوس في مؤلفه فلوريدا أن أرستيبوس هو مؤسس هذه المدرسة. ينظر: لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 24، ص 93.

2- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص.ص 36-40، 226، 239. شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 260.

3- راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص 48.

4- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 24، ص 93.

5- راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص 48.

6- المرجع نفسه، ص 48.

7- أفلاطون: فيلسوف ومواطن أثيني (427-347ق.م) وتلميذ سقراط ومستشار المير دنيس الأول والثاني وأمير سيركوزا، ومؤسس مدرستة الفلسفية، ويعتبر مرجعية ثابتة لكل الفلاسفة والمفكرين بسبب ثروته الفكرية. دومنيد فولشيد: المرجع السابق، ص 11.

ونشطت الحركة العلمية في كيرينايكا على يد هؤلاء العلماء والمفكرين، بالإضافة إلى كل من: الفيلسوف هيجيسياس Hegesias خلال القرن الخامس قبل الميلاد، أنيسيريس Anniceris ما بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، أركيسيلاوس Arkesilaos في القرن الثالث قبل الميلاد، كارنياديس Carneades ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.[1]

إلاّ أن هذه المدينة اتسمت بخصوصية واضحة وهي الثقافة اليونانية، وقد ارتكز التعليم فيها على ما جاء في دستور بطليموس، حيث رأت إحدى مواده بتدريب الطلبة على استخدام القوس وركوب الخيل والأسلحة، وهذه إشارة إلى وجود شبه بين التعليم في هذا المركز التعليمي والعلمي مع التعليم اليوناني، وقد تكون ساحة البلايسترا Palaestra موجودة للتدريب على المصارعة واستخدام الأسلحة وركوب الخيل، وكان ذلك شبيهاً بما ساد في الفترة الرومانية، وهو نوع من الإعداد للحياة العسكرية.[2]

ومع تحول الإسكندرية عاصمة دولة البطالمة في مصر، إلى مركز استقطاب لكل الأدباء والفلاسفة والعلماء خلال تلك الفترة، بسبب احتواءها على مكتبة عامة ضخمة، والاهتمام الذي كان يتلقاه علماء ذلك العصر من قبل الملوك البطالمة، وتشريفهم بمناصب رئاسية للمؤسسات الثقافية لدولتهم، ما أصاب كيرينايكا بحالة من الركود الثقافي، بسبب رحيل الكثير من علماءها إلى الإسكندرية آنذاك، خاصة مع القرن الثالث للميلاد.[3]

إذن؛ فقد كانت كيرينايكا مركزاً علمياً وتعليمياً، يحتل مكانة هامة في المغرب القديم وحتى العالم القديم، وكان نموذجاً يونانياً خالصًا، الذي سمح بانتشار الثقافة اليونانية في بلاد المغرب القديم، وامتدت فترة ازدهاره واشعاعه الحضاري والثقافي بداية من القرن الخامس قبل الميلاد إلى الى حدود القرن الأول قبل الميلاد خلال الفترة اليونانية، ليستمر كذلك خلال الفترة الرومانية إلى غاية القرن الثالث للميلاد قبل أن يأفل نجمه لظروف وأسباب معينة، وبرز فيها الكثير من العلماء والمفكرين من بلاد المغرب القديم، وشكلت قبلة لطلبة العلم من مختلف أقاليم هذه البلاد.

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 40. أنظر: راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص. ص 33-39.
2- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 260.
3- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 40. أنظر: راضية أبو عجيلة صالح ابن خليفة: المرجع السابق، ص. ص 33-39.

2- مدينة قرطاجة Carthage:

بعد انهزامها في الحروب البونية استعادت قرطاجة قوتها وحضارتها مرة أخرى ما دفع بكاتون الأكبر Caton l'Ancien إلى مطالبة مجلس الشيوخ الروماني إلى ضرورة تخريبها نهائياً (Carthaginem delendam)[1]، وبعد تدميرها سنة 146ق.م خضعت أفريقيا نهائياً للاحتلال الروماني وأصبحت مقاطعة رومانية Provincia Africa بمساحة تقدر بحوالي خمسة وعشرين ألف كلم²، وحملت اسم أفريقيا البروقنصلية Africa Proconsularis[2]، ثم تحول اسمها إلى أفريقيا القديمة Africa Vetus بعد الحرب الأفريقية بين بومبيوس وقيصر 47-46ق.م، لأن نوميديا الشرقية ستحمل تسمية أفريقيا الجديدة Africa Nova[3]، وبعد مرور مائة واثنين عام على تدميرها حسب ما ذكره أبيانوس Appianus، ونتيجة لموقعها الجيوستراتيجي كان لزاماً على الإدراة الرومانية إعادة بناء مدينة جديدة على أنقاض قرطاج البونية، وتم ذلك عدة مرات تصدرتها محاولة كايوس غراكوس Caius Gracchus[4] – المشروع الذي رفضه مجلس الشيوخ الروماني–، حيث تم في عام 122ق.م تأسيس مستعمرة هناك تحت اسم كولونيا يونونيا كرتاجو Cilonia Carthago iunonia[5]، كانت تتكون من 6000 مستوطن روماني وزعت عليهم مجموعة من الأراضي بتلك المنطقة إلاّ أنّ هذا المشروع فشل، بسبب بيعهم لتلك الأراضي لمجموعة من الأرستقراطيين الرومان وهم ستة من أعضاء مجلس الشيوخ.[6]

أما المحاولة التالية؛ قام بها يوليوس قيصر Julius César أثناء الحرب الأهلية، فأقام بها مستوطنة تحت اسم مستعمرة جوليا كونكورديا كارتاجو Colonia Julia Concordia

---

1- Appianus: Histoire Romaine, L. Carthaginois, établi et trad. Paul Goukowsky, édit. les belles lettres, 2001, T.IV, L.VIII, LXIX, 57. Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de Caton le Censeur), tard. Dominique Ricard, bureau des éditeurs de la bibliothèque des amis des lettres, Paris, 1829, XL, XLI, T.VI, 61-62.

2- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، المرجع السابق، ص 55.

3- Dion Cassius: Histoire Romaine, trad. E. Gros, Librairie de Firmin Didot frères, Paris, 1845, remacle, XLIII, 9.

4- Appianus: Histoire Romaine, T.IV, L.VIII, CXXXVI, 123.

5- Fantar (M.H.): Carthage La cité punique, ALIF, Les Éditions de la Méditerranée, Tunis, 1995, P.112. Pline L'ancien: Histoire naturelle, Trad. M. Lettre, Firmin Didot, Paris, 1829, XV, 76, XVII, 22.

6- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 61. Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), LXIII, T.VI, 412.

Carthago[1]، وكانت تتكون من 3000 مستوطن جلهم من قدماء المحاربين ومواطنين فقراء وبعض السكان الأصليين[2]، ولكنه لم يتمكن من إتمام هذا المشروع بسبب اغتياله في شهر مارس من عام 44ق.م[3]، وقد واصل بعده الاهتمام بها أوغسطس أكتافيوس Augustus Octavius وجعلها العاصمة السياسية لمقاطعة أفريقيا[4]، لذلك بعد عام 28ق.م تشكلت مدينة رومانية وتلقت القانون الذي يحكم المدن الرومانية[5]، لتعود بذلك إلى الازدهار من جديد وأضحت عاصمة ثقافية بامتياز.

كانت مدينة قرطاجة بمثابة عاصمة بلاد المغرب القديم ومركزاً فكرياً غنياً ونشيطاً يجذب إليه كل الراغبين في طلب العلم من مختلف مناطق المغرب القديم وأقاليم الإمبراطورية الرومانية (أنظر الخريطة رقم 5، ص 142)[6]، لذلك نجد هناك الكثير من الشهادات التي تشيد بأهميتها وقيمتها العلمية، ومنهم شهادة يوفينال – كما أشرت إلى ذلك سابقاً– ينصح بها من يريد أن يكون ضليعاً في العلوم القانونية من خلال قوله: **"أفريقيا حاضنة المحامين"**[7] nutricula causidicorum، ولو عاش قرنين من الزمن بعد ذلك لأطلق عليها أيضاً: أفريقيا حاضنة الأساتذة[8]، هذا الرأي العائد للقرن الأول يوضح أن هذه المدينة كان يقدم فيها تعليم لمختلف العلوم وخاصة القانونية التي احتلت به الدرجة الأولى في ذلك العصر، لذلك وصفها يوفينال بحاضنة المحامين la nourrice des avocats.[9]

ودرس بها القديس أوغسطين[1]، ويذكر أيضاً أبوليوس المادوري أنه تلقى تعليمه بمدارسها[2]، وأشار إلى أنها كانت مدينة تعج بالحركية العلمية إذ يقصدها الطلبة من

1- وهناك نقوش تذكر هذا الاسم، وأشير إلى نقيشتين كمثال؛ واحدة مكتشفة في قرطاجة وهي: (C)ol(onia) Iul(ia) Conc(ordia) Gall(ieniana Karthago) C(olonia) (والثانية في دوقة وهذا مقتطف منها: ينظر: (C(oncordia) I(ulia) K(arthaginsis) Cagnat (R.) & autre: I.L.Afri.: (Tripolitaine, Tunisie, Maroc), éditions Ernest Leroux, Paris, 1923, 401, 520, P.P.117, 151.

2- Fantar (M.H.): Carthage La cité punique, Op.cit., P.113. Pline l'Ancien, Histoire naturelle, XV, 76, XVII, 22.

3- Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), LXIII, T.VI, 412.

4- Dion Cassius: Histoire Romaine, XLIII, 50.

5- Fantar (M.H.): Carthage La cité punique, Op.cit., P.113. Pline l'Ancien, Histoire naturelle, XV, 76, XVII, 22

6- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.459.

7- Gsell (S.): Alg.Anti., Op.cit., P.80.Albertini (E.): Op.cit., P49. Juvenalis: Sat. VII, 123.

8- Nettleship (H.): Op.cit., P.2.

9- Gsell (S.): Alg.Anti., Op.cit., P.81.

1- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.110. Id.: la vie quotidienne à Rome, Op.cit., P.133.

2- Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, IIII, XVIII, 57.

مختلف الفئات العمرية من داخل بلاد المغرب أو خارجها؛ حيث يقول: **"الآن ليس من شيء يجلب الثناء والفخر أكثر من مكانة قرطاجة، حيث لا أجد فيها إلا ذوو تعليم عميق، وفيها يتم تعليم جميع الأطوار منذ الطفولة إلى الشباب وحتى الشيوخ، نعم قرطاجة هي المدرسة الموقرة في جميع مقاطعاتنا، قرطاجة هبة السماء لأفريقيا، قرطاجة هي ربة المعرفة Mnémosyne.."**، هذا القول يؤكد بأن قرطاجة كانت متفوقة على روما في التعليم، إذ كان يدرس فيها جميع المراحل التعليمية ومختلف التخصصات، حتى أن مجتمع المدينة كان يحفز على التعليم والعلم، فكانت تمثل قبلة وفخراً للمغرب القديم يقصدها المعلمون والأساتذة والمتعلمون من مختلف أقاليم الإمبراطورية.[1]

كان لمدينة قرطاجة أهمية بالغة في شتى العلوم وعبر قرون متتالية، منذ زمن لوكيوس أبوليوس إلى أوغسطين (من القرن الثاني إلى الرابع للميلاد)، ففي القرن الثالث أصبحت قرطاجة تحتل المكانة الأولى علمياً بين مقاطعات الإمبراطورية بعد روما طبعاً، وكانت تنافسها عليها الإسكندرية فقط، وقد أقيمت بها العديد من المسابقات الأدبية وقصدها في ذلك المتنافسين للمشاركة فيها[2]، ومن بين هؤلاء المتنافسين أذكر على سبيل المثال الشاعر نيميسيانوس Nemesianus (ق 3م) الذي كتب قصائد عن الصيد Cynegetica بنوعيه والقنص وفاز بكل أنواع التيجان[3]، وسانت أوغسطين بقصيدة للشعر المسرحي والذي توج فيها على رأسه بإكليل من أوراق الغار في مسرح هذه المدينة وتحت تصفيق الحضور.

وقد أثنى عليها الكاتب المسيحي سالفيانوس ماسيليانيس Salvianus Massilienis خلال القرن الخامس للميلاد الذي وصف أفريقيا والأفارقة بأبشع الصفات مستثنياً قرطاجة؛ واعتبرها روما أخرى لأرض أفريقيا؛ وأنها وحدها مثال وقدوة، لامتلاكها لكل عناصر الحضارة، وفيها كل ما يمكن أن له يخدم المهن والحرف، كانت تحتوي على أكاديميات للفنون ومدارس للفلسفة، وحتى أماكن للألعاب الرياضية، فيها شخصيات مرموقة تختلف في الرتب والأسماء؛ في كل مكان ولكل شارع من شوراعها قضاة تحكموا في جميع أحياء وأماكن هذه المدينة[1]، وهذا ثناء من الكاتب على

1- نصيرة سحير: **"قرطاجة عاصمة الثقافة اللاتينية في بلاد المغرب، خلال العهد الإمبراطوري الروماني (27ق.م-429م)"**، موقع أكاديمية العربية، الرابط: https://academia-arabia.com/ar/reader/2/ 54079، 2024/09/19، ص. ص 260-261.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 130.

3- Stace, Martial, Manilius, Lucilius Junior, Rutilius, Gratius Faliscus, Némésianus et Calpurnius: collection Des auteurs Latins, Op.cit., P.795.

1- Salvianus Massiliensis: De gubernatione Dei, Salviani presbyteri Massiliensis opera omnia, Pauly, Franz, Vindobonae, 1883, P.P.177-178.

قرطاجة ومجتمعها باعتبارها مثالاً وقدوةً لامتلاكها لعناصر الحضارة، واحتوائها على مختلف الأكاديميات لتدريس مختلف العلوم والفنون.

احتلت قرطاجة مكانة هامة باعتبارها العاصمة الثقافية والفكرية بقدر ما كانت العاصمة السياسة[1] منذ إعادة بناءها من عام 14ق.م، فهي عاصمة العلم والمعرفة بدون منازع، وجعل احتواءها على مكتبة عامة مهمة، وجهةً لكل الطلبة والمتعلمين من كل مناطق بلاد المغرب وخارجه[2]، ونافست كبرى العواصم العلمية كروما والإسكندرية وأثينا، تخرج منها مجموعة من المفكرين الذين قصدوها كطلاب، ثم انتهى بهم الأمر أساتذة وقضاة ومحامين وأدباء[3]، أمثال مؤلف كتاب الصيد الشاعر نيميسيانوس من قرطاجة المشار إليه آنفاً[4]، والفيلسوف لوكيوس أبوليوس من مادوروس والكاتب في الطب كايليوس أوريليانوس من سيكا فينيريا، وفرونطو الكيرتي والشاعر سولبيسيوس أبوليناريس من قرطاجة ونونيوس مارسيلوس من ثوبورسيكوم، ولاكتانتيوس وترتوليانوس القرطاجي وكيبريانوس وأرنوبيوس وأوغسطين، من الذين سيكونون رجال دولة، كقناصل وأباطرة[5]، ورجال الدين المسيحي.

أما عن المناهج وطبيعة المواد التي كانت تدرس فيها متنوعة جدًا، توحي إلى رقي المستوى التعليمي والعلمي لكل من الأساتذة والطلبة، وتتمثل في الفنون الثقافية المعروفة آنذاك مثل الفنون الأدبية كالخطابة والشعر والنحو والمسرح، والهندسة المعمارية والنحت والرسم وصناعة الخزف، بالإضافة إلى دراسة الفلسفة والقانون والدين والعلوم الطبيعية والصورية مثل: المنطق والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والتاريخ وغيرها.[6]

وقد تنوعت الدروس في لغة إعطائها بين اليونانية واللاتينية، فقد كان الأساتذة يبدؤون بلغة وينتهون بأخرى، وقد أشرت سابقاً إلى أن أبوليوس كان يبدأ محاضراته بإحدى اللغتين المذكورتين وينهيها بالأخرى[1]، كما كان أغلب طلبة قرطاج يزورون روما أو أثينا وحتى الإسكندرية قصد إتمام دراستهم. ولقد دشن الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس في القرن الثاني للميلاد، عادة حميدة تتمثل في تخويل طلبة المغرب القديم منحة دراسية لاتمام دراستهم

1- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 249.
2- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 43.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 130-131.
4- Stace, Martial, Manilius, Lucilius Junior, Rutilius, Gratius Faliscus, Némésianus et Calpurnius: collection Des auteurs Latins, Op.cit., P.795.
5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P62. Nettleship (H.): Op.cit., P.2.
6- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 44.
1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P62-63. علي أحمد شعبان: المرجع السابق، ص 357.

بالمراكز العلمية المعروفة آنذاك في أقاليم الإمبراطورية. وكانت جامعة قرطاج تستقطب الطلبة الذين كانوا يرغبون في صقل مواهبهم في مجال الريطوريكا وعلم العروض والنحو والطب.[1]

إذن؛ لقد كانت مدينة قرطاجة، خلال الفترة الرومانية، وبسبب قربها من روما عاصمة الإمبراطورية وسهولة اتصالها بالشرق عن طريق الإسكندرية ومن بلاد اليونان عن طريق كيرينايكا واحتواؤها على مكتبة عامة كبيرة، أن تتحول إلى العاصمة الثقافية والفكرية لبلاد المغرب القديم بدون منازع.[2]

3- مراكز تعليمية وعلمية أخرى:

هناك مراكز أخرى منتشرة في مدن أخرى أقل أهمية من السابقة (أنظر الخريطة رقم 5، ص 142)، لكنها لعبت دوراً أساسياً في المجال العلمي والتعليمي خاصةً على مستوى التعليم الليتيراريوسي والغرماتيكوسي[3]، فكانت تلك المدن تشجع أبناءها على التعليم، وتحثهم عليه بجميع الوسائل وتقيم الاحتفالات للناجحين[4]، ويرسل القضاة البلديون زملائهم في المدن الكبرى راجين منهم التكفل بعدد من الطلبة في مدارسهم التعليمية والعلمية.[5]

وأشير إلى المدينة النوميدية سيكا فينيريا Sicca Veneria (الكاف في تونس حالياً) الواقعة على الطريق الرابط بين قرطاج وهيبوريجيوس، وازدهرت ثقافيا ما بين القرن الأول والثاني للميلاد، درّس بها أرنوبيوس الريطوريكي في عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس Dioclitianus، ويعرف لها على الأقل ستة أساقفة[6]، وقد قال عنها هذا الريطوري **"تجد عندنا الكثير من.. الخطباء وأساتذة النحو.. والبلاغة.. وأطباء وفلاسفة".**[7]

ومدينة هادروميتوم Hadrumitum، الواقعة على الساحل الشرقي لتونس، وتبعد بـ 160 كلم جنوب قرطاج، وكانت واحدة من أهم المدن التي شكلت التراب القرطاجي، أصبحت تحت الحكم الروماني منذ نهاية الحرب البونية الثالثة (149ق.م-146ق.م)، تحصلت على لقب مستوطنة تحت حكم الإمبراطور ترجانوس Traianus (98-117م)،

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 44.

2- Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.207.

3- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 45.
4- شارن شافية وآخرون: المرجع السابق، ص 262.
5- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 294.
6- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 46. عن أرنوبيوس ينظر: ص 96.
7- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 36.

وخلالها اشتهرت هذه المدينة بكونها مركزاً تعليمياً وعلمياً مشهوراً يقصده الطلبة من جهة البيزانسان Byzacène (المزاق).[1]

وفي إقليم تريبوليتانيا Tripolitania (طرابلس)، هناك مدن أويا Oea وصبراتا Sabrata ولبتيس ماغنا Leptis Mgna؛ حيث شكلت مدينة أويا التي حكمها الرومان من 146ق.م إلى 450م، مركزاً تعليمياً وعلمياً هاماً، فكانت ملتقى لطلبة تريبوليتانيا بشكل عام، وبها مكث الفيلسوف أبوليوس المادوري لمدة ثلاثة سنوات لما كان في طريقه إلى الاسكندرية.[2]

أما صبراتا التي تمتعت بفترة قصيرة من الاستقلال بعد سقوط قرطاجة عام 146ق.م، قبل أن تدخل تحت سلطة الاحتلال الروماني، وقد شهدت خلال هذه الفترة مرحلة من الازدهار كمركز تعليمي وعلمي، بينما شكلت مدينة لبتيس ماغنا مركزاً تجارياً هاماً يربط بين البحر الأبيض المتوسط وعمق الصحراء الكبرى. وبعد انتهاء الحرب البونية الثالثة تم إلحاقها بمملكة نوميديا. لكن، خلال ثورة الأغليد النوميدي يوغرطة (118-105ق.م)، اختار سكان هذه المدينة التحالف مع الرومان لتدخل تحت سلطتها، وحصلت على شبه استقلال ذاتي عام 111ق.م، ثم أصبحت مستوطنة رومانية منذ عام 96ق.م. وفي القرن الثاني الميلادي، اكتسبت المدينة شهرةً كبيرةً بعدما أصبح سبتيميوس سيفيروس إمبراطوراً على رأس الإمبراطورية الرومانية في 193م وهو أحد أبنائها، واستمر ازدهارها طيلة أيام حكمه (193م-211م) إلى أن ضربها زلزال عنيف عام 365م.[3]

كانت لبتيس ماغنا مركزاً تعليمياً وعلمياً هاماً يقصده الطلبة من جميع أنحاء تريبوليتانيا، إلى جانب مدينتي صبراتا وأويا المشار إليهما آنفاً. قد زاد من أهميتها كونها واقعة على الطريق الرابط بين قرطاج والاسكندرية، والذي كان كثيراً ما يستعمله الطلبة والأستاذة والعلماء للتنقل بين المراكز العلمية والتعليمية ببلاد المغرب القديم ككل، والتي سبقت الإشارة إليهم.[1]

ومن هنا يمكن القول؛ أن القسم الشرقي لبلاد المغرب القديم والمتمثل في مقاطعات أفريقيا وتريبوليتانيا وكيرنيايكا، شهدوا ازدهارً في المجال التعليمي والعلمي، وتعتبر مدينة

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 47.
2- المرجع نفسه، ص 48.
3- المرجع نفسه، ص 48.
1- المرجع نفسه، ص 48.

كيرينايكا (قورينائية) وقرطاجة من أشهر المراكز ولعبوا دوراً فعالاً في نشر العلم والمعرفة، وكان يقصدها الطلاب والعلماء من مختلف أقاليم بلاد المغرب القديم، والفرق بين المركزين يتمثل في أن كيرينايكا كانت ذات منشأ إغريقي وتقدم علوماً هيلينية مختلفة، أما قرطاجة فهي ذات منشأ روماني، وتقدم علوماً متنوعة وباللغتين اللاتينية واليونانية.

المطلب الثاني: المراكز التعليمية والعلمية في نوميديا وموريطانيا

لقد ازدهر في القسم الأوسط والغربي من بلاد المغرب القديم، وبالضبط في إقليمي نوميديا وموريطانيا، مجموعة من المراكز التعليمية والعلمية، وأخص بالذكر مدينة مادوروس وقيصرية بالإضافة إلى مراكز أخرى، وسأتناولهم بالدراسة في هذا المطلب.

1- مدينة مادوروس Madaurus:

ذكرتها المصادر الأدبية والأثرية، حيث لا تزال أطلالها واقفة لحد الآن، وأنشئت على أرض تمتاز بكثرة التلال والتموجات جنوب مدينة ثاغاست (سوق أهراس)[1] على بعد 45 كلم، وتتربع على مساحة 109 هكتار[2]، وهي مدينة ذات أصل نوميدي، وذلك ما يؤكده ستيفان غزال عن استحالة أن تكون المدينة من تأسيس فينيقي، وقد ذكرها لوكيوس أبوليوس حينما أشار إلى انتمائه العرقي بأنه نصف نوميدي ونصف جيتولي[3]، من خلال خطابه في بلدته مادوروس بقوله: **"أهلي النوميد أهلي الجيتول"**[4]، ويشير إلى أنها كانت واقعة بين حدود نوميديا وجيتوليا (sitam Numidiae et Getuliae in ipso confino)، وفي أواخر القرن الثالث قبل الميلاد كانت تحت حكم سيفاكس، وبعد انهزامه في الحرب البونية الثانية (218-201ق.م) انتقلت إلى حكم ماسينيسا خلال القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. ويضيف أنه استوطن فيها قدماء الجيش الروماني veteranorum militum[1]، لتتحول إلى مستوطنة رومانية مع عام 75م (نهاية القرن الأول) في عهد حكم الإمبراطور

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 131.

2- محمد حشلاف: **"المفكرون الأفارقة بين أثار الطمس ومحاولات إثبات الذات (مارسيانوس كابيلا Martianus Capella) أنموذجا"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.07، العدد 03، جامعة وادي سوف، ديسمبر 2023م، (ص 952-964)، ص 955.

3- Gsell (S.): Khamissa Mdaourouch Announa, T.2, fouilles exécutées par le service des monuments historiques de l'Algérie (Mdaourouch), Jules Carbonel Imprimeur-Libraire-Éditeur, Alger, E. De Boccard Éditeur, Paris, 1922, P.P.5, 8.

4- Apulée: Apologie, T.II. 33 .لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، ج.2، المصدر السابق، ص

1- Mansouri (KH.): Op.cit., P.1. لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 24، ص. ص 37-38. لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، ج.2، ص. ص 32-33

فيسبسيانوس Vespasianus[1]، وذكرها كلاوديوس بطليميوس باسم مستعمرة يتواجد بها فرق الجيش الثالث الأوغسطي الروماني[2]، وتم ذلك بعد سقوط نوميديا الشرقية بيد الاحتلال الروماني في عهد يوبا الأول سنة 46ق.م.

ولعل أهمية موقعها الجيوستراتيجي يرجع لكونها واقعة بين حدود نوميديا وجيتوليا، في المنطقة المتاخمة لقبيلة الموزولامي Musulames القوية، إذ كانت أراضيها على حافة إقليم هذه المدينة، وإلى غاية تلك الفترة لا تزال تسيطر على الأراضي الشاسعة التي تحد على الطرق والممرات بين الأوراس وسلسلة الظهير التونسي من تالة بتونس إلى الشريعة بتسبة جنوبًا[3] بالشرق الجزائري.

وحسب خديجة منصوري؛ فقد ورد اسمها في المصادر بصيغ متعددة، أذكر بعضها هنا: مادوريس أوبيدوم[4] Madauris Oppidum عند الجغرافي هونوريوس يوليوس Honorius Julius، وباسم مادوروس Madauros في جغرافية بطليموس، وبصيغة مادوريس Madauris في مؤلف الاعترافات لأوغسطين، وذكرها أبوليوس في التحولات بصيغة وباسم مادورينسيس Madaurensis في مؤلف التحولات، ومادوريوس Madaurius ومادورنسيوم Madaurensium في النقوش[5]، وتعرف اليوم باسم مداوروش، ويشير ستيفان غزال إلى وجود أكثر من 800 نص نقشي حول هذه المدينة.[6]

زادت شهرة مدينة مادوروس عندما ذاع صيتها في مجال التعليم خلال القرن الثاني للميلاد (أنظر الخريطة رقم 5، ص 142)، وانعكس ذلك على مجتمع المدينة الذي كان ذو مستوى ثقافي عال، ترجم من خلال المصادر المكتوبة من قبل أبنائها رغم أن شهرتهم ومؤلفاتهم كأكبر شاهد على أنها كانت مركز علمي هام، ويعد أبوليوس أبرز أبنائها؛ وصحيح أنه تعلم في مختلف الأماكن العلمية، لكن لا أحد ينكر أن تعليمه الأولي وتكوينه العلمي كان في مدارس مدينته، بدءاً بمرحلة الليتراتوريوس؛ أين تعلم الحروف التي شبهها[1] بالقدح الأول الذي يقتل الجهل ويصقل خشونة العقول، والقدح الثاني تناوله عند

1- محمد حشلاف: المرجع السابق، ص 955.
2- كلاوديوس بطليميوس: المصدر السابق، الفصل الثالث، ص 49.
3- Mansouri (KH.): Op.cit., P.1. Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.266.
4- أوبيدوم Oppidum، وتعني مدينة محاطة بالأسوار أو موقع حصين. ينظر: محمد تازي سعود: المرجع السابق، ص 88.
5-Mansouri (KH.): Op.cit., P.1.
6- Gsell (S.): Khamissa Mdaourouch Announa, T.2, Op.cit., P.P.7-8.
1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 133.

الغراماتيكوس عبر دروس النحو، والذي يزوده بمعارف متنوعة، أما الثالث فكان تحت إشراف الريطور الذي زوده بسلاح البلاغة[1]؛ وقد أضاف علامة أخرى بعد أن تجاوز السن السادسة أو السابعة عشر بعد إنهائه لتعليمه بشكل جيد في مدينته، حيث رحل إلى مراكز علمية أخرى ليتمكن من إشباع شغفه العلمي أكثر.[2]

وكذلك النحوي والفيلسوف المتجول نونيوس مارسيلوس الذي عاش ما بين القرنين الرابع والخامس الميلادي، وصاحب قاموس de compendiosa doctrina[3]، ومارتيانوس كابيلا Martianus Capella المولود في آواخر القرن الرابع للميلاد، الذي عرف عنه أنه لا يرضى بأخذ العلوم إلا من أمهات الكتب والمصادر، كما ألف مؤلف "زواج فقه اللغة وعطارد De nuptiis Philologiae et Mercurii"، ومارس مهنة القضاء بقرطاجة[4]، وأوغسطين وصديقه وأستاذه الخطيب ماكسيموس المادوري Maximus madaurensis الذي تعلم في هذه المدينة[5]، كما أشارت نقيشة مكرسة لشخصية مادورية غير معروفة بسبب فقدان أجزاء من هذه النقيشة، وذكرت أنه فيلسوف أفلاطوني، وقد تكون هذه الشخصية تشير إلى أبوليوس بحكم أنه أفلاطوني كما أشار إلى ذلك ستيفان غزال.

... (ph)ilosopho (Pl)atonico, (Ma)daurenses cives, ornament(o) suo. D(ecreto) d(ecurionum), p(ecunia) p(ublica).[6]

بالإضافة إلى معلمين وأساتذة آخرين، من الذين أتقنوا اللغة اليونانية واللاتينية وألفوا بهما الخطابات، وحفظوا نصوص القوانين وكبار الفلاسفة والأدباء، وأجادوا العلوم العقلية كالطب والرياضيات وغيرها من التي كانت تدرس في المراكز العلمية الكبرى آنذاك، ومن الملعمين الذين حفظت النقوش أسمائهم أذكر معلمي الحساب ماريوس فاكتيس Marius Factis وفلافيوس T. Flavius المنحدرين من مدينة مادوروس[1] – سبقت الاشارة إليهما، والمعلم ماكسيموس المادوري – الآنف الذكر – الذي درّس أوغسطين في ثاغاست ثم استقر

1- Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.107. Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.132.
2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 133.
3- Nettleship (H.): Op.cit., P.P.2-3.
4- محمد حشلاف: المرجع السابق، ص 956-957، 959. إيمان شعبان: **"مدرسة مادوروس قاطبة العلماء"**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج.13، العدد 02، جامعة معسكر، عدد خاص سبتمبر 2022م، (ص 32-62)، ص 50.
5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.267. Carcopino (J.): la vie quotidienne à Rome, Op.cit., P.135.
6- Gsell (S.): I.L.A.,T.1, N°.2115, P.196. Gsell (S.): Khamissa Mdaourouch Announa, T.2, Op.cit., P.9.
1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 133.

للتعليم في مادوروس، وكان من أبرز معلمي اللغة اللاتينية وقواعدها والملقب بالنحوي لما له من إسهام في التفقه في اللغة اللاتينية وقواعدها، واستمر اشعاعها الثقافي إلى حدود القرن الرابع للميلاد.[1]

وعليه، فإن مادوروس نالت شهرة بفضل كونها مركزاً تعليمياً وعلمياً، قصدها الطلاب من مختلف أقاليم بلاد المغرب القديم طلباً للعلم، ومارس فيها النشاط التعليمي الكثير من المعلمين والأساتذة المشهورين آنذاك وعلى رأسهم لوكيوس أبوليوس، وبلا شك فإن ذلك كان نتيجة اهتمام آهالي المدينة وأعيانها ومجلسها البلدي بتنشيط الحركية التعليمية والعلمية.

2- مدينة قيصرية Césaria:

وتقع ضمن إقليم موريطانيا القيصرية (أنظر الخريطة رقم 5، ص 142)[2]، وكانت من أهم مدن بلاد المغرب في الفترة الرومانية، والحاملة لاسم إيول Iol في زمن حكم ملوك نوميديا وموريطانيا، أي إلى ما قبل القرن الأول قبل الميلاد. ثم أطلق عليها الملك يوبا الثاني Juba II- الذي عينه أوغسطس Auguste على رأس مملكة موريطانيا في سنة 25ق.م - اسم قيصرية، ليخلفه ابنه بطليموس Ptolémée سنة 23م واستمر حكمه إلى غاية اغتياله من طرف الإمبراطور كاليغولا Caligula في 40م، وهو بمثابة اغتيال سياسي[3]، للقضاء على أغليدية موريطانيا، فتحولت قيصرية (شرشال) إلى عاصمة لمقاطعة موريطانيا القيصرية Maurétanie Césarienne التي أنشأها الإمبراطور كلوديوس بعد Claudius[1]، أما القسم الثاني من المملكة فأصبح يعرف بمقاطعة موريطانيا الطنجية.[2]

وقد أشار بول مونصو أنها المدينة الوحيدة التي اهتمت بدراسة الفنون والآداب على الطريقة اليونانية ووصف عمرانها بأنه على الطراز اليوناني، وكانت عاصمة موريطانيا مملكة يوبا الثاني، الذي عُرف بتشجيعه للمعارف اليونانية، حيث استقدم من أثينا الفلاسفة

1- إيمان شعبان: المرجع السابق، ص. ص 54-56. Serralda (A.V.), Huard (A.): Le Berbère- lumière de l'Occident, NEL, Français, 2008, P.89.

2- كلاوديوس بطليميوس: المصدر السابق، الفصل الثاني، ص. 29-30.

3- والاغتيال السياسي هو ظاهرة استخدام العنف والتصفية الجسدية ضد بعض الشخصيات السياسية، حيث تدخل ضمن الصراع ضد الخصوم. ينظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج.1، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ن)، ص 217.

1- Leveau (PH.): "Césarea Mauretaniae", ENC.BER., 11/1992, document C06, mis en ligne le 01/04/2013, URL: https://journals.openedition.org, Vu: 28/03/2024. Boissier (G.): Op.cit., P.P.25-26. Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 233.

2- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 89.

والأدباء والعلماء والمفكرين ورجال المسرح والمؤرخين[1] والكُتاب والمهندسين والنحاتين وغيرهم، لتقوم حركة تعليمية وعلمية جادة في هذه المدينة، وعمل هؤلاء في الهندسة والبناء والنحت والحلي والتصوير والفسيفساء والتأليف والتعليم[2]، وهذا الأخير مارسه الخطباء والنحويين كأساتذة الغراماتيكوس والريطوريكا، بالإضافة إلى الطباخين. ولقد شرّفه اليونانيين آنئذ بنحت تمثال له وضع أمام الخزانة الرسمية لمدينة أثينا القديمة ومنحوه الجنسية اليونانية[3]، كما أشار مونصو أيضاً أن يوبا الثاني كتب في جميع المواضيع من الجغرافيا والمسرح والرسم والفيلولوجيا وعن تاريخ أثار روما وسوريا وليبيا وبلاد العرب.. وغيرها[4]، وسأتحدث عن ذلك لاحقاً في الفصل الرابع.

وبفضل اهتمام يوبا الثاني بالفلسفة والعلوم والفنون أصبحت قيصرية بمثابة مركز تعليمي وعلمي، يستقطب إليه طلاب العلم من كل أنحاء بلاد المغرب القديم لحضور دروس ومحاضرات الفلاسفة والخطباء اليونانيين المستقدمين إليها[5]، وصارت هذه المدينة تُقارب أثينا في بلاد اليونان والإسكندرية في مصر، وحتى روما في إيطاليا من تلك الناحية.

وكما أشرت سابقاً؛ أنه تمت الاطاحة بالحكم المحلي باغتيال بطليموس ابن يوبا الثاني من قبل الرومان استكمالاً لمشروعهم الاستعماري، ففي القرنين الأول والثاني عين مجلس الأوردو لإدراة شؤون مدينة قيصرية، وقد حافظت على مكانتها كمركز علمي في بلاد المغرب القديم[6]، وبذلك وضع الرومان منذ عهد الإمبراطور كاليغولا Caligula (37-41م) حداً للتأثير اليوناني على بلاد المغرب القديم، وبدأت اللغة اللاتينية تحل محل اللغة اليونانية خاصة في المجال العلمي من قرطاجة إلى طنجة.[1]

ورغم ذلك؛ ومنذ منتصف القرن الأول الميلادي، بدأت بلاد المغرب القديم رغم الحروب والاضطربات السياسية، تصنع لنفسها مكاناً في عالم الفكر. فرغم استيلاء الرومان على قيصرية بقيت هذه المدينة مشعلاً للفكر في المغرب القديم خاصة في جهة موريطانيا[2]، حيث أنتجت نخبة من المفكرين لعبوا أداوراً في تاريخ الإمبراطورية الرومانية،

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.59.
2- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.8، المرجع السابق، ص 211.
3- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 41.
4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.126.
5- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 322.
6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 127.
1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.60.
2- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص.ص 42-43.

ولعل أهم هؤلاء من الذين تعلموا في هذه المدينة وتخصصوا في المحاماة وكانوا خطباء، وانتقلوا إلى روما نتيجة تعليمهم الجيد وفطنتهم[1]، أذكر ماركوس أوبيليوس ماكرينوس Marcus Opelius Macrinus (165-218م)، الذي تدرج في المناصب منذ عهد سبتيميوس سيفيروس إلى أن ترقى ليتقلد منصب الإمبراطور[2]، وأظهرت النقائش المكتشفة في هذه المدينة شخصيات لأساتذة مثل: أولوس جيليوس صاحب مؤلف "الليالي الأتيكية Nuits attiques" والذي امتدح أسلوبه فيها من قبل أوغسطين[3]، والملفت للانتباه نقيشة عائدة إلى القرن الثاني أو الثالث للميلاد تحمل اسم أستاذة الغراماتيكوس تحت اسم فوليزيا ترتولينا[4] Volusia Tertullina ولا شك أنها تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية.[5]

إذن؛ مثلت قيصرية مركزاً علمياً وتعليمياً هاماً في تلك الحقبة الزمنية، وذلك بفضل جهود الملك يوبا الثاني، الذي رغب في أن تكون عاصمة مملكته مركزاً علمياً يستقطب العلماء والمفكرين والمهندسين والنحاتين وغيرهم، وأن يقصدها طلاب العلم من بلاد المغرب القديم وحتى من مختلف مقاطعات الإمبراطورية الرومانية.

3- مراكز تعليمية وعلمية أخرى:

هناك مدن أخرى كانت بمثابة مراكز تعليمية وعلمية (أنظر الخريطة رقم 5، ص 142)، لا تقل أهمية فيما لعبته من دور خاصة في مجال التعليم الليتيراتوري والغراماتيكوسي، وهي نتاج لما كان يلعبه مجتمعها ومجالسها وأعيانها في مجال تشجيع أبنائهم على التعليم.

ومن بين تلك المراكز أذكر تيفاست Theveste التي عرفت خلال فترة الاحتلال الروماني ازدهاراً هاماً (القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي) أكثر من المرحلة البونية،

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 127.

2- ينظر: ديون كاسيوس: التاريخ الروماني، ج.10، LXXX-LXXI، ص. ص 149-151. Aurelius Victor: Les Césars, trad. M. N. A. Dubois, G. L. F. Panckoucke, éditeur, Paris, 1846, XXII, 369.

3- Waille (V.): "Quatrième note sur les fouilles de Cherchel", [article] séance du 27 janvier 1888, Persée, URL: https://info.persee.fr, Vu: 31/03/2024, P.43.

4- وجاء في النقيشة: إلى أرواح آلهة الأجداد/ الزوجة العفيفة ترتولينا فولوسيا والنحوية التي لا تضاهى، التي عاشت 43 سنة 3 أشهر و5 أيام ومع زوجها 20 سنة وشهر واحد و14 يوماً، دوميتيوس فلافيانوس الذي لا مثيل له...

D(iis) M(anibus) s(acrum)/ Volusiae Tertullin(ae) marit(ae) cast(ae) et incomparabili grammat(icae)/ qu(ae) uix(it) an(nos) XLIII m(enses) III die(s) V qu(ae) cum/ (ma)rito fecitan(nos) XX m(ensem) I dies XIIII/ Domit(ius) Flavianusincompa (rabili). […]. ينظر: عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 165.

5- Benseddik (N.): "Manus lanis occupate… Femmes et métiers en Afrique". In: An. Afri., Persée, URL: https://info.persee.fr, Vue: 01/04/2024, P.P.109-110.

ويشير المؤرخ الفرنسي ألماند مومسن حسب ما ورد عن مها عيساوي في كتابه (الاحتلال الروماني) بقوله: ".. **في الوقت الذي كانت تشتعل فيه نيران الحرب البونية، برزت مدينة إلى الوجود إنها تيفاست..**"، كما ذكرها ستيفان غزال أنه في حوالي 250ق.م اهتم الرومان بتوسعاتهم جنوب شرق قرطاجة قاطعين مدينة غابس، ولم يقدم سكانها الولاء للرومان إلا بعد فترة طويلة من الحروب والتمردات[1]، كانت تضم مدارس مشهورة في العهد الروماني.

إضافة إلى كيرتا Cirta، المدينة النوميدية التي برزت أهميتها ابتداءً من القرن الثالث ق.م، حينما كانت عاصمة للأغاليد النوميد. ووصلت قمة شهرتها في عهد الأغليد ميكيبسا Micipsa خلال القرن الثاني قبل الميلاد، المعروف بتشجيعه للعلوم والمعارف. واستمرت على نفس المنوال خلال فترة الاحتلال الروماني، ولمع نجمها في نوميديا خاصة من القرن الأول إلى القرن الثالث للميلاد[2]، فكان فيها أساتذة ومدارس ونحاة يُؤمّنون للتلاميذ تعليماً لتيراتورياً وغرماتيكوسياً، واشتهر فيها فرونطو الكيرتي، والذي بلا شك قد تلقى تعليمه فيها.[3]

كما أذكر المدينة النوميدية القديمة هيبوريجيوس Hippo Regius، التي أصبحت مستوطنة رومانية وازدهرت منذ القرن الثاني للميلاد إلى حدود القرن الخامس للميلاد، في حدود عام 430م حينما اجتاحها الوندال، ومارس فيها القديس أوغسطين نشاطه الديني كأسقف وكأستاذ، وفيها تم عقد ثلاثة مؤتمرات دينية خلال سنوات 393م و395م و426م، ونشطت بها حركة تعليم مختلف الفنون التي كانت تقدم لمستوى الغرماتيكوسي[1]، كالعمارة والنحت والموسيقى والرقص والمسرح.. وغيرها.

أما ثاغاست Thagaste المدينة النوميدية ومسقط رأس أوغسطين، الذي تلقى فيها تعليمه الأولي ومارس فيها مهنة التعليم، وعرفت الإزدهار منذ القرن الثاني للميلاد[2]، وكان لها مجموعة بعض القساوسة والرهبان منهم: القديس فيرموس St. Firmus عاش خلال نهاية القرن الثالث للميلاد ومطلع القرن الرابع للميلاد، والقديس أليبيوس الثاغاستي Alypius de Thagaste (340-360م) أي خلال القرن الرابع للميلاد، والقديس

1- مها عيساوي: **"مدينة تبسة في العصور القديمة"**، التراث مجلة تاريخية أثرية، تصدرها دوريًا جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 9، مطابع عمار قرفي، باتنة، رجب 1418هـ/ نوفمبر 1997م، ص 32.
2- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 45.
3- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350.
1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 46.
2- Boissier (G.): Op.cit., P258. Carcopino (J.): la vie quotidienne à Rome, Op.cit., P.135.

هونوراتوس Honoratus خلال نفس القرن، والقديس يانواريوس St. Januarius خلال القرن الخامس للميلاد، وكانوا من معاصري أوغسطين وأصدقائه.[1]

ومن هنا فإن مقاطعة نوميديا وموريطانيا، عرفت ظهور مراكز تعليمية وعلمية، وخاصة قيصرية ومادوروس، التي شهدت شهرة واسعة في بلاد المغرب القديم ومختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية، فالأولى بفضل جهود الملك يوبا الثاني الذي جعل منها مركز استقطاب للعلماء والمفكرين والفنانين وغيرهم وطلبة العلم من مختلف أقاليم بلاد المغرب. أما مادوروس فبلا شك نالت شهرتها بفضل جهود سكان المدينة من مجتمع ومؤسساتها الإدارية، فكانت مركز استقطاب لطلاب مقاطعة نوميدية على الخصوص، بالإضافة إلى مراكز أخرى ذات أهمية محلية.

وخلاصة لهذا كله، فإن بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، عرفت ازدهاراً للكثير من المدن التي تحولت إلى مراكز تعليمية وعلمية (أنظر الجدول رقم 6، ص 158)، بسبب نشاط الحركة الثقافية بها، حيث كان يقصدها طلاب العلم والعلماء والفلاسفة والمفكرين والأدباء والفنانين، من مختلف أقاليم بلاد المغرب خاصة وأقاليم الإمبراطورية الرومانية عامة، فمنهم من يقصدها طلباً للعلم والمعرفة ومنهم من يرغب في ممارسة الأنشطة التعليمية ومنهم من يأتيها من أجل مكتباتها العامة، فساهمت بذلك في إنتاج نخب مثقفة كان لها شهرة واسعة، ساهمت في تنشيط الحركة الثقافية في بلاد المغرب القديم خلال تلك الفترة التاريخية.

المركز العلمي والتعليمي	فترات الازدهار	المركز العلمي والتعليمي	فترات الازدهار
كيرينايكا	القرن 1ق.م-3م	هادروميتوم	28م-450م
قرطاجة	28ق.م-450م	سيكا فينيريا	القرن 1م- 2م
مادوروس	القرن 2م-4م	أويا	193م-211م
قيصرية	25ق.م-23م	صبراتا	193م-211م
تيفاست	القرن 1م- 3م	لبتيس ماغنا	193م-211م
كيرتا	القرن 1م- 3م	هيوريجيوس	القرن 2م-ق 5م (430م)
ثاغاست	القرن 1م- 4م	/	/

الجدول رقم 6: أهم المراكز العلمية والتعليمية في المغرب القديم وفترات ازدهارها (انجاز الباحث).

1- Besse (D.): Les moines de l'Afrique romaine: IVe et Ve siècle, librairie B. Bloud, Paris, 1903, P.P.3-63.

المبحث الثاني: المراكز الثقافية (المكتبات) في بلاد المغرب القديم

عرفت بلاد المغرب القديم على شاكلة المجتمع الروماني وغيره من الأقاليم الخاضعة للاحتلال الروماني، انتشار لمؤسسات المكتبات التي تُعنى بالكتب والمؤلفين باختلاف روافدهم العلمية واللغوية، وسأتطرق في هذا المبحث إلى تناول آلية ظهور هذه المؤسسات في المجتمع الروماني ثم انتشارها في بلاد المغرب القديم، ودراسة أنواع المكتبات التي عرفتها المنطقة من مكتبات خاصة وعامة بدراسة أهم النماذج التي أشارت إليها المصادر التاريخية وكشفت عنها البحوث الأثرية.

المطلب الأول: ظهور المكتبات عند المجتمع الروماني

قبل شرح كيفية ظهور المكتبات في المجتمع الروماني، سأتطرق إلى التعريف بهذه المؤسسات الثقافية؛ حيث أن مصطلح المكتبات هو صيغة جمع مفرده المكتبة، وهذه اللفظة مشتقة من كلمة الكتاب، وقد أطلق عليها المجتمع اليوناني تسمية بيبليوتيكا Bibliotheca كاصطلاح للدلالة على المكتبة[1]، وتعني صندوق الكتب[2] أي خزانة الكتب، وتعني تنظيم الكتب في مجموعات، وهي مأخوذة من كلمتي بيبلوس Biblos أي الكتاب وثيك Theke أي المستودع أو الإناء. أما اصطلاح ليبري Libri والذي يعني الكتاب في حد ذاته، فقد استعمله الرومان، وأصبحت كلمة ليبروري Library مصطلح يدل على المكتبة مكان البحث والمطالعة.[3]

أما مفهوم المكتبة؛ فهي عبارة عن مؤسسة ثقافية تُجمع وتُحفظ فيها مجموعة معينة من الكتب والمؤلفات ومختلف المواد المعرفية، بطريقة منظمة ومرتبة وبأسلوب منطقي، ويشرف عليها فرد أو مجموعة أفراد متخصصين في المجال المكتبي، لتقديم الخدمات اللازمة للقراء[4] والمرتادين عليها. هذا بالنسبة لمفهوم المكتبات.

ولدراسة موضع المكتبات في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، لا بد من التطرق إلى آلية ظهورها في المجتمع الروماني؛ حيث أن هذا المجتمع لم يكن مهتماً

1- خالد أبو دية: **"المكتبات في العصور القديمة"**، رسالة النجاح، العدد 18، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، كانون الثاني، 1984م، (د.ص)، ص 1.

2- Masson (A.), Salvan (P.): Les Bibliothèques, Presses Universitaires de France, Paris, 1961, P.7.

3- إبراهيم مكيد: **"المكتبات في الجزائر ودورها في الحركة العلمية في الفترة الرومانية"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.10، العدد 2، مركز الحكمة، الجزائر، 2022م، (ص 91-104)، ص 92.

4- خالد أبو دية: المرجع السابق، ص 1.

بالجوانب الثقافية في بداياته الأولى، إذ كان منشغلاً بالجانب الزراعي والحملات العسكرية، ولم يكن له الوقت للمجال العلمي والتعليمي والثقافي[1]، لذلك فقد تعلّم أفراد هذا المجتمع الكتابة والكتاب، لمّا احتكوا بالمجتمع الإتروسكي في الشمال الإيطالي والإغريقي في جنوبه، وخلال حركتهم التوسعية على بلاد اليونان، حيث أخذت المؤثرات الحضارية والثقافية الإغريقية تفرض نفسها على المجتمع الروماني[2]، ومع القرن الثالث قبل الميلاد نشأ في روما تقليد الكتابة باللغة اللاتينية، وأثر ذلك على مجال توزيع الكتب عبر المكتبات العامة والخاصة عند الرومان[3]، وكان ذاك نتيجة لانتشار وتوسع حركة التعليم في المجتمع الروماني، ومعه بدأ العمل في إنشاء المكتبات الخاصة بهم، والتي تكونت من الغنائم والأسلاب التي غنموها من بلاد اليونان وغيرهم من المجتمعات التي خضعت لسيطرتهم العسكرية.[4]

وعليه فمنذ أواسط القرن الثاني قبل الميلاد أخذ القادة العسكريين في الجيش الروماني يجلبون إلى روما الكتب والمكتبات اليونانية كغنائم؛ فقد حمل لوكيوس أيميليوس Lucius Aemilius معه إلى روما مكتبة الملوك المقدونيين، بعد انتصاره على الملك بيرسيوس Perseus في معركة بيدنا Pydna سنة 168ق.م[5]، الواقعة على الخليج الثيرمي golfe Thermaïque في بحر إيجه[6]، كما جمع كمية كثيرة من الكتب أثناء حملاته العسكرية على الأناضول (آسيا الصغرى)، حيث نقل كل تلك الكتب إلى روما فأغرقها بأعداد هائلة من الكتب اليونانية، وكوّن أول مكتبة بها.[7]

بالإضافة إلى لوكيوس لكينيوس لوكولوس Lucius Licinius Lucullus الذي استولى على مكتبة ميثراداتيس السادس Mitheridaties VI (120-63ق.م) حاكم مملكة بونتوس Pontus الواقعة على الساحل الجنوبي للبحر الأسود، وقام بنقلها إلى روما في

1- أحمد أنديشة: **"المكتبات الرومانية"**، مجلة دار المنظومة، جامعة المرقب، العدد 3، ليبيا، جويلية 2013م، (ص 280-300)، ص 278.

2- Félix (R.): The book trade at the time of the roman empire, The Library Quarterly, VIII, 1838, P.P.40-76.

3- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص 66.

4- Félix (R.): Op.cit., P.P.40-76.

5- Tite-Live: Œuvres de Tite-Live (Histoire Romaine), L.XLIV, 44, 45. Plutarque: Vies des hommes illustres, trad. Alexis Pierron, charpentier, libraire-éditeur, Paris, 1854, remacle, T.II.

6- Badel (Ch.) et Inglebert (H.): Op.cit., P.P.31-33.

7- آية محمد رزق رزق، الحسين إبراهيم أبو العطا: **"تاريخ نشأة المكتبات الرومانية"**، المجلة العلمية لكلية الآداب، مج.13، العدد 2، جامعة دمياط، مصر، ص 2024م، (ص 91-116)، ص 98.

حوالي سنة 70ق.م، وأنشأ بها مكتبة جعلها مفتوحة لعامة المجتمع، وكذلك سولا Sulla الذي فتح أثينا سنة 84ق.م وغنم منها بقايا كتب أرسطو Aristote من مكتبة أبيليكون الثيوسي Apellicon de Téos.[1]

وإلى غاية هنا تعتبر هذه المكتبات مجرد مكتبات خاصة أنشأها القادة العسكريين الذين كانوا في الحقيقة قادة مثقفين ويفقهون القيمة الحضارية والثقافية للكتب والمكتبات[2]. وهناك غموض حول مسألة إنتاج الكتاب خلال تلك الفترات المبكرة من تاريخ روما، حيث لم يكن هناك إنتاجاً منظماً له، إلا من خلال الرسائل التي كتبها شيشرون Cicero (43-106ق.م)، ولم تكن المكتبات العامة قد أنشأت بعد في روما.[3]

وجاءت فكرة إنشاء مكتبة عامة لدى يوليوس قيصر Julius César (حكم من 49-44ق.م)، بعدما رأى مكتبة الإسكندرية وذهل بها، فقرر إنشاء مكتبة عامة على نمطها في روما، وعهد بذلك إلى ماركوس تيرنتيوس فارو Marcus Terentius Varro (116ق.م-27ق.م) صاحب رسالة بعنوان: "عن المكتبات de Bibliothecis"، ولكنه لم يحقق هذه الفكرة خلال فترة حياته[4]، بسبب اغتياله سنة 44ق.م[5]، ليتمكن من بعده أسينيوس بوليون Asinius Pollion (76-4ق.م) من إكمال مشروعه في تأسيس أول مكتبة عامة في روما سنة 39ق.م، والتي خصص فيها قسماً للكتب المدونة باللغة اللاتينية وقسماً آخر للكتب المدونة بالإغريقية[6]، بسبب الإنتاج الضخم للكتب خلال النصف الثاني للقرن الأول قبل الميلاد، فكانت الحاجة ملحة لإنشاء مكتبة توضع فيها تلك الكتب. وقد حاول الروماني بومبيوس أتيكوس Pomponius Atticus (109-32ق.م)، من منافسة الإسكندرية في

1- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Extrait des mémoires de l'Académie des inscriptions et belles-lettres; T. XXXVIII, 1ere partie, Imprimerie nationale, Paris, 1906, P.20. Appianus: Histoire Romaine, la guerre de Mithridate,la guerre de Mithridate, établi et traduit par Paul Goukowsky, édit. les belles lettres, 2001, T.VII, L. XII, XLVI.

2- يسري عبد الحكيم خليفة: **"المكتبات الرومانية الخاصة: عصر النشأة منذ البدايات وحتى منتصف القرن الثاني ق.م"**، مجلة كلية الآداب، مج.10، العدد 23، جامعة أسيوط، مصر، 2007م، (ص 301-340)، ص 307.

3- آية محمد رزق رزق، الحسين إبراهيم أبو العطا: المرجع السابق، ص 102.

4- Felix (R.): Op.cit., P.P.40-76. Voir: Vôssing (K.): "Die ôffentliche Bibliotheken in Africa", dans L'Africa Romana, Atti del X convegno di studio Oristano, 11-13 dicembre 1992, (P.P. 160-183), P.172.

5- الحسيني الحسيني معدّي: يوليوس قيصر رجل كل العصور (حياة أسطورية ونهاية مأساوية)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، (د.ن)، ص 147.

6- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.226.

تجارة الكتب، ورغم أنه كان فيلسوفاً وكاتباً، فقد استعان بماركوس فارو في ذلك باعتباره عالماً موسوعياً وله دراية عميقة بالكتاب والكتب.[1]

ومع فترة ازدهار الحضارة والثقافة الرومانية من خلال الإنتاج الأدبي والعلمي خلال العصر الإمبراطوري مع انتشار التعليم اللاتيني، فقد انصرف الأباطرة الرومان إلى تأسيس المكتبات العامة[2]، حيث شيّد أكتافيوس أوغسطس مكتبتين عامتين، الأولى أنشأها على رابية بلاتينا سنة 28ق.م، والمكتبة الثانية في سهل مارس على شرف أخته أوكتافيا، حيث ضمت أقساماً خاصة بالمؤلفات اليونانية وأخرى خاصة بالمؤلفات اللاتينية، وزينت بتماثيل الشعراء والكتاب والمفكرين والفلاسفة[3]، وهما مكتبات ملحقتان بمعابد، وقد ألحق كذلك كل من تراجانوس وكراكلا Caracalla مكتبات بالحمامات العامة.

وهكذا؛ فيمكن اعتبار أن أول مكتبة عامة افتتحت بروما كانت عام 39ق.م، وبعد ذلك أخذت المكتبات في الانتشار بمختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية، حيث بلغ عددها تسعة وعشرون مكتبة[4]، وكان ذلك تأثراً بما كان سائداً عند المجتمع الإغريقي، إذ كانت تحاكي نمطهم المعماري، فقد كانت عبارة عن أروقة وعدة قاعات متفاوتة الحجم، منها ما هي مخصصة للاجتماعات وأخرى للمطالعة، وتحمل في جدرانها رفوفاً وخزائن خاصة بالكتب والمجلدات، ومزينة بزخارف ورسومات وتماثيل وأعمال فنية مختلفة.[5]

المطلب الثاني: انتشار المكتبات في بلاد المغرب القديم

لقد شهدت بلاد المغرب القديم، انتشارً واسعاً للثقافة والمظاهر الحضارية الرومانية كغيرها من مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية، ومع ازدهار الحركة العلمية وظهور مراكز علمية وثقافية نشطة خاصة في المراكز الحضرية الكبرى في بلاد المغرب[6]، كقرطاجة وقيصرية ومادوروس وكيرينايكا (قورينائية) وغيرها – وسبقت دراستها آنفاً–، عرفت هي الأخرى ظهور تلك المؤسسات الثقافية التي أشار إليها أبوليوس في مرافعته الشهير حينما

1- آية محمد رزق رزق، الحسين إبراهيم أبو العطا: المرجع السابق، ص 102. Felix (R.): Op.cit., P.P.40-76.

2- أندريه أيمار وجانين أبوايه: تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، تر.: فريد م. داغر وآخر، ط.2، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1986م، ص 458.

3- أ.ب تشارلز روث: الإمبراطورية الرومانية، تر.: رمزي عبده جرجس ومحمد صقر خفاجة، مكتبة الأسرة، القاهر، 2003م، ص.127. أنظر: Masson (A.), Salvan (P.): Op.cit., P.9.

4- Coulon (G.): "les bibliothèques publiques dans l'empire romain", Gérard Coulon Archéologique, écrivain et historien, URL: https://gerardcoulon.chez-alice.fr, 2007, (P.P.1-7), Vu: 19/09/2024, P.1.

5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 137.

6- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص.ص 68-69.

أعلم أنه عرف أسماء السحرة من المكتبات العامة[1]، في الكثير من مدنها، وكان في الغالب يتطوع بتأسيسها أحد أرستقراطي وأثرياء تلك المدن[2]، بسبب محدودية ميزانيتها، لأن تشييد مكتبة يتطلب جملة من التكاليف: تكلفة البناء واقتناء الكتب، والصيانة الدورية.[3]

ويهدف هؤلاء الأرستقراطيين من هذه الممارسة الاجتماعية دعم وتنشيط الحركة الثقافية، وحرصاً منهم لضمان وارتقاء مكانتهم الاجتماعية، في الوسط الاجتماعي الذي ينتمون إليه[4]، يضاف إلى ذلك دفع أجور الموظفين أو القائمين على المكتبات، والذين يطلق عليهم اسم بيبليوتيكاريوس Bibliothecarius أو بيبليوتيكيس bibliothecis ويكونون معظمهم عبيدًا أو من المحرَرين[5]، والمسؤول عنها يسمى وكيل المكتبات العامة Procurator bibliothecarum a bibliothecis[6]، وبالضرورة يكونون من ذوي المستوى الثقافي والعلمي ما يؤهلهم على القيام بأعمالهم المكتبية.

وإن معظم معارفنا عن المكتبات القديمة في بلاد المغرب القديم، تأتي من جملة الملاحظات التي أشارت إليها المصادر الأدبية وما كشفت عنه النقوش التي تم جمعها من المواقع الأثرية[7]، وهنا أستذكر قول ترتوليانوس القرطاجي في كتابه "في شهادة النفس" مخاطباً النفس البشرية حيث يقول: **"لكنني لا أتوجه إليك أنت التي تكونت في المدارس والتي تمرست في المكتبات"**[8]، وإشارات لوكيوس أبوليوس[9]، أما الأبحاث الأثرية فقد زودتنا بمعلومات حول الهندسة المعمارية لهذه المؤسسات الثقافية وطريقة عملها. غير أنه؛ ورغم حجم الاكتشافات والحفريات الأثرية إلا أنها كشفت على عدد قليل من هذه المباني الأثرية الثقافية[1]، في مختلف المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة الرومانية.

1- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 91، ص 104.
2- أ.ب تشارلز روث: المرجع السابق، ص 124.
3- Cagnat (R.): les villes d'art célèbres: Carthage, Timgad, Tébessa, et les villes antiques de l'Afrique du Nord, librairie Renouard, H. Laurens, éditeur, Paris, 1909, P.103.Talbot (F.): Op.cit., P.48.
4- Coulon (G.): Op.cit., P.2.
5- Ballu (A.): Les ruines de Timgad, antique Thamugadi: sept années de découvertes (1903-1910), Neurdein Frères, Imprimeurs-éditeurs, Paris, 1911, P.10.
6- Vôssing (K.): Op.cit., P. 175.
7- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit, P151.
8- جورج رحمة: ترتوليانوس القرطاجي، موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ 7، ط.1، منشورات المركز الدعوي للأبحاث والدراسات، دير مار روكز، الدكوانة، لبنان، 1993م، ص 72.
9- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 41، ص 58. لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، ج.2، تر.: علي الجلاصي، أعده للنشر موحمد وُمادي، مؤسسة تاولت الثقافية، 2001م، ص. ص 34-35.
1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P151.

ورغم قلة المكتشفات الأثرية حول المكتبات في مقاطعات بلاد المغرب القديم، وبسبب عدم وجود نموذج محدد وموحد للعمارة المكتبية في المدن الرومانية عامة والمغرب القديم خاصة[1]، إلا أننا لا يمكن أن نهمل الدور الثقافي الهام الذي لعبته هذه المرافق الثقافية في مجتمع المغرب القديم[2]، وسنرى في المبحث التالي حجم انتشار هذه المؤسسات الثقافية في الكثير من حواضر بلاد المغرب القديم.

المبحث الثاني: أنواع المكتبات في بلاد المغرب القديم

تنوعت المكتبات التي عرفتها مدن وحواضر بلاد المغرب القديم، من مكتبات عامة وخاصة، وهذا ما سأتناوله في هذا المبحث، دارساً لأهم نماذج هذه المكتبات التي أشارت إليها المصادر والنقوش وكشفت عنها البحوث الأثرية.

المطلب الأول: المكتبات العامة

سأتناول في هذه الجزئية، مجموعة المكتبات العامة التي عرفتها مدن بلاد المغرب القديم، والمتمثلة في مكتبة ثاموقادي وقرطاجة وبولا ريجيا وإكليسيا هيبون ويوبا الثاني:

1- مكتبة ثاموقادي Bibliothecae Thamugadi:

تعتبر هذه المكتبة من أهم المكتبات التي شيدت في مقاطعة نوميديا ببلاد المغرب القديم، والتي أثارها لا تزال قائمة إلى الآن في المدينة الأثرية ثاموقادي[3]، وقد تم اكتشافها من قبل الباحث روني كانيا René Cagnat رفقة ألبيرت بالو Albert Ballu، خلال الحفريات الأثرية التي أجريت سنة 1901م، أين تم الكشف عن بناية لم يحددوا طبيعتها في تلك الفترة[4]، حيث اعتبرت بأنها بمثابة قاعة للاجتماعات أو تكون عبارة عن مدرسة[5]، كما اعتُقد أنها مبنى ديني مخصص للإله راعي مدينة ثاموقادي[1]، وذكر بالمبنى المميز ذو القاعة الرئيسية النصف دائرية[2]، وفي وقت لاحق تم اكتشاف أجزاء نقيشة تخص هذا

1- Cagnat (R.): les villes d'art célèbres: Carthage, Timgad, Tébessa, Op.cit, P.103.
2- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit, P.153.
3- Coulon (G.): Op.cit., P.2.
4- Cagnat (R.): Les bibliotheques municipales dans l'empire romain, Op.cit., P.P.5, 14.
5- Ballu (A.): Les ruines de Timgad, antique Thamugadi, Op.cit., P.4.Ballu (A.): les ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1903, P.P.22-23.
1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit, P.P.158-159. Boeswillwald (É.), Cagnat (R.), Ballu (A.): Timgad: une cité africaine sous l'Empire romain, Ernest Leroux. Editeur, Paris, 1905, P.P.303-304.
2- Boeswillwald (É.), Cagnat (R.), Ballu (A.): Op.cit, P.297.

المبنى، ففي البداية عثر على الجزء الأيمن منها، وكانت غير كافية لتحديد ماهية هذا الموقع. وفي سنة 1902م تواصلت التنقيبات للجانب الشمالي حيث تم العثور هناك على الجزء الثاني من النقيشة، وبعدها تم الكشف عن الجزء الثالث منها وبذلك تكتمل النقيشة بأجزائها الثلاثة، وبعد فك شفرتها تم تحديد ماهية وطبيعة هذا المبنى[1]، وكان ذلك خلال أبحاث سنة 1906م واتضح أن المبنى كان يمثل المكتبة العامة لمستعمرة ماركيانا ترايانا ثاموقادي Colonia Marciana Traiana Thamugadi.[2]

ونص النقيشة (أنظر الشكل رقم 36، ص 167) كما يلي:

Ex liberalitate M. Juli(i) Quintiani Flavi(i) Rogatiani clarissimae) memoriae) v(iri) quam testamento suo reipublicae coloniae Thamagadensium patriae suae legavit opus bibliothecae ex sestertium CCCC millibus) num(mum) curante republica perfectum est.[3]

يعتبر مبنى مكتبة تيمقاد Timgad نموذجاً معمارياً رائعاً مخصصاً لأن يكون كمكتبة عامة، وقد تم تشيّده على أنقاض مبنى يقع بالقرب من الفوروم، وليس ببعيد عن السوق. ومن خلال النقيشة فقد تم بنائه بوصية من قبل السناتور[4] ماركوس يوليوس كوينتيانوس فلافيوس روغاتيانوس Marcus Iulius Quintianus Flavius Rogatianus وهو من مواطني المدينة وأثريائها حيث تبرع بمبلغ مالي مقدر بـ 400.000 سيسترس Sesterces لصالح مستعمرة ثاموقادي من أجل بناء هذه المكتبة Bibliothecae خلال القرن الثالث للميلاد[5]، وحسب جيرارد كولون G. Coulon فذلك المبلغ كان يعادل ضعف الراتب السنوي لأعلى مسؤول في الإدارة الرومانية[1]، واعترافاً له بالجميل أقامت المدينة تمثالاً فخريًا له.[2]

1 -Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'empire romain, Op.cit, P.14. Ballu (A.): ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Op.cit, P.P.4-5. Cagnat (R.): les villes d'art célèbres: Carthage, Timgad, Tébessa, Op.cit, P.P.5, 104.

2- Vôssing (K.): Op.cit., P.172.

3- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'empire romain, Op.cit, P.P.8, 15. Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit, P.159.

4- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit, P.P.158-159.

5- Talbot (F.): Op.cit., P.56. Ballu (A.): ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Op.cit, P.8. Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'empire romain, Op.cit., P.3.

1- Coulon (G.): Op.cit., P.2.

2- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.158-159.

إذن؛ فإن مبنى مكتبة ثاموقادي (أنظر الشكل رقم 36، ص 167) يعتبر من أحسن المباني التي شيّدت خلال القرن الثالث للميلاد بتمويل من مواطنها السخي المشار إليه أعلاه، والتي لم يبقى من جدرانها حالياً سوى الجزء السفلي، بارتفاع أقصى يقل قليلاً عن المترين، وهي مفتوحة على ثلاثة جهات وتواجه الغرب ويفتح على شارع الكاردو الرئيسي Cardo Maximus الممتد من الشمال إلى الجنوب[1]، وتبعد بحوالي 50 متراً عن نقطة التقاء هذا الشارع مع شارع ديكومانوس ماكسموس Decumanus Maximus، وكان تشغل مساحة ذات أبعاد من (25 × 23,5 متر)، حيث أن طولها حوالي 25 متر وعرضها 23,5 متر، قاعتها الرئيسية في شكل محراب يصل عرضها إلى اثنا عشره متر، وعمقها 10 أمتار، على جانبيها غرفتان مستطيلتان كل واحد قياسها بحوالي (5 × 10 متر)، ويحيط بفنائها رواق بأعمدة، على جانبيه غرف مستطيلة صغيرة (قياس كل منها بحوالي 2 × 6متر). يمكن الدخول إليها من الكاردو عبر عدة دُرُجات. ولها باب على شكل نصف دائرة يؤدي إلى القاعة الرئيسية، ويقابل الداخل عند باب الدخول (3,80 متر) إلى هذه القاعة كوة بعرض 1,80 سم وبعمق 01 متر، على جنبيه عمودين من الرخام الأبيض كانت بلا شك مزينة[2] بتمثال ما قد يكون تمثال مينرفا Minerve آلهة الحكمة[3]، الذي عثر على رأسه بمحيط المبنى في الجدران الجانبية للطابق السفلي(أنظر الشكل رقم 36، ص 167)[4]. كما كانت تحتوي جدرانها على الكثير من الخزائن Armarium الحائطية المخصصة لاستيعاب كم هائل من الكتب، ومن جهة أخرى هناك ستة قاعات إضافية فيها ثلاثة قاعات تعتبر مستودعات إضافية مشحونة بالمخطوطات.[1]

وبالنسبة لعدد الكتب والمجلدات (الفولومينا) التي يمكن أن تستوعبها خزائن هذه المكتبة فيشير روني كانيا أن رفوف المكتبة يمكن أن تستوعب عدد هائل من الكتب، حيث أن الغرفة الداخلية تستوعب 6800 مجلد والقاعات الأخرى 16200 مجلد وبذلك يكون

1- Houston (W.G.): Inside Roman Libraries - Book Collections Anagement in Antiquity, published with the assistance of the H. Eugene and Lillian Youngs Lehman Fund of the University of North Carolina Press, USA, 2014, P.194. Ballu (A.): les ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Op.cit., P.P.22-23.

2- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'empire romain, Op.cit., P.P.16-17. Ballu (A.): les ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Op.cit., P.P.22-23.

3- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 300. Konrad (V.): Op.cit., P.179.

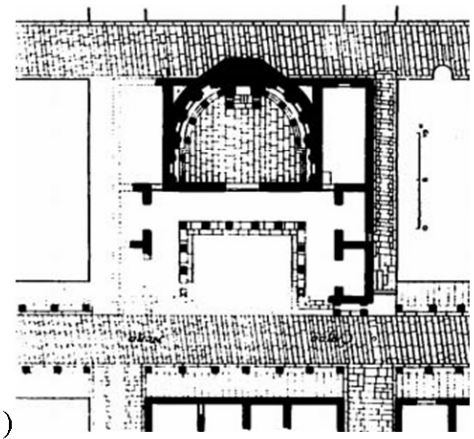
4- Cagnat (R.): les villes d'art célèbres, Op.cit, P.105.

1- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 245. Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.158-159.

المجموع 23000 مجلد[1]، ولكن هناك تضارب في الآراء حول العدد الذي يمكن أن تستوعبه هذه المكتبة، وسأشير إليه لاحقاً عند الحديث عن تقييم قدرة استيعاب المكتبات للكتب في المبحث الثالث.



(02)



(01)

EX LIBERALIT\TE M IVLI Q|VINTIANI FLAVI RO
GATIANI C̄M̄V̄ Q\AM TESTAMENTO SVO REIPVBLICAE
COLONIAE THAMVGADENSIVM PATRIAE SVAE LE
GAVIT OPVS BIBLIO THECAE EX HS C̄C̄C̄C̄ MIL · NVM
CVRANTE REPVBLIC\A PERFE CTVM EST

(03)

الشكل رقم 36: مكتبة تاموقادي (المخطط، الأطلال، النقيشة).
(01): مخطط المكتبة، نقلا عن: Boeswillwald (É.), Cagnat (R.), Ballu (A.): Op.cit, P.298.
(02): أطلال المكتبة مع النقيشة، نقلاً عن: Ballu (A.): Les ruines de Timgad, Op.cit, P.9.
(03): نص النقش اللاتيني للمكتبة، نقلا عن: Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'empire romain, Op.cit., P.15.

إذن؛ فإن هذه المكتبة تعتبر نموذجاً معمارياً ممتازاً، حيث جهزت بكل العناصر المعمارية التي تؤهلها أن تستوعب كماً كثيراً من الكتب، كما وأن وجودها في منطقة متكاملة المعالم العمومية من مسرح وحمامات ومعابد وفوروم وغيرها، يشهد على أهميتها الثقافية والعلمية لمدينة تاموقادي، وأنها تحمل في طياتها رسالة حضارية، حيث تؤكد على الازدهار الثقافي الذي شهدته هذه المدينة[1]، والذي مارست فيها النخبة المثقفة المحلية نشاطاً ثقافياً وفكرياً[2]، ولقيت دعماً مادياً ومعنوياً لنشر الثقافة والعلم من قبل أهالي المدينة وخاصة الطبقات الأرستقراطية من المجتمع الثاموقادي، كما يعكس ذلك عمق انتشار الثقافة والحضارة الرومانية في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم.

1- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'empire romain, Op.cit., P.P.105-105.
1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit, P.160.
2- Ibid., P.160.

2- مكتبة قرطاجة Bibliothecae Carthaginensis:

كان في قرطاجة خلال العصر البوني، مكتبة تحدثت عنها المصادر الإغريقية واللاتينية، حيث كانت تقارب شهرتها شهرة مكتبة الإسكندرية، إلا أن أغلب محتوياتها احترقت أثناء سقوطها بيد الرومان عام 146ق.م، ووافق مجلس الشيوخ الروماني آنذاك على تسليم ما تبقى من محتوياتها للأمراء النوميد، وقد يكون هيمسال الثاني احتفظ ببقايا كتب تلك المكتبة[1]، التي اعتمد عليها سالوستيوس Salluste عند حديثه عن أصول مجتمع المغرب القديم[2]، ويكون يوبا الثاني آخر المستفيدين من مخلفاتها، إذ اعتمد على كتبها الجغرافية في رحلاته الاستكشافية[3]، كما أشار القديس أوغسطين في إحدى رسائله إلى ماكسيم المادوري، عن بقايا تلك الكتب البونية وأنها قد تكون تحتوي على معلومات مفيدة[4]، إلا أنه وللأسف فقد ضاعت تلك المكتبة وضاعت كل محتوياتها.

وبعد مرور ما يقارب 102 عام على تدمير قرطاجة، ونتيجة لموقعها الجيوستراتيجي ارتأت الدولة الرومانية على إعادة بناء مدينة جديدة على أنقاظ المدينة البونية، وتم ذلك لعدة مرات تصدرتها محاولة كايوس غراكوس Caius Gracchus[5]، ثم يوليوس قيصر Julius César[6]، ولكن هذا الأخير لم يتمكن من إتمام مشروعه بسبب اغتياله في عام 44ق.م[7]، وواصل بعده أكتافيوس أوغسطس Octavius Augustus الإهتمام بها وجعلها العاصمة السياسية لمقاطعة أفريقيا القديمة Africa Vetus[1]، لتتشكل بعد عام 28ق.م مدينة على الطراز المعماري الروماني وتلقت القانون الروماني[2]، ليعود إشعاعها الحضاري من جديد ولكن إشعاعاً للثقافية والحضارة الرومانية في بلاد المغرب القديم.

وبذلك أصبحت مدينة قرطاجة تحتل مكانة هامة منذ إعادة بناءها، وعاصمة العلم والمعرفة بدون منازع في منطقة المغرب القديم، وجعل احتواءها على خزانات قديمة مهمة، ووجهةً لكل العلماء والمفكرين والفلاسفة، وحتى الطلبة من مختلف أقاليم بلاد المغرب القديم

1- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 159-160.

2- Salluste: la guerre de Jugurtha, Prés. Kamel Chehrit, Op.cit., P.30. Vassa (N.K.): Op.cit., P.94.

3- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص. ص 159-160.

4- Lakhlif (M.): Op.cit, P.27.

5- Appianus: Histoire Romaine, le livre carthaginois, VII, CXXXVI, 123.

6- Fantar (M.H.): Carthage La cité punique, Op.cit., P.113.

7- Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), LXIII, T.VI, 412.

1- Dion Cassius: Histoire Romaine, XLIII, 50.

2- Fantar (M.H.): Carthage La cité punique, Op.cit., P.113.

وخارجها[1]، رغبة منهم في الإطلاع على تلك الكتب والمؤلفات، وكذلك لدراسة مختلف العلوم وعلى رأسها فن الخطاب حسب ما أشار القديس أوغسطين في كتابه الاعترافات.[2]

ولقد ذكرت المصادر الأدبية احتواء قرطاجة على مكتبة ضخمة على الطراز العمراني الروماني، وتعرفنا عليها من خلال لوكيوس أبوليوس[3]، حيث أشار إليها في مؤلفه الفلوريدا[4]، وفي مرافعته عندما أتهم آنذاك بالسحر ومعرفته لأسماء السحرة، واستهزأ بأعدائه بعدم دخولهم مكتبة في حياتهم، وقد علل أن معرفته بأسماء هؤلاء السحرة أمام بروقنصل أفريقيا Proconsul d'Afrique، بأنه تعلمها في المكتبة العمومية لقرطاجة bibliothecae publicae[5]، وكذلك في كتابه الفلوريدا حيث قال: **"نحن هنا نتشرف بوجودنا هنا غير بعيدين.. حيث نتواجد في مجلس الشيوخ أو مكتبة قرطاجة بذاتها، والتي تؤهلنا لغتنا لذلك، فإن كنت جديراً بمجلس الشيوخ كنت فيه وإن كنت عالماً سأتحدث من داخل المكتبة"**[6]، لأنه كان يمثل أمين هذه المكتبة، وأشار مونصو أنه حينما استقر في قرطاجة مارس فيها العديد من المهن منها مهنة أمين مكتبة قرطاجة.[7]، بالإضافة إلى إشارة القديس ترتوليانوس المشار إليها آنفاً.

ورغم المكانة الثقافية لمدينة قرطاجة ورغم إشارة أبوليوس حول وجود مكتبة عمومية في هذه المدينة، إلا أن البحوث والحفريات الأثرية لم تحدد مبنى هذه المكتبة ولا موقعها ضمن الحيز الأثري للمدينة، فهناك تضارب في الآراء حول هذا المرفق الثقافي، حيث اقترح بيار غروس Pierre Gros من خلال وصف أبوليوس طرح فرضية لتحديد مكان هذه المكتبة، هو أنها تقع في الجهة الشرقية لبزيليك أنطونين la basilique antonine ببيرصا Byrsa، غير أن هذا المبنى يطرح مجموعة من الإشكاليات، أولها أنه يفتقر إلى ما هو متعارف عليه في المكتبات الرومانية خلال العصر الإمبراطوري، حيث أنها لا تحتوي على منافذ الخزائن Armaria المدمجة في جدران القاعة الرئيسية للمبنى. ثانياً فإن قياسات هذه

1- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 43.

2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 109.

3- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipalesdans l'empire romain, Op.cit, P.9. Apulée a dit: (Mihi liceat... ipsius Carthaginis vel curiam vel bibliothecam substituere), Loc.cit., P.9.

4- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 17، ص. ص 74-75. Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, IIII, XVIII,56.

5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.272. Vôssing (K.): Op.cit., P.172.

6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 141.

7- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.272, 273.

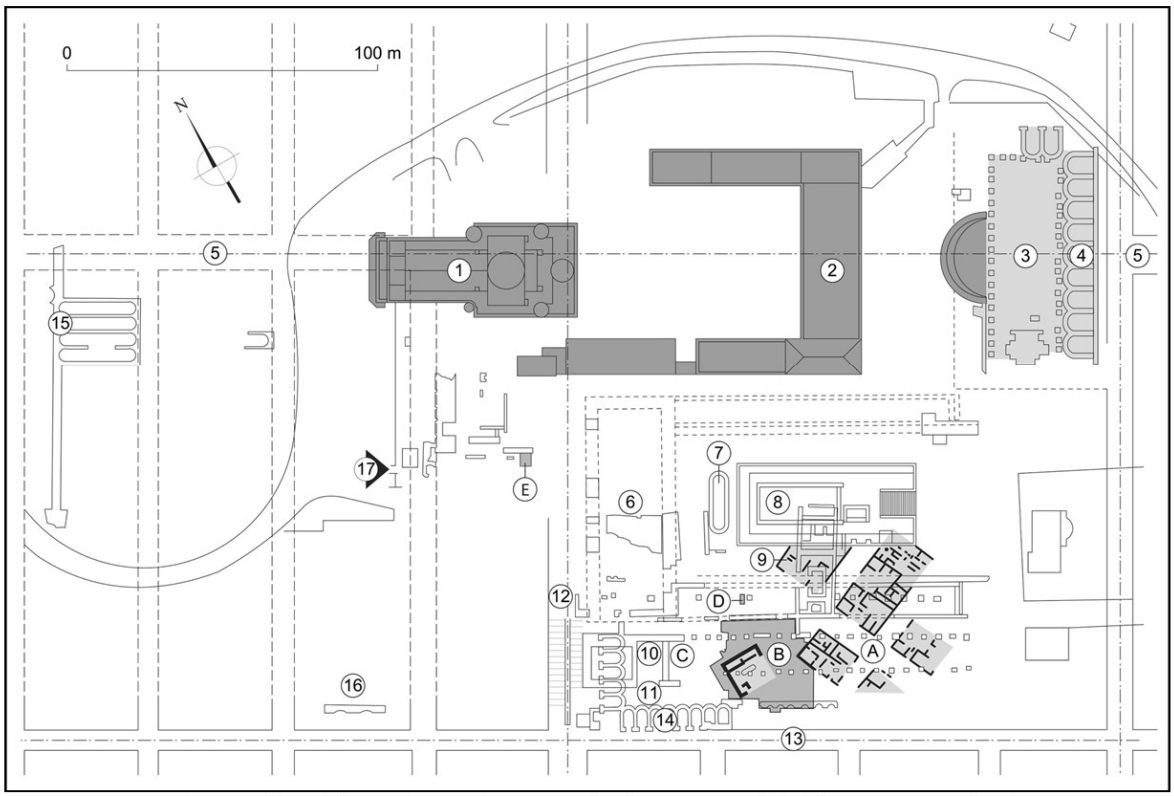
القاعة لا تتجاوز قياساتها ستة أمتار عرضاً وتسعة أمتار طولاً (6 × 9 متر)، ومنه فإن هذه البناية لا تطابق بناية مكتبة عمومية.[1]

إلا أنه وبمجرد أن نفكر في المحاضرات التي كان يلقيها لوكيوس أبوليوس في قرطاجة وخاصة في مكتبتها العمومية، فإنه من المستحيل أن نتصور أن قرطاجة باعتبارها مركزاً للإشعاع الحضاري والثقافي في بلاد المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني، أن تكون لا تحتوي على الأقل على قاعة مخصصة لتكون كمكتبة ولو كانت بمقاسات صغير أقل من تلك التي كانت تحتويها مستعمرة ثاموقادي الواقعة على الحدود الجنوبية لمقاطعة نوميديا.[2]

بالمقابل وحسب جون دينوف Jean Deneauve الذي تحدث عن بناية كبيرة مستطيلة الشكل، والذي كشفت عنها الحفريات الأثرية في الجهة الغربية لفوروم أنطونين Forum d'Antonin، وتتراوح أبعادها بين 65 متر من الشمال إلى الجنوب إلى 22 متر من الشرق إلى الغرب، وتبدوا أن بعض الأدلة تشير إلى أن هذه البناية بقيت على حالها إلى غاية العصر البيزنطي قبل أن تتحول إلى أنقاض، ونتيجة لحالتها فمن الصعب التأكيد على الهدف من وراء إنشاءه. وعلى كل حال؛ من المؤكد أن مدينة قرطاجة كانت بها مكتبة كبيرة واحدة على الأقل، يرتادها الجمهور المتحمس للثقافة، وتجذبه أصوات الشعراء والأدباء والخطباء (أنظر الشكل رقم 37، ص 171).[3]

ولعل الشهادات الأخيرة بخصوص المكتبة العامة في قرطاجة، فهي الشهادة المقتبسة من مؤلف الأنطولوجيا السالماسية Ontologie salmasienne، والمتمثلة في مجموعة شعرية épigrammes تعود لثلاثة شعراء من أفريقيا خلال العصر الوندالي، والمجموعة الشعرية التي تعنينا بعنوان: "أسكليبياديس إلى كتابه Asclepiadei ad librum suum" للشاعر لوكسوريوس Luxorius، وقد تعرف الباحثون من خلال هذه المجموعة الشعرية على المكتبات في فوروم مدينة قرطاجة، ولأن نشر الكتاب خلال العصر الروماني يتم عبر المكتبات العمومية. لكن هذا سيظل يطرح مشكلة تحديد موقع مثل هذه المرافق الثقافية.[1]

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.156-157. Voir: Talbot (F.): Op.cit., P.P.98-99. ينظر: نصيرة سحير: المرجع السابق، ص 262.
2- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.156-157.
3- Ibid., P.157. ينظر: نصيرة سحير: المراجع السابق، ص 263.
1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.157-158.



الشكل رقم 37: مخطط لتلة بيرصا بقرطاجة (6 و10 المواقع المحتملة لمكتبة قرطاجة).
6: bibliothèque, 10: Basilique d'époque antonine)، نقلا عن:
Paul (M.J.): «Mission archéologique de Carthage-Byrsa», openedition journals, (P.39-43), 2011, URL: https://journals.openedition.org/nda/1472, 21/09/2024.

وكما أشرت سابقاً فقرطاجة بحكم أنها كانت مركزاً ثقافياً يتوفر على كل مستلزمات التعليم والتثقيف، فحتماً كانت تتوفر على مكتبة عمومية رغم أن مكانها غير معروف، ولو على شاكلة مكتبة ثاموقادي.[1]

3- مكتبة بولا ريجيا Bibliothecae Bulla Regia:

تعود الجذور التاريخية لبولا ريجيا إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وشهدت الازدهار بعدما أصبحت ضمن مجال النفوذ القرطاجي، وفي عام 203ق.م شن سكيبيو الأفريقي Scipion l'Africain حرباً على المنطقة لتخضع المدينة للرومان، ومع منتصف القرن الثاني قبل الميلاد أي عام 150ق.م[1]، ضمها ماسينيسا إلى أغليدية نوميدية، في إطار

1- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 300.
1- Yvon (T.): "La romanisation d'une cité indigène d'Afrique: Bulla Regia", In: Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité, T.85, N°1, Persee, 1973,URL: https://www.persee.fr, Vu: 14/09/2024, P.P.248-249. ينظر: محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص 44.

حملة استرجاع أملاك الدولة الماسيلية[1]، ويتضح من مصطلح ريجيا أنها كانت مدينة وعاصمة ملكية، واحتوت على قصور ومساكن ومقرات إقامة الأغاليد النوميد[2]. كما كانت عاصمة للأغليد المنشق هيارباص Hiarbas الذي قتل هناك على يد بوغود Bogud بأمر من بومبيوس Pompée عام 81ق.م بعد أن اختار اللجوء إليها.[3]

وبعد انتصار يوليوس قيصر على بومبيوس ووفاة الملك يوبا الأول وسقوط المملكة النوميدية سنة 46ق.م وتحول هذه المملكة إلى مقاطعة أفريكا نوفا، فأصبحت هذه المدينة ضمن أملاك الدولة الرومانية، ومن قيصر إلى أوغسطس منحت لقب مدينة حرة Oppidum Liberum، ومنذ القرن الأول الميلادي أصبحت بلدية Municipium في عهد الإمبراطور فلافيوس فيسباسيانوس Flavius Vespasianus، ومستعمرة تحت حكم الإمبراطور هادريانوس Hadrianus، ثم تحولت إلى مدينة رومانية كلاسيكية، ومثلها مثل معظم المدن الرومانية كانت مجهزة بالمباني والمرافق العامة، كالمنشآت الإدارية والفوروم والأسواق والمعابد والحمامات وأماكن التسلية والترفيه والمرافق الثقافية وغيرها.[4]

ومن هنا فإن بولا ريجيا كانت تحتوي على مكتبة عمومية كمرفق ثقافي؛ حيث يشير مارسيل لوغلاي Marcel Le Glay إلى تلك المكتبة من خلال بقايا مبنى واسع على أرض مستوية يقع في الجهة الغربية للمدينة. يتخذ شكلاً مستطيلاً بقياسات تبلغ الخمسون متراً طولاً والثلاثون متراً عرضاً (50 × 30 متر)، وعلى جهاته الثلاثة مجموعة من الأروقة، ويحتوي على قاعة واسعة ذات الشكل النصف الدائري تحيط بها ثمانية أعمدة، قد تكون تحمل رواقاً أعلى، وفي الجدار الخلفي للرواق الكبير هناك خمسة كوات مرتبة ومحفوظة بشكل جيد، إلا أن حالة المبنى لا يسمح من التأكيد على ما إذا كانت هناك كوات أخرى على محيط هذه المنشأة أو في رواقها العلوي.[1]

وحسب ذات الباحث فإن المبنى يعود إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث الميلادي، كما أقام مقارنة بين مخطط هذا البناء المقترح مع مخططات مكتبات أخرى، ومع

1- غابريال كامبس: في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تع. وتح.: محمد العربي عقون، ط.2، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2012م، ص 200.

2- Yvon (T.): Op.cit, P.P.248-249.

3- Carton (L.): Les fouilles de Bulla Regia, Soc. Géo. de Lille, Imprimerie L. Danel, Lille, 1890, P.2.

4- Yvon (T.): Op.Cit, P.P.248-249.

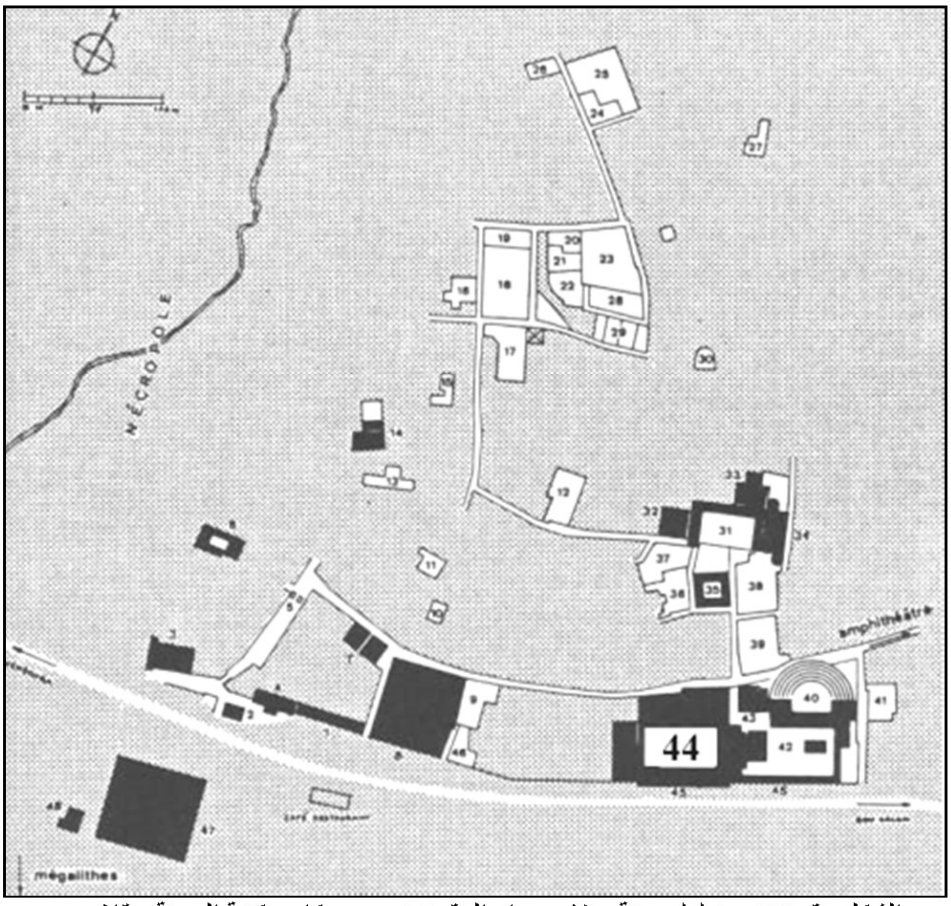
1- Konrad (V.): Op.cit., P.181. Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.161.

مخطط مكتبة تيمقاد، وكلاهما مأخوذ عن النموذج الروماني في إنشاء المكتبات، مثل نموذج مكتبة ملحقة بمعبد السلام لفيسباسيان Templum Pacis de Vespasien[1]، المشيد في فوروم السلام عام 75م، وحملت تلك المكتبة اسم: مكتبة السلام Bibliotheca Pacis بمناسبة انتصاره على اليهود في أورشليم، واعتبره بليني الأكبر من أجمل المباني[2]، بالإضافة إلى مكتبة بومبي Pompéi، وقد كانت هاتين المكتبتين الأخيرتين من أولى المكتبات في الإمبراطورية الرومانية اللتين احتوتا على الشكل النصف الدائري hémicycle.[3]

غير أن الباحث كونراد فوسينغ K. Vôssing يعتقد أن ما قدمه لوغلاي من قرائن حول ماهية هذا المبنى ليست مقنعة، حيث يرى أن هذا المبنى له علاقة بعبادة الإمبراطور، ولا بد من القيام بالمزيد من الحفريات حتى تتحدد طبيعة هذا المبنى[4]. غير أن لوغلاي يستحضر نموذج معبد السلام الذي كان يحتوي على مكتبة ومثل ما فعل أوغسطس في معبد أبولو على رابية البلاتين، قد شكلت محاولات للربط بين الجانب الروحي والثقافي. بينما روجي هانون Roger Hanoune يرى أنه من الصعب تحديد مبنى المكتبة ضمن ما حدده لوغلاي، وأن هذا النصب التذكاري يقع ضمن ما يعرف بالمجموعة السيفيرية الكبرى، كما يشير أن الهندسة المعمارية لهذه المكان غير مناسب لأن يكون مكتبة (أنظر الشكل رقم 38، ص 174).[5]

ورغم الاختلاف وتضارب الآراء بين الباحثين حول تحديد ماهية هذا المبنى وحول كونه يمثل المكتبة العمومية لمدينة بولا ريجيا. إلا أنه؛ ومنذ القرن الثاني للميلاد أصبحت هذه المدينة مترومنة بالكامل، وأصبحت مركزاً هاماً لنشر مظاهر الحضارة الرومانية كاللغة والثقافة اللاتينية، خدمة لمصالح الإدارة الرومانية والطبقة الأرستقراطية المهيمنة، هو ما يؤكده احتواءها على مكتبة عمومية التي تعكس انتشار ثقافة الكتاب، ومما لا شك فيه أنها كانت تمول من قبل أثرياء المدينة.[1]

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.161.
2- Dallies (M.): "Usages et usagers des bibliothèques dans le Haut-Empire romain", openedition journals, URL: https://journals.openedition.org, Vu: 13/09/2024.
3- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.161. Cagnat (R.): Les bibliothèques municipalesdans l'empire romain, Op.cit., P.21.
4- Konrad (V.): Op.cit., P.180.
5- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.161-162.
1- Ibid., P.P.162-163.



الشكل رقم 38: مخطط مدينة بولا ريجيا والرقم 44 يحدد مكان مكتبة المدينة، نقلا عن:
Yvon (T.): "Bulla Regia", in Gabriel Camps (dir.), 11|Bracelets - Caprarienses, Aix-en-Provence, Edisud (Vol., N°11), 1992 [En ligne], openedition journals, URL: http://journals.openedition.org, Vu: 21/09/2024, P.11.

إذن لقد كانت مدينة بولا ريجيا مركزاً للإشعاع الثقافي للحضارة الرومانية، وكغيرها من المدن الرومانية فقد احتوت على المرافق العمومية وخاصة الثقافية منها، وعلى رأسها المكتبة العمومية التي توحي إلى انتشار التعليم وثقافة التأليف والكتاب واتساع حجم المقروئية في الوسط الاجتماعي البولاريجي.

4- مكتبة إكليسيا هيبون Bibliotheca Ecclesiae Hipponensis:

تعتبر مدينة هيبوريجيوس من أقدم مدن المغرب القديم العائدة إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد والتي كانت عبارة عن مركز تجاري فينيقي[1]، كما عرفت ازدهاراً اقتصادياً وتجارياً خلال العصر البوني، وخضعت للسيطرة الرومانية سنة 46ق.م بعد نهاية الكيان النوميدي عام 46ق.م أثناء الحرب الأفريقية بين بومبيوس ويوليوس قيصر، وترقت هذه المدينة إلى درجة بلدية Municipium كاملة الحقوق، ثم أصبحت مدينة حرة يتمتع سكانها

1- Marec (E.): Hippone la royale attique hippo regius, Première édit., les presses de l'imprimerie officielle, Alger, 1950, P.16.

بكامل حقوق المواطنة الرومانية ثم مستوطنة شرفية مع أواخر القرن الأول للميلاد، ثم ترقت إلى كونفدرالية مع بداية القرن الثاني للميلاد[1]، ومع القرن الثالث للميلاد شهدت انتشار للديانة المسيحية كغيرها من باقي مدن بلاد المغرب القديم، نتيجة لما كانت تحمله من مبادئ سامية. كما شهدت الاضطهاد المسيحي وسقوط الشهداء، وكذلك عرفت الانشقاق الكنسي بين النحلة الكاثولكية والدوناتية.[2]

ومع القرن الخامس للميلاد استقر القديس أوغسطين Saint Augustin لمدة أربعين عاماً، في هذه المدينة وأصبح أسقفاً على كنيستها لتصبح المدينة مقاطعة كنسية هامة في بلاد المغرب القديم، باعتبار أن أسقفها ذو شهرة واسعة خلال الخمسة ثلاثين عاماً كاملة، تتضح من خلال مساهمته الفعالة في الحياة الفكرية والثقافية خاصة في مجال الفكر المسيحي[3]، وإنجازاته المهمة في هيبون، حيث قام بتشييد الكثير من الأديّرة والكنائس، وأذكر هنا على الخصوص إنشاء المكتبات حيث ألحق مكتبات بالكثير من بالكنائس وحول بعض الأديّرة إلى مكتبات[4]، وبالضرورة يكون قد وفر فيها مجموع من الكتب الخاصة بالعقيدة المسيحية.

وعليه فإن أهم مكتبة أسسها القديس أوغسطين هي المكتبة العمومية المعروفة بمكتبة إكليسيا هيبون، ويتضح من خلال اسمها أنها كانت ملحقة بكنيسة هيبوريجيوس (أنظر الشكل رقم 39، ص 176) والذي كان أسقفاً عليها. وتعتبر بمثابة مكتبة استثنائية، حيث أنها كانت خاصة بالأسقف أوغسطين، وكانت تحتوي على مجموعة هامة من الكتب الخاصة، ولم تكن تفتح إلا لضيوف الأسقف أو رجال الدين المسيحي[1]، وقد ذكرها بوسيديوس Possidius وأنها كانت مكتبة جد غنية[2]، ولا شك أن ضيوفه يتشكلون من القساوسة والأساقفة والرهبان والراهبات، والذين يرغبون في المطالعة وقراءة الكتب حول

1- أحمد وابل: **"الأسقف أغسطين والمجتمع في مدينة هيبون"**، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج.10، العدد 3، جامعة محمد بن أحمد وهرن 2، الجزائر، 2021م، (ص 431-440)، ص 431-432.

2- Marec (E.): Op.cit., P.P.31-34. تفاعلت مجموعة أسباب دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية، أدت إلى إنقسام الكنيسة الأفريقية، ومعه ظهرت النحلة الدوناتية. ينظر: الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.2، ص. ص 345-383.

3- Marec (E.): Op.cit., P.31.

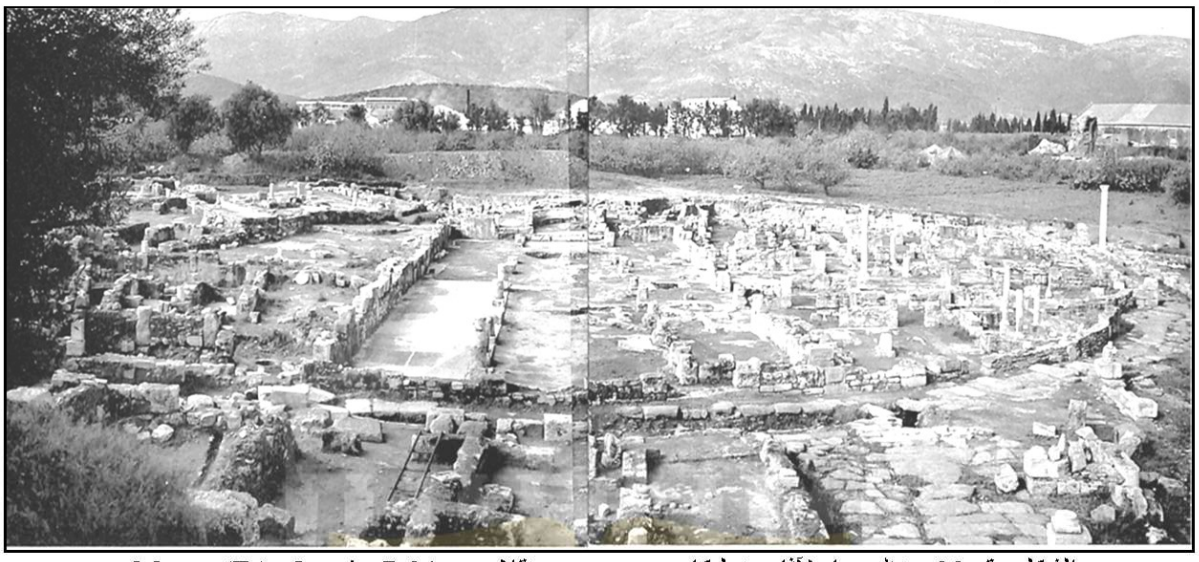
4- أحمد وابل: المرجع السابق، ص 434.

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.263. Vôssing (K.): "Die ôffentliche Bibliotheken in Africa", dans L'Africa Romana, Atti del X convegno di studio Oristano, 11-13 dicembre 1992, (P.P. 160-183), P.171.

2- Besse (D.): Op.cit., P.52.

المعتقد المسيحي وقد تكون متنوعة المعارف العلمية ويتضح ذلك من خلال التنوع العلمي الذي كان يمتاز به أوغسطين.

كما كانت له مكتبة في دير هيبون، التي كانت مخصصة ليجتمع فيها المتدينين والمتدينات، وكانت تحتوي على عدد معين من المخطوطات حول الديانة المسيحية، كمؤلفات القديس أوغسطين وأخرى غير مسيحية، التي خصص لها الكثير من الوقت من أجل قراءتها والإطلاع عليها[1]، وبالضرورة للاستفادة منها والتعمق أكثر في معرفة تعاليم المعتقد المسيحي.



الشكل رقم 39: منظر عام لآثار بزيليكا هيبوريجيوس، نقلا عن: Marec (E.): Op.cit, P.31.

ومن هذا، فتعتبر هذه المكتبة من المكتبات الكنسية، والتي أنشأها القديس أوغسطين، وتكون لعبت دوراً مهماً في التعريف بالفكر الثيولوجي والعقائدي للديانة المسيحية، ومختلف العلوم الأخرى، بين أتباع المسيحية من الكهنة والأساقفة والقساوسة والرهبان والراهبات وغيرهم من الطلبة الذين سيترقون إلى الرتب الأنفة الذكر.

5- مكتبة يوبا الثاني:

أنشأت هذه المكتبة في مدينة قيصرية Césarea (شرشال حالياً)، والتي كانت قبل القرن الأول قبل الميلاد، تحمل اسم إيول Iol خلال فترة الأغليديات النوميدية والموريطانية، وعندما أصبح يوبا الثاني ملكاً على موريطانيا بعد تعينه عليها من قبل أوغسطس في عام 25ق.م بسبب وفاة بوكوس الثاني في عام 33ق.م ملك موريطانيا ولم يترك وريثاً. فاتخذها يوبا الثاني عاصمة لمملكته وأطلق عليها اسم قيصرية، وبعد اغتيال بطليموس في عام

1- Vôssing (K.): Op.cit, P.171.

44ق.م والذي تولى حكم المملكة بعد وفاة والده يوبا الثاني، لتصبح هذه المدينة في عهد الإمبراطور كلاوديوس Claudius عاصمة لمقاطعة موريطانيا القيصرية.[1]

لقد كان الملك يوبا الثاني مهتماً بدارسة الفنون والآداب على الطريقة اليونانية، وقد عُرف عنه تشجيعه للعلوم اليونانية، حيث كان يستقدم من أثينا الفلاسفة والأدباء والمؤرخين ورجال الفنون كالمسرح[2] والنحت والموسيقى والرسم والتمثيل، والكُتاب والمهندسين والنساخ وغيرهم، فازدهرت الحركة الفكرية والثقافية في مملكته وخاصة في قيصرية[3]، لذلك شرّفه المجتمع الأثيني بنحت تمثال له وّضع أمام الخزانة الرسمية في أثينا ومنحوه الجنسية اليونانية[4]، بالإضافة إلى شغفه بالكتاب والكتب، حيث جمع الكثير منها وفي مختلف التخصصات وبمختلف اللغات خاصة اليونانية واللاتينية، مثل: كتب الجغرافيا والمسرح والرسم والتعديل اللغوي وعن آثار روما وسوريا وليبيا وبلاد العرب...[5]

وفي الحقيقة؛ ونتيجة لشغفه هذا كان مولعاً بالبحث والتنقيب والكتابة والتأليف وجمع الكتب، حيث ألف العديد من المؤلفات ذات القيمة العلمية وفي مختلف العلوم والفنون كالتاريخ والجغرافية والفلسفة والموسيقى والفيلولوجيا وغيرها وسأتطرق إلى ذلك لاحقاً في الفصل الرابع، ورغم أن جل كتاباته ضاعت ولم يصل إلينا منها ولا مؤلف واحد، إلا أننا نجد إشارات ضمينة في المصادر القديمة للكثير من المؤلفين القدماء[6]، فكانت له شهرة علمية في عصره فاقت شهرته كملك، وأعتبر أحسن مؤرخ من بين الملوك ومن أعلم المؤرخين الذين كتبوا باللغة الإغريقية حسب شهادات كل من بلينوس الكبير[1] وبلوتارخوس.[2]

وكل هذه الدلائل؛ هي إشارة إلى أن الملك يوبا الثاني قد أنشأ مكتبة عامة في عاصمة مملكته، كانت عامرة بمجموعة كثيرة من المخطوطات والمؤلفات المتميزة والكتب النفيسة في مختلف الفنون والعلوم والآداب، باللغة اليونانية وبلا شك كانت أكثرها، ويُذكر

1- Leveau (PH.): Op.cit., (S.P).
2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P.59.
3- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.8، المرجع السابق، ص 211.
4- عبد السلام بن ميّس: المرجع السابق، ص 41.
5- Monceaux (P.): Les païens, Op.cit., P.126.
6- محمد محي الدين المشرفي: المرجع السابق، ص. ص 81-82. محمد شفيق: المرجع السابق، ص 80.
1- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.251. Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Re.Afri., Vol.68, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, Année 1927, P.169. Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 231
2- Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), LX, 410.

أنه اقتنى مخطوط فيثاغورس بثمن باهظ[1]. كما كانت تحتوي أيضاً على مؤلفات باللغة اللاتينية واللغة البونية، وهذه الأخيرة تعود إلى الفترة القرطاجية والتي ورثها عن جده الملك النوميدي هيمسال الثاني. تلك المكتبة التي كانت تستقطب كبار الفلاسفة والأطباء من مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية كبلاد اليونان وإيطاليا ومختلف مناطق بلاد المغرب القديم، مثل ما كانت تستقطبهم قيصرية عاصمة مملكته.[2]

لقد سَخّر يوبا الثاني أمواله وأموال مملكته من أجل تحقيق أهدافه وإشباع رغبته الملحة في مجال البحث العلمي وإنتاج المعرفة والتأليف[3]، وهذا ما يوحي إلى أنه كان يملك من الإمكانيات ما يؤهله لتشييد مكتبة ضخمة يمكنها أن تستوعب كماً هائلاً من الكتب والمجلدات، ويكون قد اعتمد عليها في إخراج أعماله الفكرية والكتابات العلمية. لأن تشييد مكتبة يتطلب تكاليف باهظة مثل تكلفة البناء وشراء الكتب والصيانة الدورية[4]، كما تحتاج إلى بيبليوتيكاريوسيين يقومون بالأعمال المكتبية[5]، كالتنظيف والصيانة والترتيب والنسخ ومساعدين للنساخ[6]، وتقديم الخدمات اللازمة للمرتادين عليها من العلماء والأساتذة وطلاب العلم في ذلك العصر.

إذن هذه نماذج عن المكتبات العامة التي أشارت إليها المصادر الأدبية والأثرية، فلا يمكن أن نتصور عدم وجود مكتبات على شاكلتها في باقي مدن وحواضر المغرب القديم الأخرى، والتي عُرفت بازدهار حركة النشاط الثقافي الواسع وخاصة النشاط التعليمي والعلمي والذي يستدعي بالضرورة وجود مرافق ثقافية خاصة المكتبات العامة، ومن أمثلة هذه المدن أذكر على الخصوص ثاغاست ومادوروس وبالإضافة إلى كيرتا وتيفست وغيرها.

المطلب الثاني: المكتبات الخاصة

لقد دلت المصادر والبقايا الأثرية على وجود العديد من المكتبات الخاصة الملحقة ببعض البيوت والفيلات والمرافق العمومية مثل: الحمامات والمعابد والبازيليكات والكنائس والأديّرة، وسأذكر هنا نماذج عن تلك المكتبات:

1- وهذه الحادثة تشبه ما ذكره أولوس جيليوس عن أرسطو حين اشترى ثلاث مؤلفات لفيلولاوس تلميذ فيثاغورس بثمن باهظ، من أجل تثقيف نفسه. ينظر: Aulu-Gelle: T.1, L.III, XVII, 529.

2- أحمد السليماني: تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص.ص 181-182. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.253.

3- أحمد السليماني: المرجع السابق، ص 181.

4- Cagnat (R.): les villes d'art célèbres, Op.cit., P.103.Talbot (F.): Op.cit., P.48.

5- Ballu (A.): Les ruines de Timgad, antique Thamugadi, Op.cit., P.10.

6- إصطيفان أكسيل: تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج8، المرجع السابق، ص 221.

1- مكتبة بيت بونتيانوس Puntianus:

بونتيانوس صديق أبوليوس جمعتهم صداقة متينة حينما كانوا طلاباً في أثينا[1]، وقد تحدث أبوليوس عن هذه المكتبة في كتابه المرافعة Apologia، وباعتباره زوج أمه بودونتيلا Pudentilla[2]، حيث أشار إلى أنها كانت تتواجد في بيت صديقه هذا المقيم بمدينة أويا Oea في إقليم تريبوليتانيا (طرابلس)، وقد عرف عن وجودها حينما نزل عليه ضيفاً ومكث عنده مدة من الزمن خلال رحلته إلى الإسكندرية.[3]

ويشير مونصو أنه قد يكون أمين على تلك المكتبة، حينما خبأ فيها طلاسم في منديل[4]، وقد ذكر ذلك في مرافعته الشهير، حيث أتهم بأنه احتفظ بشيء غامض في منديل وضعه في بيت آلهة صاحب هذا البيت، وقد أنكر أبوليوس أنه وضع ضمنه أي طلاسم سحرية، حيث قال[5]: "**... أستطيع إنكار وضع منديلي في مكتبة بنتيانوس بصفة قطعية**"[6]، حيث كانت هذه المكتبة عبارة عن غرفة يدخلها أبوليوس مع خادم مساعد يمكن أنه كان يؤدي وظيفة بيبليوتيكاريوس، وتحتوي على كتب محفوظة في خزانات لها أبواب يمكن غلقها، وكان دور ذلك الخادم المساعد الإشراف على الحفاظ على قاعة تلك المكتبة والكتب وخزانتها في تنظيمها وتنظيفها، وفتح وغلق أبواب الخزانات بشكل يومي.[7]

ومن المحتمل أن تكون الكثير من منازل أغنياء ونخب المغرب القديم المتعلمة والمثقفة، كانت منازلهم تحتوي على غرف مخصصة كمكتبات، يضعون فيها كتبهم التي اشتروها وأبحاثهم وتجاربهم، كما كانت تشكل أماكن القراءة والمطالعة للتحصيل العلمي، ولا شك أن يكون لهم عبيد وخدم يكلفونهم بأعمال النظافة والصيانة لتلك المكتبات والكتب على شاكلة بيت بونتيانوس.

1- Vallette (P.): L'Apologie d'Apulée, these de doctorat Présentée à la Faculté des Lettres de l'Université de Paris, LIBRAIRIE C. Klincksieck, Paris, 1908, P.5.

2- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 55، ص 72.

3- جميلة خالفي: المرجع السابق، ص 148. أنظر: Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.202.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.292. أنظر: لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، ج.2، المصدر السابق، ص. ص 66-67.

5- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 53، ص. ص 70-71.

6- لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، ج.2، المصدر السابق، ص 69.

7- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 53، ص. ص 70-71.

2- مكتبات ملحقة بالفيلات Bibliothecae adnexae villae:

عرفت بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية مجموعة من الفيلات، خارج أو في ضواحي المدن، وهو ليس بالأمر الجديد؛ بل كانت معروفة منذ القرن 4ق.م، مثل فيلا حنبعل في ضواحي قرطاجة البونية[1]. أما بالنسبة لمصطلح الفيلا Villa في اللغة اللاتينية، فتعني المساكن التي تقع في الريف أو في ضواحي المدينة وتحيط بها حقول[2]، أو بعبارة دقيقة هي الفيلات الريفية الزراعية Villa Rustica، ويقابلها الفيلات الحضرية Villa urbana الواقعة بضواحي المدن[3]، وحسب فيتروفيوس فمساحتها تتحدد حسب حجم المزرعة والإنتاج الزراعي، ويتم بناءها وفق مبادئ التناسق والتناظر[4]، حيث تكون مساحتها واسعة وتحيط بها ملحقاتها؛ من فناء ومختلف الغرف كغرف النوم وقاعات الاستقبال والأكل، ويشترط تجاور المطبخ للحمام، بالإضافة إلى الاسطبلات الخاصة بالماشية والأحصنة.[5]

وهي عبارة عن مباني ريفية تحمل سمات فنية متشابهة، كانت نتاج للنمو الاقتصادي السريع، الذي عرفته الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وهي من تشييد الطبقات الأرستقراطية، وتعكس مدى ثراء مالك الفيلا، بحثاً عن الرفاهية والراحة.[6]

وبما أن تلك الفيلات كانت تبنى على أرض زراعية بالقرب من مختلف مصادر المياه كاليانبيع والأودية، وغير بعيدة عن الطرق الرئيسية، وكانت تؤدي دوراً اقتصادياً، تضم عبيداً وخدماً، وحظائر للحيوانات ومعاصر ومطاحن ومستودعات تخزين الإنتاج[7]، فمما لا شك فيه أنها كانت تحتوي على حجرات مخصصة لأن تكون مكتبة تضم الوثائق والسجلات

1- حكيمة طواهري: منازل شمال أفريقيا خلال الفترة الرومانية دراسة لمنازل الجزائر القديمة (دراسة تنميطية تحليلية)، رسالة جامعية لنيل شهاد الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014/2013م، ص.ص 139-140.

2- هناك نموذجين من الفيلات الريفية الرومانية الشائع في مختلف أقاليم الإمبراطورية، وهما: نموذج فيلا روستيكا Villa Rustica، والثاني هو نموذج بورتيكو فيلا Portico Villa. هاشم عبود الموسوي: موسوعة الحضارات القديمة، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013م، ص. ص 227-228. ينظر كذلك: Smith (W.), Anthon (Ch.): Op.cit., P.1046.

3- كمال مداد: **"الفيلا روستيكا الرومانية (Villa Rustica) وظهور نظام بنائها، (فيلا قصر فاطمة نموذجا)"**، مجلة الدراسات الأثرية، مج.11، عدد 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019م، (ص 6-15)، ص. ص 6-7. ينظر: Smith (W.), Anthon (Ch.): Op.cit., P.1046.

4- فيتروفيوس: الكتب العشرة في العمارة، إعداد: يسار عابدين وعقبة فاكوش وياسر الجابي، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، سوريا، الكتاب السادس، الفصل 4، ص. ص 180، 181.

5- حكيمة طواهري: المرجع السابق، ص 140.

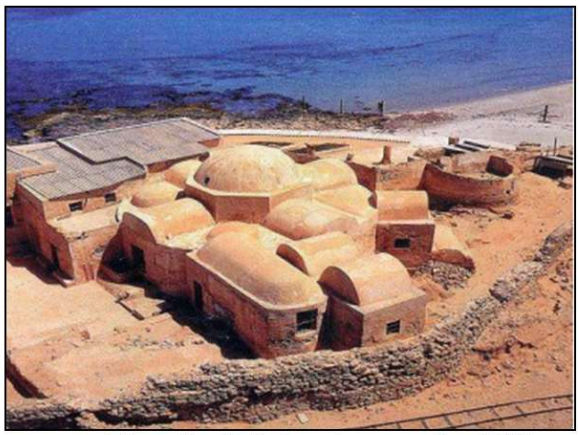
6- بنت النبي مقدم: **"الفن المعماري وإنشاء المباني السكنية بالجزائر القديمة"**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 19، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2015م، (ص 21-34)، ص 24.

7- بنت النبي مقدم: المرجع نفسه، ص 24. حكيمة طواهري: المرجع السابق، ص.ص 139-140.

المتعلقة بشؤونها من نفقات ومداخيل وإحصائيات لمحتوياتها، بالإضافة إلى احتوائها على كتب ومؤلفات علمية مختلفة خاصة إذا كان السيد المالك من النخب المثقفة والمتعلمة.

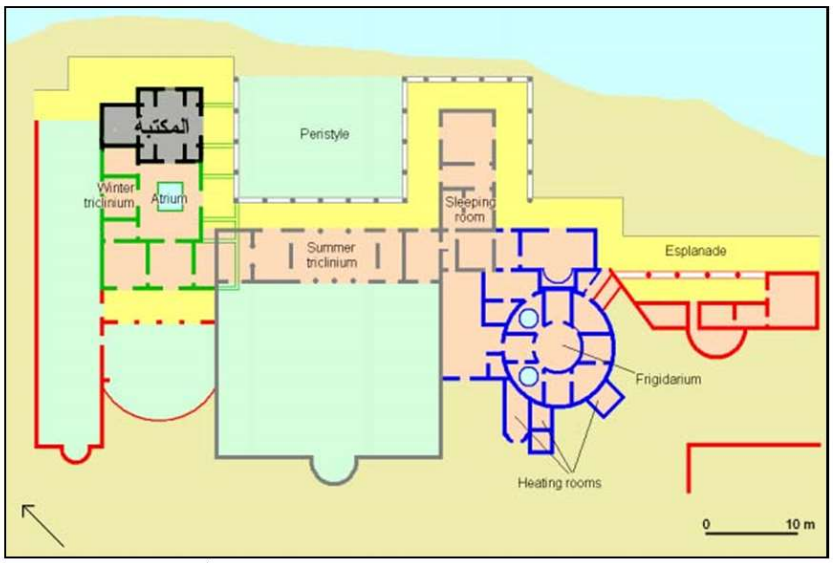
ولقد احتوت بلاد المغرب القديم الكثير من تلك الفيلات منتشرة في مختلف المناطق، منها: فيلات قرطاجة[1]، وفيلا عين السرب Ain Serb بتيارت والفيلا المحصنة ببلدية الناضور Nador غرب تيبازة، وفيلات في جهة شرشال وفيلا بوادي العثمانية Oued Athménia غيرها..، ومعظمها لم يتبقى من ملحقاتها إلا القليل كالفناء وبعض الغرف والأحواض المبلطة والملبسة..[2]، وهي تحتاج إلى الدراسة والتنقيب. أما بالنسبة للفيلات التي تمت دراستها ولا تزال أثارها باقية، وكشفت الدراسات والأبحاث الأثرية على احتواءها على مكتبات خاصة، فسأخص بالذكر هنا فيلا وادي يالـه أو فيلا سيلين وفيلا دار بوك عميرة.[3]

فقد ألحقت بفيلا سيلين Villa Celine مكتبة كانت تتواجد عند مدخلها الرئيسي، ويتم الدخول إليها من خلال الرواق المعمد، وتشير الدراسات الأثرية أن هذا المدخل كان مغلقًا ويؤدي إلى القاعة الرئيسية للفيلا، ثم حولت هذه القاعة إلى مكتبة، ويعود تاريخ تشييد هذه الفيلا إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد، وكانت تقع خارج أسوار مدينة لبتيس ماغنا (غرب مدينة الخمس Al-Khums الليبية حالياً) (أنظر الشكل رقم 40 و41، ص 181، 182).[4]



الشكل رقم 40: منظر عام لفيلا سيلين، نقلا عن:
سلامه محمد علي إبراهيم، إبراهيم سالم نويجي: المرجع السابق، ص 1101.

1- نصيرة سحير: المرجع السابق، ص.ص 257-258.
2- حكيمة طواهري: المرجع السابق، ص.ص 140-144.
3- سلامه محمد علي إبراهيم، إبراهيم سالم نويجي: **"القيمة الفنية والآثارية لدارة وادي يالـه (فيلا سيلين)"**، حولية إتحاد الآثاريين العرب، مج.17، العدد 1، المجلس الأعلى للآثاريين العرب، القاهرة، مصر، 2014، (ص 1094-1111)، ص.ص 1095، 1100.
4- سلامه محمد علي إبراهيم، إبراهيم سالم نويجي: المرجع السابق، ص.ص 1095، 1100.



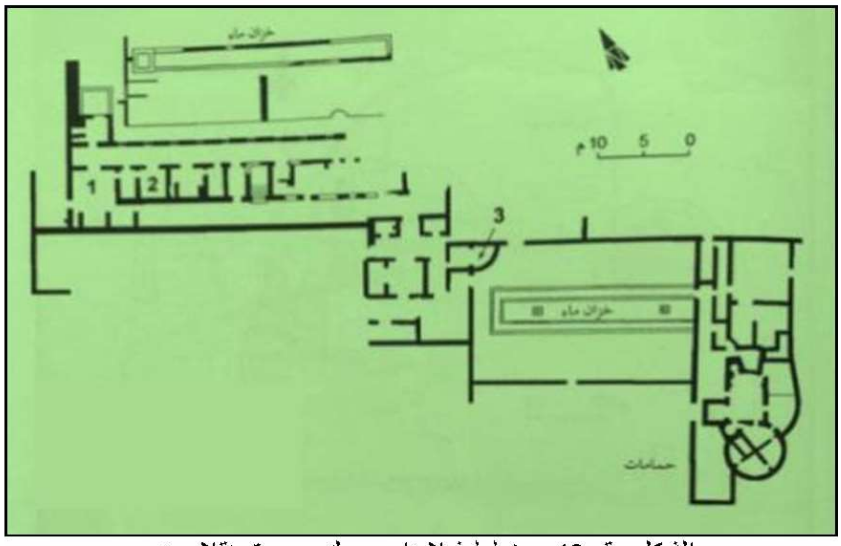
الشكل رقم 41: مخطط فيلا سيلين يوضح موقع المكتبة، نقلا عن:
سلامه محمد على إبراهيم، إبراهيم سالم نويجي: المرجع السابق، ص 1098.

أما الفيلا الثانية التي ألحقت بها مكتبة خاصة أخرى[1]، فهي فيلا دار بوك عميرة Dar Buk Ammera، والتي يعود تاريخ تشييدها إلى نهاية القرن الأول للميلاد وبداية القرن الثاني للميلاد، والواقعة ضمن منطقة سوغولين Sugolin (شمال مدينة زليتن Zliten على الساحل)، واشتق اسمها من اسم صاحب الأرض التي اكتشف عليها هذه الفيلا في سنة 1913م، وأهم ما يميزها هو الفخامة بناءً على ما كانت تحتويه من رسومات الفريسكو Fresco على الجدران والأرضيات الفسيفسائية، وهي علامة على الرفاهية. (أنظر الشكل رقم 42 و43، ص 182، 183).[2]



الشكل رقم 43: بقايا مكتبة الفيلا، نقلا عن: أحمد أنديشة: المرجع السابق، ص 300.

1- جميلة خالفي: المرجع السابق، ص 148.
2- عبد المنعم عثمان أحمد المبروك: **"بعض السمات الفنية لزخارف فيلا دار بوك عميرة الرومانية"**، مجلة كلية الآداب، مج. 2019، العدد 45، جامعة بنغازي، ليبيا، 2019م، (ص 276-298)، ص. ص 277-278. أنظر: مصباح فرج علي كمبه: **"إمداد وتصريف المياه بالفيلات الرومانية بسوغولين Sugolin زليتن (فيلا دار بوك عميرة نموذجاً)"**، مجلة العلوم الإنسانية، مج.37، خاص بالمؤتمر العلمي الأول لقسم التاريخ، ليبيا، نوفمبر 2022م، (ص 295-319)، ص. ص 295-296.



الشكل رقم 42: مخطط فيلا دار بورك عميرة، نقلا عن:
سلامه محمد علي إبراهيم، إبراهيم سالم نويجي: المرجع السابق، ص 296.

كما أود أن أشير إلى احتواء مدن بلاد المغرب القديم على الكثير من المنازل الفارهة والفخمة، فبالاضافة إلى احتوائها على الأفنية ووغرف النوم وقاعات الاستقبال والأكل والحمامات والحدائق والمطابخ ومخازن المؤونة ، فقد كانت لها ملحقات تجارية وصناعية وحرفية؛ كالدكاكين والمعاصر والطواحين وورشات الصباغة والفخار..، مثل: منزل الأحواض الصغيرة وأمفيتريت بجميلة ومنزل بجنوب باب لمباز، منزل لوتيس والجداريات بتيبازة ومنزل ذو الحدائق وكروفيديوس بتيمقاد وفيلا الجزر الثلاث بشرشال..، ومن هنا فالمنازل كانت تؤدي العديد من الوظائف، فبالإضافة إلى الوظيفة السكنية هناك الوظيفة الرحفية والعملية والتجارية.[1]

وعلى الرغم من أن الدراسات الأثرية لم تشر إلى احتواء هذه المنازل على غرف تكون كمكتبات، إلا أننا نطرح نظرية احتواءها على مكتبات خاصة في إحدى القاعات، تكون تحتوي على سجلات جرد المصاريف والنفاقات والمداخيل الخاصة بأصحاب هذه المنازل، وتكون كذلك تحتوي على كتب ومجلدات تخصهم خاصة إذا كان أصحاب هذه المنازل من الفئات المثقفة.

3- مكتبات ملحقة بالحمامات والمعابد:

لم تكن الحمامات في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، مجرد هياكل مخصصة للاستحمام فقط، فقد كانت كذلك أماكن للتسلية وللراحة الجسدية والنفسية وممارسة بعض الأنشطة الرياضية، بالإضافة إلى كونها أماكن التقاء مختلف أفراد المجتمع باختلاف

1- ينظر: حكيمة طواهري: المرجع السابق، ص.ص 38-94.

طبقاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية، يتبادلون فيها مختلف المواضيع الفكرية والثقافية والفلسفية والسياسية[1]، وذلك ما أوضحته نقيشة فوروم مدينة ثاموقادي: **"القنص أو الصيد، والسباحة واللعب، والضحك هذه هي الحياة"**[2]، ونقوش أخرى مثل ما جاء في إحدى النقوس المتكشفة في قسنطينة: **"الضحك والرفاهية، التي أستمتع بها دائمًا مع الأصدقاء الأعزاء".**[3]

وعلى هذا الأساس فإن بنايات الحمامات، كانت تتكون من ثلاثة أقسام، حيث يتكون قسمها الأساسي[4] من قاعة رئيسية تنفتح عليها مجموعة من الغرف المخصصة للاستحمام، من جناح رئيسي واحد وتنفتح عليه الغرف المخصصة للاستحمام[5]، وتكون متلاصقة حتى تتلقى معاً الخدمات كالتسخين وغيرها[6]، أما الجزء الأخر فيتمثل في الفناء المحيط بالمنشأة من كل الجوانب، ويحتوي على حدائق ونوافير وتماثيل، أما الجزء المتبقي فيتمثل في مجموعة الغرف المقامة في المحيط الخارجي للحمام، وتكون بطابق أو طابقين، منها ما هي مخصصة للمحاضرات والمناقشات بين الفلاسفة والشعراء والأدباء، ومنها للفن الموسيقى والرقص، ومنها ما تمثل مكتبة مخصصة للمطالعة وتتوفر على مجموعة من الكتب لذات الغرض.[7]

وكانت تلك المكتبات ملحقة بعموم الحمامات، على غرار مكتبة حمامات ديوكليتيانوس في روما[8]، وحمامات هادريانوس Hadrianus بمدينة لبتيس ماغنا[9]، وعلى

1- خديجة منصوري: الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال الملتقى الدولي للتاريخ المنتظم يومي 23-24 نيسان-أفريل سنة 2001م، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية وقسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2001م، (ص 69-89)، ص. ص 69، 79.

2- دليل آثار تيمقاد (تاموقادي)، جمعية المعالم الأثرية لولاية باتنة، عين التوتة، باتنة، 2001م، ص 16. ونص النقيشة هو: (VENARI, LAVARI, LVDERE, RIDERE, OCC EST, VIVERE)، ينظر: CIL, T.VIII, 17938, (THAMVGADI, P. 1712).

3- محتوى النقيشة طويل والجزء المقصود هنا هو: (Risus, luxuria(m) semper fruitus cun caris amicis). Renier (L.): I.R.Alg., X, 2074, P.249.

4- حميدة محمد زايد إكتيبي: **"الحمامات غير المكتملة ذات الشكل النجمي بمدينة لبدة الكبرى"**، مجلة لبدة الكبرى، العدد 2، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا، 2017م، (ص 41-86)، ص 44.

5- وهذه القاعات المخصصة للاستحمام، وهي: قاعة خلع الملابس Apodyterium، وقاعة الاستحمام بالفاتر Tepiderium، وقاعة التعرق Laconicum، وقاعة الاستحمام بالحار Caldarium، قاعة الاستحمام بالبارد Frigidarium، وقاعة الحركات الرياضية Palaestrum، وقاعة الدلك بالزيت Elaeothesium. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 267.

6- فيتروفيوس: المصدر السابق، الكتاب الخامس، الفصل 10، ص 155.

7- حميدة محمد زايد إكتيبي: المرجع السابق، ص 44.

8- خديجة منصوري: المرجع السابق، ص 79.

9- جميلة خالفي: المرجع السابق، ص 148.

الرغم من عدم العثور على مثيلاتها في باقي الحمامات في بلاد المغرب القديم فهذا لا ينفي عدم وجودها بها، خصوصاً أن مقاطعات بلاد المغرب القديم كان تسعى إلى تحقيق الرفاهية والأبهة المعمارية[1]، ولعل الهدف من إلحاق مكتبات بالحمامات هو توفير الكتاب للراغبين في القراءة والمطالعة، لأن الحمامات كما أشرت ليست مجرد أماكن للاستحمام، بل للثقافة والتثقيف الفكري كذلك.

أما بالنسبة للمعابد، فمن المؤكد أنها كانت هي الأخرى تحتوي على مكتبات ملحقة بها، على شاكلة مكتبة معبد هيركول Hercule في إيطاليا[2] أو المعبد الجديد لأوغسطس Augustus، أو مكتبة معبد السلام لفيسباسيان المشار إليه آنفاً، كانت تظم الوثائق والسجلات المتعلقة بشؤونها من حاصلاته وواراداته ونفقاته والنصوص والتراتيل الدينية، فضلاً عن كتب تخص مجالات علمية ومعرفية متعددة كالتاريخ والجغرافيا، والقانون والطب والشعر وغيرها، ويكون قد رسمت على جدرانها لوحات وتماثيل نصفية للكتاب المشهورين[3]، وكانت المعابد تبنى بتوجيه المعبد والتمثال الموجود ضمن المقدس نحو الغرب ما يسمح للعابدين أن يكونوا في اتجاه الشرق[4]، أما بالنسبة لمكتبات الكنائس والأديّرة فلا شك أنها كانت تحتوي على مكتبات مهما كان حجمها، ولقد أشرت سابقاً إلى النماذج التي أنشأها القديس أوغسطين في هيبوريجيوس.

ولتسيير شؤون هذه المكتبات سواء الملحقة بالمعابد أو الكنائس وحفظ كتبها والسهر على تنظيمها وتنظيفها وإغلاق وفتح خزائنها، كانت موكلة إلى الكهنة والرهبان والقساوسة حسب سلمهم التراتبي ضمن المنظومة المؤسساتية التي ينتمون إليها[5]، ونفس الأمر مع الحمامات، فيكون هناك عبيد مخصصين بذات المهمة.

بالإضافة إلى هذه المكتبات، أذكر المكتبة العائدة لعهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس Septimius Severus، حيث كانت تضم مختلف الكتب باللغة البونية واللاتينية بمدينة لبتيس ماغنا[6]، كما كان لوكيوس أبوليوس يملك مكتبة خاصة به، حينما استقر في

1- خديجة منصوري: المرجع السابق، ص 79.
2- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Op.cit., P.P.3, 6.
3- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.161, 166-167.
4- فيتروفيوس: المصدر السابق، الكتاب الرابع، الفصل 5، ص 116.
5- ألفريد هيسيل: تاريخ المكتبات، تع.: شعبان عبد العزيز خليفة، ط.1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 1994م، ص 22.
6- جميلة خالفي: المرجع السابق، ص 148.

قرطاجة، والتي قضى فيها الكثير من الأوقات للبحث والدراسة والتأليف، وكانت زوجته بودونيتلا تساعد في ذلك، والتي كان قد علق عليها شعاراً دينياً يعرف معناه هو فقط دون غيره[1]، بالإضافة إلى مكتبات خاصة للمعلمين والأساتذة، قد تكون موجودة في أماكن تدريسهم أو في منازلهم، وكانت تحتوي على كتب تساعدهم في ممارسة نشاطهم التعليمي.[2]

كما أشير إلى أن مقاطعات بلاد المغرب القديم والمدن والبلديات تكون تمتلك مكتبات خاصة بها تحفظ فيه الوثائق الرسمية والمراسيم الإدارية والسجلات، وقد أشار إلى ذلك أبوليوس في مؤلفه الفلوريدا حينما تحدث عن مسألة تحديد عمر بودونتيلا وأن الوثائق الخاصة بتسجيل المواطنين محفوظة في مكتب السجلات العامة للبلديات.[3]

وعلى كل حال، فإننا لا نجد أن كل المكتبات تتبع نمطاً معمارياً موحداً، حيث توجد هناك اختلافات، وعلى العموم فالنموذج المعماري لها في الغالب يتخذ طابع البنايات الأخرى، من حيث الطراز المعماري والزخرفي ومواد البناء، مع وجود على الدوام تمثال لأحد الآلهة مع وجود تماثيل نصفية ولوحات للعلماء والمفكرين والكتاب والمؤلفين.[4]

إذن؛ لقد عرفت بلاد المغرب القديم انتشارً واسعاً لهذه المرافق الثقافية والمتمثلة في المكتبات، ولعل النماذج المشار إليها سابقاً لدليل واضح على وفرتها في المراكز الحضرية للمغرب القديم، كنموذج معماري خاص أو كملاحقات إلى المرافق العامة للمدينة الرومانية كالحمامات والمعابد والكنائس والأديّرة أنفقت عليه الأموال العامة أو الخاصة من أجل تشييدها، أو كانت ملحقة بالفيلات التي أنشأتها أرستقراطية المغرب القديم الرومانية والمترومنة، والتي كانت حريصة على نشر الثقافة الرومانية. وحتماً كانت تعكس حجم انتشار التعليم وبروز نخب محلية مثقفة بالثقافة اللاتينية، وكذا انتشار الحضارة والثقافة الرومانية في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم وخاصة الحضري منه.

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.273, 299.
2- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.136.
3- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 9، 89، ص. ص 42-102.
4- ألفريد هيسيل: المرجع السابق، ص 22.

المبحث الثالث: طبيعة عمل المكتبات في بلاد المغرب القديم

لقد تم العثور في تيمقاد على بناية أثرية ونص كتابي يتعلق بمكتبة المدينة، إلا أن هذا الاكتشاف يثير العديد من التساؤلات حول: من كان يقوم بتغطية تكاليف عمل المكتبة؟، وما هي محتوياتها؟، وما هي آلية عمل المكتبات خلال تلك الفترة؟، وما نوع ولغة الكتب المعروضة فيها والمسموح بها؟، وما هو قدرة استيعابها للكتب؟ وما أثرها على النشاط الثقافي في مجتمع المغرب القديم؟.[1]

المطلب الأول: مصادر تمويل المكتبات وآلية التخزين والفهرسة والعمل بها

تحتاج المكتبات إلى مصادر تتعلق بالجوانب المالية والمحتويات، وآليات التخزين والفهرسة، كما لا بد لها من نظام وبرنامج عمل تسير عليه، وهذا ما سأتناول في هذا المطلب.

1- تمويل المكتبات:

من المؤكد أن تشييد المكتبات والقيام بأعمال الترميم والصيانة كان باهظ التكاليف خلال فترة الاحتلال الروماني. ومن الإشكاليات التي كانت تواجهها تلك المكتبات خلال تلك الفترة أذكر هنا: مشكلة الحرائق وعمر المخطوطات، والرطوبة والحشرات، وظاهرة إهمال القراء للمجلدات والكتب؛ وكل هذه تساهم في تدهور حالة المكتبة ومحتوياتها. لذلك كان من الضروري العناية بها من خلال أعمال الصيانة والترميم الدوري وعلى رأسها الكتب التي تحتاج إلى إعادة النسخ وعلى فترات منتظمة، بالإضافة إلى تغطية ودفع أجور الموظفين بشكل منتظم.[2]

فقد كانت الأموال والتبرعات المالية المقدمة تقدم بعد طلب رسمي مباشر من قبل مسيري تلك المكتبات، حيث يتم تمويلها في كثير من الأحيان من قبل جهات خاصة والمتمثلة في الفئات الأرستقراطية من المجتمع مثل ما أشرت إليه حول مكتبة تيمقاد. فكان الأعيان المحليون يقدمون بشكل عام – بالإضافة إلى تكاليف التشييد، مبالغ إضافية مخصصة للصيانة واقتناء الكتب وربما دفع رواتب الموظفين، وعلاوة على ذلك، كان على

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.163.
2- Ibid., P.164.

السلطات الإدارية العامة الإقليمية والبلدية أن تقوم بضخ تلك الأموال إلى مكتبات المدينة بشكل منتظم.[1]

ويبدو أن فلافيانوس روغاتيانوس لم يقدم سوى مبلغ تشييد مكتبة ثاموقادي والمقدر بـ 400.000 سيسترس، أما اعتمادات الصيانة والتجهيز وأجور العمال من النساخ والحراس وغيرهم، فليس هناك أدلة على إمكانية أنها أخذت من ميزانية المدينة التي كانت محدودة، ومن المؤكد أنها دفعت من قبل أثرياء آخرين.[2]

2- تموين محتويات المكتبات:

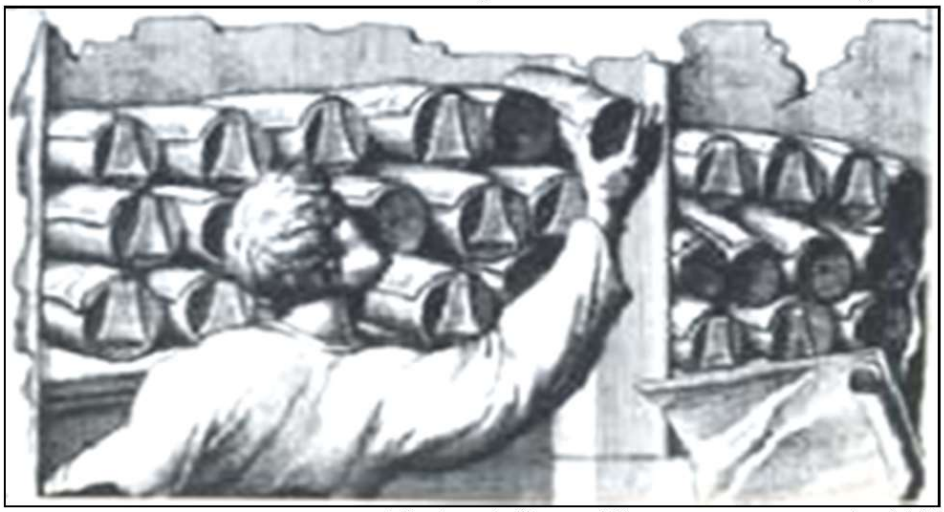
إن آليات توفير محتويات المكتبات كان بلا شك يتم عن طريق الشراء، ومن الأمثلة التي نقتفي بها لمعرفة ذلك؛ فمثلاً في روما اضطر الإمبراطور دوميتيانوس Domitianus إلى دفع مبالغ باهظة لإعادة توفير محتويات المكتبات الرومانية بعد حريق عام 79م[3]، حيث بحث في جميع أنحاء الإمبراطورية عن النسخ المفقودة من أجل إعادة نسخها وتصحيح نصوصها[4]، وحتماً تكون نفس الآلية كان معمولاً بها في مكتبات بلاد المغرب القديم، فقد تكون هناك جهات معينة تقدم أغلفة مالية لتوفير محتويات المكتبات، سواء تكون السلطات الإدارية الإقليمية أو البلدية أو من قبل شخصيات من طبقات أرستقراطية المدن آنذاك. ومما لا شك فيه، أن المكتبات كانت تحتوي على أثاث خاص بها، والمتمثلة في الخزائن ومقاعد الجلوس والمكاتب والطاولات.[5]

3- التخزين والفهرسة وحفظ الكتب:

كان يتم حفظ وتخزين مجلدات الفولومينا Volumina في خزائن Armaria خشبية يتم تركيبها في منافذ موضوعة مسبقاً داخل جدران المكتبات أثناء عملية البناء، وأحياناً أخرى يتم وضع خزائن خشبية إضافية بأبواب يمكن إغلاقها، حيث كانت توضع فيها مجلدات الفولومينا أو اللفافات جنباً إلى جنب على مستويين أو ثلاثة (ينظر الشكل رقم 44، ص 189)، أو تكون مرتبة في شكل هرم في مجموعات تتراوح ما بين خمسة إلى عشرة

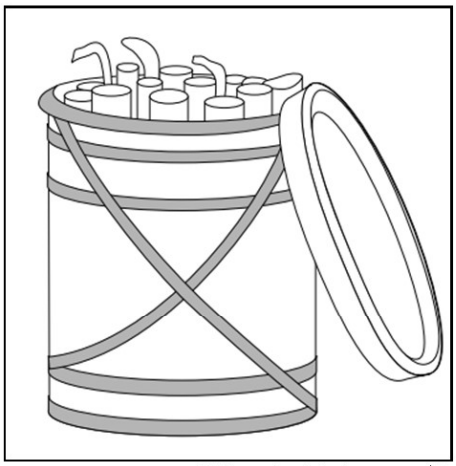
1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.165, 168-169.
2- Ibid., P.P.165-166. Vôssing (K.): Op.cit., P.174.
3- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.168-169.
4- Coulon (G.): Op.cit., P.5.
5 -Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.171.

لفافات لكل مجموعة، وعلى سبيل المثال فالمجموعة الحاملة لستة لفافات تكون في قاعدتها ثلاثة لفافات وفي المنتصف لفافتين وواحدة في أعلى هرمها.[1]



الشكل رقم 44: صورة توضيحية لترتيب الفولومينا، نقلا عن: Coulon (G.): Op.cit., P.3.

كما كان للمكتبات فهارس ونظام فهرسة حول ما تحتويه من الكتب ومجموعات المجلدات[2]، لذلك ومن أجل التعرف على كل فولومينا كان يتم وضع ملصق معلق يحمل عنوان Titulus الكتاب (اللفافة). وفي بعض الحالات تكون مجموعة من الفولومينا تعود لمؤلف واحد وتحمل نفس العنوان، ويستدعي ذلك جمعها معاً في حزم ثم تحفظ في صناديق أسطوانية مصنوعة من خشب الزان تسمى كابساي Capsae أو سكرينيا Scrinia[3]، وتحمل تلك الصناديق نفس رقم الخزانة التي وضعت بداخلها (أنظر الشكل رقم 45، ص 189).[4]

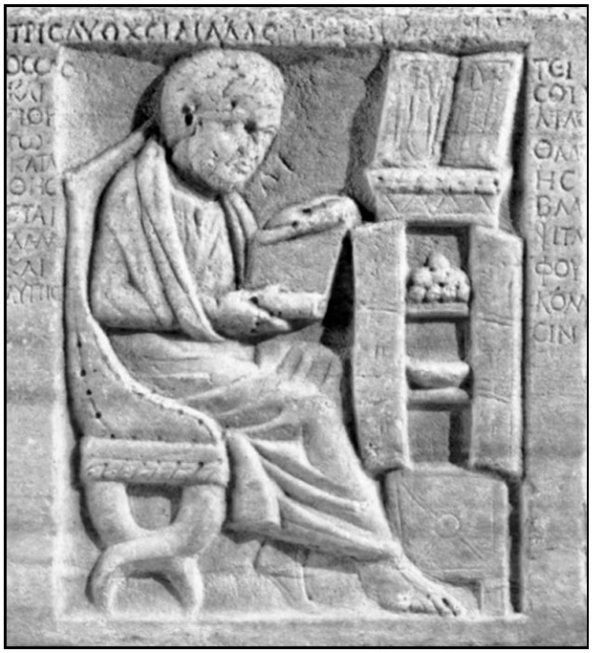


الشكل رقم 45: صورة توضيحية لشكل صندوق كابساي، نقلا عن: Houston (G.W.): Op.cit., P.182.

1- Coulon (G.): Op.cit., P.2.
2- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.169-170.
3- Coulon (G.): Op.cit., P.2.
4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 139.

كما صنفت الكتب كذلك، وفقاً للترتيب الأبجدي اللاتيني من آ A إلى زيتا Z، حسب أسماء أصحاب الكتب، فيتم وضع فولومينا (مجلد) كل مؤلف كاملةً معاً، وترفق صورته على الرف المخصص لكتبه، ولم تحترم تلك الفهرسة التخصصات بل كانت رفوف خزانات المكتبة تحتوي على مختلف الكتب المؤلفة باللغتين الإغريقية واللاتينية[1]. وفي إحدى الفولومينات كانت سطور الكتابة مرتبة في أعمدة، الأول كان على اليسار والآخرين على يمين بعضهم البعض، وكانت تلك الأعمدة تحمل أرقام تسلسلية مسجلة في الهوامش، بينما كتبت العناوين وعناوين الفصول باللون الأحمر.[2]

ولقراءة مجلد (الفولومينا) ما يأخذه القارئ بيده اليمنى، ثم يسحب بيده اليسرى الطرف الأيسر من البردية ويستمر على هذا المنوال، ويمتد تدريجياً من اليمين نحو اليسار، وبمجرد الانتهاء من القراءة عليه إعادة طي الفولومينا مرة أخرى لتعود كما كانت ليجدها القارئ التالي كما هي (أنظر الشكل رقم 46، ص 190).[3]



الشكل رقم 46: نقش بارز لشخص يقرأ ممسكاً بالفولومينا، نقلا عن: Houston (G.W.): Op.cit., P.185.

ومن الإشارات على وجود نظام فهرسة؛ أذكر أن أولوس جيليوس Aulus Gellius قد طلب كتاباً بناءً على أحد الفهارس في إحدى المكتبات وتلقى عن طريق الخطأ كتاباً آخر غير الذي طلبه، كما بحث كذلك في فهارس المكتبات بالخطأ أو أنها كانت مفرطة في الطول، عن كتيب من تأليف لوكيوس إيليوس Lucius Aelius وكذلك لماركوس فارو

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 139.

2- Coulon (G.): Op.cit., P.3.

3- Ibid., P.3.

Marcus Varro، أما كوينتيليانوس Quintilianus فيؤكد وجود الفهارس في جميع المكتبات في روما[1]، وحتماً نفس النظام معمول به في مكتبات بلاد المغرب القديم.

وللحفاظ على محتويات المكتبات ونظراً لحساسية مجلدات الفولومينا، يوصي المهندس المعماري فيتروفيوس Vitruvius بتوجيه مبنى المكتبات نحو جهة شروق الشمس لتتمتع بضوء الصباح، ولتوفير الإضاءة الجيدة لها، ولكي لا تفسد الكتب ولتجنب العفن الذي تسببه رطوبة الرياح الغربية والجنوبية. ولإبعاد الديدان والعث والحشرات الأخرى التي تحدث أضراراً بالمجلدات[2]، بالإضافة إلى أنه يوصي كذلك ببناء جدار خارجي حول الجدار الداخلي بحيث يشكل ممراً ضيقاً بين الجدارين، لأن ذلك يلعب دوراً في الحفاظ كذلك من أن تصيب الرطوبة مكونات المكتبة من الكتب والمؤلفات.[3]

كما كان يتم طلاء ورق البردي Papyrus بزيت الأرز Cèdre، ما يعطيه لوناً أصفر ذكره العديد من الكُتاب القدماء، كما كان يتم إضافة بضع قطرات من الشيح Absinthe إلى الحبر المستعمل في الكتابة، من أجل إبعاد الفئران التي تكره رائحته.[4]

4- آلية عمل المكتبات:

يشرف على إدارة وتسيير المكتبات العامة في مدن المغرب القديم مجموعة من الموظفين. وعلى رغم أن المكتبات تشيّد عن طريق تبرعات من جهات تطمح في الحصول على منصب سياسي أو إداري مرموق، إلاّ أنّ هذا المرفق الثقافي يكون تحت تصرف حاكم Procurator ينتمي إلى طبقة الفرسان، ويكون تحت إمرته مجموعة من العمال[5]، يطلق عليهم اسم بيبليوتيكاريوس أو بيبليوتيكا ويكونون إما عبيدًا أو من المحرَرين[6]، ومن ذوي المستوى الثقافي والعلمي الذي يؤهلهم على القيام بأعمالهم المكتبية. حيث يتكفل بعضهم بالحسابات وآخرون بعمليات التصنيف، وترتيب وتنظيم الكتب والمجلدات، بالإضافة إلى أعمال التنظيف والصيانة[7]، وتكون هذه المهمة الأخيرة لا يشترط فيها المستوى الثقافي.

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.169-170.
2- Coulon (G.): Op.cit., P.3.
3- ألفريد هيسيل: المرجع السابق، ص 22.
4- فيتروفيوس: المصدر السابق، الكتاب الخامس، الفصل الرابع، ص 178.
5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص. ص 140-141.
6- Ballu (A.): Op.cit., P.10.
7- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 141.

أما بالنسبة لآلية عمل المكتبات، فهناك مجموعة من اللوائح الداخلية التي تحدد آلية عملها، وهي تلك الخاصة بمكتبة بانتاينوس Pantainos، وهي بمثابة وثيقة عمل داخلي للمكتبات، حيث تحدد هذه الوثيقة مواقيت عمل الموظفين في المكتبات والذي يبدأ من السابعة صباحاً وينتهي عند السادسة مساءً، ويشترط هنا ضرورة الالتزام بهذه المواقيت، كما تنقسم إلى دوامين؛ الفترة الصباحية تبدأ من الساعة السابعة صباحاً وتكتمل عند الزوال تقريباً، والفترة المسائية تبدأ من الزوال وتنتهي عند الساعة السادسة مساءً[1]، وتتوافق مع توصيات فيتروفيوس على توجيه المكتبات إلى الشرق لأنه يوفر الضوء بشكل أفضل طوال الصباح[2] وهي الفترة المخصصة بشكل عام للقراءة والدراسة[3]، ويمكن أن أشير إلى أنه بموجب هذه الوثيقة يتم تعليق لافتة عند مدخل المكتبة توضح فيها تلك المواقيت الخاصة بالعمل[4]. أما بالنسبة للزوار فتنص هذه الوثيقة على ضرورة أن يؤدي كل زائر للمكتبة عند المدخل قسماً بعدم سرقة أي كتاب منها[5]، وقد يكون كذلك عدم الإخلال بالقواعد العامة الداخلية للمكتبة.

وهناك ثلاثة آليات تتعامل بها تلك المكتبات خلال ذلك العصر، وتتمثل في الإعارة الداخلية والخارجية والبيع؛ حيث تتيح الإعارة الداخلية للقارئ فرصة الحصول على الكتاب الذي يريد قراءته لفترة زمنية مرتبطة بفترة عمل المكتبة، ثم يعيده مباشرة بعد الانتهاء منه أو عند نهاية داوم المكتبة. وتسمح الإعارة الخارجية للقارئ أن يأخذ معه الكتب خارج المكتبة لفترة معينة ومحددة وفقاً للقانون الداخلي للمكتبة، حفاظاً على محتوياتها من التلف والسرقة[6]، فقد تناول أولوس جيليوس طعامه مع أصدقائه في تيبور Tibur الواقعة على نهر التيبر، ثم تناقشوا حول نوعية الماء المقدم، فقام أحد أصدقائه من على طاولة الطعام، وقصد مكتبة المدينة واستعار فولومياً لأرسطو ليقرأ له فقرة منه لحسم الجدال.[7]

أما الآلية الثالثة فتتعلق بتوفير الكتب قصد البيع، إذ كان بالإمكان لأفراد مجتمع المغرب القديم من الفئات المتعلمة أن تشتري الكتب من المكتبات، نتيجة لرواج تجارة الكتب

1- جميلة خالفي: المرجع السابق، ص. ص 149-150. Coulon (G.): Op.cit., P.3.
2- فيتروفيوس: المصدر السابق، الكتاب الخامس، الفصل الرابع، ص 178.
3- Coulon (G.): Op.cit., P.3
4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 140.
5- جميلة خالفي: المرجع السابق، ص. ص 149-150.
6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 140.
7- Masson (A.), Salvan (P.): Op.cit., P.P.9-10.

في بلاد المغرب القديم آنذاك. فتقوم المكتبات بتعليق لافتات عند مدخلها وتسجل عليها عناوين الإصدارات الجديدة مع تحديد سعر كل كتاب، ومن المعايير التي تتحكم في أسعار الكتب أذكر: طبيعة المادة التي كتب عليها ونوعية الحبر ومكانة وشهرة المؤلف، فلكما زادت شهرته ارتفعت معها القيمة المالية للكتاب والعكس. وكانت أثمان الكتب في تلك الفترة تتراوح ما بين الأربعة إلى العشرين سيسترس، وهو ما يعادل قيمة استهلاك الفرد العادي من القمح خلال أسبوع كامل[1]، كما يشير أبوليوس لمّا كتب أن مؤلفاته بيعت بشكل جيد فهذا يعني أن الشهرة والمجد لمدينة قرطاجة.[2]

كما كان يمكن الحصول على الكتب من متاجر متخصصة في بيع الكتب في المدن والحواضر الكبرى بمقاطعات الإمبراطورية الرومانية، فهناك تجار قاموا بتدريب بعض العبيد ليصبحوا متخصصين في مجال بيع الكتب[3]، فقد ذكر بلينوس الصغير أنه كان يتجول عبر متاجر الكتب ويسعد كثيراً حينما يجد كتبه تباع فيها، كما يشير أولوس جيليوس أن تجار الكتب يسمحون بقراءة الكتب النادرة والقيّمة مقابل أجر، وبالإضافة إلى تجار الكتب هناك الكُتابيون الذي كانوا يبيعون الكتب في ساحات الفوروم وفي الأسواق وعلى قارعات الطريق[4]، فقد اشترى جيليوس مجموعة من المجلدات الإغريقية من ميناء مدينة بروندیزیوم Brundisium في إيطاليا بسبب انخفاض سعرها وأمضى ليلتين في دراستها[5]، كما يمكن أن يقترح بعض الأشخاص كتباً للبيع، مثل ما ذكر أولوس جيليوس أن امرأة عجوزًا غير معروفة عرضت على الإمبراطور تاركوينيوس Tarquinius أن يتشري عنها مجلدات حول العرافة.[6]

أما بالنسبة لأسعار الكتب، فسأشير إلى ما ذكره كاكوبينو أنها كانت تتناسب مع حجم الفولومينا، فمثلا: الفولومينا التي تعادل حوالي عشرين صفحة من صفحات الكتب الحالية تباع بمقابل اثنان أو أربعة سيسترس Sesterces، أما الفولومينا التي لم تصل حدود أربعين صفحة بيعت بخمسة دیناري Denarii إلى عشرين سيسترس، وهي تعتبر أسعار باهظة

1- عائشة سعدان: المرجع السابق المرجع، ص 140.

2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.275.

3- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.227.

4- أحمد أنديشة: المرجع السابق، ص 288.

5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.256.

6- Aulu-Gelle: T.1, XIX, 101, 103.

آنذاك، بالإضافة إلى أن المكتبات كانت تتقاضى مبالغاً مقابل عملية النسخ حسب الطلب، وحتى الجهات أو دور النسخ كذلك.[1]

كما أشير إلى أن تجارة الكتب النادرة كانت مربحة، وقد مورست فيها أساليب الغش، حيث يتم تخزين بعض الكتب في أكياس الذرة حتى تكتسب اللون الأصفر، ليتهيأ وكأنها قديمة لبيعها بأثمان مرتفعة، مثل ما حدث مع مجلدات الأوديسيا لهوميروس التي طرحت على أنها نسخ قديمة، وأشير إلى أن الكتب الغير ناجحة يتم بيعها إلى خارج إيطاليا في باقي أقاليم الإمبراطورية الرومانية.[2]

وعلى العمومً كانت المكتبات ودور النسخ آنذاك، تقوم بتوزيع الكتب في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية[3]، بما في ذلك منطقة بلاد المغرب القديم.

نلاحظ من خلال هذا أن المكتبات كانت مؤسسات ثقافية قائمة بذاتها، حيث تتلقى مصادر مالية للتشييد وتوفير المحتويات من قبل جهات عمومية أو خاصة، وتستمر تلك المصادر حتى تتمكن من مواصلة عملها، كما تخضع لآلية وضوابط محددة لتخزين محتوياتها من الكتب التي تكون مرتبة وفق نظام فهرسة محدد، وتخضع لنظام عمل خاص بها تتعامل به مع المرتادين عليها.

المطلب الثالث: الكتب المسموح بها وتقييم حجم الاستيعاب في المكتبات

سأتطرق في هذا المطلب إلى الحديث عن نوعية الكتب المسموح بها في المكتبات، وتقييم قدرة استيعابها للكتب وأثر المكتبات على الواقع الثقافي للمغرب القديم.

1- نوعية الكتب المسموح بها في المكتبات:

إن عملية نسخ وطباعة الكتب في بلاد المغرب القديم غير معروف، غير أنه يمكن أن أشير إلى أن المجتمع الروماني إلى غاية نهاية العصر الجمهوري، كان المفكرين والأدباء يقومون بنسخ أعمالهم في منازلهم، أو في منازل أحد النساخ، ثم يقومون بتوزيع أعمالهم على معارفهم، وبعد ذلك قرر أتيكوس الذي عهد إليه شيشرون بخطاباته ومقالاته، تحويل ورشته المنزلية التي أنشأها بنفسه، إلى ورشة خاصة لنسخ الكتب. وبعد انتشار المكتبات العامة والبلدية، انتشر معها النساخ والناشرين، وبرزت مهنة جديدة اشتهرت معها

1- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.227. Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.149.
2- أحمد أنديشة: المرجع السابق، ص 288.
3- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.227. Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.149.

عائلات مشهورة في هذا المجال مثل: عائلة سوسيا Gens Sosii التي كان لها متجراً لنسخ الفولومينات مع فيكوس توسكوس Vicus Tuscus في الفوروم، والتي كانت تبيع نسخ من أعمال بعض الفلاسفة والأدباء والشعراء والخطباء أمثال: شيشرون وتيتوس ليفيوس وسيناك وتريفون وكوينتيليان ومارتيال وغيرهم[1]، ولا شك أن تكون في بلاد المغرب القديم متاجر لنسخ الكتب على شاكلة متجر سوسيا، غير أننا لا نعرف شيئاً عن ذلك.

تميّزت الدولة الرومانية بإجازة القوانين لفرض الرقابة القانونية على نوعية الكتابات والكتب المسموح بها في المكتبات، حيث يشير نص قانوني ورد ضمن قانون الألواح الاثني عشرة، على تطبيق عقوبة الجلد لكل كاتب أو مؤلف كتب كتاباً أو شعراً أو مسرحيةً تحمل في طياتها تشويهاً لسمعة الغير، وتعتبر هذه العقوبة أقل رعباً من عقوبة الإعدام خلال ذلك العصر[2]، لذلك كانت الإدارية الرومانية تتدخل في اختيار نوعية الكتب التي كانت توفرها المكتبات العامة على رفوفها، وتطبق الرقابة عليها، ومن أمثلة ذلك أذكر أن أوغسطس Augustus قد منع المكتبات من قبول القصائد التي كتبها أوفيديوس Ovidius، الذي تم نفيه إلى مدينة توميس Tomis على البحر الأسود في العام الثامن الميلادي، وفرضت عليها الرقابة وأزيلت كتبه من المكتبات العامة، كما حاول كاليغولا Caligula محو قصائد هوميروس Homère وقام بإزالة كتابات وصور فرجيل Virgile من جميع المكتبات[3]، كما أعاد نفس الإمبراطور فتح أبواب المكتبة أمام أعمال تيتوس لابينوس Titus Labienus وكاسيوس سيفيروس Cassius Severus التي احترقت عام 12م.[4]

كما أمر مجلس السينا الروماني Sénat بتعويض أعمال كريموتيوس كوردوس Cremutius Cordus التي احترقت عام 25م، ويأمر نفس المجلس في بعض الأحيان وعلى أساس فخري، بإيداع أعمال بعض المؤلفين في المكتبات. فعند وفاة الإمبراطور كاليغولا، لاقت جميع أعمال فيلون الإسكندري Philon d'Alexandrie التكريم لأنه كتب كتيباً عنف فيه الإمبراطور المتوفي، كما وهب الإمبراطور تاكيتوس Tacite جميع مكتبات الإمبراطورية أعمال المؤرخ الذي يحمل نفس اسمه (تكيتوس)، وقدم أيضاً الإمبراطور

1- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.226.

2- أديث هاملتون: الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، تر.: حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، سوريا، 1998م، ص 27.

3- Coulon (G.): Op.cit., P.3.

4- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.168-169.

يوليانوس المرتد Julianus Apostata كتباً إلى مكتبة القسطنطينية، كما كان الكُتاب والمؤلفين يشرفهم أن يروا أعمالهم مقبولة في تلك المكتبات.[1]

أما في بلاد المغرب القديم لا يعرف شيئاً عن هذه الممارسات[2]، وحتماً أن مكتباتها وبالقياس تكون قد لاقت نفس الإجراءات من قبل حكام المقاطعات. فقد فرضت على مكتباتها الرقابة الشديدة، حول نوعية الكتب المتوفرة والموفرة، إذ كان لا يسمح إلا بالكتب والمؤلفات الموالية للإدارة الرومانية وتخدم مصالح الإمبراطورية الرومانية، وتمنع الكتب التي تسبب في إثارة القلاقل والثورات وتلحق الأضرار بمصالحها في المقاطعات المغرب القديم.[3]

وفيما يتعلق بنوعية الكتب المتوفرة في المكتبات، فحتماً كانت على شاكلة مكتبات روما، حيث كانت تحتوي على مجموعات مشتركة من الأعمال الشعرية والتاريخية. والأعمال التي كانت متاحة في جميع المكتبات هي: أعمال هوميروس وفيرجيل، وتيتوس ليفيوس وتاكيتوس، وبشكل عام، المؤلفون الكلاسيكيون (اليونانيون واللاتينيون). وتكون الأعمال قد توزعت فيها حسب التخصصات: كالتاريخ والجغرافيا، الأدب والشعر والطب وغيرها. كما زينت بالتماثيل النصفية، وكانت صور المؤلفين مرسومة بشكل جيد على خزانات المكتبة، وكانت بمثابة علامات توجيه للقارئ عن طبيعة المجلدات (الفولومينا) المرتبة في الخزائن وفي الصناديق أو على الرفوف.[4]

أما عن لغة الكتب في مكتبات بلاد المغرب القديم، فبالنسبة للكتب باللغة البونية فهي حتماً لم تكن متوفرة، أما الكتب باللغة اللاتينية فبما أن قيّم الحضارة والثقافة الرومانية كانت حاضرة بقوة في المشهد الثقافي للمغرب القديم، فقد انتشرت معه الكتب والمؤلفات اللاتينية، وفيما يتعلق بالكتب باللغة اليونانية، فمن المعلوم أن المكتبات منذ زمن يوليوس قيصر كانت مزدوجة اللغة إغريقية ولاتينية. إلا أن الإغريقية خضعت لمعيار التراجع المستمر في بلاد المغرب القديم منذ نهاية القرن الثاني الميلادي، قبل أن تصبح مع أواخر العصور القديمة لغة النخبة المثقفة.[5]

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.168-169.
2- Ibid., P.P.168-169.
3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 140. ينظر كذلك: Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.229
4- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.166-167.
5- Ibid., P.P.167-168.

كما كان هناك تفاوت في مكانة الكتب حسب طبيعة المؤلفين، حيث تختلف شهرة كتاب ما أو مؤلف ما أو مجموعة كتب ما أو مؤلفين ما عن آخرين عبر الأزمنة والأمكنة، وكان الطابع العام أنه على المؤلفين تتبع تقاليد الكتاب القدماء، بالإضافة إلى الاختلاف حسب ثراء تلك الكتب، فعلى سبيل المثال أنه في عهد ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius، يبدو أن مجموعات معبد أبولو وقصر تيبيريوس، كانت الوحيدة التي احتوت على الخطاب الذي ألقاه كاتون الأكبر Caton l'Ancien[1]، لذلك تكون مكتبات الحواضر الكبرى لبلاد المغرب القديم أكثر ثراءً من مكتبات المدن الأخرى.

2- تقييم قدرة استيعاب الكتب في المكتبات:

بالنسبة لتقييم عدد الكتب والمجلدات (الفولومينا) الموجودة في المكتبات العامة في بلاد المغرب القديم، فلا توجد بيانات دقيقة عن ذلك، وقد حاول الباحثون بالاعتماد على البيانات الأثرية والأدبية المتعلقة بالمكتبات الأخرى خارج حدود بلاد المغرب القديم، طرحت بعض التقديرات لعدد الكتب والمجلدات التي كانت تحتويها المكتبات القديمة.[2]

وهنا سأطرح نموذج مكتبة ثاموقادي (أنظر الجدول رقم 7، ص 198)، التي تضاربت الآراء حولها، لتحديد عدد الكتب التي كان يمكن أن تستوعبها خزائن هذه المكتبة، حيث يشير نور الدين تليلي إلى أن الغرفة الرئيسية لها كان بإمكانها أن تستوعب 16 خزنة كتب، وإذا أضفنا لها القاعات الست الأخرى للمكتبة، فيمكن أن يصل العدد من حوالي 16000 إلى 28000[3]، بينما يحدد كونراد فوسينغ K. Vössing أنه يمكن وضع ما يصل 300 فلومينا على رف مساحته متر مربع واحد، ومنها فخزاناته تكفي لعدة آلاف من الفولوميا.[4]

أما الباحث الألماني كارل دزياتزكو Karl Dziatzko، أنه ومع الأخذ بعين الاعتبار مساحة خزانة المكتبات وأبعاد المنافذ، أن المتر المربع الواحد يمكن له أن يحمل 170 فولومیناً (مجلداً). لذلك، ففي مكتبة ثاموقادي والتي تشير التقديرات إلى احتوائها على ستة عشر خزانة، فيمكن أن يصل العدد الإجمالي للمجلدات إلى حوالي 6800[5]، ويذكر ش.

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.166-167, 168.
2- Ibid., P.P.171-172.
3- Ibid., P.P.158-159.
4- Konrad (V.): Op.cit.., P.175.
5- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.171-172.

أندري جوليان أن خزائن المكتبة يمكن لكل واحدة منها أن تستوعب أكثر من 2300 مجلد[1]، بينما يشير جورج هوستن G. Houston أن سعتها القصوى قد تصل إلى حوالي 10400 مجلد.[2]

ويقدر الباحث أ. لانجي A. Langie عدد المجلدات المودعة في ملاحق هذه المكتبة بحوالي 16 ألف مجلد، على أساس 67 مجلداً في المتر المربع الواحد، أي سيعطي إجمالي 23000 مجلد[3]، ويتوافق تقدير هذا الباحث مع روني كانيا الذي يرى أن رفوف هذه المكتبة يمكن لها أن تستوعب عدد هائل من الكتب، حيث أن الغرفة الداخلية يمكن أن تستوعب 6800 مجلد والقاعات الأخرى 16200 مجلد وبذلك يكون المجموع 23000 مجلد[4]، وهو الرقم الذي طعن فيه هـ. ف. فايفر H. F. Pfeiffer ويعتبره بعيداً عن الواقع. ويستند في ذلك إلى حقيقة أن المكتبة كان عليها أن تحتوي على كتب باللغتين اللاتينية والإغريقية يضاف إليها الوثائق الرسمية للمدينة، مما يعني أن العدد الإجمالي للمجلدات يتزايد كل عام. غير أن الحساب الدقيق يبقى غير ممكناً، لأنه لا يعرف بدقة أبعاد الخزانات أو أحجام المجلدات، والتي تختلف بالتأكيد من مكتبة إلى أخرى[5]، ومع ذلك أشير إلى أن هذه الأرقام تحتاج إلى البحث الإمبريقي.

الباحثين	عدد الفلولومينا
كارل دزياتزكو	6800 مجلد
شارل أندري جوليان	2300 مجلد
جورج هوستن	10400 مجلد
أ. لانجي	16000 مجلد
روني كانيا	23000 مجلد
نور الدين تليلي	16000-28000 مجلد

الجدول رقم 7: حجم استعاب مكتبة تيمقاد للفولومينا حسب بعض الباحثين (إنجاز الطالب).

كما يمكن القول أن المكتبات كانت تعكس مساحة المدينة وحجمها الديمغرافي، فقد تكون مكتبات ثاموقادي وبولا ريجيا كافية لتلك المدن، أما في المدن والحواضر الكبرى كقرطاج وقيصرية وهيبوريجيوس ولبتيس ماغنا، فبالتأكيد كانت مكتباتها أكثر اتساعاً، إلا أن

1- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 245.

2- Voir: Houston (W.G.): Op.cit, P. 196.

3- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P.171-172.

4- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Op.cit., P.P.105-105.

5- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afrique romaine", Op.cit., P.P.171-172.

غياب البيانات الدقيقة فلا توجد طريقة حسابية تسمح بتقييم العدد الذي كان يمكن أن تستوعبه تلك المكتبات.[1]

3- أثر المكتبات على الواقع الثقافي للمغرب القديم:

كانت المكتبات مكان التقاء المفكرين والعلماء والأساتذة وطلبة العلم[2]، لذلك فقد أنشأت المكتبات في بلاد المغرب القديم، تلبية لاحتياجات النخبة المثقفة والمتعلمة للمغرب القديم، وكذلك فئة المتعلمين والطلبة في مختلف المستويات الدراسية، ومن الواضح أنها كانت تشكل جزءاً مهماً من مرافق المدينة وجزءاً لا يتجزأ من حياتها السوسيوثقافية، حيث ساهمت في تطوير المجال الثقافي ومنحت صورة خاصة للمدينة وامتد إشعاعها الثقافي إلى خارج دائرة الفئات المتعلمة.[3]

كما ارتبطت ارتباطاً وثيقاً، بانتشار مدارس التعليم اللاتيني في بلاد المغرب القديم، ولعبت دوراً مهماً في تنشيط الحركية التعليمية[4]، ولاسيما مدارس النحو والبلاغة وعلم البيان والريطوريكا، التي لا يراعى في إنشاءها دائماً حجم المدينة، فبالنسبة لمدينة ثاموقادي التي كانت متوسطة الحجم، شيّد فيها مكتبة كبيرة إلى حد ما، ويمكن أن تكون جميع المدن بحجم ثاموقادي خلال تلك الفترة تحتوي على مكتبة عامة وبطبيعة الحال دون تأكيد على ذلك[5]، أمام غياب الأدلة الأركيولوجية والتاريخية.

ويعتبر القرن الثالث الميلادي والذي شيّد خلاله مبنى مكتبة ثاموقادي، المرحلة التي شهدت فيها مقاطعات المغرب القديم تحت سلطة الإدارة الرومانية الازدهار الحضاري والثقافي وبروز النخب المثقفة المحلية، فقد ازدهرت خلال السنوات من 125 إلى 225م العديد من المدن والحواضر بالمنطقة، حيث شيّدت فيها المرافق العامة المعروفة آنذاك في المدن الرومانية، ففي ثاموقادي تم بناء المسرح والسوق والمعابد والحمامات، ومن الواضح أن هذه المرافق كانت تكاليف تشييدها باهظة بسبب طبيعة المواد المستعملة في البناء كالرخام، بالإضافة إلى الزخارف والنقوش والأعمدة والتماثيل. لذلك فالتكلفة العالية لبناء المكتبة العامة يشير إلى حجم المساهمات المالية التي قدمتها الطبقة الثرية من المجتمع

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.P. 171-172.
2- Masson (A.), Salvan (P.): Op.cit., P.9.
3- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.171.
4- فارس دعاس: المرجع السابق، ص 219.
5- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afrique romaine", Op.cit., P.173.

الثاموقادي، والتي تعكس الدور الذي لبعته هذه الفئة في ازدهار النشاط الثقافي والفكري في مدينتهم.[1]

كما أن وجود المكتبات يوضح مدى ازدهار وانتشار ثقافة الكتاب في بلاد المغرب القديم خصوصاً مع القرون الثلاثة الأخيرة لفترة الاحتلال الروماني. ففي هذه الفترات كان انتشار الثقافة الأدبية والفكرية الموسوعية هي السمة المميزة للنخب المثقفة المحلية والفئات الاجتماعية العليا، حيث كانت مظاهر الحضارة الرومانية والثقافة اللاتينية والإغريقية تحظى بالتقدير الكبير من قبل مجتمع المغرب القديم، حيث الإقبال على الأعمال الخطابية مطلوب بشكل خاص فقد زودوا القراء بالوسائل الأدبية والبلاغية المناسبة لتعلم فن الخطاب والجدل.[2]

وهنا أستذكر المحاضرة التي ألقاها أبوليوس في قرطاجة أمام جمع من الحضور، وهنأ المدينة على ذلك، حيث قال: **"لقد اجتمعتم للاستماع في هذا اللقاء، ويجب أن أهنئ قرطاجة، لأن لديها الكثير من الأصدقاء المتعلمين.. فقد.. تم اختيار المكان المناسب متوافقاً مع عدد الحضور. وما يجب مراعاته ليس طبيعة المكان وإنما يجب مراعاة روح المكان الذي يمثله الجمهور الحاضر ولغة المتحدثين"**[3]، بالإضافة إلى المحاضرة التي ألقاها كذلك في مسرح قرطاجة، وتمنى خلالها أن يستمع إليه جمهوره كما في مكتبة المدينة، وكان نجاح محاضرات أبوليوس ليس بسبب بلاغته فقط، بل بسبب اهتمام الجمهور بهذا النوع من التظاهرات الفكرية، ويمكننا أن نفترض أن مثل هذا الموقف كان يحدث أيضاً في مدن أخرى من بلاد المغرب القديم خلال تلك الحقبة، وخاصة في الحواضر الكبرى، مثل أويا Oea التي تأثر مواطنوها بجودة خطاب أبوليوس، واقترحوا عليه أن يصبح مواطناً في مدينتهم.[4]

أما عن الجدال فلا يسعني إلا أن أشير إلى الجدالات الدينية بين المسيحيين والوثنيين وبين أنصار المذهب الدوناتي والكاثوليكي، التي شهدتها مدن وحواضر المغرب القديم، وكانت تستدعي على المجادلين والريطوريين تسليح أنفسهم بالحجج والأدلة والبراهين

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine", Op.cit., P.173.
2- Ibid., P.P.174-175.
3- Ibid., P.171.
4- Ibid., P.171. Voir: Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.270-271

والأساليب الإقناعية، ومن المؤكد أن تكون المكتبات هي التي تلبي احتياجاتهم العلمية والفكرية في هذا المجال.[1]

لقد شكلت المكتبات في بلاد المغرب القديم مرافق ثقافية، بما توفره من مواد علمية في مختلف التخصصات والمتمثلة في الكتب، حيث كان يفد كل طالب للعلم والمعرفة إلى هذه المرافق، حيث حرص مديرو تلك المكتبات على توفير الكتب وزيادة مجموعاتهم[2]، ففي مقاطعات بلاد المغرب كان يعتمد على التجارة والشراء والتأليف المحلي.

كما كانت المكتبات تحتوي على حجرات مخصصة للمناقشة وتبادل الأفكار وأخرى للتعليم والدراسة، وامتازت بالهدوء، حيث اندهش القديس أوغسطين عندما رأى أستاذه أمبروزيوس Ambroise يقرأ في صمت تام، حيث قال: **"عندما كان يقرأ عيناه تجوب الصفحات، وتغلغل عقله في المعنى، لكن صوته ولسانه بقيا في راحة".**[3]

وفيما يخص نوعية الكتاب فقد أحدثت نخب المغرب القديم تطويراً هاماً لشكل الكتب، حيث ظهرت الكراسات Codex كنماذج بديلة عن الفولومينا (اللفائف)، والتي أحدثت ثورة في مجال التأليف وزادت من قدرة المكتبات على استيعاب الكتب.

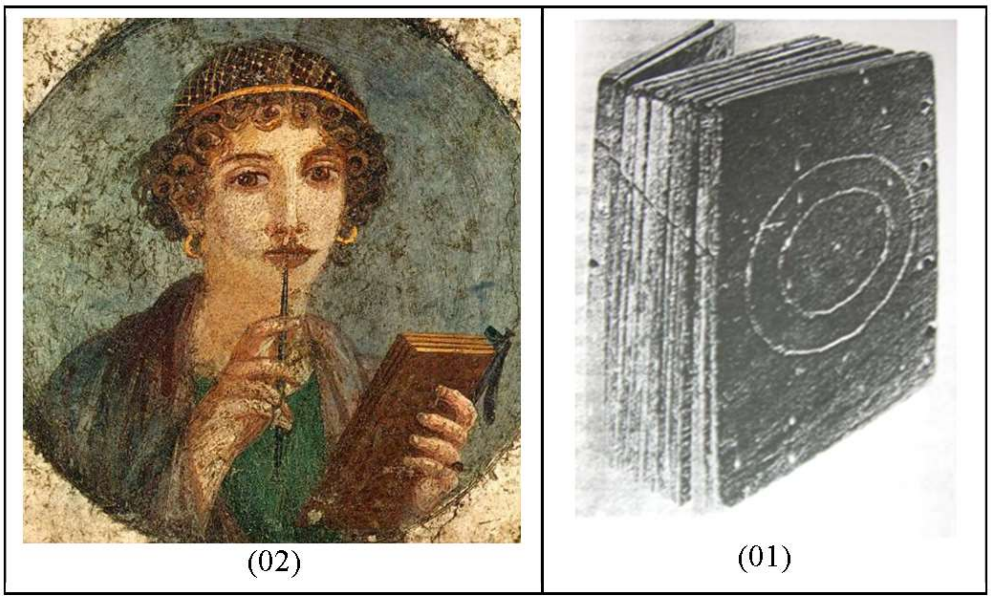
وعليه؛ فمع نهاية العصر الإمبراطوري طرأ تغيير مهم في شكل الكتاب ومادته التي يكتب عليها، فقد برز تيارين من النخب المثقفة، التيار الأول والأسبق هو النخبة المثقفة ذات المعتقد الوثني التي تسعى إلى الحفاظ على البنية التقليدية للكتاب، وبالمقابل وبعد انتشار الديانة المسيحية وتوطد أسسها في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم، ما أدخل تغييرات جذرية على الحياة الثقافية، فقد أحدث ذلك تضاد أيديولوجي انعكس على إنتاج الكتاب.[4]

فقد كان التيار الوثني يفضل استعمال لفافات البردي، بينما التيار المسيحي يميل إلى الكراسات المصنوعة من البرشمان Parchemin[5] (الرّق) ولعل السبب يعود إلى كون المسيحيين الأوائل من الفئات الدنيا من المجتمع فليس باستطاعتهم شراء ورق البردي، فمالوا إلى البرشمان والذي كانوا ينتجونه في بيوتهم وهو الأرخص لديهم والمتاح. لكن ومع مرور

1- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afrique romaine", Op.cit., P.P.174-175.
2- Coulon (G.): Op.cit., P.4.
3- Ibid., P.3.
4- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص. ص 69-70، 84-85.
5- البرشمان مشتق من الكلمة اليونانية بيرغامينبوم Pergamineum، وبدوره مشتق من اسم مدينة برغامون Pergame، التي كانت مركزاً لتصنيع الورق. Masson (A.), Salvan (P.): Op.cit., P.10.

الوقت سيتخلى التيار الأول وبشكل تدريجي عن تمسكه بنموذج الفولومينا، وسيشهد القرن الثالث للميلاد صدور مؤلفات شيشرون وهوميروس وغيرهم من الكتاب القدامى في شكل كتب[1]، كما أشير إلى أن استعمال البردي في صناعة الفولومينا هو اختراع مصري جاء كبديل للألواح الطينية الميزوبوتامية الثقيلة.[2]

وقد طرأ هذا التحول على شكل الكتاب ومادة صنعه منذ القرن الثاني إلى الرابع للميلاد، فأصبحت الكتابة تتم على الرّق أكثر من ورق البردي، وأخذ شكل الكتاب في التحول باستمرار[3]، حيث ظهر الميل إلى الاستغناء عن الكتاب الملفوف Volumen وتعويضه بالكراس Codex ذو الأوراق والصفحات المتعددة (أنظر الشكل رقم 47، ص 202).[4]



(01) (02)

الشكل رقم 47: صور للألواح القابلة للطي.

(01) صورة لدفتر مدرسي مكون من عشرة أقراص، نقلا عن:

Desboeufs (M.A.): "Papyrus et parchemin dans l'Antiquité gréco-romaine", HAL Id: dumas-00278568, URL: https://dumas.ccsd.cnrs.fr, Vu: 08/09/2024, P.55.

(02) صورة صافو من بومبي حاملة لقلم وألواح قابلة للطي، نقلا عن:

Maison de la Regio VI (Pompéi, insula occidentalis), Portrait de Jeune femme dite Sapho, URL: https://www.photo.rmn.fr, Vu: 08/09/2024.

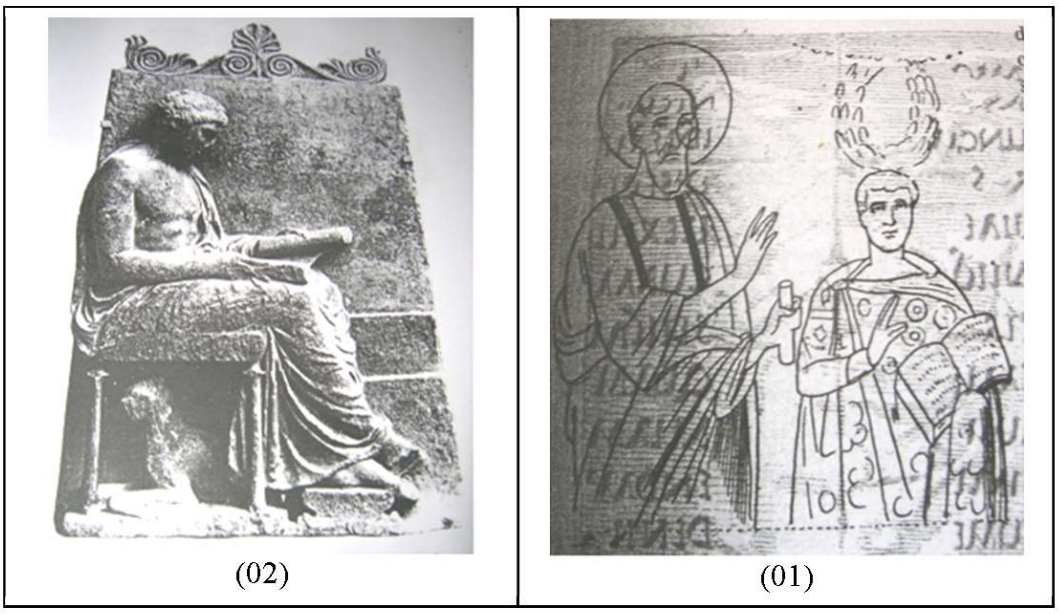
1- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص. ص 69-70، 84-85.

2- Masson (A.), Salvan (P.): Op.cit., P.8.

3- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص 69.

4- عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 151.

ولقد كانت تلك الكراسات مصنوعة من البرشمان، وامتازت بخاصية الصمود أمام عوامل الزمن. ومع القرنين الرابع والخامس للميلاد أصبحت الكراسات (الكتب) بفضل المسيحيين ذات شكل أنيق وأصبحت لا تقارن بكتب الفولومينا القديمة[1]. ونشأ ذلك من تقليد الألواح الخشبية المغطاة بالشمع والقابلة للطي[2]، لأن الكراس كان يتكون نتيجة طي قطعة رّق على شكل مربع في منتصفها ثم يتم ربط عدة صفحات منها إلى أن يتكامل هذا الكراس، ثم يتم حمايته بواسطة غلاف خارجي مصنوع من جلد خشن أو أي مادة قوية أخرى كالخشب أو المعدن (أنظر الشكل رقم 48، ص 203).[3]



(01) (02)

الشكل رقم 48: رسم لفولومينا وكراسة ونقش لرجل يقرأ في الفولومينا.
(01): رسم مأخوذ عن لوحة جدارية لكتاب ملفوف وكراسة.
(02): نصب تذكاري لرجل يقرأ على الكتاب ملفوف، نقلا عن:
Desboeufs (M.A.): Op.cit., P.P.35, 60, 70.

ومع بداية القرن الرابع للميلاد أصبح استعمال الكراسات المتعددة الصفحات منتشراً وشائعاً على حساب الفولومينا، ليتزامن ذلك مع بداية اختفاء المكتبات القديمة بسبب الحروب والصراعات التي انتشرت خلال هذا القرن والقرن الخامس الميلادي، بالمقابل بدأت تعوضها المكتبات المسيحية التي كانت تحتوي على كتب الليتورجيا المسيحية، دون أن تختفي تماماً

1- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص. ص 69-70، 83.
2- Masson (A.), Salvan (P.): Op.cit., P.10.
3- ألكسندر ستيبتشفيتش: المرجع السابق، ص. ص 69-70، 83.

باقي الكتب الأخرى العائدة إلى الفترات السابقة للفترة المسيحية وذات تخصصات لمختلف العلوم الأخرى.[1]

إذن؛ فلقد لعبت المكتبات العامة والخاصة دورًا مهماً في الحركية الثقافية في مجتمع بلاد المغرب القديم، وساهمت في الانتشار الواسع لمظاهر الحضارة والثقافة الرومانية، وكانت جزءاً لا يتجزأ من الحياة السوسيوثقافية في مدن وحواضر مقاطعات المغرب القديم. وبما أن المكتبات العامة كانت تستدعي انتقال الأفراد إليها طلباً للعلم ومطالعة الكتب، فإن المكتبات الخاصة كانت نوعاً من تقريب الكتاب والكتب وبالتالي المعرفة إلى كل الفئات الاجتماعية، ولعل أحسن الأمثلة هنا هي المكتبات الملحقة للحمامات، أما بالنسبة لتلك الملحقة ببعض الفيلات فهي خاصة بالفئات الأرستقراطية من المجتمع.

وخلاصة هذا كله، أن بلاد المغرب القديم قد عرفت ازدهارً ثقافياً واسعاً خلال فترة الاحتلال الروماني، حيث شهدت بروز مراكز تعليمية وعلمية نالت شهرة واسعة في مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية مثل: كيرينايكا (قورينائية) وقرطاجة وقيصرية ومادوروس، ومراكز أخرى شهرتها لم تتخطى إلا الجانب المحلي مثل: كيرتا وهيبوريجيوس وثاغاست وهادروميتوم وسيكا فينيريا ولبتيس ماغنا وصبراتا وأويا وغيرها، كانت مراكز استقطاب لكل باحث عن العلم والمعرفة من مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية عامة وبلاد المغرب خاصة، ونتج عن هذه الحركية الثقافية انتشار المكتبات بنوعيها العامة والخاصة على الرغم من نقص المادة الأركيولوجية حول ذلك، من أمثلتها مكتبة ثاموقادي وبولا ريجيا وإكليسيا هيبون والمكتبات الملحقة بالفيلات والحمامات والمعابد وغيرها، والتي ساهمت مساهمة فعالة في توسيع دائرة المقروئية في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم، وتوفير الكتب لطلاب العلم ولمختلف النخب المحلية المثقفة آنذاك.

1- Masson (A.), Salvan (P.): Op.cit., P.10.

الفصل الرابع

الإسهام الفكري والعلمي للنخبة المغاربية المثقفة خلال الفترة الرومانية

المبحث الأول: نماذج من النخب الوثنية وإسهاماتها الفكرية والعلمية

المطلب الأول: يوبا الثاني (كايوس يوليوس يوبا)

1- مولد ونشأة يوبا الثاني

2- الإسهامات الفكرية والعلمية ليوبا الثاني

المطلب الثاني: ماركوس كورنيليوس فرونطو

1- مولد ونشأة ماركوس كورنيليوس فرونطو

2- إسهامات فرونطو الكيرتي الفكرية والعلمية

المطلب الثالث: لوكيوس أبوليوس

1- مولد ونشأة لوكيوس أبوليوس

2- إسهامات لوكيوس أبوليوس الفكرية والعلمية

المبحث الثاني: نماذج من النخب المسيحية وإسهاماتها الفكرية والعلمية

المطلب الأول: القديس ترتوليانوس

1- مولد ونشأة القديس ترتوليانوس

2- إسهامات ترتوليانوس الفكرية والعلمية

المطلب الثاني: القديس كيبريانوس

1- مولد ونشأة كايكليوس كيبريانوس ثاسيوس

2- الإسهامات الفكرية والعلمية لسانت كيبريانوس

المطلب الثالث: القديس أوغسطين

1- مولد ونشأة القديس أوغسطين

2- إسهامات أوغسطين الفكرية والعلمية

المبحث الثالث: نماذج أخرى من النخب المغاربية المثقفة

المطلب الأول: النخب الوثنية المثقفة

المطلب الثاني: النخب المسيحية المثقفة

الفصل الرابع: الإسهام الفكري والعلمي للنخبة المغاربية المثقفة خلال الفترة الرومانية

لقد نتج من فعل المثاقفة التي فرضت في بلاد المغرب القديم منذ البدايات الأولى للاحتلال الروماني أن برزت كوكبة من النخب المثقفة، منها من تتبع في عقيدتها الديانة الوثنية[1]، وأخرى تدين بالديانة المسيحية، نبغت في الكتابة باللغة اللاتينية وحتى الإغريقية، وأسهمت في إثراء وإغناء التراث اللاتيني للمغرب القديم[2]، والذي يعتبر مظهراً من مظاهر ثقافة بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية، ونتيجة لكثرة عدد تلك النخب سأكتفي بدراسة بعض النماذج في هذا الفصل.

المبحث الأول: نماذج من النخب الوثنية وإسهاماتها الفكرية والعلمية

عرفت بلاد المغرب القديم أرومة من النخب المثقفة الوثنية، وسأركز في هذا المبحث على دارسة ثلاثة نماذج منها، كما أتطرق إلى ذكر البعض الآخر دون تعمق، وقد سبق لي أن تناولت موضوع ظهور نخب المغرب القديم كنتيجة من نتائج انتشار الظاهرة التعليمية في الفصل الثاني.

المطلب الأول: يوبا الثاني (كايوس يوليوس يوبا)

سأتطرق لدراسة شخصية يوبا الثاني، باعتباره من بين أهم نخب المغرب القديم المثقفة، متتبعاً مولده ونشأته، مبرزاً حجم إسهاماته في مجال الفكر والعلوم في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

1- مولد ونشأة يوبا الثاني Juba II:

يوبا الثاني ابن يوبا الأول Juba I ابن هيمسال الثاني، المنحدر من الأسرة الماسيلية التي كانت حاكمة في نوميديا خلال فترات استقلالها. ولد في مدينة زاما الملكية Zama Regia، في حوالي سنة 50ق.م وتوفي في 24م، ونشأ في القصر النوميدي خلال فترة صباه[3]، ولكن؛ وبعد الهزيمة التي تلقاها والده المنحاز إلى بومبيوس في معركة ثابسوس Thapsus، أمام جيش يوليوس قيصر Julius César أثناء الحرب الأفريقية في سنة 46ق.م[1]، والذي فضل الانتحار

1- الديانة الوثنية هي ديانة تؤمن بفكرة التعددية الربوبية، وذلك منذ المنطلقات الأولى للرومان، وكلما توسع الرومان تأثروا بمعتقدات المجتمعات الخاضعة فتتسع دائرة الأرباب، وعلى العموم فهي ترتكز على الثلاثي الكابيتولي في الميثولوجيا الرومانية، ومن الآلهة أذكر: جوبيتر وجونو ومارس وفينوس وفيستا، بالإضافة إلى آلهة أخرى فلكل شيء إله بالإضافة إلى عبادة الإمبراطور. للمزيد ينظر: حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1994م، ص 81. وقد ذكر أبوليوس في مؤلف الفلوريدا مجموعة ممن الآلهة التي لا شك كانت تعبد في بلاد المغرب القديم وهي: جوبيتر، فينوس ميركيوري وساتورن ومارس، بالإضافة إلى عبادة الكواكب وآلهة أخرى. لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 10، ص 47.

2- محمد شفيق: المرجع السابق، ص 78.

3- يفصح نادية: **"يوبا الثاني الملك العالم (25ق.م-23م)"**، مجلة مجتمع تربية عمل، مج.8، العدد1، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2023م، (ص 472-482)، ص 474.

ينظر: يوليوس قيصر: حرب أفريقية 47-46ق.م، تر.: محمد الهادي حارش، .Gsell (S.): Alg.Anti., Op.cit. P.P.41-42-1 دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص. ص 83-92.

على أن يسلم نفسه للجيش الروماني رفقة بيتريوس Petreieus أحد البومبيين وبعدما رفضت زاما أن تفتح له الأبواب وتسلم له أفراد عائلته ومنهم ابنه يوبا الصغير[1]، تم نقل يوبا الابن وهو في حوالي سن الخامسة من العمر إلى عاصمة الإمبراطورية روما.[2]

وعليه فلقد عاش ونشأ يوبا الثاني هناك بعيداً عن وطنه وذويه فترة طفولته وشبابه، حيث تكفلت به أوكتافيا Octavia أخت الإمبراطور أوكتافيوس أوغسطس، في ظل أسرة إمبراطورية عمها الرخاء والثراء[3]، فنشأ تنشئة وفقاً للثقافة الرومانية، وتلقى تعليمه في مدارس روما وأثينا بمختلف مراحله الليترارياوسي (الابتدائي) والغراماتيكوسي (المتوسط والثانوي) والريطوريكي (العالي)، باعتبار روما وأثينا أكبر المراكز العلمية والتعليمية في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية ومراكز للإشعاع الحضاري. فتعلم مختلف العلوم الفلسفية والتاريخية والجغرافية والرياضية والفلكية والآداب والفنون ما سيؤثر في تكوينه الشخصي والعلمي وسينمي سقفه المعرفي وقدراته العلمية والفكرية وحتى الفنية[4]، وبلا شك أن القائمين على تعليمه من المعلمين والأساتذة والعلماء والأدباء كانوا من ذوي المستوى الراقي، وظهر خلال ذلك ميله إلى اللغة الإغريقية، ليصبح متضلعاً فيها إلى جانب اللاتينية، وسيسعى لتجسيد ذلك على أرضية الواقع فيما بعد خاصة في مجال كتاباته ومؤلفاته.[5]

ووفقاً للقانون الروماني؛ فقد منح حق المواطنة الرومانية، وتلقى اسماً ثلاثياً Tria nomina فأصبح يعرف باسم: كايوس يوليوس يوبا Caius Julius Juba[6]، وبعد موت قيصر تكفل به الإمبراطور أوكتافيوس أوغسطس[7]، وعليه فقد نشأ كالأمراء مثل غيره من أبناء الملوك المهزومين، وأعد لأداء المهام السياسية[1]، لأن الرومان كانوا يعتقدون أن هذه التنشئة تعد ضماناً لإخلاص هؤلاء الأمراء لتأثرهم العميق بالثقافة اللاتينية.[2]

1- جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني من سيفاكس إلى تاكفاريناس 203ق.م-24م، موفم للنشر، الجزائر، 2015م، ص 193. يوليوس قيصر: حرب أفريقية، المصدر السابق، ص.ص 93-96.

2- Gsell (S.): Alg.Anti., Op.cit., P.P.41-42.

3- Carcopino (J.): V.QU.R.A.E., Op.cit., P.139.

4- يفصح نادية: المرجع السابق، ص 474.

5- محمد تازي سعود: المرجع السابق، ص 78.

6- المرجع نفسه، ص 78.

7- الطيب قديم: **"يوبا الثاني وإسهاماته العلمية (أفكار موجودة ومؤلفات مفقودة)"**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج.8، العدد 1، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، 2023م، (ص 367-390)، ص 369.

1- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 42.

2- أحمد السليماني: المرجع السابق، ص 179.

وقد تزوج في روما من ابنة كليوبترا الكبرى ملكة مصر البطلمية وماركوس أنطونيوس Marcus Antonius، والمعروفة بكليوباترا سيليني Cléopâtre Séléné سنة 30ق.م[1]، والتي هي الأخرى حدث لها مثل ما حدث ليوبا الثاني، وهي بنت 16 سنة وأنجبت منه ولداً سمي بطليموس، ويحمل اسم والده ليصبح Caius Julius Ptolémaius، وقد تربت هي الأخرى على يد أوكتافيا في روما، وكانت شريكة يوبا الثاني في الملك لمدة عشرين سنة قبل أن تتوفى بسبب مرض عضال في السنة الخامسة قبل الميلاد وهي في عمر 36 سنة، ثم تزوج من أخرى تسمى غلافيرا Glaphira ابنة أرخيلاوس Archélaus من الأناضول (آسيا الصغرى) ثم طلقها.[2]

لقد كلفه أوغسطس بأداء العديد من المهام السياسية والإدارية، حيث منحه وظيفة إدارية في بلاد الشرق الأدنى وفي نوميديا، ويذكر شنيتي أنه أدى مهامه بكل جدارة واستحقاق[3]، حيث رافق أوغسطس في حملاته العسكرية كالحملة التي شنت على أسبانيا بشبه الجزيرة الأيبيرية ما بين سنتي 26-25ق.م، كما عين والياً على فلسطين[4]، وقبل هذا شارك في الحرب التي خاضها أكتافيوس ضد أنطونيوس وكليوبترا خلال سنوات 32-31ق.م، وهو في عمر 19 سنة، وهما والدي كليوباترا سيليني التي أسرت أثناءها لتنقل إلى روما. وقد أظهر خلال تلك الحرب جرأة وقوة، نال من جرائها ثقة وإعجاب وتقدير أوكتافيوس أوغسطس، ما سيفتح له أفاقاً مستقبلية، حيث عين بروقنصل على مقاطعة أفريكا نوفا لمدة خمس سنوات من 30-25ق.م.[5]

وبعد وفاة الأغليد الموريطاني بوكوس الثاني في عام 33ق.م ولم يكن له عقب، وبحكم ولائه وتحالفه السابق مع الرومان، قامت الإدارة الرومانية بتقسيم أغليديته إلى إقليمين، وكلفت حاكمين رومانيين بالإشراف على تسيير كل إقليم، تحت إشراف الإمبراطور أوكتافيوس ولم تلحق بأي مقاطعة، وبقيت على هذا الوضع إلى غاية عام 25ق.م[6]، تاريخ منح أوغسطس المملكة الموريطانية ليوبا الثاني، وأصبح بموجب ذلك القرار ملكاً ووريثاً للعرش الملكي الموريطاني[1]، كما ضمت إلى مملكته أجزاء من أراضي الجيتول كتعويض له عن أملاك والده يوبا الأول، والتي

1- Adrien (B.): Dernière dynastie Mauritanienne Juba II - Cléopâtre Séléné - Ptolémée, Re. Afri., N°05, A. Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, 1861, P.P.81-82.

2- محمد تازي سعود: المرجع السابق، ص. ص 81، 83.

3- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج.1، المرجع السابق، ص 42.

4- يفصح نادية: المرجع السابق، ص 475.

5- محمد تازي سعود: المرجع السابق، ص 78.

6- الطيب قديم: المرجع السابق، ص 369.

1- سترابون: الجغرافيا، ج.1، الفصل الثالث، ف.7، المصدر السابق، ص 393.

أصبحت ضمن ممتلكات مقاطعة رومانية[1]، أصبحت تحمل اسم أفريقيا الجديدة Africa Nova.[2]

وبعد توليه للعرش الملكي على موريطانيا، اتخذ يوبا الثاني مدينة إيول Iol (شرشال حالياً) عاصمة لمملكته، وغير اسمها إلى قيصرية نسبة إلى يوليوس قيصر وتكريماً له[3]، ولم تكن مجرد عاصمة سياسية فقط بل أصبحت مركزاً علمياً وتعليمياً وثقافياً ذو شهرة واسعة في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، يقصده طلاب العلم من مختلف الأرجاء فكان بلاطه يعج بالعلماء والفلاسفة والمفكرين والفنانين والمسرحيين والشعراء والمهندسين والأطباء وغيرهم.[4]

وفي أواخر سنة 23م توفي يوبا الثاني[5]، ليخلفه ابنه بطليموس واستمر حكمه إلى غاية اغتياله من طرف الإمبراطور كاليغولا Caligula في 40م، حتى تصبح مملكة موريطانيا مقاطعة رومانية، قسمت في عهد كلاوديوس Claudius إلى مقاطعتين، مقاطعة موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية.[6]

2- الإسهامات الفكرية والعلمية ليوبا الثاني:

لقد سمحت التنشئة التي تلقها يوبا الثاني في روما وأثينا، أن يتلقى تعليماً نخبوياً راقياً، حيث سمح له ذلك من معرفة مختلف العلوم والفنون، وأن يتعلم مختلف لغات العالم القديم آنذاك وخاصة الليبية لغة أجداده الماسيل، واللغة البونية واليونانية واللاتينية، وهذا ما فتح له المجال للإطلاع على مختلف كتب ومؤلفات ذلك العصر، من كتب مكتبة قرطاجة البونية، التي ورثها عن جده هيمسال الثاني الذي كان اشتهر بعلمه وثقافته[7]، والتي اعتمد عليها سالوستيوس حينما ألف كتابه حول حرب يوغرطة[8]، وكتب المكتبات المعروفة آنذاك في مختلف أقاليم الإمبراطورية، كمكتبات روما والإسكندرية واليونان وغيرها، ونتيجة لذلك فقد ألف الكثير من الكتب في مختلف المجالات العلمية والفكرية كالتاريخ والجغرافيا والأدب والشعر والفيلولوجيا ومختلف الفنون[1]، كما

1- Adrien (B.): Op.cit., P.82.

2- محمد تازي سعود: المرجع السابق، ص 78.

3- Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 231. Boissier (G.): Op.cit., P25-26.

4- الطيب قديم: المرجع السابق، ص 370.

5- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 173.

6- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 89.

7- يفصح نادية: المرجع السابق، ص 476.

8- Salluste: la guerre de Jugurtha, Prés. Kamel Chehrit, Op.cit., P.30.

1- يفصح نادية: المرجع السابق، ص 476.

له إنجازات أخرى في مجالات العمارة والكشف الجغرافي وغيرها، وسأركز على دراسة أهم ما خلفه من مؤلفات وكتابات علمية.

غير أن ما يؤسف له أن كتاباته ومؤلفاته تعتبر ضائعة إلى الآن، ولم يصلنا منها سوى ما تناقلته المصادر التاريخية الإغريقية واللاتينية من أمثال: بلينيوس الكبير وبلوتارخوس وإيتيانوس البيزنطي وأسكندر بندروس، الذين اندهشوا أمام حجم غزارة الإنتاج الفكري والعلمي ليوبا الثاني[1]، وأشاروا إلى أن شهرته كعالم ومؤرخ فاقت شهرته كملك.[2]

ولم يصلنا من مؤلفاته غير تسعة عناوين، وكلها كتبت باللغة الإغريقية، ويشير غزال أنها مجرد مقتطفات قصيرة يصعب معها معرفة الكتاب الذي تم الاقتباس منه، في حالة عدم الإشارة إليه[3]، وسأذكر بعضها فيما يلي (أنظر الجدول رقم 8، ص 213):

1/ مؤلف ليبيكا Lybica:

كتب يوبا الثاني مؤلفه ليبيكا فيما بين سنة 25ق.م إلى السنة الأولى للميلاد[4]، ويعتبر من أهم المؤلفات التي كتبها يوبا، وهو في شكل موسوعة علمية من ثلاثة أجزاء، استعرض فيها طبيعة الخصائص السيوسيوثقافية لمجتمع بلاد المغرب القديم، من عادات وتقاليد ولغة وديانة، ويشير ستيفان غزال أنه كان يقتبس من رحلة حانون القرطاجي Hannon أثناء رحلته إلى خليج غانا[5]، لذلك فهو يتضمن معلومات عن الملاحة البحرية حول قارة أفريقية، ويؤكد يوبا من خلاله أن حانون قد وصل إلى هذا المكان الذي كان يسميه القرطاجيون باسم الخليج، وأنه وصل بعده إلى بلاد العرب[6].

كما تحدث فيه عن أصل منبع نهر النيل الذي كان يظن أنه ينبع من جبال الأطلس[7]. وجزر المحيط الأطلسي كجزر موغادور Mogador (الصويرة) Purpuraires[8]، وجزر الكناري التي أسماها جزر الأرجوانية، كجزيرة لانزروات Lanzarote وفيرتيفينتورا Fuerteventura، وكناريا Canaria، وتينيريف Tenerife ولابالما La Palma.[1]

1- يفصح نادية: المرجع السابق، ص 476.

2- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.251. Gsell (S.): Juba II, Op.cit., P.169. Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), LX, 410. Pline L'ancien: Histoire naturelle, XV, 76, XVII, 22.

3- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.261-263.

4- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، مجلة دراسات، مج.14، العدد 2، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2023م، (ص 5-37)، ص 15.

5- Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Op.cit., P.182.

6- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص 24.

7- Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 257-265.

8- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص. ص 20-21.

1- أحمد محبس الحصناوي: **"الجزر الخالدات أو جزر الكناري رحلة الاكتشاف"**، آفاق الثقافة والتراث، العدد 86، جعية الماجد للتراث والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2016، (ص 145-175)، ص. ص 147-157.

كما تحدث فيه عن الحيوانات التي كانت تعيش في مملكة موريطانيا وعلى رأسها الفيّلة، حيث وصف أنيابها وأصواتها وأحجامها وأعمارها وقاس مستوى ذكاءها، وآليات صيدها وتربيتها في أفريقيا[1]، ولا شك أن الأوصاف المقدمة تتمحور حول الفيل الأطلسي المنقرض، بالإضافة إلى حديثه عن حيوانات أخرى كالأسد الأطلسي الذي أبرز سماته وخصوصياته[2]، والأفاعي بمختلف أشكالها، والنمور والغزلان والحمير الوحشية وغيرها من تلك الحيوانات.

وتطرق فيه إلى بحوثه المختلفة التي أجراها عن النباتات[3] والأعشاب والأشجار، مبيناً فوائدها وأساليب التداوي والعلاج بها كنبتة أوفروب Euphrobe، التي كانت عصارتها بمثابة ترياق لعلاج كل أنواع السموم وخاصة لدغات الأفاعي وبلا شك العقارب كذلك[4]، ويشير ستيفان غزال وبلينوس الكبير أن اسم هذه النبتة مشتق من اسم طبيب يوبا الثاني المعروف باسم يوفروبوس Euphrobus، الذي يعود له الفضل في اكتشافها في جبال الأطلس[5]، وألف عنها كتيباً طبياً بعنوان "أوفورب"[6]، ويحتوي على دراسة علمية شاملة حول هذا النبات.[7]

2/ مؤلف أرابيكا Arabica:

يعتبر مؤلف أرابيكا كتاباً في علم الجغرافيا، حيث تحدث فيه عن منطقة بلاد العرب، حول مساحتها ومدنها وما يحيط بها من سواحل وشواطئ وخلجان، في الحيز الجغرافي المحصور ما بين الخليج الفارسي إلى المحيط الهندي، كما وصف طبيعة الخصوصيات السوسيوثقافية والإثنوغرافية لمجتمعاتها وأنشطتها التجارية، بالإضافة إلى تطرقه لأشجارها ونباتاتها كالنخيل وأشجار البخور، وحيواناتها كالجمال والخيول والأفاعي والأسماك وغيرها[8]، وما تميزها من عطور وأحجار كريمة ومختلف منتجاتها، كما وصف المناطق الممتدة من سواحل الهند إلى غاية الخليج

1- الطيب قديم: المرجع السابق، ص 376.
2- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص. ص 23-24.
3- الطيب قديم: المرجع السابق، ص 376.
4- Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 231.
5- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.268. Pliny: Natural History, BOOK V. I. 15-18, 231.
6- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.264-267.
7- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص 15.
8- خالدية مضوي: **"جوانب من تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام: كتاب أرابيكا للملك الموريطاني يوبا الثاني (25ق.م-23ق.م)"**، دو رية كان التاريخية، السنة 10، العدد 37، مؤسسة كان التاريخية، القاهرة، سبتمبر 2018م، (ص 98-103)، ص.ص 99-102.

الفارسي والبحر الأحمر[1]، وكان قد أهداه للإمبراطور غايوس قيصر Gaius César، حينما كان والياً على فلسطين.[2]

6/ مؤلفات التاريخ:

أول مؤلف له في مجال الكتابة التاريخية هو كتاب عن "التاريخ الروماني"، ينقسم إلى بابين، حيث تناول في الباب الأول البدايات الأولى لظهور روما إلى غاية الحرب في أسبانيا بشبه الجزيرة الأيبيرية، أما الباب الثاني فتحدث فيه عن أهم أحداث تلك الحرب[3]، حينما رافق أوغسطس في حملاته العسكرية ما بين سنتي 25-26ق.م[4]، وهذا يعني أنه يكون قد ألفه بعد سنة 26ق.م.

أما الكتاب الثاني فهو "بابيلونيكا Babylenica"، أو كتاب "مختصر الآشوريين"[5]، ألف خلال الثلث الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد (حوالي 230ق.م-201ق.م)[6]، وينقسم إلى فصلين، ويعتبر كمختصر لكتاب البابليات المنسوب للكاهن بيروس Béros البابلي، أحد كهنة الإله مردوخ Marduk، ويتمحور محتواه حول بلاد ميزوبوتاميا Mesopotamia[7]، فتضمن سرداً لبعض الأحداث التاريخية لبابل والملكة سيميراميس وحروب نبوخذ نصر ضد اليهود والمصريين القدماء.[8]

4/ مؤلف عن اللغة:

لقد أولى يوبا الثاني اهتماماً باللغات والفيلولوجيا التاريخية والاشتقاقية، حيث درس اللغات وفن الحديث ولغة التخاطب، والتحريفات والتحويرات التي تطرأ على الألفاظ والكلمات حينما تنتقل من لغة إلى أخرى، الناتجة عن ظاهرة الاقتراض اللغوي، فتُخضع لمخارج أصوات المجتمع المقترض.[9]

1- يفصح نادية: المرجع السابق، ص 477.
2- خالدية مضوي: المرجع السابق، ص 99.
3- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص 14.
4- يفصح نادية: المرجع السابق، ص 475.
5- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.264-267.
6- الطيب قديم: المرجع السابق، ص 377.
7- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص 14.
8- الطيب قديم: المرجع السابق، ص 377.
9- Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Op.cit., P.170. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.252-253.

وقد كتب حولها مجموعة كتب منها مؤلف "الأشباه Similitudes"[1]، المتكون من حوالي خمسة عشرة جزءاً، حيث أجرى فيه مقارنة للخصائص السوسيوثقافية بين المجتمعين الإغريقي والروماني، وتوصل إلى استنتاجات قائلة بالأصول الإغريقية للكثير من ألفاظ وكلمات اللغة اللاتينية، التي اقتبسها المجتمع الروماني من المعجم اللغوي الإغريقي إثراءً للاتينية، خصوصاً أن الإغريقية كانت تمثل لغة العلم والمعرفة في العالم القديم، وأن الإغريق قد سبقوا اللاتين في مجال إنتاج المعرفة والتطوير اللغوي[2]، وأن اللاتينية كانت بدايتها الأولى فقيرة من حيث الاصطلاحات.

وله مؤلف آخر بعنوان "التحريف في اللغة"، حيث أجرى فيه بحوثاً عن التحريفات اللغوية والدلالية التي تعتري الكلمات ومعانيها[3]، فقد درس فيه ألفاظ اللغة الإغريقية والتحويرات التي طرأت عليها، وله ميل في تجميع المفردات المختلفة الأصل اللغوي كأثيوبيا والأناضول وبلاد العرب والهند وبلاد المغرب.[4]

5/ مؤلف عن الفنون:

وتتمثل في كتابين، واحد عن "فن الرسم أو الرسامين"، وآخر عن "تاريخ المسرح"[5]، فبالنسبة للكتاب الأول، يتكون من ثمانية أجزاء، تحدث فيه عن أهم الفنانين وأهم أعمالهم الفنية[6] كالصباغة ومختلف أنواعها[7]، أما المؤلف الثاني فيتكون من سبعة عشرة جزءاً، تحدث فيه عن فن الموسيقي وآلاتها في ذلك العصر، وفن الرقص والتمثيل المسرحي.[8]

هذه جملة المؤلفات والكتب والدراسات التي خلفها يوبا الثاني، غير أنها ضاعت كلها ولم يصلنا منها إلا شذرات مترامية بين ثنايا المصادر التاريخية لمختلف المؤرخين القدماء، والذين اقتبسوا عنه في كتاباتهم، من أمثال: المؤرخ بلينيوس الكبير وبلوتارخوس، وأثيني وهيزوخيوس

1- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.264-267.

2- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص 13.

3- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.261.

4- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.252-253. Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Op.cit., P.170.

5- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.264-267.

6- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص 13.

7- الطيب قديم: المرجع السابق، ص 379.

8- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص 14.

Hésychius، والمـؤرخ هيروديـانوس Hérodien، وهوريوكراتيـوس Harpocrate، وكليمنـت الأسكندري Clément d'Alexandrie والكاتب تاتيانوس Tatianus وغيرهم.[1]

والجدول أدناه مختصر لأهم مؤلفات وأعمال يوبا الثاني.

كتب الجغرافيا	كتب التاريخ	كتب عن اللغة	كتب عن الفنون
ليبيكا	التاريخ الروماني	الأشباه	فن الرسم أو الرسامين
أرابيكا	بابيلونيكا	التحريف في اللغة	تاريخ المسرح

الجدول رقم 8: أهم مؤلفات يوبا الثاني (أنجاز الباحث).

بالنسبة للسنوات التي كتب وألف مؤلفاته المشار إليها، فأرجح أنه يكون قد ألف معظمها، خلال الفترة التي حكم فيها مملكة موريطانيا من 25ق.م إلى 23م، لأنها الفترة التي عرف فيها بنشاطه الفكري والعلمي والثقافي.

الملاحظ من خلال هذا؛ أن يوبا الثاني ورغم ضياع مؤلفاته، التي أشار إليها المؤرخون القدماء، قد خلف إرثاً ثقافياً متنوع المشارب العلمية، تعكس حجم تكوينه العلمي والمعرفي الذي تلقاه في المدارس والمراكز العلمية الكبرى في الإمبراطورية الرومانية المتمثلة في روما وأثينا، ولا شك أن ذلك تم تحت إشراف العرش الإمبراطوري، الذي ركز على تنشئته على الثقافة اللاتينية كضمان للولاء، إلى أنه تأثر بالثقافتين الإغريقية واللاتينية، وكان تأثير الثقافة الأولى أكثر وضوحاً، من خلال ميله للتأليف باللغة الإغريقية.

المطلب الثاني: ماركوس كورنيليوس فرونطو

سأتطرق في هذا المطلب إلى دراسة شخصية فرونطو الكيرتي، من ميلاده إلى مسار نشأته وتكوينه الفكري والعلمي وموقفه من انتمائه لبلاد المغرب، مبرزاً أهم إسهاماته الثقافية من خلال ما خلفه من تراث فكري يمثل مظهراً من مظاهر الثقافة اللاتينية العائدة إلى فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم.

1- مولد ونشأة ماركوس كورنيليوس فرونطو:

ماركوس كورنيليوس فرونطو Marcus Cornelius Fronto، المعروف بلقب فرونطو الكيرتي Fronto de Cirta، ولد في مطلع القرن الثاني للميلاد في مدينة كيرتا Cirta[2]، المدينة النوميدية التي تحولت إلى مستعمرة رومانية منذ بداية حكم ترايانوس Traianus[3]. وهناك

1- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، المرجع السابق، ص. ص 13-15. الطيب قديم: المرجع السابق، ص. ص 376-377.

2- Charlet (J.L.): Op.cit., P.1.

3- Monceaux (P.): Les païens, Op.cit., P.212.

اختلاف في تحديد تاريخ ميلاده ووفاته بالتدقيق، فيكون ولد في عام 95م أو 100م وتوفي في حوالي 170م أو 180م[1]، ويذكر عبد السلام بن ميس أنه توفي في سنة 166م بروما.[2]

نشأ فرونطو في كنف عائلة تعد من أغنى العائلات الكيرتية[3]، المترومنة ذات الانتماء الأصيل للمغرب القديم، في مدينة كيرتا بمقاطعة نوميديا، باعتبارها من كبرى المدن النوميدية التي ازدهر فيها التعليم وانتشرت بها مدارس التعليم الليتيراريوسي والغراماتيكوسي[4]، وقد مكنه الوضع العائلي من توفر الإمكانيات اللازمة لتلقي تعليم عالي منذ فترة صباه[5]، حيث تلقى فرونطو تعليمه الأولي في مدارس كيرتا، ولإكمال دراسته في مرحلة الريطوريكا كان عليه الانتقال إلى قرطاجة، التي كانت تمثل مركزاً علمياً راقياً في الإمبراطورية الرومانية، فكان هناك الطالب فرونطو نجيباً ومجتهداً ومجداً يسعى إلى التفوق والتميّز، فلا تفارقه كتب البلاغة.[6]

وبعد قرطاجة انتقل إلى روما عاصمة الإمبراطورية لإكمال دراسته وهو في سن الثامنة عشرة من العمر[7]، هناك تعلم على يد أستاذيه الفيلسوف أثينودوروس Athenodorus وديونسيوس Dionysius الخطيب، فأتقن آليات الخطابة، ومارس بعدها المحاماة[8]، وعلى الرغم من عدم ميله لدراسة الفلسفة، لكنه كان ملماً بالفلسفة الإغريقية حيث تبنى المذهب السفسطائي، كما استغرق وقتاً طويلاً في دراسة الخطابة حسب ما أخبر به أستاذه، فتحكم فيها، وامتاز بالمتانة والبلاغة والفصاحة.[9]

وشكلت له روما مسرحاً لإبداعاته الخطابية[10]، فنال شهرة واسعة كخطيب[11]، حيث عادلت شهرة الكاتب الروماني شيشرون، ونال براعة في مجال المحاماة، لفصاحته وقوة إقناعه، حيث رافع

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 329.
2- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 176.
3- حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.7، العدد 1، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، باتنة، جوان 2022م، (ص 802-789)، ص 791.
4- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص. ص 349-350.
5- حسينة قادري: دراسة تاريخية لفكر فرونطو وماركوس أوريليوس من خلال المراسلات "القرن الثاني الميلادي"، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه L.M.D في تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله- الجزائر 2، الجزائر، 2018-2019م، ص 9.
6- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص. ص 349-350.
7- حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 791.
8- Monceaux (P.): Les païens, Op.cit., P.213.
9- حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص. ص 791-792.
10- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 349.
11- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 329.

في الكثير من القضايا السياسية، كما تكونت من حوله مدرسة لها أتباعها أصبحت تعرف بالفرونطية وأتباعه يعرفون بالفرونطيين، وأشهرهم ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius الذي ألف كتاب باللغة الإغريقية يحمل عنوان: "الأفكار Les Pensées" أو "التأملات Meditations". بالإضافة إلى وضعه لنظريتين؛ النظرية الأولى متعلقة بالفصاحة أسسها على مبدأين وهما: الشعور والانفعال. أما النظرية الثانية فتتعلق بالتربية. كما اعتبر أن الأدب هو شكل من أشكال الريطوريكا[1]، فكان بحق من أحسن الخطباء الذين برزوا في القرن الثاني للميلاد، فكان خطيباً بليغاً مفوهاً.[2]

ونتيجة شهرته وتوليه لمناصب سامية في الإدارة الرومانية، جعلت منه مقرباً إلى مجلس السينا الروماني، وأعجب به الإمبراطور أنطونيوس التقي Antonnius Pius (139-161م)، فأصدر مرسوماً يقضي بتعينه كأستاذ ومربي[3] في سنة 139م[4]، وبموجبه أصبح أستاذًا إمبراطورياً قام بتدريس البلاغة اللاتينية لأبناء أنطونيوس، وهما: ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (161-180م) ولوكيوس ويروس Lucius Verus (161-169م)[5]، كما عين في مناصب إدارية سامية كتوليه لمنصب قنصل في سنة 143م، وذلك ما دلت عليه النقيشة المكتشفة في قالمة Guelma[6]، والتي وضعها حفيده أوفيدوس فرونطو Aufidus Fronto مخلداً فيها ألقابه ورتبه:

M(arco) Cornelio/ T(iti) f(ilio) Quir(ina)/ Frontoni/ IIIvir(o) capital(i)/ q(uaestori) provinc(iae)/ Sicil(iae) aedil(i) pl(ebis)/ praetori/ municipes/ Calamensi/um patrono.[7]

إذن فقد تولى مناصب سياسية وإدارية سامية وهي: منصب عضو بهيئة المسؤولين الثلاثة Triumvir Capitalis، ومسؤول على الخزينة العمومية Quaestor في صقلية، ومنصب قيّم Aedilis تولى فيها تسيير الشؤون العامة، ومنصب قاضي Praetor، ودخل إلى مجلس السنا Sénat[8] في سن مبكرة والبالغة العشرين من العمر[1]، وقنصل Consul سنة 142م، ومنصب

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 176-177.
2- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 349.
3- حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 792.
4- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 329.
5- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص.ص 250-251. Monceaux (P.): Les païens, Op.cit., P.214
6- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 329. محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 349.
7- Gsell (S.): I.L.Alg.,T.1, N°.280, P.32. Renier (L.): I.R.Alg.,XIV, 2715, P.322.
8- Monceaux (P.): Les païens, Op.cit., P.213. Charlet (J.L.): "Fronton", Op.cit., P.1.
1- حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 792.

بروقنصل Proconcul في الأناضول (آسيا الصغرى)، واعتبره بمثابة نفي له، وتراجع عنه لأسباب صحية كذلك.[1]

رغم أن فرونطو ينتمي إلى عائلة مترومنة، بمعنى أنها تبنت قيّم الحضارة الرومانية من لغة وثقافة، إلا أن رومنته تلك لم تجعله يتنكر لأصله، فظل مخلصاً لبلاده وظل أفريقياً في قلبه إلى غاية وفاته، فقد كان على الدوام محباً لأبناء وطنه، فحينما كان في روما كان يرحب بهم هناك، وكان يأخذه الحنان لتلامذته وأساتذته من بلاده أمثال: كلسينوس النوميدي Celsinus le numide، والنحوي بروفيريون Porphyrion وبوستيميوس Postumius أصيل مدينة كيرتا[2]، وكان له مواقف مناهضة للأتباع الديانة المسيحية.[3]

كما تبين أحد رسائله التي أرسلها إلى الإمبراطورة فاوستينا مينور Faustina Minor ابنة أنطونيوس التقي، باللغة الإغريقية والتي عبر فيها بكل وضوح عن انتمائه الليبي بقوله أنه: **"ليبي من بين الليبيين النوميد"**، كما لم ينسى كيرتا المدينة التي تمثل مسقط رأسه، التي طالما كان مدافعاً عنها وعن مصالحها، وبلا شك حينما تولى مناصب سيادية في الإدارة الرومانية، كما عبر عن تعلقه بها في الكثير من المرات، مشيداً بمناخها الصحي[4]، كما أشار كذلك في أحد رسائله أنه يحب أن يدافع عن بلده ويرى الأمن في وطنه، وهذا يزيد من ومكانته وقيمته.[5]

2- إسهامات فرونطو الكيرتي الفكرية والعلمية:

لقد نال فرونطو شهرة واسعة ولقب بشيشرون الثاني أو الآخر Altercicero[6]، غير أن البعض يرى أن شهرته نالها كونه كان أستاذاً إمبراطورياً[7]. إلا أن معظم مؤلفاته ضاعت ولم يصلنا منها إلا أجزاء متفرقة[8]، وهي مجرد إشارات من بعض المراسلات والخطب والرسائل التي كان يتبادلها مع الإمبراطور أونطونيوس التقي وابنيه الأباطرة ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس وابنته فاوستينا مينور، والمؤرخ أبيانوس Appianus (أنظر الجدول رقم 9، ص 219)[1]، وكذلك

1- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 349. حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 792. Charlet (J.L.): Op.cit., P.1.

2- Charlet (J.L.): Op.cit., P.2.

3- أسد رستم: أباء الكنيسة، الرسوليون والمناضلون، ج.1، منشورات النور، لبنان، 1962م، ص 57.

4- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 349. حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 791.

5- Fronton: lettres de marcs aurele et de de fronton, T.II, lettres X, aux triumvirs et aux décurions, oeuvre numérisée et mise en page par Thierry Vebr, Remacle.

6- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350.

7- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص. ص 329-330.

8- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 177.

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 330.

اقتباسات من كتابين؛ الأول هو "كتاب الأفكار" من تأليف الفيلسوف ماركوس أوريليوس والثاني مؤلف "الليالي الأتيكية" ألفه أولوس جيليوس[1]. وسأحاول حصر أهم ما كتبه فيما يلي:

1/ المراسلات Epistolae:

وتعتبر هذه المراسلات من أشهر كتابات فرونطو، حيث كتبها خلال فترتين؛ الأولى كتبت ما بين سنتي 139م و145م، وهي الفترة التي كان يزاول فيها وظيفة أستاذ لماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس، أما الثانية فكتبها في الفترة الممتدة من 161م إلى 165م خلال مرحلة شيخوخته.[2]

تتكون هذه المراسلات من خمسة كتب موجهة إلى ماركوس أوريليوس كولي عهد، وكتابين لنفس الشخص وهو على العرش الإمبراطوري. وكتابين آخرين موجهين إلى لوكيوس فيروس وهو على العرش الإمبراطوري كذلك. كما وجه كتاباً آخر إلى أنطونيوس التقي.[3]

وهناك كتابان آخرين يمثلان مجموعة رسائل عنونها بـ "إلى الأصدقاء Ad Amicos"، حيث يحتوي الكتاب الأول على أربعة وعشرون رسالة وجهها فرونطو لأصدقائه، أما الكتاب الثاني فيحتوي على عشرة رسائل، وكل هذه الرسائل كتبت باللغة اللاتينية ما عدا أربعة رسائل كتبها باللغة الإغريقية مثل الرسالة الموجهة إلى المؤرخ أبيانوس.[4]

2/ المقالات Articles:

ونتيجة لتفوق فرونطو في مجال الخطابة، وباعتباره خطيباً مفوهاً وبليغاً، فقد ذكر في أحد رسائله الموجهة لأستاذه دونيسيوس، أن سبب تفوقه هذا يعود إلى مهارة أستاذه هذا في التلقين[5]. لذلك فقد خلف مجموعة من الخطب كتبها في شكل مقالات، وضاع الكثير من أجزاءها وبقيت مجرد مقتطفات أذكر منها:

مقال بعنوان "في ثناء الدخان والغبار Laudes Fumi et Pulveris"، وسبب اختيار فرونطو لهذا العنوان ليبين أهميته لتلميذه ماركوس أوريليوس، وأن يغيّر رأي القراء اتجاه الظواهر التي تبدو

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص. ص 177- 178.

2- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 330. حسينة قادري: المرجع السابق، ص 30.

3- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 330.

4- المرجع نفسه، ص. ص 330-332.

5- حسينة حلاق، سعاد سلطاني: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 791.

بسيطة وبلا قيمة أو نفع، بينما حقيقتها في رأيه ترقى إلى مصاف الآلهة[1]، ويتمحور حول ظاهرتي الغبار والدخان اللاتان تميزان حياة المدينة، وما لها من أثر على حياة الإنسان المثقف الذي يميل إلى الهدوء الذي يسمح له بالكتابة والتأليف الجيد[2]، ومن خلاله برز بشكل جلي فكره الفلسفي الأخلاقي والبلاغي ومذهبه السفسطائي.[3]

أما مقال "الثناء على الإهمال Laus neglegentiae"، وهي موجهة لماركوس أوريليوس، تحدث فيها عن الدافع لكتابته، ويتمحور حول الاهتمام المفرط بلغة الكتابة، حيث يعرض صاحبه إلى الوقوع في الزلات والأخطاء، لذلك فبساطة الأسلوب تكون أحسن من التكلف[4]. وهناك مقال "مغامرة أريون Arion"، وهو عبارة عن قصة إغريقية لرجل موسيقي يسمى أريون من كورنثيا وردت عند هيرودوت، أعاد كتابتها باللغة اللاتينية.[5]

بالإضافة إلى خطب من أجل الدفاع عن القرطاجيين[6] والبيثونيين Bithyniens[7]، و"الجنس Eroticos"، و"عن العطلة في ألسيوم Alsium".[8]

3/ الكتب Livres:

لقد خلف أيضاً مقتطفات من الأعمال والمؤلفات، أذكر منها: أجزاء من كتابين في التاريخ، الأول بعنوان "حرب البارثيين Parthes"[9]، حيث يقدم من خلاله المواساة والنصائح من أجل رفع معنويات تلميذه سابقاً لوكيوس فيروس بعد انهزامه أما البرثيين في بداية حملته العسكرية عليهم، والثاني يحمل عنوان "أولويات التاريخ Principia Historia"، وتحدث فيه عن المقدونيين والبارثيين، وأجرى بينهما مقارنة، حيث يهدف من وراءها تعريف مبادئ التاريخ لتلميذه سابقاً ماركوس أوريليوس.[1]

1- حسينة قادري: المرجع السابق، ص. ص 40-41.

2- Fronto: éloge de la fumée et de la poussière, Op.cit, T.II

3- حسينة حلاق، سعاد سلطاني: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 791.

4- Fronto: éloge de la négligence, Op.cit., T.II.

5- حسينة قادري: المرجع السابق، ص. ص 41-43. ينظر: Fronto: Arion, Op.cit., T.II.

6- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 177.

7- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 351.

8- المرجع نفسه، ص 332.

9- محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 351.

1- حسينة قادري: المرجع السابق، ص. ص 35، 39.

ولديه عملين آخرين أهداهما لماركوس أوريليوس؛ الأول عن "الفصاحة" أو "خطاب في البلاغة" والثاني "حول الخطابة"[1]، وهذا الأخير هو مؤلف عن المنطق يبرز فيه اهتمامه بالريطوريكا، وعرض فيه نظرية يعدد من خلالها فرونطو مزايا الفصاحة، وأعطى اهتماماً خاصاً للدور الذي تلعبه الألفاظ وآليات تركيب الجمل اعتماداً على الفصاحة اللغوية، وفي هذا المجال يظهر المؤلف تأثره بمذهب الفلسفة الرواقية[2]، وفي هذا الصدد أشار في أحد رسائله أنه يكن احتراماً وتقديراً هاماً لأستاذه في الفلسفة الفيلسوف أثينودوروس Athenodorus.[3]

الجدول أدناه يلخص أهم مؤلفات وأعمال فرونطو الكيرتي.

المرسلات	المقالات	الخطب	الكتب
مراسلات إلى ماركوس أوريليوس قبل توليه العرش	الدخان والغبار	الدفاع عن القرطاجيين	حرب البرثيين
مراسلات إلى الإمبراطور ماركوس أوريليوس	الثناء على الإهمال	البيثونيين	أولويات التاريخ
مراسلات إلى الإمبراطور لوكيوس ويروس	مغامرة أوريون	الجنس	عن الفصاحة
مراسلات إلى أنطونيوس التقي	/	عن العطلة في ألسيوم	البلاغة
إلى الأصدقاء	/	/	حول الخطابة

الجدول رقم 9: أهم مؤلفات فرونطو الكيرتي. (إنجاز الباحث).

وخلاصة لهذا، فإن فرونطو الكيرتي نشأة في أحضان أسرة أرستقراطية كيرتية نوميدية مترومنة، إلى أن ذلك لم ينسيه أصالته فقد كان على الدوام من المصرحين بانتمائه الليبي ومن المدافعين على وطنه والمجتمع الذي ينتمي إليه، كما ساعدته ظروفه وإرادته في أن يتلقى تعليماً نخبوياً راقياً، وأن يصبح من مصاف كبار مفكري وعلماء المغرب القديم في العالم الروماني خاصة في مجال الأدب والبلاغة والخطابة، فقد خلف ورائه إرثاً فكرياً وعلمياً غزيراً رغم أن الكثير منه قد ضاع، والمتمثل في سلسلة المراسلات والخطب والكتب المتعددة المواضيع، وكل ذلك أوصله إلى تقمص أعلى المراتب في السلم الاجتماعي والوظيفي في الإمبراطورية الرومانية عامة، وعليه فقد شكل مظهراً من مظاهر الثقافة اللاتينية الرومانية في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 177. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 332.
2- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 177.
3- حسينة حلاق، سعاد سلطاني: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، المرجع السابق، ص 791.

المطلب الثالث: لوكيوس أبوليوس

سأتحدث في هذا المطلب عن شخصية لوكيوس أبوليوس، بدءاً من ميلاده متتبعاً نشأته وتكوينه العلمي والفكري مبيناً لخصوصياته وموقفه الانتمائي، مبرزاً حجم إسهاماته الفكرية والعلمية في التراث اللاتيني للمغرب القديم كمظهر ثقافي عائد لفترة الاحتلال الروماني.

1- مولد ونشأة لوكيوس أبوليوس:

يعود لوكيوس أبوليوس Lucius Apuleius المعروف باسمه النوميدي "أفولاي"، إلى القرن الثاني للميلاد[1]، حيث يعد من أشهر نخب المغرب القديم المولود بمدينة مادوروس في حوالي سنة 125م والمتوفى بقرطاجة في حوالي 170م[2]، أي ازداد خلال النصف الأول من حكم أيليوس هادريانوس Aelius Hadrianus (117-138)، وتوفي في النصف الثاني من حكم ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (161-180)[3]، وكان ينحدر من عائلة نبيلة غنية ولها نفوذ، حيث كان والده من أعيان المدينة ويحظى بمكانة هامة، فبعدما تمكن والده من الارتقاء في سلم الوظائف الشرفية[4]، فأصبح نائب حاكم بلدية مادوروس[5]، وهو منصب دوومفير Duumvir[6][7]، ويعتبر هذا المنصب أعلى رتبة قضائية في مادوروس، ينتخب من طرف مجلس الشيوخ البلدي Senatus municipalis، وهذا ما جعل أبوليوس يحي حياة كريمة، وفتحت أمامه الآفاق ليتلقى تكويناً تعليمياً عالياً، وخاصة التعليم النخبوي الذي كان حكراً على الطبقة الأرستقراطية من مجتمع المغرب القديم.[8]

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 71.

2- لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، تر.: عمار الجلاصي، الكتاب الأول، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2000م، ص 4.

3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.266-276. Voir: Roman (D.), Roman (Y.): Rome de la République à l'Empire (IIIe s. av. J-C.- IIIe s. ap. J.-C.), 2eme édit. mise à jour, édition ellipses Marketing S.A., Paris, 2006, P.P.246, 251.

4- قبايلي كاهينة: **"على خطى الفيلسوف لوكيوس أبوليوس"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.11، العدد 3، مركز الحكمة، الجزائر، 2023م، (ص 37-61)، ص 41.

5- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي - أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر.: أبو العيد دودو، ط.2، منشورات الاختلاف الجزائر والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م، ص 6.

6- الدومفير: هو شكل من أشكال الحكم الثنائي الممارس من قبل شخصين، والهدف منه هو تحقيق توازن والحد من النفوذ الفردي في الحكم، وكان روما تلجأ إلى هذا الشكل من أشكال الحكم لذات الغرض. ينظر: عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ص 562.

7- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 24، ص 38.

8- حلاق حسينة، سليماني سعاد: **"الفكر العلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"**، مجلة عصور، مج.21، العدد 01، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2022م، (ص 11-29)، ص 14.

ويبدو بأنّه كان يتكلم بالليبية، بما أنّه في بداية دراسته كان يغلب على لغته لهجة أو نبرة معينة اعتبرها من عايشه بأنّها كانت نبرة أفريقية.

في فترة طفولته يقول بن ميس أنه لم يكن يعرف سوى اللغة الليبية لغة أبائه وأجداده[1]، بينما يرى غزال أن اللاتينية هي اللغة التي كانت متداولة في الوسط الاجتماعي المادوروسي ووسطه الأسري كذلك[2]، أما مونصو فيشير أنه كان يعرف اللغة الليبية ممزوجة بالبونية[3]، وعلى كل حال فقد انتسب إلى مدارس مادوروس مسقط رأسه، وغلبت عليه اللكنة الليبية في بدايات دراسته[4]، حيث تلقى تعليمه الأولي بشكل جيد وممتاز في مدارس الليتراريوس والغراماتيكوس إلى غاية سن السادسة عشر أو السابعة عشر، وكان شغوفاً وميالاً للدراسة ومحباً للعلم والمعرفة وتعلم اللغة اللاتينية، وبعدها أرسل إلى قرطاجة حيث قال: **"كنت أعرفها.. أشد المعرفة منذ أمضيت بها أيام دراستي"**، وذلك لاستكمال مرحلة الريطوريكا باعتبارها مركزًا ثقافياً مشهوراً، ودرس بها الإغريقية واللاتينية والأدب والشعر والبلاغة والفلسفة والموسيقى والجدل[5]، ولاستكمال تحصليه العلمي سافر إلى إقليم أتيكا Attique باليونان حيث أثينا، وهناك تعلم الفلسفة وتعرف على كل مدارسها الفلسفية، وخاصة الفلسفة الأفلاطونية حيث وجد فيها متعة ولذة باهرة، توافقت مع ميوله ورغباته العلمية والمعرفية حيث قال: **"في أثينا نهلت من كل الأذواق"**.[6]

وقد تبنى المذهب الصوفي الفلسفي المعروف بالأفلاطونية المحدثة[7] Néoplatonisme وجاهر بها، فأطلق على نفسه لقب: أبوليوس الأفلاطوني Apuleius Madaurensis Platonicus والفيلسوف الأفلاطوني Philosophus Platonicus حيناً آخر[8]، وهذا ما يفسر انجذابه للملل والنحل والطقوس السرية الشرقية كعبادة ديونيسوس Dionysos وإيزيس Isis[9]،

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 71. علي أحمد شعبان: المرجع السابق، ص 356.

2- Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.2, Op.cit., P.30-31.

3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.267-269.

4- محند أكلي حدادو: مدخل في الأدب الأمازيغي، تر.: حبيب الله منصوري، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2020م، ص 25.

5- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 18، 20، ص. ص 75، 84. Talbot (F.): Op.cit., P.22.

6- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.267-269. Talbot (F.): Op.cit., P.22.

7- الأفلاطونية المحدثة: أسس هذا المذهب أمونيوس سكاس Ammonius Saccas، الذي كان والديه من معتنقي الديانة المسيحية، أما هو فقد اعتنق المعتقدات اليونانية القديمة، وكان أول المعلمين لها في الإسكندرية، ومن الذين حاولوا أن يوفقوا بين تعاليم أرسطو وأفلاطون، توفي عام 242م ولم يترك أي كتاب.أحمد أمين وزكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، المملكة المتحدة، 2018م، ص 198.

8- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، ص 8. لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 6. لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 10، ص 21.

9- حسينة حلاق، سعاد سلطاني: **"الفكرالعلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"**، المرجع السابق، ص. ص 15-16.

كما اهتم بمختلف العلوم من البلاغة والنحو والشعر والريطوريكا والموسيقى[1]، وعن هذه الأخيرة، فقد كان أبوليوس يحب العزف على القيثارة أمام الجمهور[2]، والتاريخ وعلم الفلك والتنجيم والطب والهندسة، حيث امتاز بشغفه وحبه لمختلف علوم ذلك العصر.

وفي محاولاته لإيجاد تفسيرات لبعض المسائل العلمية والميتافيزيقية التي طرح حولها الكثير من التساؤلات والإشكاليات. اعتنق كما أشرت للنيوأفلاطونية ومختلف الديانات الشرقية، وليتعرف على حقيقة ذلك، كان عليه الارتحال إلى بلاد اليونان فزار ثيساليا Thessalia، وأكمل مسيرته على طول ساحل الأناضول (آسيا الصغرى) وجزره، وتعرف على أسرار عبادة الإلهة إزيس في فريجيا Frigya وساموس Sámos وكورينثا Corinthe.[3]

كما انتقل إلى روما قبلة مجتمعات الإمبراطورية الرومانية، وهناك رأى أستاذه أسينيوس مارسيلوس Asinius Marcellus أنه يحمل في عمقه المجد الأدبي الراقي، ونتيجة لتناقص أمواله اضطر إلى إلقاء قصائد شعرية وخطباً طلباً للمال، لذلك تعرض للسخرية بسبب طغيان اللكنة الليبية على نطقه اللاتيني، دون أن يخجل من لغته الأم. فاعتكف هناك على دراسة اللغة اللاتينية وتصحيح عيوبه اللغوية الخاصة باللاتينية[4]، بالإضافة إلى اشتغاله في روما بمهنة المحاماة.[5]

لكن تفاعلت مجموعة من الأسباب دفعت به إلى مغادرة عاصمة الإمبراطورية من غير رجعة، كارتفاع تكاليف الدراسة والعيش في روما، وإحساسه بأنه بقي مجرد أجنبي[6]، وكذا ظروفه العائلية المتمثلة في وفاة والده، فعاد إلى مادوروس حيث ورث عن والده نصف تركته تقاسمها مع أخيه، وتبلغ قيمة ما ورثه المليوني سيسترس[7]، بالإضافة إلى الأوسمة البلدية، فاستقر بمادوروس وامتهن مهنة المحاماة، وأصبح له مقعد في كوريا Curia مادوروس[8] في عام 155م[9]، وبناءً على شهادة القديس أوغسطين فقد نال على الامتياز الروماني ونال رتبة شرفية، ليصبح من أثرياء

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.268-269.

2- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 17، ص 71. Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, III, XVII,53.

3- حسينة حلاق، سعاد سلطاني: **"الفكرالعلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"**، المرجع السابق، ص 16.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.270.

5- Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.2, Op.cit., P.30.

6- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.270.

7- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، الممصدر السابق، 23، ص 36.

8- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.270, 272.

9 -Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.2, Op.cit., P.30.

تلك المدينة، لكن وبسب ميل أبوليوس للعلم والمعرفة[1]، فقد أنفق ثروته في سبيل دراسته وحتى على غيره وبكل سخاء[2]، وأمام عدم قدرته على العيش في كنف المناصب والإدارات، تجددت في نفسه أهواء الترحال فانتقل للعيش في مدينة قرطاجة، حيث ألقى خطاباً أمام بروقنصل أفريقيا البروقنصلية الذي أثار إعجابه فصفق له كثيراً.[3]

ومن قرطاجة انطلق باتجاه الإسكندرية لكنه قبل اجتياز حدود البروقنصلية أصابه المرض، فكان عليه التوقف في مدينة أويا بإقليم تريبوليتانيا (طرابلس)، فنزل عند أصدقائه آبيانوس Appianus[4]، ثم استقر عند صديق بونتيانوس الذي التقى به حينما كان طالباً في أثينا، ويشير مونصو أنه مكث هناك في حدود ثلاثة سنوات، وخلالها كسب شهرة من خلال الخطب الكثيرة التي ألقاها في أويا وبعض المدن المجاورة لها، وأشهرها وأنجحها خطبته تلك التي ألقاها عند معبد أسكولابيوس Asclépios، والتي دفعت بمجتمع أويا التوسل إليه للاستقرار عندهم. كما رأى فيه صديقه بونتيانوس الزوج المثالي لأمه الأرملة الغنية التي كانت راغبة في الزواج من رجل أمين لتحفظ ثروتها[5]، والمعروفة باسم أيميليا بودونتيلا Aemilia Pudentilla أي بودونتيلا الخجولة[6]، بعد ترملها لمدة ثلاثة عشرة سنة[7]، كانت في مطلع الأربعينات من العمر ما بين 40 إلى 42 سنة، أما أبوليوس فكان في حدود 32 أو 33 من العمر. وقد قبل الزواج منها بعد أن أصر عليه صديقه، الذي توفي ما بين زواج أمه بأبوليوس والمحاكمة الشهيرة[8]، وقد تحصل من عندها ما قيمته ثلاثمائة ألف سيسترس[9]، ولعل الصفات الحميد والأخلاق الفاضلة التي كانت تمتاز بها هذه المرأة والتي أشار إليها أبوليوس أثناء المحاكمة، بالإضافة إلى امتلاكها لثقافة واسعة، تتضح من خلال الرسائل التي كانت تكتبها له باللغة اللاتينية والإغريقية، سبباً وجيهاً ليقبل الزواج منها[10]، ولكونه ينحدر من أسرة ثرية، ولكنه ضحى بذلك في سبيل العلم والمعرفة.

1- حسينة حلاق، سعاد سلطاني: **"الفكرالعلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"**، المرجع السابق، ص 17.

2- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 23، ص. ص 36.

3- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 159.

4- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 72، ص 87. Talbot (F.): Op.cit., P.22.

5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.271.Talbot (F.): Op.cit., P.22.

6- قبايلي كاهينة: المرجع السابق، ص 49.

7- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 27، ص 43.

8- Vallette (P.): Op.cit., P.P.4-5.

9- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 92، ص 104.

10- قبايلي كاهينة: المرجع السابق، ص 53.

لكن آل سيكنيوس Sicinius أهل الزوج الأول لبودونتيلا وهو سيكينيوس أميكوس Sicinius Amicus وبتأليب من روفينوس (أخ زوج بودونتيلا المتوفي)[1]، رأوا فيه أنه يريد اختلاس أموال بودونتيلا واتهموه بالسحر[2]، والذي ذكره أبوليوس باسم السحر الأسود بالإضافة إلى اتهامه بقتل ابنها بونتيانوس، كما كان على استعداد للرد على الحملة التي أثارها الإخوة غرانيوس[3]، خصوصاً أن قانون الألواح الاثني عشر يعتبر ممارسة السحر جريمة، يعاقب عليها قانون كورنيليا Cornelia بالإعدام منذ عهد سولا Sylla[4]، كما كانت بودونتيلا امرأة جد غنية تبلغ ثروتها في حدود الأربعة ملايين سيسترس في شكل أملاك وثروات في المدينة والريف ورؤوس الماشية والعبيد[5]، ومنهم من كان كحرفيين في صناعة الحلي[6]، لذلك ألبوا ضده ابنها سيكينيوس بودانس Sicinius Budens، ورفعوا ضده قضية، لكنه تمكن من تبرئة نفسه من خلال مرافعته الشهيرة[7]، التي ألقاها أمام بروقنصل أفريقيا ماكسيموس كلوديوس[8] الذي خلف ليليانوس أفيتوس Lollianus Avitus في حوالي 154م، وخلال فترة حكم الإمبراطور أنطونيوس التقي Antoninus Pius الذي حكم ما بين 138-161م[9]، بمدينة صبراتا مقر محكمة البروقنصل[10]. ولا شك أن آل سيكتيوس قد دفعوا رسوماً بسبب خسارتهم أمام أبوليوس، وقد أشار في كتابه الفلوريدا بأن يدفع الخاسر رسوم المحاكمة.[11]

وقد شده حنينه إلى قرطاجة الذي يتضح من مراسلاته الدائمة مع أصدقائه من قرطاجة، فكانت ذريعة انزعاجه من تهمة السحر وما لحقه من أقاويل وافتراءات واتهامات دفعه إلى مغادرة أويا نحو قرطاجة ليستقر بها بشكل نهائي[12]، حيث كان فيها أبوليوس الفيلسوف والمحامي[13]، والطبيب والشاعر والروائي، وأمين مكتبة وكاهن إسكولابيوس، وعضو مجلس هذه المقاطعة، ورأى

1- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 68، ص 85.
2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.271.
3- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 1، 9، ص. ص 11، 18.
4- Vallette (P.): Op.cit., P.P.34-35. 65-64 ينظر: لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 74، ص. ص
5- الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.2، ص 347.
6- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 71، 93، ص. ص 87، 106.
7- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 159.
8- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 1، ص 11.
9- Vallette (P.): Op.cit., P.3.
10- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 8.
11- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 18، ص.ص 76-77.
12- حسنة حلاق، سعاد سلطاني: **"الفكرالعلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"**، المرجع السابق، ص17.
13- Talbot (F.): Op.cit., P.22.

فيها المكان المناسب ليفجر فيها طموحاته ويعبر عن أفكاره، فألقى فيها الخطب والمحاضرات في مسرح هذه المدينة، ما أكسبه مكانة اجتماعية وثقافية مرموقة وسمح له بجمع ثروة طائلة.[1]

إذن؛ لقد ذاع صيته ونال شهرة في مدن ومقاطعات بلاد المغرب القديم، من خلال الخطب التي كان يلقيها وجولاته الأدبية، حيث كان يستقبل بالاحتفالات والتهليل والتصفيق من قبل جمهوره الحقيقي الذي كان يتفاعل معه، فكان خطيباً مفوهاً وبليغاً ويحسن التحدث، حيث كان يمكن سماعه في كل مكان تقريباً؛ في مجلس شيوخ قرطاجة في المكتبة بصفته أميناً عليها وفي معبد أسكولابيوس بصفته كاهناً، في أكروبوليس بيرصا، كما ألقى محاضراته في مسرح قرطاجة، وكان يحب أن يرى حشوداً من جمهوره المنصت إليه، وكانت مواضيع خطبه متنوعة من الفلسفة والأدب والتاريخ وغيرها من العلوم، وحينما يتناول موضوعاً ما يتابع مستمعيه بعينيه ومستعداً دوماً لإثارة الانتباه، فقد ساعده اطلاعه الواسع وذاكرته الجاهزة وخياله اليقظ بالحجة الحاسمة، كما كان مفعم بالحيوية، ونتيجة لتأثيره على المجتمع القرطاجي أقام له هذا الأخير تمثالاً تكريماً له[2]، وكان يذكر في خطبه أيامه الأولى بقرطاجة ويقول: **"أنا الذي أقمت بينكم، وأتيتكم منذ طفولتي ودرست في مدارسكم، وأنا الذي تعرفون مبادئي".**[3]

كما كان يكوّن صدقات حيثما حل وارتحل، حيث كان يمتاز بالصدق والأمانة والإخلاص، فبالإضافة إلى صديقه بونتيانوس المذكور آنفاً، الذي جمعته معه صداقة متينة في أثينا[4]، والتي بدورها التقى فيها مع الكثير من طلبة بلاد المغرب منهم أولوس جيليوس، وفي قرطاجة يملك الكثير من الأصدقاء من الذين كان يراسلهم حينما كان في أويا. فكان لا يتوقف عن مدح مدينة قرطاجة وعظمتها وجمالها، وذكاء وطيبة مجتمعها، وكذلك مدح وشكر بروقنصل وأعضاء مجلس الشيوخ المحلي لهذه المدينة[5]، وربطته علاقات طيبة مع الشخصيات التي توالت على منصب البروقنصلية[6]، مثل لوليانوس أفيتوس وكلوديوس مكسيموس وسفيريانوس وسكيبيو أورفيتوس[7] الذين صفقوا له كثيراً، ويكون قد انتخب في مجلس السينا للبروقنصلية ورئيساً له وكنائب في

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 159.

2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.274-275.

3- Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, IIII, XVIII, 57.

4- Vallette (P.): Op.cit.. P.5.

5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.268-269, 275. لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 9. 16، ص. ص 44-45، 62-68.

6- حلاق حسينة، وسلطاني سعاد: **"الفكرالعلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"**، المرجع السابق، ص 18.

7- وعن مدح هذا البروقنصل. ينظر: لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 17، ص. ص 70-72.

مادوروس ورئيس كهنة البروقنصلية[1]، وأقيمت له العديد من التماثيل منهم التمثال الذي أقامه القنصل إيميليانوس سترابو[2] والثاني من قبل مجلس الشيوخ المدينة. واستمر الحال هكذا العديد من السنوات إلى أن فقد أثر لوكيوس أبوليوس بعد عام 170م[3]، وفيما يرى أغلب الدارسين أنه مات في عام 180م.[4]

وفي الحقيقة لم يصل إلى مستوى أن يكون فيلسوفاً وخطيباً وروائياً وكاتباً، إلا لأنه كرس حياته لذلك، حيث يقول: **"لقد كرست نفسي وجسدي منذ سنواتي الأولى للأدب، وله وحده، واحتقرت كل الملذات الأخرى حتى السن التي أنا فيها الآن"**، فقد عمل بجد وسخر كل ما يملك في سبيل العلم والمعرفة ومن أجل أن يثقف نفسه، فلا يكل ولا يمل من الترحال والسفر وحتى الاستقرار دوماً في سبيل العلم، وسمح له ذلك أن يتجرأ على كل شيء[5]، وقد أشار إليه مبارك الميلي بأنه من أكمل الرجال وأعظمهم فائدة في عصره، فهو مخترع ومؤسس للكثير من المبادئ.[6]

أما فيما يخص ملامحه، فقد كان لوكيوس أبوليوس صاحب هيئة جميلة وشعر طويل مجعد منسدل على كتفيه، وقد وصف نفسه بأنه متوسط الجمال وجهه سلبت منه الحيوية وجسمه هزيل بسبب الإجهاد الذي تعرض له في سبيل التحصيل العلمي[7]. بالإضافة إلى طبيعة حياته التي تتميز بالتقشف في الطعام وقلة القوت[8]، وقد ذكره محامي دفاع أهل زوجته في المرافعة الشهيرة، أنهم يتهمون فيلسوفاً رائع الجمال، والتي رد عليها أبوليوس بالمراوغة والمجادلة دون أن ينكر ذلك، حيث أشار إلى أن الجمال هي هبة الآلهة، وأنه لا يجب أن نرفض عطاياها المجيدة، وكان متواضعاً يميل إلى الاهتمام بالباطن خصوصاً أنه كان من المتأثرين بالصوفية الفلسفية الأفلاطونية التي ترى أن النفس أسمى من الجسد[9]، حيث قال: **"هناك كلمة شهيرة لأحد الحكماء تتعلق بالمآدب، يقول فيها: القدح الأول للعطش، والثاني للمسرة، والثالث للذة الجسدية، والرابع**

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.276.

2- حول مدح هذا البروقنصل ينظر: لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 16، ص. ص 62-68. Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, III, XVI, 46-49.

3- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 16، ص. ص 62-68. Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, III, XVI, 50.

4- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 9.

5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.278. Voir: Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, III, XVII, 51.

6- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص 306.

7- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.266, 277.

8- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 31، ص. ص 34-35.

9- قبايلي كاهينة: المرجع السابق، ص. ص 43-44.

للهذيان. ولكن قدح عرائس الشعر يحدث أثراً معاكساً، فكلما كان مفعماً، كان أقدر على مد الروح بالصحة والعافية"، فكانت أقداحه فالأول من عناصر الآداب والثاني من معلم اللغة فزوده باللغة، والثالث من معلم الخطابة فدرعه بالخطابة.[1]

ولقد كانت له مواقف حول انتمائه، فقد كان يفتخر بأصوله وليس عيباً إن كان الفرد مختلطاً عرقياً أو ثقافياً ما دام حريصاً على مبادئه[2]، ويحب أن يقدم نفسه أنه نوميدي ويحب موطنه الأصلي ويفكر على الدوام للعودة إليه[3]، كما أشار إلى انتمائه العرقي بأنه نصف نوميدي ونصف جيتولي[4]، من خلال خطابه في بلدته مادوروس بقوله: **"أهلي النوميد أهلي الجيتول"**[5]، ويذكر بأنها موطنه حين قال في مدحه للبروقنصل سترابو **"وكذلك فعل رجل انبرى لأفاضل مواطني إفريقية ليثني على شخصي عاطر الثناء!"**[6]، ويشير إلى أن بلدته هذه كانت واقعة بين حدود نوميديا وجيتوليا، كانت في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد تحت حكم سيفاكس، ثم أصبحت بعد الحرب البونية الثانية تابعة لماسينيسا ما بين القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. ويضيف أنه استوطن فيها قدماء الجيش الروماني[7]، لتتحول إلى مستوطنة رومانية مع عام 75م (نهاية القرن الأول) في عهد حكم الإمبراطور فيسبسيانوس Vespasianus.[8]

2- إسهامات لوكيوس أبوليوس الفكرية والعلمية:

وكما أشرت؛ أن أبوليوس يعتبر من أشهر كُتاب ومؤلفي المغرب القديم، فقد ألف الكثير من المؤلفات في مختلف العلوم كالفلسفة والتاريخ والموسيقى والشعر والنحو وعلم الحساب والفلك والوظائف والعلوم الطبيعية والفلاحية... وغيرها (أنظر الجدول رقم 10، ص 234)، إلا أنه لم يصلنا منها إلا القليل[1]، وهي ستة مؤلفات[2]، وقد صنفها بن ميس إلى مؤلفات في المجال الأدبي وأخرى في المجال الفلسفي[3]، وسأعتمد هذا التصنيف كما يلي:

1- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 7. Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, IIII, XX, 65.

2- قبايلي كاهينة: المرجع السابق، ص 42.

3- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.277.

4- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 24، ص 37.

5- Apulée: Apologie, trad. M.Victor Bétolaud, Librairie Editeur Garnier Frère, Paris, 1836, remacle, لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، ج.2، المصدر السابق، ص 33 T.II.

6- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 16، ص 66.

7- Mansouri (KH.): Op.cit., P.1.

8- محمد حشلاف: المرجع السابق، ص 955. ينظر: لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، ج.2، المصدر السابق، ص 33.

1- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص. ص 10-11. Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.280-282.

2- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، ص 7.

3- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 94.

1/ المؤلفات الأدبية:

وتتمثل مؤلفاته الأدبية في ثلاثة كتب وهي: كتاب الأزاهير (فلوريدا Florida)، والدفاع (أبولوجيا Apologia) وكتاب التحولات (ميتامورفوز Metamorphose)، ويعتبر أول رواية مكتوبة نثرًا في تاريخ الأدب العالمي[1]، غير أنه اشتهر بالكتابين الأخيرين (الدفاع والتحولات)، اللذان يعتبران شاهدين على عصره[2]، وهي كما يلي:

1) مؤلف التحولات (ميتامورفوز Metamorphose):

والمعروف كذلك برواية الحمار الذهبي Asinus aureus، العنوان الذي اشتهر به في زمن القديس أوغسطين، وهي رواية وردت في إحدى عشر كتاباً، والتي وصلتنا كاملة[3]، كتبها في حوالي سنة 170م باللغة اللاتينية[4]، أي مع النصف الثاني من حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي حكم من 161 إلى 180م[5]، وجاءت في طابع اجتماعي ممتاز مبني على السخرية والنقد والمسخ والتحول والتعرض للسحر[6]، حيث تروي قصة شاب يهتم بالسحر وأحب أن يتحول إلى طائر، لكنه تحول إلى حمار[7]، بعد تعرضه للسحر، ذلك الشاب هو لوكيوس بطل الرواية، عاش خلالها مغامرات بفعل انتقاله من مالك إلى آخر ومن مكان إلى آخر ومن واقع إلى آخر، ليعود في الأخير إلى شكله البشري. وقد نجح من خلالها أن يعطي صورة عن الممارسات اليومية لمجتمعات الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثاني للميلاد، وأن يبرز الجانب القاتم والمظلم للحضارة الرومانية.[8]

2) مؤلف الدفاع (أبولوجيا Apologia):

ويدخل هذا الكتاب ضمن خطب الريطوريكا القضائية[1]، ويرجح أنه كتبها بين سنيتي 156م و158م، وهي عبارة عن مرافعة قانونية للدفاع عن نفسه من تهمة السحر، وهي التهمة التي أتهم بها من قبل عائلة الزوج الأول لزوجته إيميليا بودونتيلا Emilia Pudentilla[2]، والتي

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 94.
2- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 333.
3- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي،تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص. ص 15-16. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 333. Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.303
4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 160.
5- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.310. Voir: Roman (D.), Roman (Y.): Op.cit., P.251.
6- محمد شفيق: المرجع السابق، ص.ص 83-84.
7- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص. ص 15-16.
8- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.
1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 94.
2- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 333.

ألقاها في محكمة صبراتا في النصف الثاني من حكم أنطونيوس التقي[1]، حيث يبدو من خلالها أبوليوس ذلك الخطيب البارع، الذي استطاع أن يرد على كل التهم التي وجهت له، بكل براعة وصلابة وثقة وذكاء وسخرية في نفس الوقت[2]، كما تحّمِل في ثناياها أهمية أدبية ومعلومات سوسيوثقافية وتاريخية ودينية وفلسفية وفنية وعلمية وفيزيائية ورياضية وطبيعية، بيّن من خلالها أبوليوس سعة ثقافته الإغريقية واللاتينية، واهتمامه بمختلف علوم عصره والمعتقدات الشرقية[3]، كما تتسم بالبلاغة الخطابية والسخرية من خصومه.[4]

3) مؤلف الأزاهير (فلوريدا Florida):

بالنسبة لهذا الكتاب، فيدخل ضمن الخطب في الريطوريكا البيانية[5]، وتحتوي على ثلاث وعشرين خطبة[6]، وتتمثل في مجموعة الندوات والخطب التي ألفها، ومناقشاته الشفوية خلال أسفاره في مختلف المجالات[7]، ويكون قد كتبه فيما بين حوالي 160 و170م. وينقسم هذا المؤلف إلى أربعة كتب؛ حيث يحتوي الكتاب الأول على تسعة خطب، تناول فيها مقارنة بين النظر عند الإنسان والنظر عند النسر، وتحدث عن بلاد الهند وعن فلاسفتها، والإسكندر الأكبر وإنجازاته العظيمة. أما الكتاب الثاني ففيه ستة خطب، تحدث فيها عن العناية الإلهية وعن الببغاء وآلية نطقه للكلمات، وعن تغريد الطيور، وعن مدرسة بروتاغوراس Protagoras السفسطائي، وعن الفيلسوف هيبياس Hippias الذي كان يصنع لباسه ونعاله بنفسه في بيته والفيلسوف فيثاغورس. بينما يحتوي الثالث على ثلاث خطب، قدم من خلالها شكره للحاكم الروماني بعد أن أقام له تمثالاً، وتحدث عن موت الشاعر والمسرحي فيلمون Philemon وعن طاليس الملطي Thalès de Milet، وسرد حكاية بروتاغوراس Protagoras وتلميذه إيواثلوس Euathlos. أما بالنسبة للكتاب الرابع فيحتوي على ستة خطب، تناولت حديث الطبيب أسكليبياديس الشهير[1] Asclepiades، ومواهب أبوليوس وكراتس الكلبي Le cynisme Cratès تلميذ ديوجين

1- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.289.

2- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.

3- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، ص. ص 11-116.

4- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 333.

5- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 94.

6- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 13.

7- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 160.

1- ويعرف باسم أسكليبياديس البيثني Asclepiades of Bithynia، ينظر: Thomas (J.): The Universal Dictionary of Biography and Mythology, Vol. I, Cosimo, Incorporated, A-CLU, 2013, P.188.

Diogène ويختم مؤلفه هذا بحكاية الغراب والثعلب[1]، ويهدف أبوليوس من وراء هذا المؤلف إظهار براعته البلاغية وأسلوبه المشوق الجذاب ومعلوماته الموسوعية، التي بواسطتها مكنته من لفت انتباه المستمعين وإثارة إعجابهم.[2]

كما أشير إلى أن أبوليوس يعترف من خلال خطبه في هذا المؤلف، أنه كان يحب ويتقن مختلف الفنون المسرحية بشقيها الكوميدي والتراجيدي باللغتين اللاتينية والإغريقية، ونظم الشعر وتلحينه على أنغام الموسيقى، حيث يقول على حد تعبير ش. أ. جوليان: "**اعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة، أو جلال المأساة...**"[3]، وذكر في الفلوريدا الموسيقي هياجنيس Hyagnis الذي كان يجيد التعامل مع آلات النفخ كالناي[4] ذو الثقوب المتعددة[5]، وقد أشار أولوس جيليوس أنه كان يعتمد على الموسيقى كأسلوب علاجي لتخفيف الآلام على المرضى.[6]

2/ المؤلفات الفلسفية:

ترك مجموعة من المؤلفات ذات المواضيع الفلسفية وهي: كتاب حول إله سقراط وآخر حول مذهب أفلاطون وكتاب عن العالم، وهي كما ما يلي:

1) مؤلف إله سقراط De deo Socratis:

لقد ذكر في كتابه الفلوريدا أنه قرأ مجلدات أرسطو التي تحتوي على مواضيع وإشكاليات متعددة ومتنوعة منها تكاثر وتشريح الحيوانات، والكثير من الأعمال الأخرى من مدرسة هذا الفيلسوف[7]، لذلك ففي كتابه هذا الذي كتبه في القرن الثاني للميلاد، كشف عن أجزاء من أسرار هذا الفيلسوف والحكمة الإنسانية موضحاً لنا التأملات التي قدمها[1]، وعليه فقد جاء في شكل رسالة عن القوى الخفية، المتمثلة في الأرواح والشياطين، ويتحدث فيها عن كائنات ومخلوقات بعضها يتواجد في عالم الآلهة وأخرى في العالم الأرضي وبعضها وسطاء بين العالمين[2]، حيث

1- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص. ص 13-14. ينظر: لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، المصدر السابق، 18، ص. ص 21-99، 76-77. Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, I,9-74.

2- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 333.

3- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 252.

4- العزف على الناي كان معروفاً عن النوميد، وهذا ما رواه بلوتارك. ينظر: Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de César), LVII,407.

5- Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides,I, 12.

6- Voir: Aulu-Gelle: 1, L.IV, XIII, 589.

7- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 36، ص 54.

1- Apulée: du Dieu de Socrate, Trad. M.V.Bétolaud, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1886, T.III, I, 111.

2- Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, 106.

يشير في كتابه هذا أنها تسكن الفراغ الذي بين السماء والأرض، وتتمثل مهمتها في الوساطة بين عالم البشر وعالم الآلهة، فتنقل الصلوات والتضحيات إلى الآلهة وتنزل آثارها ونعمها على مخلوقاتها الأرضية، ويصفها بالمخلوقات ذات الطبيعة الأثيرية لا هي خفيفة ولا هي ثقيلة[1]، وهي شبيهة بالبشر في رغباتها وشهواتها، لكنها خالدة مثل الآلهة.[2]

ويقسم هذه القوى الخفية إلى نوعين؛ فالأول هو أرقى ولا تربطه أية علاقة مع المجتمع الإنساني، والنوع الثاني له صلة بهذا المجتمع[3]، لذلك يرى أن لكل فرد من أفراد المجتمع شيطاناً خاصاً به، بما فيهم سقراط الذي كان يستمع لشيطانه بكل احترام. وينهي رسالته هذه بالدعوة لدراسة[4] الفلسفة، لأن الحكمة الفلسفية باعتبارها أفضل كنز لدى الأفراد، مع ضرورة الاهتمام بالعقل الذي يعني شيطان العقل والعناية به بشكل أفضل.[5]

2) مؤلف حول مذهب أفلاطون De Platone et ejus dogmato:

يعتبر أبوليوس نفسه من أتباع أفلاطون كما أشرت إلى ذلك سابقاً، لذا رأى أنه من الضروري تقديم موجز عن هذا الفيلسوف الشهير[6]، وعليه فقد قام بتأليف هذا الكتاب الذي يعتبر أول مؤلف في المنطق الصوري باللغة اللاتينية[7]، خلال الفترة ما بين 150م[8]، حيث يوضح فيه عقيدة أفلاطون محاولاً إعادة إنتاج نظرياته[9]، وعليه فهو يحتوي على ثلاثة أجزاء، حيث تطرق في الجزء الأول للحديث عن حياة أفلاطون وآرائه الفلسفية، والثاني خصصه للفلسفة الأخلاقية والفضيلة والرذيلة والصداقة والحب والخير والشر، وعلاقة العدالة بالبلاغة والسياسة والمدينة الفاضلة وخصائصها[1]، كما يحتوي على ثلاثة تخصصات؛ الأول ينطبق على الطبيعة والثاني على الأخلاق والثالث على المنطق (الاستدلال في الفلسفة والخطاب الذي يشكل المنطق).[2]

1- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 14.
2- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 334.
3- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 14.
4- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 334.
5- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 14.
6- المصدر نفسه، ص 14.
7- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 95.
8- حلاق حسينة: **"الفكر الفلسفي عند ابوليوس من خلال مؤلفه (أفلاطون وعقيدته)"**، مجلة هيردوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.6، العدد 3، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، 2022م، (ص 84-96)، ص 91.
9- Apulée: du Dieu de Socrate, T.III, I, 111.
1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 334.
2- Apulée: de la doctrine de Platon, Trad. M.V.Bétolaud, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1886, T.III, III, 309.

بينما خصص الجزء الثالث للعقل والمنطق الصوري، ويحمل عنوان: "في العبارة Péri Hermeneias"، حيث يتحدث فيه عن الفلسفة من وجهة نظر أتباع الفلسفة الأرسطوطاليسية Aristotelica والأبيقورية Epicurienne لا الأفلاطونية[1]، وأشار فيه إلى أن تقديم الخطاب يجب أن يرتكز على الشكل اللفظي Prosuntiabilis وهو يمر عبر معان محدودة وبه يمكننا التعرف على الخطأ أو الحقيقة[2]، وقام فيه بنحت مصطلحات تقنية خاصة بلاتينية بلاد المغرب القديم، وحاول تقريب معنى الخطابة الذي يهتم بفن الجدل لقرائه، وتحدث عن مقولتي الكم والكيف، وترابط القضايا فيما بينها، وأنواع الاستدلال وقواعد تحقيقه، كما قدم نقداً لأرسطو[3] والرواقية رغم تأثره بهما، بالإضافة إلى مربع التقابلات[4]، الذي يحتوي على الأضداد وتقابلها المتضادات الفرعية، ولا متعة جيدة ضد متعة معينة هي الشيء الجيد، وكل المتعة جيدة ضد متعة معينة ليست جيدة.[5]

3) مؤلف عن الكون De Mundo:

وهو خلاصة كتاب أرسطو "عن الكون والفساد De Generatione et Corruptione"، حيث يقدمه أبوليوس على أساس أنه من تأليفه، لعل ذلك راجع إلى التغيرات التي أحدثها عليه، كالأشعار التي رواها عن بعض الشعراء الرومان، حيث تحدث فيه عن العبقرية الثلاثية اليونانية وهي: الأخلاقية (سقراط) والمنطقية (أفلاطون) والطبيعية (أرسطو)[6]، ويصنف هذا الكتاب ضمن الكتب الفلسفية[7]، كتبه في حوالي 155م، حيث يطلعنا أبوليوس من خلاله على مستوى السقف المعرفي الذي كانت عليه علوم القرن الثاني للميلاد، حينما تحدث عن الكون De Mundo، فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية والجيولوجية والفلكية[1]، ويكشف من خلاله عن مبادئ أرسطو وعالم الطبيعة الواسع وحياة أرسطو.[2]

فقد تناول فيه طبائع ووظائف تلك الظواهر، وأشار إلى أن العالم يتكون من مجموعة السماء والأرض والمواد التي تنتمي إليها، والأرض هي النقطة الصلبة والثابتة التي تولد وتعيش

1- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 15.

2- Apulée: de la doctrine de Platon, T.III, III, 311.

3- أرسطو: من مدينة ستاجير Stagire (385-322ق.م)، وتلميذ أفلاطون، ومعلم الاسكندر المقدوني ومؤسس مدرسة أثينا الفلسفية. ينظر: دومنيد فولشيد: المرجع السابق، ص 21.

4- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص. ص 95-95.

5- Apulée: de la doctrine de Platon, T.III, III,321-323.

6- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 15.

7- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص.ص 113-114.

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 334.

2- Apulée: du Dieu de Socrate, T.III, I, 111.

عليها جميع أنواع الكائنات، والهواء يمثل الغطاء الشفاف وما فوقه هو مسكن للآلهة وهو السماء وفيها تشع الشمس والقمر والنجوم التي تسمى الأثير، والتي تحملها السماء في حركتها الدورانية وتولد تعاقب الليل والنهار، ولها قطبين متضادين في الشمال والآخر في الجنوب، وتلك الأجرام تمثل آلهة وتحمل أسماء ساتورن وميركوري ومارس وفينوس وغيرها.[1]

والهواء متصل بالأرض والبحار، وهنا تعيش الكائنات الحية وفيها الغابات والينابيع والأنهار والجزر والبحيرات، والقارات التي يحيط بها المحيط من كل جانب وإن كانت هناك أخرى فهي كذلك، وهذه الأرض طولها أربعون ألف ملعب وعرضها ستون ألف وتتشكل من ليبيا (أفريقيا) وأوروبا وآسيا حسب اتفاق الجغرافيين آنذاك.[2]

ويعتقد أنه في الأصل هو كتاب لأرسطو، بينما يرى أغلب المؤرخين أن نسبه لهذا الأخير هو من قبيل الخطأ، وهو يعود للكاتب نيكولاس الدمشقي Nicolasde Damas.[3]

كما يمكن القول أن هذه الأطروحات الثلاثة لأبوليوس، تبدوا وكأنها عبارة عن تكريمات لهؤلاء الفلاسفة ولأفكارهم وآرائهم.[4]

3/ مؤلفات في مختلف مجالات المعرفة:

كما يمكننا أن نشير إلى أنه كتب الكثير من المؤلفات والمقالات في مختلف المجالات العلمية، ضاعت كلها وتم التعرف عليها إلا من خلال مؤلفات الكتاب القدامى، ككتابه في علم الحساب بعنوان: "أريتميتيكا Arithmética"، وعلم الفلك "أسترونومي Astronomica"، ذكرهما إيزدوروس Isidorus وكاسيودوروس Cassiodorus، ومؤلفات في الطب بعنوان: "ميديكينياليا Medicinalia"، ويحتوي على مجموعة التجارب والأبحاث التي أجراها في مجال الفيزيولوجيا والأمراض العصبية، وأمراض الصرع وممارسة التنويم المغناطيسي إلى درجة اتهامه بممارسة السحر، وكتاب في الزراعة.[1]

بالإضافة إلى مؤلفات في الفيزياء كدراسة الظواهر البصرية، وله كتاب بعنوان "مسائل طبيعية"، يحتوي على دراسات حول النباتات والحيوانات والمعادن، وعرض فيه مجموعة من

1- Apulée: du Mundo, Trad. M.V.Bétolaud, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1886, T.III, L.V, 375-378.
2- Ibid., T.III, L.V, 381-387.
3- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 114.
4- Apulée: du Dieu de Socrate, T.III, I, 111.
1- Monceaux (P.): Les païens, Op.cit., P.281-282. بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 334.عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 113. علي أحمد شعبان: المرجع السابق، ص 358.

التجارب حول الأشجار والأسماك[1]، فقد وصف أبوليوس نفسه بأخصائي الأسماك وله كتاب عن سلالة الأسماك.[2]

ومؤلف "الحوار Dialogus" لا يعرف محتواه، وهو ترجمة لاتينية لمحاورة فيدون، ومؤلف "إراتيكوس Eraticos" ومؤلف "الجمهورية De republica"، وكلها ضاعت، ولم يصلنا منها أي مؤلف[3]، يضاف إلى هذا كله فقد كان بارع في تنظيم الأشعار من كل نوع وينظمها لينشدها بالقيثارة مع القوس، وبالربابة مع الأصابع والناي.[4]

والجدول أدناه مختصر لأهم مؤلفات وأعمال لوكيوس أبوليوس.

المؤلفات الأدبية	فترة التأليف	المؤلفات الفلسفية	فترة التأليف
الميتامورفوز	حوالي 170م	إله سقراط	القرن 2م
أبولوجيا	ما بين 156م و158م	مذهب أفلاطون	حوالي 150م
الفلوريدا	ما بين 160م و170م	عن العالم	القرن 2م (155م)
مؤلفات أخرى			
أريتميتيكا	ميديكينياليا	الزراعة	مسائل طبيعية
أسترونومي	/	الفيزياء	الحوار

الجدول رقم 10: أهم مؤلفات لوكيوس أبوليوس (من إنجاز الباحث).

وكخلاصة؛ لقد نشأ لوكيوس أبوليوس في حضن أسرة مادورية أستقراطية ثرية، حافظت في عمقها على خصوصياتها النوميدية، وتبنت الثقافة الرومانية، غير أنه لم يكن يتنكر لأصالته وانتمائه المحلي وكان على الدوام يصرح بذلك في كتاباته وخطبه بشكل علني، كما فتحت له تلك الظروف وإرادته ورحلاته أن يتلقى تعليماً نخبوياً راقياً، سما به إلى مصاف كبار المفكرين والعلماء الموسوعيين، حيث خلف وراءه إرثاً لاتينياً متعدد المواضيع والتخصصات والمعارف من أدبية وفلسفية وطبية وثيولوجية وطبيعية وفلكية ورياضية، وتمثل مظهراً من مظاهر الثقافة اللاتينية لبلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

هذه بعض النماذج من النخب المثقفة للمغرب القديم ذات المعتقد الوثني، التي ساهمت بإنتاجها الفكري والعلمي، في إثراء التراث اللاتيني، وهي نتاج لسياسة الرومنة الثقافية التي اتبعتها الإدارة الرومانية، وتشكل مظهراً من المظاهر الثقافية الفكرية لبلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

1- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر.: أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص.ص 10-26. عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 114.

2- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، المصدر السابق، 36، ص. ص 36، 54.

3- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 334. عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 115.

4- محفوظ قداش: الجزائر في العصور القديمة، تر.: صالح عبّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م، ص 209.

المبحث الثاني: نماذج من النخب المسيحية وإسهاماتها الفكرية والعلمية

تميز مجتمع المغرب القديم بظاهرة التدين والتمسك بعقائده، لشعوره على الدوام بأن له رسالة عقائدية يدافع عنها[1]، لذلك فقد لاقت المسيحية انتشاراً واسعاً بين أفراده نتيجة لما حملته من رسالة نبيلة وقيم فاضلة؛ فنتج عن سياسة الرومنة الثقافية وانتشار هذه الديانة بروز نخب مثقفة مسيحية تضلعوا في مختلف العلوم، وتحولت بفضلهم اللغة اللاتينية إلى لغة الديانة[2] والأدب المسيحي[3]، وسأركز هنا على دراسة نماذج منها.

المطلب الأول: القديس ترتوليانوس

سأتطرق لدراسة شخصية القديس ترتوليانوس في هذا المطلب، باعتباره من بين أهم النخب المسيحية المثقفة لبلاد المغرب القديم، متتبعاً مسار نشأته وموقفه من انتمائه المحلي، مبرزاً حجم إسهاماته في مجال الفكر والعلوم في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

1- مولد ونشأة القديس ترتوليانوس Saint Tertullianus:

وهو كوينتوس سيبتيميوس فلورنس ترتوليانوس Quintus Septimius Florens Tertullianus، ويعرف كذلك بترتوليانوس القرطاجي[4]، كان في زمن حكم الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس (193-211م) وكلاكلا (211-217م)، من مواليد مدينة قرطاجة في عام 155م[5] أو 160م وتوفي في حوالي سنة 225م أو ما بين 220-225م[6]، نشأ في حضن عائلة تدين بالديانة التقليدية الوثنية، كان والده يشغل منصب قائد المائة Centurio للفيلق العسكري للبروقنصلية ثم والياً[7]، وعليه فقد نشأة نشأته الأولى على الوثنية، عاش حياة الترف واللهو والمجون واتبع الملذات والشهوات، رغم ذلك فقد عرف بحبه للثقافة.[8]

1- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.225.

2- Gsell (S.): Alg. Anti., Op.cit., P.92.

3- إ.س. سفينسيسكا: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، تر.: حسان ميخائيل اسحق، ط.2، منشورات علاء الدين، سوريا، 2008م، ص 153.

4- ترتوليانوس: المنافحة أو دفاع عن التوحيد، تر.: عمار الجلاصي، ج.1، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2000م، ص 4. عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 68.

5- Rebillard (É.): christians and their many identities in late antiquity, North Africa 200-450 CE, Cornell university press, London, 2012, P.9. St. Jerôme: livre des hommes illustres, M. Benoit Matougues, Auguste Deseez, Imprimeur-Editeur, Paris, Remacle, LIII.

6- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 258. ترتوليانوس: المصدر السابق، ج.1، ص 4.

7- هيرونيمس: مشاهير الرجال، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه ووضع فهرسه: الأب جوزيف كميل جبارة، دار المشرق، طـ، بيروت، لبنان، 2010م، 53، ص 73. St. Jerôme: LIII

8- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 167.

ومما لا شك فيه أن ترتوليانوس تلقى تعليمه خلال كامل المراحل التعليمية من مرحلة الليترارِيوس إلى الغراماتيكوس إلى والريطوريكا في مدينة قرطاجة باعتبارها من أشهر وأكبر المراكز العلمية في بلاد المغرب القديم، فتلقى فيها دروساً عالية المستوى في مجال القانون، وبعدها انتقل إلى روما حيث مكث بها مدة من الزمن ونال شهرة واسعة هناك[1]، كما اتجه نحو دراسة مختلف العلوم كالفلسفة والتاريخ[2]، والأدب والبلاغة والطب والفنون[3]، وأتقن اللغة اللاتينية والإغريقية وأصبح ضليعاً في الأدب اللاتيني والإغريقي.[4]

سمح هذا التكوين التعليمي والعلمي لترتوليانوس أن يلمع في مجال علم الفلسفة والقانون والأدب والطب، وأن يكون خطيباً مفوهاً، فقد كان مدافعاً شرساً وانفعالي، وامتاز خطابه بالسخرية والتهجم[5]، ونقلته شهرته إلى روما حيث مارس مهنة المحاماة وتعمق في دراسة القانون الروماني فلمع في المحاماة والتشريع[6]، وبالإضافة إلى اشتغاله بالمحاماة كان كذلك أستاذاً لعلم البلاغة.[7]

وبعد عودته إلى قرطاجة استقر بها وكان متزوجاً. وهناك وبالضبط في عام 193م اعتنق الديانة المسيحية[8]، ويرد في موضع آخر أنه اعتنقها مع نهاية القرن الثاني للميلاد خلال السنوات ما بين 185-195م، وهي السنوات التي تصدت فيه الدولة الرومانية لانتشار الديانة المسيحية واشتد معها اضطهاد معتنقي هذه الديانة. ورغم أن ترتوليانوس كان يملك من الملكات الثقافية ما يمكنه أن يقتحم مجال السياسة والمحاماة بكل جدارة واستحقاق، لكنه اختار الديانة المسيحية، وسخر كل ملكاته وإمكانياته للدفاع عنها وعن أتباعها[9]، وأشير إلى أن في فترته عرفت الديانة المسيحية انتشارً واسعاً في بلاد المغرب القديم.[10]

وفي سنة 207م اعتنق المذهب المونتاني Montanism، التي بشرت بقرب نهاية العالم ومجيء ملكوت الرب، وتدعو إلى التوبة، وتهتم بالجانب النفسي للإنسان، وبقي متمسكاً بها[11]،

1- كيرلس سليم بسترس وآخران: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، ط.1، بيروت لبنان، 2001م، ص 328.
2- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 167.
3- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 38.
4- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 51.
5- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 329.
6- St. Jerôme: LIII. 73 ،هيرونيمس: المصدر السابق، 53، ص 73.
7- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 38.
8- St. Jerôme: LIII. 73 ،هيرونيمس: المصدر السابق، 53، ص 73.
9- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.
10- الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص 231.
11- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 328.

إلى درجة تأسيسه للتيار الترتوليانى Tertullianism، وحسب جيروم أن سبب اعتناقه لهذا المذهب يعود إلى تعرضه لمضايقات الإكليروس الروماني.[1]

ومن الأسباب التي دفعته لاعتناق الديانة المسيحية، هو حيرته النفسية وعجز الفلاسفة والفلسفة عن إعطاءه إجابات يقينية للكثير من تساؤلاته، وكذلك ما كان يلاحظه من بطولات المسيحيين المضطهدين الذين كانوا يساقون إلى الموت بفرح، وقبولهم للاستشهاد في سبيل دينهم دون تردد، حيث كان جد متعجب منهم، ما دفعه إلى البحث عن حقيقة ذلك.[2]

لقد عرف عن ترتوليانوس تمسكه الشديد بمعتقده الجديد، فقد كانت له رغبة جامحة لنيل الشهادة في سبيل المسيحية، وكان شديد الاغتياظ من كل المتخاذلين والجبناء والمرتدين[3]، والتشدد ضد كل المظاهر التي تتنافى مع الأخلاق الفاضلة وتنشر الرذيلة في المجتمع كالمسرح والفنون وغيرها، وانتقد الديانة الوثنية التقليدية وطقوسها، ووضح أن الآلهة الوثنية ما هي إلا اختراع اجتماعي[4]، كما عرف عنه حبه لبلاده، حيث ثار ضد الاحتلال الروماني وضد كل أشكال التسلط على بلاد المغرب القديم.[5]

2- إسهامات القديس ترتوليانوس الفكرية والعلمية:

يعد ترتوليانوس من بين الأدباء الأوائل المؤسسين للأدب الديني المسيحي، وارتبط في ميدان الكتابة والتأليف بالتقاليد الأدبية الشائعة في عصره، فقد تفاعل في ذلك طابعين متناقضين ميز شخصيته وهما: الاندفاع العنيف والمنطق الدقيق في الإنشاء، حيث امتازت كتاباته باستخدام لغة لاتينية راقية، وتوظيف جمل قصيرة جد معبرة، يطغى عليها الطابع الدفاعي يسعى من وراءها إسكات خصومه أو تقديم الحجج والأدلة والبراهين لإقناعهم، وفي بعض الحالات لا يأبه لذلك.[6]

إذن؛ لقد خلف القديس ترتوليانوس العديد من المؤلفات التي ضاع منها الكثير (أنظر الجدول رقم 11، ص 247)، ولم يصلنا منها إلا واحد وثلاثين كتاباً، دافع من خلالها عن المسيحية وأتباعها موضحاً أنهم ليسوا سبباً في ما لحق بروما[7]، كما تُبين بوضوح تطوره الفكري

1- St. Jerôme: LIII. 73 .هيرونيمس: المصدر السابق، 53، ص

2- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص. ص 173-174.

3- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 329.

4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 167.

5- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 68.

6- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص.ص 331-332.

7- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.

وابتعاده عن المذهب الكاثوليكي، وهي مصنفة إلى ثلاثة تصنيفات؛ المؤلفات الدفاعية، والجدلية، والتوجيهية والأدبية والنسكية[1]، وهي كما يلي:

1/ مؤلفات المنافحة (الدفاعية):

تحتوي كتابات ومؤلفات ترتوليانوس الدفاعية على خمسة مؤلفات وهي: إلى الأمم ودفاعي عن العقيدة المسيحية، وشهادة النفس، وكتاب موجه للحاكم سكابولا، وكتاب ضد اليهود، وهي كالتالي:

من أولى المؤلفات أذكر كتاب "إلى الأمم Ad Nationes"[2]، الذي كتبه في حوالي سنة 198م، وتطرق فيه مدافعاً عن وحدانية الرب[3]، وهو ينقسم إلى جزأين، حيث تطرق فيه إلى دحض الإجراءات القانونية المتبعة ضد أتباع المسيحية، واعتبرها ظالمة غير منطقية وتتنافى ومبادئ العدل والحقيقة، وأن الجرائم التي ارتكبوها هي نتاج جهل أتباع الديانة الوثنية بالحقيقة وتغليطهم للمسيحيين، واعتبر الدين حرية شخصية وللفرد أن يختار الديانة التي يقتنع بها[4]، وقدم نقداً للديانة الوثنية الرومانية وسخر من ميثولوجياتها وألهتها وقوانينها.[5]

أما المؤلف التالي "المنافحة أو دفاع عن التوحيد (الدفاع عن المسيحية) Apologeticum"، فقد كتبه في حوالي سنة 197م[6]، ولخص فيه نظرة الوثنيين إلى أتباع الديانة المسيحية، تلك النظرة التي تجعل من أتباع الدين الجديد وكأنهم جنس آخر مخيف Usque que Tertium genus[7]، مثلهم مثل باقي المجرمين، بل يتعرضون لأشد أنواع التعذيب لتحميلهم على التنصل من دينهم المسيحي، ويتهمون بارتكاب جرائم جسيمة دون أي دليل، وعدم عبادة الآلهة الوثنية التي لا ستتحق العبادة[8]، ولا يقدمون الذبائح للإمبراطور، وهي من التهم الموجهة للمسيحين، ولم ينكرها ترتوليانوس في كتابه هذا، وحاول من خلاله أن يثبت أنهم يتصرفون على نحو صالح، لأن تلك الآلهة الوثنية ليست بآلهة[9]، وقد أشار إلى أن النفس البشرية على دين التوحيد بالفطرة، وأن المسيحيين يحبون بعضهم البعض. وكان أول من كتب هذا

1- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 60.
2- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 174.
3- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 330.
4- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 61. كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 330.
5- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.
6- ترتوليانوس: المصدر السابق، ج.1، ص 4. محمد شفيق: المرجع السابق، ص 83.
7- الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص 239.
8- Tertullien: Apologétique de Tertullien, Trad. M. l'Abbé J.-Félix Allard, Dondey-Dupré père et fils, Imp.-Libraires, Paris, 1827, II, VII, X, 149-150.
9- Rebillard (É.): Op.cit., P.P.18-19.

النوع باللغة اللاتينية[1]، دافع فيه عن الديانة المسيحية، ومثل كشاهد على ذلك العصر، وطالب من خلاله بالحرية الدينية.

كما وضع ترتوليانوس مؤلف "في شهادة النفس De testimonio animae" في سنة 197م، متكوناً من ستة أجزاء، قدم من خلاله براهين وأدلة نفسية على وجود الرب، معتقداً بوجود الإيمان به لدى أقدم المجتمعات، وأن النفس لا تفسد إلا بالتربية السيئة[2]، فانتهج فكرة التأمل في الكون والنفس، التي اعتمدها الفلاسفة الهيلينيين أمثال: بوسيدونيوس Poseidonios وفيلو يهودايوس Philo Judaeus وكريسيبوس Chrysippus للاستدلال على وجود الخالق، ويرى أن لا داعي للفلسفة هنا، فقط يكفي التأمل في النفس الطبيعية التي هي صورة الرب في الكون، للتحقق من وجوده وحياة ما بعد الموت وحقيقة العقاب في الآخرة، وأن النفس مسيحية على طبيعتها.[3]

وفي أواخر سنة 212م كتب مؤلف "إلى سكابولام Ad Scapulam"[4]، ويتكون من خمسة أجزاء وهو موجه إلى قنصل أفريقيا البروقنصلية سكابولا ترتولوس Scapula Tertullus (212-213م)[5]، بعدما قام بجريمة بشعة في حق أتباع الديانة المسيحية، حيث سلم على إثرها بعض المسيحيين إلى الحيوانات المفترسة[6] وأحرق بعضهم الآخر وعلق آخرين على الصلبان، وطالبه بالحرية الدينية[7]، وأنذره بالعقاب الرباني، كما أشار إلى فيه أن أول بروقنصل قام بقتل المسيحيين في أفريقية هو فيجيليوس ساتورنينوس Vigellius Saturninus (180-181م)، وذكر فيه بحادثة انتهاك ونبش قبور المسيحيين في قرطاجة خلال فترة حكم البروقنصل أيليوس هيلاريانوس Aelius Hilarianus في عام 202م[8]، وبين له أن ظاهرة الكسوف التي حدثت أثناء ذلك في 14 أوت 212م ما هي إلا نتيجة لغضب الرب من تلك الجرائم في حق المسيحيين، ما بين 211م و213م.[9]

1- ترتوليانوس: المصدر السابق، ص. ص 4-6.
2- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص.ص 330، 331-332.
3- جورج رحمة: المرجع السابق، ص. ص 60-63.
4- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 175.
5- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 332. محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.
6- ولا شك أن الأمر يتعلق بالقديسة فيفيا بربيتوا Viva Perpétua ومعها أربعة أشخاص. ينظر: الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص 235.
7- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 332.
8- Rebillard (É.): Op.cit., P.16.
9- جورج رحمة: المرجع السابق، ص. ص 47، 63.

وألف ما بين سنتي 200م و206م كتاب "الرد على اليهود Adversus Judaeos"[1]، وكان الدافع هو المناظرة التي لم تقدم إجابات وافية للأسئلة المطروحة[2]، التي دارت بين أحد الأفراد المسيحيين مع يهودي، استغرقت يوماً كاملاً[3]. ويتكون من اثنا عشر فصلاً، أشار فيهم إلى أن الشريعة الموسوية لم تعد أساساً للخلاص، وأنها قد استبدلت بالشريعة المسيحية الأكثر محبة وعدالة[4]، واتهم اليهود بزرعهم للفتن والأحقاد، وهم السبب وراء اضطهاد الإدارة الرومانية لأتباع الديانة المسيحية.[5]

2/ المؤلفات الجدلية:

وتحتوي على عشرة مؤلفات وهي: كتاب في علاج الهراطقة، ضد ماركيون، ضد هرموجينيس، ضد فالنتيانوس، عن المعمودية، سكوربياس، عن جسد المسيح، عن قيامة الجسد ضد براكسياس، عن النفس، وهي في الآتي:

ألف ترتوليانوس كتاب "في علاج الهراطقة De praescriptiom haereticorum" الذي يعتبر أهم وأكمل مؤلفاته ويعتبر طرحاً جديداً، حيث لقي التقدير الكبير من قبل الثيولوجيين (اللاهوتيين) والمؤرخين[6]، في حوالي سنة 200م، وباعتباره رجل قانون فقد جاء كدراسة شاملة لظاهرة الهرطقة Hairesis[7] التي يعتبرها غير مشروعة[8]، ويستعرض فيه آليات محاربة التيارات المنشقة عن الديانة المسيحية، ويحاول من خلاله وضع حد للجدل القائم بين كافة الهراطقة والمذهب الكاثوليكي[9] عن طريق حجة الإقصاء القانونية في رأيه، ويعتبر الكتاب المقدس هو الحد لذلك النزاع.[10]

1- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص.ص 331-332.
2- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 77.
3- أنطوان فهمي جورج: العلامة ترتوليان، ج.20، مطبعة الأنبا رويس، العباسية، القاهرة، مصر، 1994م، ص 24.
4- المرجع نفسه، ج.20، ص 24. وهو أقدم دفاع مسيحي ضد اليهود، وهو غير كامل إذ ضاعت منه أجزاء كثيرة. ينظر: المرجع نفسه، ج.7، ص 25.
5- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.
6- جورج رحمة: المرجع السابق، ص.ص 83-84.
7- الهرطقة، هي مجموعة أفراد من معتنقي مذهب واحد، غير أن أتباع البدع يلتحقون برأي تعتبره السلطة الكنسية الرسمية رأياً خاطئاً وانحرافاً عن مباديء الإيمان الأساسي. الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص 231.
8- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص.ص 333-345.
9- كانت كلمة كاثوليك Catholic في البداية تعني شمولية أو عالمية الكنيسة المسيحية، أي أنه الإسم الوحيد لمؤسسة دينية التي تنظمت عبرها الديانة المسيحية بعد منتصف القرن الثاني للميلاد، وتحت هذا الاسم تمكنت الكنيسة الكاثوليحية من أن تقف متحدة ضد كل الانشقاقات الدينية في الديانة لمسيحية. من خلال نظام عقيدة موحد وتنظيم كهنوتي يتيمز بالرسولية والشمولية والوحدة والقداسة. ينظر: فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان الزرادشتية والمانية واليهودية والمسيحية، جيوفري برينذر، جون ب. نوس، الكتاب الخامس، تر: عبد الرزاق العلي، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط.4، دمشق، سوريا، 2017م، ص 249.
10- جورج رحمة: المرجع السابق، ص.ص 83-84.

كما ألف بعض الكتب ضد بعض الهراطقة، ككتاب "ضد ماركيون Adversus Marcion"، من أطول كتاباته المتكون من خمسة أجزاء، موجه ضد التيار المركيوني[1]، وفرغ من كتابته في سنة 211م. تحدث فيه عن جمال الخليقة وصلاحها ومدح فيه الخالق، وقدم نقداً لمركيون[2]، يفند ويدحض فكرته القائلة على وجود صراع بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد[3]، في قالب استهزائي ونقدي بتقديم الأدلة والبراهين والحجج على ذلك[4]، ثم أشار إلى أن الكتاب المقدس يخص الكنيسة فقط وقدم فيه تفاسير لرسائل سانت بولس[5]. وبعده ألف كتاب "ضد هرموجينيم Adversus Hermogenem" في سنة 200م، والمتكون من 45 جزءًا[6]، وكان ضد هرموجينيس Hermogenes القرطاجي، صاحب فكرة أن المادة أزلية ومساوية ومعادلة للرب[7]، فدافع من خلاله عن تعاليم الديانة المسيحية وعن وحدانية الرب[8]، متهماً إياه بالخلط بين الفصاحة والهذيان والوقاحة والحزم[9] مفنداً كل تعاليمه[10]، وموضحاً أن عقيدته مستوحاة من الفلسفة الوثنية ومن الرواقيين.[11]

وفي حوالي سنة 209م[12] أو في سنة 211م[13]، قام بوضع كتاب ديالكتيكي بعنوان: "ضد فالنتيانوس Adversus Valentinianus" يحتوي على تسعة وثلاثين قسماً، قدم من خلاله رفضه القاطع لتعاليم التيار الفالنتيني وبطلانه، ويدعو أتباع الديانة المسيحية إلى التمسك بالعقيدة

1- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 30.
2- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 334.
3- التوحيد في العهد القديم أي في اليهودية كانت طبيعة الله واضحة (إيل - إيلوهيم)، وهو اسم إله عظيم، والتوحيد الإسرائيلي لم يكن ثمرة تفكير فلسفي أو سياسي أو تطور ديني، بل هو نتاج معرفة مسبقة لموسى بالله إله أباءه من قبل. أما في العهد الجديد فلا توجد إشارات صريحة لمضمون فكرة التوحيد الإلهي، وقد تكون المسألة لها علاقة بأن الرسالة العيساوية نزلت في وسط اجتماعي يهودي موسوي لا تزال فكرة التوحيد عندهم قائمة، لذلك سادت اصطلاحات عند المسيحيين وهي الرب وابن الرب والرب يسوع، وكانت فكرة التوحيد تشير إلى الإيمان بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء ما يُرى وما لا يُرى، وعند الكاثوليك أن عقيدة التوحيد هي لقاء شخصي بين الإنسان كمخلوق والإله الشخصي كما هو في جوهره. للمزيد ينظر: مهدي حسين التميمي: موسوعة مقارنة الأديان السماوية، ط.1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004م، ص. ص 17-24.
4- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 82.
5- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 334.
6- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص. ص 32-33.
7- المرجع نفسه، ج.20، ص 32. جورج رحمة: المرجع السابق، ص 82.
8- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص. ص 32-33.
9- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 40.
10- جورج رحمة: المرجع السابق، ص. ص 82-86.
11- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص. ص 32-33.
12- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 168.
13- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 336.

الصحيحة للأسلاف[1]، كما يعتبر أول كاتب لاتيني يستعمل الثالوث Trinitas[2] قبل مجمع نيقية[3]، من خلال كتابه "ضد براكسياس Adversus Praxeas"، الذي يعتبر أول مؤلف عن عقيدة الثالوث في الفكر الثيولوجي المسيحي[4]، ألفه في سنة 213م، ضد براكسياس Praxeas من أتباع تيار المودواليزم Modalism (مؤلمي الآب)، القائل بأن الرب ليس ثلاثة أقانيم وإنما أقنوم واحد فقط.[5]

وقد ألف أول وأهم كتاب حول الليتورجيا Liturgia المتعلقة بالتعميد[6]، الذي يحمل عنوان "عن المعمودية De baptisimo" ما بين سنتي 198م و200م[7]، يتكون من عشرين جزءاً[8]، عرف من خلاله عن طريقة التعميد والمسائل التي تتعلق بهذا الطقس المسيحي[9]، وأشار إلى ضرورة تقبله لأنها سر الخلاص[10]، وكان موجه ضد كوينتيلا Quintilla القرطاجية، التي شككت في طقس المعمودية وتساءلت: كيف يمكن للاستحمام بالماء أن يطهر وينقي النفس ويهبها الخلاص ويحميها من الموت الأبدي؟[11]. كما كتب في سنة 213م كتاب "سكوربياس Scorpiace"، ويحتوي على خمسة عشر جزءاً، يدافع فيه عن فكرة الشهادة ضد منكري الاعتراف بالشهادة والإيمان، الذين ادعوا أن التضحية بالنفس ليست بالضرورية ولا المفروضة، حيث يؤكد من خلاله أن الشهادة تصبح واجبة على أتباع المسيحية في حالة أرغموا على عبادة الأوثان إذا تقطعت بهم السبل.[12]

وله كتب تتعلق بالأجساد والنفس، فالأول بعنوان "عن جسد المسيح De carne Christi"، ويتكون من خمسة وعشرون فصلاً[13]، ألفه في حوالي سنة 211م، ضد التيارات المنكرة لفكرة أن للمسيح جسداً، وتكلم فيه عن طبيعة جسد المسيح، ويؤكد أنه ولد من مريم البتول، وعاش بذلك

1- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 89.
2- الثالوث: هي من العقائد التي تميز المسيحية عن غيرها من المعتقدات، والقائلة بأن الرب ورغم أنه واحد إلى أنه يتكون من ثلاثة أقانيم: الآب والإبن والروح القدس. ينظر: جوناثان هيل: تاريخ الفكر المسيحي، تر.: سليم اسكندر ومايكل رأفت، مر.: محمد حسن أحمد غنيم، ط.1، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ص 358.
3- مجمع نقية 325م concile de Nicée، الذي تمخض عنه قانون الإيمان النقي أو النيقيوس، تمت فيه المصادقة على هذا البيان العقائدي، الذي أدى إلى حرمان آريوس. تيم داولي وآخرون: أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، متاح إلكترونياً، ص 78.
4- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص. ص 178-179.
5- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 41.
6- المرجع نفسه، ج.20، ص 35. جورج رحمة: المرجع السابق، ص 90.
7- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 337.
8- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 34.
9- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 168.
10- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 337
11- جورج رحمة: المرجع السابق، ص. ص 90-91.
12- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 35. كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 337.
13- جورج رحمة: المرجع السابق، ص. ص 98-99.

الجسد ومات به، أما الثاني فيعتبر كتكملة لكتاب جسد المسيح، ألفه في حوالي سنة 212م بعنوان: "عن قيامة الجسد De resurrectione carnis"[1]، يتكون من ثلاثة وستون فصلاً، ضد الوثنيين والهراطقة وغيرهم من التيارات المنكرة لقيامة الجسد وفكرة وجود قيامة بعد الموت الواردة في الكتاب المقدس[2]، وتحدث فيه عن قيامة جسد الإنسان حسب العهد القديم والجديد وعن حالته بعد القيامة[3]. وما بين سنتي 210م و213م ألف كتابه "عن النفس De anima"، يحتوي على خمسة وعشرون فصلاً، واعتمد في تأليفه على مختلف الآراء الفلسفية والطبية حول النفس، ويثبت من خلالها أن النفس والجسد يولدان معاً في نفس اللحظة التي يتكون فيها الجسد في مرحلته الجنينية، حيث تحدث فيه عن طبيعتها وأصلها وموتها ونومها.[4]

3/ المؤلفات التوجيهية والأدبية والنسكية:

وتحتوي هذه المؤلفات على ستة عشرة كتاباً، خاطب من خلالها ترتوليانوس أتباع الديانة المسيحية بالتحلي بالأخلاق الحميدة ونصح النساء بالابتعاد عن التبرج[5]، وهي: إلى الشهداء، عن المشاهد، في زينة النساء، عن الصلاة، عن الصبر، عن التوبة، إلى زوجتي، عن العفة، عن الزواج الأحادي، عن وشاح العذارى، عن الإكليل، عن الهرب من الاضطهاد[6]، عبادة الأوثان، عن الصيام، عن الاحتشام، الرداء، سأذكرها فيما يلي:

وضع ترتوليانوس كتابه "إلى الشهداء Ad Martyras" في سنة 197م[7]، وهو من أولى أعماله الكتابية المتكون من ستة أجزاء، وجهه إلى المسيحيين المحكوم عليهم بالإعدام، حيث يشجعهم للثبات على الإيمان، ومثيراً فيهم الحماس، موضحاً لهم بأن الشهادة هي درب العظماء والأمجاد[8]، والقداسة في سبيل الديانة المسيحية، كما وصفهم بالمباركين Bendicti والشهداء المعنيين Martyres designati.

1- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 338.
2- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 100.
3- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 40.
4- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 339. جورج رحمة: المرجع السابق، ص 108.
5- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.
6- وعن الإضطهاد الذي تعرض له أتباع الديانة المسيحية، فهي تبدأ منذ عهد الإمبراطور نيرون (64-68م) وتنتهي في عهد الإمبراطورين غاليريوس وماكسيمينوس (305-313م). للمزيد ينظر: الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص. ص 274-303.
7- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 339.
8- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 44.

أما مؤلف "المشاهد De spectaculis" الذي يحتوي على ثلاثون جزءاً[1]، يخاطب من خلاله شخصية خيالية لمسيحي يذهب لمشاهدة مباريات المصارعة[2]، ألفه في سنة 200م، يصف فيه كل أنواع المشاهد التي كانت تقام في أماكن التسلية والترفيه خاصة مدرجات الأومفيتياتر وألعاب السيركوس، وبقدر ما كانت تشغل أوقات أفراد المجتمع كانت عروض مصارعة لا أخلاقية لما امتازت به من الشراسة واللارحمة والقتل[3]، وأدان من خلاله ورفض كل تلك الألعاب[4]، وأنها تتعارض مع الإيمان المسيحي، وسعى من وراء كتابه هذا استئصال هذا النوع من التظاهرات.[5]

وفي سنة 200 أو 206م ألف كتاب آخر بعنوان: "في زينة النساء De cultu feminarum"[6]، ويؤكد من خلاله أنه لا يكفي اعتناق الدين المسيحي فقط، بل يجب أن يتغلغل هذا الدين في عمق الممارسات اليومية للفرد المسيحي[7]، ويتعلق بقضايا لباس المرأة وزينتها، وربما تكون الفكرة مأخوذة من ملاحظته للنساء اليهوديات اللائي كن يلبسن الحجاب في الأماكن العامة، أو أنه استقاها من كتاب العهد القديم[8]، لذلك قدم نصحاً للنساء المسيحيات أن يلتزمن بشروط العفة والطهارة، وانتقد ظاهر التبرج والأزياء لدى نساء المجتمع الوثني.[9]

أما مؤلف "عن الصلاة De orations"، فكتبه ما بين سنتي 198م و200م وهو أقدم كتاب توجيهي عن الصلاة المسيحية الصحيحة، ويوصي بها واعتبرها إحدى قواعد الضيافة[10]، وأوضح أن هذه الصلاة لها شكل جديد مع الديانة المسيحية يختلف عن سابقتها فهي صلاة بالروح وبالحق وفي الخفاء وبالثقة في الرب.[11]

وما بين سنتي 200م و203م كتب مؤلفه "عن الصبر De patienta"، يوضح فيه فضيلة الصبر وأن المسيح كان مثالاً راقياً لها، واعترف فيه بحدة طبعه[12]، في تجسده وحياته وموته،

1- جورج رحمة: المرجع السابق، ص. ص 109، 112، 113-114.

2- Rebillard (É.): Op.cit., P.14.

3- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 339.

4- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 45.

5- Rebillard (É.): Op.cit., P.20.

6- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 340.

7- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص. ص 46-47.

8- Rebillard (É.): Op.cit., P.P.13, 23.

9- جورج رحمة: المرجع السابق، ص 117.

10- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 175

11- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 48.

12- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 175.

والطاعة والإيمان هما وسيلة للوصول إلى هذا الكمال ويصبح صاحب هذه الفضيلة المسيحية[1]. أما كتابه "عن التوبة De paenitentia" فكتبه في سنة 203م، ويعتبر من أهم الكتب في تاريخ قوانين التوبة المسيحية[2]، ويتكون من جزأين؛ يتحدث فيهم عن التوبة قبل التعميد وبعد التعميد، وفي الأخيرة يجب على الفرد المسيحي أن يقر ويعترف علنياً بذنوبه مع الإحساس بالندم والحزن مع البكاء والنحيب في الصلوات.[3]

كما ألف مجموعة من الكتب عن الزواج، فأول هذه المؤلفات أذكر كتاب "إلى زوجتي ad uxorem" الذي ألفه في سنة 203م، حيث يقدم من خلاله نصائح إلى زوجته بأن لا تتزوج بعد موته من أحد، وإذا رغبت فعليها بالمسيحي فقط[4]، وفي سنة 207م وضع الكتاب الثاني المعنون بـ "عن العفة De exhortatione"، وهو موجه لأحد أصدقائه، والذي فقد زوجته يحثه على عدم الزواج مرة أخرى باعتباره زنا ومخالفة للإرادة الإلهية.[5]

ليأتي الكتاب الثالث بعنوان "في الزواج الأحادي De monogamia" أو "الزوجة الواحدة monogamie"[6]، ألفه في سنة 217م، وأوضح فيه أن الزواج الثاني ما هو إلا زنا، وقد قدم فيه نقداً إلى الكنيسة بعد سماحها بالزواج الثاني بعد موت الزوج أو الزوجة.

وعن اللباس والسترة كتب في سنة 207م كتاب "وشاح العذارى de virginibus velandis"، حيث وضح من خلاله أن التقاليد تحث المرأة متزوجةً كانت أم لا على تغطية وجهها ورأسها في الكثير من المناسبات، وهذا ما يوصي به الكتاب المقدس داخل الكنيسة، وهو ممكن حتى خارجها وينصحهن على السترة.[7]

وبمناسبة ارتدائه للباس الباليوم اليوناني كتب كتاباً بعنوان "في الرداء De pallio" في حوالي 209م أو 213م، أوضح فيه أن الباليوم هو لباس فضفاض أحسن من التوجا الرومانية، وأكد على أن كل فرد له الحرية في لبس ما يحلو له، وبعدها تحول لباس الباليوم إلى لباس يميز أتباع الديانة المسيحية[8]، بعدما كان لباس يتميز به الفلاسفة[9] وموظفي الإدارة الرومانية كزي

1- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص 50.
2- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 342.
3- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص. ص 51-52.
4- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 342.
5- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 175.
6- St. Jerôme: LIII. 74 .هيرونيمس: المصدر السابق، 53، ص
7- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص. ص 55-56.
8- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 345.
9- Apulée: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, I, 15.

رسمي، وهي عباءة مستطيلة أو مربعة الشكل تلف حول التونيكا القميص الداخلي[1]، وأشار على الرجال المسيحيين التخلي عن التوجة ولبس هذه العباءة[1]. كما كتب كتاباً آخر بعنوان "في الاحتشام De pudicitia" في سنة 220م. وكتاب آخر "عن الصيام De jejunio"، كتب بعد سنة 213م، ينصح من خلاله على الصيام.[2]

خلال حادثة وفاة سبيتميوس سيفيروس، تم توزيع عطايا على الجنود الرومان، واشترط عليهم لأخذها التقدم مرتدين أكاليل الغار على رؤوسهم، فتقدم أحد الجنود حاملاً هذا الإكليل في يده ولمّا سئل عن ذلك رد أنه مسيحي فسجن، ولم تقف معه الكنيسة المسيحية بل انتقدته على ذلك السلوك، إلا ترتوليانوس الذي كتب كتاباً بعنوان: "تاج الجندي De corona militis"[3]، ويرد في موضع آخر بعنوان: "عن الإكليل Do corona" في سنة 211م، مدافعاً عنه وأوضح أنه ليس على المسيحيين التقيّد مع ما لا يتفق مع عقيدتهم، وناقش مسألة الخدمة العسكرية بالنسبة للمسيحيين[4]، كما ذكر في هذا الكتاب فترة السلام التي سبقت هذه الحادثة، التي امتدت من 203م إلى 211م تاريخ تأليف هذا المؤلف، وأشار إلى أن إعدام ذلك الجندي أشعل مرة أخرى شرارة الإضطهاد ضد المسيحيين.[5]

أما "عن الهرب من الاضطهاد De fuga in persecutione" فكتب في سنة 212م[6]، ومن خلاله يدين فرار وهروب المسيحيين من الاضطهاد وهي مسألة غير جائزة ومنافية للإرادة الإلهية، وأن الإضطهاد لا يحدث إلا بموافقة الرب، حيث الهرب يساوي في هذه الحالة الردة[7]. وفي سنة 211م[8] كتب مؤلف "عن عبادة الأوثان De idololatria"، وهو عبارة عن أطروحة حول ممارسة الحياة المسيحية فيما يتصل بالعناصر الدينية المخفية ضمن النسق الاجتماعي الوثني، يدين من خلاله كل مسيحي يمارس أية مهنة لها علاقة بالديانة الوثنية، كصنع التماثيل أو التعبد لها، ويبين أن علماء التنجيم والسحرة والرياضيين ومدربي المصارعين والمدرسين وأساتذة الأدب كلهم مرفوضون في الكنيسة المسيحية، وأشار فيه إلى تظاهرات عبادة الإمبراطور التي

1- حسين تحية كامل: المرجع السابق، ص 129. وسلوى هنري جرجس: المرجع السابق، ص 82.
1- Rebillard (É.): Op.cit., P.13.
2- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 345. هيرونيمس: المصدر السابق، 53، ص 73. St. Jerôme: LIII
3- Rebillard (É.): Op.cit., P.40.
4- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص. ص 175-176.
5- Rebillard (É.): Op.cit., P.40.
6- أنطوان فهمي جورج: المرجع السابق، ج.20، ص. ص 57-58.
7- Rebillard (É.): Op.cit., P.15.
8- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 176.

كانت تقام، حيث كانت تزين الأبواب بالمصابيح والأكاليل، وامتناع المسيحيين عن هذا الطقس يجعل منازلهم معروفة بشكل واضح[1]. إلى جانب قيامه بعمل مهم حيث قدم ترجمة للكتاب المقدس باللغة اللاتينية (novum testamentum)، وهو أول من قام بذلك ليفتح المجال للاتينية أن تصبح لغة الديانة المسيحية[2]، وحسب جيروم فقد ترك القديس العديد من المصنفات في فترة شيخوخته لكنها ضاعت كلها ولم يصلنا منها شيئ.[3]

والجدول أدناه مختصر لأهم مؤلفات وأعمال القديس ترتوليانوس.

مؤلفات المنافحة (الدفاعية)			
عنوان المؤلف	فترة التأليف	عنوان المؤلف	فترة التأليف
في شهادة النفس	197م	الرد على اليهود	200 و206م
الدفاع عن التوحيد	197	سكابولام	212م
إلى الأمم	198م	/	/
المؤلفات الجدلية			
عنوان المؤلف	فترة التأليف	عنوان المؤلف	فترة التأليف
في علاج الهراطقة	200م	ضد ماركيون	211م
عن المعمودية	198م و200م	عن جسد المسيح	211م
هرموجينيم	200م	قيامة المسيح	212م
ضد فالنتيانوس	209م أو 211م	ضد بريكسياس	213م
عن النفس	210م و213م	/	/
المؤلفات التوجيهية والأدبية والنسكية			
عنوان المؤلف	فترة التأليف	عنوان المؤلف	فترة التأليف
إلى الشهداء	197م	وشاح العذارى	207م
عن الصلاة	198م و200م	في الرداء	209م أو 213م
المشاهد	200م	تاج الجندي	211م
زينة النساء	200م أو 206م	عبادة الأوثان	211م
عن الصبر	200م و203م	عن الهرب من الاضطهاد	212م
عن التوبة	203م	عن الصيام	213م
إلى زوجتي	203م	الزواج الأحادي	217م
عن العفة	207م	في الاحتشام	220م

الجدول رقم 11: أهم مؤلفات القديس ترتوليانوس (إنجاز الباحث).

وفي الأخير أقول؛ إن ترتوليانوس القرطاجي ورغم أنه نشأ في أحضان الثقافة اللاتينية الرومانية وفي وسط أسري واجتماعي مترومن، إلا أنه يعترف بأصالته ولم يتنصل من انتمائه لبلاد المغرب. كما مثل ويمثل مظهراً من مظاهر الانتشار الواسع للثقافة اللاتينية، ومن أهم النخب المثقفة المسيحية، التي ساهمت بشكل واسع في إثراء التراث اللاتيني للمغرب القديم، من خلال ما خلفه من مؤلفات تناول فيها مختلف القضايا المتعلقة بالديانة المسيحية دفاعاً عنها أو إرساءً لفكرها الثيولوجي المتعلق بالوحدانية، باعتباره من طرح فكرة الثالوث Trinitas، ومسائل

1- Rebillard (É.): Op.cit., P.P.20, 25.

2- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 39.

3- St. Jerôme: LIII. 74 هيرونيمس: المصدر السابق، 53، ص.

الليتورجيا في العقيدة المسيحية، فخلف تراثاً مغاربياً لاتينياً مسيحياً تعددت فيه مؤلفاته، من كتابات دفاعية وجدلية، وكتابات توجيهية وأخرى أدبية ونسكية.

المطلب الثاني: القديس كيبريانوس

يعتبر القديس كيبريانوس ثاني أهم شخصية مسيحية بعد ترتوليانوس – طبعاً قبل ظهور أغسطين–، وسأتطرق لدراسته في هذا المطلب، متتبعاً مسار نشأته وموقفه من انتمائه المحلي، مبرزاً حجم إسهاماته الفكرية والعلمية في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

1- مولد ونشأة كايكليوس كيبريانوس ثاسيوس:

هو الخطيب القديس كيبريانوس القرطاجي، واسمه الحقيقي حسب مونصو هو كايكليوس كيبريانو كيبريانوس Caecilius Cyprianu Cyprianus، غير أنه يعرف باسم: كايكليوس كيبريانوس ثاسيوس Caecilius Cyprianus Thascius[1]، الذي عاش خلال القرن الثالث للميلاد[2]، من البروقنصلية بمدينة قرطاجة، نشأ في حضن أسرة تدين بالديانة الوثنية التقليدية[3]، وتنتمي إلى الطبقة البورجوازية المحلية، ولد فيما بين سنتي 200 و210م. وقد سمح له ذلك الوضع الاجتماعي والاقتصادي من أن يتلق تعليماً راقياً عبر كامل مراحله بمسقط رأسه باعتبارها مركزاً علمياً وثقافياً مشهوراً كما هو معروف خلال ذلك العصر، حيث درس الآداب والخطابة والبلاغة وأبان فيهم براعة كبيرة ليصبح خطيباً بليغاً مفوهاً، وإلى جانب ذلك درس القانون الروماني فلمع في مهنة المحاماة واشتهر بها[4]، وعمل أستاذاً للخطابة[5]، وشغل منصباً إدارياً في قرطاجة. مكنه ثراءه من أن يحي حياة فريهة ملؤها الترف والبذخ خلال فترة وثنيته، وبقي كذلك إلى غاية تحوله إلى المسيحية، كما ربطته علاقات صداقة مع الكثير من أصدقائه الوثنيين وبقي وفياً لهم إلى غاية استشهاده.[6]

اعتنق الديانة المسيحية وتم تعميده في حوالي سنة 245م أو 246م، عن عمر الخمسة والثلاثين أو الأربعين سنة وكانت بمثابة فاجعة بالنسبة للوثنيين ومفاجأة للمسحيين[7]، بعد أن أثر

1- Monceaux (P.): Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T.II, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1902, P.P.202-203.

2- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 73.

3- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 41.

4- Monceaux (P.): Saint Cyprien, évêque de Carthage, (210-258), 2ème édit., librairie Victor Le coffre, Paris, 1914, P.4.Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.204.

5- St. Jerôme: LXVII. 82 هيرونيمس: المصدر السابق، ص.

6- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 170. Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.6.

7- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.P.202-203, 205.

فيه الكاهن سبيسيليوس Spicilius[1]، بالإضافة إلى قراءته للكتب المقدسة[2]، وقام بتوزيع ثروته على أفراد مجتمعه من ذوي الفاقة والمساكين والمعوزين والفقراء، ونتيجة لذلك السلوك الكريم الذي رأه أسقف قرطاجة رفعه إلى رتبة كاهن رغم حداثته بالمسيحية، وفي سنة 248م أو 249م تشاء الأقدار أن يتوفى ذلك الأسقف المعروف باسم دوناتوس Donatus، فتم الاجماع على انتخابه على رأس هذه الأسقفية رغم وجود بعض المعارضين له من الرهبان أمثال نواتوس Novatus[3]، ويشير مونصو أن تلك كانت مسألة غير عادية لأنه لا يزال مبتدئاً[4]، غير أنه تسلم منصب هذه الأسقفية[5]، التي تعتبر أعلى منصب كنسي في أفريقيا والثاني بعد روما في القسم الغربي للإمبراطورية الرومانية.

وبمجرد تسلمه لهذا المنصب عفى عن كل معارضيه وعاملهم وكأنهم أصدقائه المقربين، واعتبر أن منصبه هذا جاء بالإرادة الربانية وتصويت المجتمع المسيحي القرطاجي، وكان يتخذ القرارات ويجري الإصلاحات بعد استشارة رجال الدين من الكهنة وكنائس البروقنصلية وموافقة المجتمع، فكانت لتلك الأعمال والإصلاحات صدى واسع على كل بلاد المغرب[6]، كما شهدت فترة توليه لمنصب هذه الأسقفية سلسلة من الإضطهادات ضد أتباع الديانة المسيحية، بعد استصدار الساسة الرومان لأوامر ومراسيم تقضي بمراقبة المسيحيين. فالاضطهاد الأول حدث بأمر من الإمبراطور غايوس ديكيوس Gaius Decius (249-251م)، لتتوقف مع نهاية 251م[7]. والثانية بدأت في أوت من سنة 257م في عهد الإمبراطور فاليريانوس Valerianus (253-260م)[8]، الذي أصدر مرسوم فاليريان في 30 أوت من نفس العام، والقاضي بمنع المسيحيين من جميع الاجتماعات، وتنفيذ عقوبة النفي لكل الأساقفة والشمامسة والكهنة، وفرض المشاركة في العبادة الرسمية[9] للإمبراطورية الرومانية. بالإضافة إلى الأعمال الشاقة على بعض هؤلاء.[10]

1- أثناسيوس فهمي جورج: القديس كيبريانوس أسقف قرطاجة الشهيد، سيرته وكتاباته، ط.1، مطابع كونكورد، دبلن، إيرلندا، 1999م، ص 37. هيرونيمس: المصدر السابق، ص 86. St. Jerôme: LXVII.

.

2- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.206.

3- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.P.6, 10.Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.206.

4- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.205.

5- St. Jerôme: LXVII. 82 .هيرونيمس: المصدر السابق، ص

6- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.209.

7- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 41.

8- الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص 263.

9- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.232.

10- الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص 263.

وخلال الاضطهادات الأولى؛ فقد لجأ الأسقف كيبريانوس للاختباء وفضل الخلوة، معتبراً ذلك واجباً عليه كأسقف، وهذا ما أثار حفيظة الكثير من المسيحيين، حتى لا تثير اندفاعيته وجرأته غضب ذلك البروقنصل، وأشار إلى أنه كان على اتصال دائم بأتباع الديانة المسيحية، لنصحهم حسب وصايا الرب، ومواساتهم ومؤازرتهم وتشجيعهم على الصمود، فساعد الفقراء والمعوزين والأيتام والأرامل وعابري السبيل والمرضى من ماله الخاص، كما وضعها تحت تصرف الكنيسة ورجال الدين، ما دفع بالسلطات الرومانية إلى إصدار مرسوم مصادرة أملاكه، واحتفظ فقط بفيلا لها حدائق واقعة بقرطاجة، هذه الفيلا كان قد باعها من قبل، وتدخل أصدقائه المسيحيين وأعيد شراؤها له.[1]

أما بالنسبة للاضطهادات الثانية؛ فقد فضل المواجهة والوقوف ضد تلك الاضطهادات، ووفقاً لقانون فاليريان فقد تم استدعاءه من قبل البروقنصل إلى مكتبه للاستجواب، وكان رد كيبريانوس هو الرفض وعدم الانصياع لذلك وأصر على عدم الإفصاح عن أسماء الكهنة المسيحيين الآخرين، فأصدر أمراً لإلقاء القبض عليه، ونتيجة لمكانته الهامة والرفيعة، تم نفيه إلى مدينة كوروبيس Curubis المجاورة لقرطاجة وفرضت عليه الإقامة الجبرية هناك، غير أن هذه العقوبة لم تكن قاسية لأنه اصطحب معه مجموعة من رفاقه منهم بونتيوس Pontius، كما تلقى مساعدات جمة من أهالي هذه المدينة.[2]

وفي عهد بروقنصل أفريقية غاليريوس ماكسيموس Galerius Maximus الذي جاءته أوامر من مركز الإمبراطورية بتنفيذ حكم الإعدام على الكهنة والأساقفة والشمامسة المسيحيين، قام هذا البروقنصل باستدعاء كيبريانوس إلى قرطاجة واستقر في فيلاته، وقد وصله خبر ذلك المرسوم فأحس بأن وقته قد حان، وقد عرض عليه حتى أصدقائه الوثنيين على الفرار وأنهم ضمنوا له مكان للاختباء، لكنه رفض ذلك معتقداً أن المسألة محسومة من عند الرب وأنه يسعى إلى الحصول على الشهادة[3]، وفي 13 سبتمبر تم استدعائه من طرف هذا القنصل حيث نقله مجموعة من جنود الجيش الروماني إلى مقر إقامة البروقنصل، وحاول إجباره على تقديم الأضاحي للإمبراطور ولكنه أصر على مسيحيته، فتم إصدار حكم الإعدام من قبل الحاكم والقضاة، وتم تنفيذ ذلك الحكم في عام 258م[4]، ليسقط كأول أسقف شهيد في أفريقيا[5] من أجل دينه المسيحي. ونتيجة لمكانته الدينية فقد

1- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.207, 210-213.
2- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.40-41.Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.232.
3- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.P.235-236.
4- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.40-41.Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.237.
5- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 182.

أقام له المجتمع القرطاجي فيما بعد بازيليكا تكريماً له خارج مدينة قرطاجة، ويقيمون له كل سنة احتفالاً خاصاً للتذكير به وتذكره[1]، ولا تزال بعض أثار هذه البازيليكا باقية إلى اليوم.

2- الإسهامات الفكرية والعلمية لسانت كيبريانوس:

لقد خلف كيبريانوس الكثير من المؤلفات (أنظر الجدول رقم 12، ص 254)، والتي ارتبطت بالمتغيرات التي طرأت على أحداث عصره، وامتازت لغته وأسلوبه بالوضوح والدقة، متأثراً بالكتاب المقدس وكتابات ترتوليانوس[2]، وارتكزت على الاهتمام بإدارة الشؤون الكنسية[3]، ويمكن تصنيفها إلى صنفين وهما الكتب والرسائل، وهي كما يلي:

1/ الكتب Livres:

خلف القديس كيبريانوس مجموعة من المؤلفات، عددها ثمانية كتب، وهي: إلى دوناتوس، في مسلك العذارى، في الاستشهاد، في وحدة الكنيسة، في الساقطين De lapsis، في طبيعة الإنسان المائتة، في منافع الصبر De patientiae utilitatbus، إلى ديمتريانوس، وسأتناولها فيما يلي:

في أولى مؤلفاته أذكر كتاب "إلى دوناتوس Ad Donatum"، أقدم مؤلف كتبه بمناسبة تعميده، جاء في قالب بلاغي جميل ورائع[4]، وكتبه في سنة 245م أو 246م قبل إضطهاد ديكيوس أي في فترة السلام الديني، وأرسله إلى صديقه دوناتوس واصفاً فيه الراحة النفسية التي يحس بها بعد اعتناقه للديانة المسيحية، وكان بلغة راقية ويظهر من خلاله تحوله الفكري[5]، كما احتوى على سلسلة توجيهات ومواعظ ينصح فيها غيره باقتفاء أثره نحو الإيمان بالمسيحية[6]، موصياً للإطلاع على الفترة الوثنية التي عاش تحت ظلها في نير الظلمات والجهالة.[7]

أما كتاب "تفاهة الأصنام de idolorum vanitate" يوضح من خلاله أن الوثنيين يعبدون آلهة غير حقيقية، فهي مجرد أصنام تجلت فيها الشياطين[8]، وبدأت في شكل عبادة الأموات لأنهم كانوا مجرد ملوك سابقين، وبسبب مكانتهم تحولت المجتمعات إلى ذكرهم، فنحتت لهم التماثيل وقدمت لهم القرابين وأقيمت لهم الأعياد، وهناك إثباتات تاريخية حول ذلك، ويشير

1- Procopius: Op.cit., III, XXI, 17 à 23.

2- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص 39.

3- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 182.

4- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.53.

5- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.251.

6- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.53-64.

7- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 182.

8- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.64.

إلى أن لا ووجود لتلك الآلهة بل هناك رب واحد لا يدرك بصرياً، قدمه في إطار الفكر الكريستولوجي La christologie.[1]

بينما يمثل كتابه "في مسلك العذارى de haditu cirginum"، سلسلة مقالات ذات طابع روحي موجهة للراهبات اللائي وهبنا حياتهن لخدمة الرب في الكنائس[2]، كتبه في سنة 249م في بداية تنصيبه كأسقف على قرطاجة، وحذر من خلاله على أخطار العالم الوثني[3]، مشيراً على ضرورة الانضباط الديني، ووصف تلك الراهبات بالبتولية وعرائس المسيح، وأرشدهن لضرورة ارتداء ألبسة بسيطة ساترة والابتعاد عن التبرج وعدم حضور الحفلات ودخول الحمامات المختلطة، وأن يلتزمن بالقيم والأخلاق الفاضلة والإنفاق في سبيل مساعدة الفقراء والمحتاجين والمساكين.[4]

وكتاب "شهادة إلى كويرينوم Testimonia ad Quirinum"، وكتب بطلب من صديق له يدعى كويرينوس بصفته شخصية مهمة من المجتمع المسيحي، وأهداه له فيما بعد تأليفه، ويتكون من ثلاثة كتيبات موجهة لتعليم أبجديات الديانة المسيحية للمعتنقين الجدد ولصديقه كذلك الذي كان حديث العهد بالمسيحية[5]، كما بين من خلاله أيضاً مدى ضلال اليهود مدافعاً عن المسيحية واستقامة أتباعها[6]، ولخص فيه أخلاقيات وفضائل الديانة المسيحية، كما كتب فيه عن الكريستولوجيا[7]. ويكون قد جمع تلك الكتيبات قبل سنة 249م[8]، أو 250م كما أشار مونصو.[9]

وفي فترة نزاعه مع أسقف كنيسة روما نوفاتيانوس Novatianus، ونتيجة الانقسام الحاصل بين الكنيستين[10]، بالإضافة إلى انشقاق فليكيسيموس Felicissimus في قرطاجة[11]، فقام في سنة 251م بتأليف كتاب بعنوان: "في وحدة الكنيسة de catholicae ecclesiae unitate" عالج فيه إشكاليات الانشقاقات[1]، وجهه إلى أتباع الأسقف نوفاتاينوس الذين وقفوا ضد كورنيليوس أسقف روما، وتمت المصالحة بينهم في نفس العام.[2]

1- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص. ص 40-41.
2- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص.ص 364-382.
3- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.120.
4- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 183.
5- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.78-79.
6- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 187.
7- كريستولوجيا: ويدرس شخص المسيح من ناحيتين، الناحية الأولى ترتبط بطبيعة المسيح، أي ماهيته وهويته وكينونته، والثانية الأعمال التي قام بها، ويرتبط أكثر بالأولى. ينظر: جوناثان هيل: المرجع السابق، ص 346.
8- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص. ص 46-47.
9- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.79.
10- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 43.
11- أثناسيوس فهمي جورج: المرحع السابق، ص 42.
1- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.252.
2- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص 42.

وكتاب "إلى ديميتريانوس Ad Demetrianum" ألفه للرد على دميتريانوس الوثني الذي كان من أشد أعداء المسيحيين، كان كبيراً في السن وينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية، وكان من القضاة المسؤولين على ارتداد المسيحيين في زمن ديكيوس، وكتبه في عام 252م أو 253م أثناء الطاعون الذي ضرب قرطاجة[1]، وكان ذلك الشخص يتهم المسيحيين بأنهم وراء المآلات التي آلات إليه الأوضاع بسبب عدم وفائهم لالتزاماتهم أمام الآلهة الرومانية، ودعى من خلاله أن يتكافل المسيحيون حفاظاً على إيمانهم بسبب تلك الاتهامات[2]، وعليهم التحلي بالصبر، وأظهر من خلاله أن المسيحيين ينتظرون الملكوت السماوي ويوم القيامة سيتم معاقبة المضطهدين، وأبان من خلاله عدم فعالية الاضطهاد، وأكد فيه أن المسيحيين ليسوا المسؤولين على تدهور الأوضاع، وأن الوثنيين الذين لا يريدون فهم الحقيقة، هم المسؤولين الحقيقيين على ذلك بسبب ما ارتكبوه من جرائم فاستحقوا الغضب الرباني، كما استهزأ بديميتريانوس.[3]

و"في طبيعة الإنسان المائتة de mortalitate"[4]، ويرد تحت مسمى الوفيات أو الموت، وكانت مناسبة كتابته هو وباء الطاعون الذي ضرب مدينة قرطاجة في عام 252م، وفيه إشارات إلى اضطهادات ديكيوس[5]، وأمام الفزع والهلع الذي خلفه في نفوس أتباع الديانة المسيحية، كان هذا الكتاب الذي شرح فيه معنى الموت[6]، والفرق بينهم وبين الوثنيين حول هذه الظاهرة، وأن المسيحي لا يخشى الانتقال إلى العالم الآخر لأنه يشكل العالم الأفضل بالنسبة له.[7]

بالإضافة إلى كتاب "من الشهادات De testimoniorum"[8]، وكان هذا الكتاب يحظى بقبول كبير في أوساط الأساقفة والرهبان المسيحيين آنذاك كلكتانتيوس وأوبطاتوس والدوناتيين وأوغسطين، ومجادلي القرن الخامس. أما كتاب "إبادة الشهداء Ad Furtunatum de exhoitatione martyrs"، وهو موجه لفورتوناتوس Furtunatus، فقد كتبه خلال الأيام الأولى

1- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.71.

2- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص. ص 43-44.

3- Cyprien de Carthage: A Démétrien, Intr. Trad. Jean-Claud Fredouille, les édutions du Cerf, Paris, 2003, P.P.55-56.

4- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 372.

5- Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.252.

6- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص. ص 44.

7- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 186.

8- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 372.

من نفيه إلى كوروبيس في خريف عام 257م[1]، من أجل تقوية عزيمة المسيحيين أمام الاضطهادات.[2]

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الكتب وهي: في "المرتد De lapsis"، و"في منافع الصبر De patientiae utilitatbus"، و"الأعمال والصدقات De opere et eleemosynis" كتب ما بين سنة 253م و256م، وكتاب "في الصلاة الربانية De dominica oratione" في سنة 262م، و"في الصبر De bono patientiae" في سنة 256م، و"في الحقد والحسد De zelo et livor" ما بين سنتي 256م و257م.[3]

والجدول أدناه مختصر لأهم مؤلفات القديس كيبريانوس.

عنوان المؤلف	فترة التأليف	عنوان المؤلف	فترة التأليف
إلى دوناتوس	245م أو 246م	من الشهادات	/
تفاهة الأصنام	/	إبادة الشهداء	حوالي 257م
مسلك العذارى	249م	المرتد	/
شهادة إلى كويرينوم	249 أو 250م	منافع الصبر	/
في وحدة الكنيسة	251م	الأعمال والصدقات	253م و256م
إلى ديميتيريانوس	252م أو 253م	في الصبر	256م
في طبيعة الإنسان المائتة	252م	الحقد والحسد	256م و257م

الجدول رقم 12: أهم مؤلفات القديس كيبريانوس (إنجاز الباحث).

2/ الرسائل Letres:

تعتبر الرسائل التي خلفها القديس كيبريانوس مصدراً معلوماتياً هاماً، توضح لنا الأحداث التي عاشتها الكنيسة الأفريقية وتطورها والأزمات التي عصفت بها خلال الحقبة التاريخية التي عاشها هذا الأسقف، وكانت تلك الرسائل قد أرسلها إلى مختلف المراكز المسيحية وإلى زملائه من الأساقفة والرهبان، وقد جمعت الكثير من تلك الرسائل[4]، حيث يبلغ عددها 81 رسالة مختلفة المواضيع والمحتويات[5]، منها 65 خطت بقلم هذا الأسقف و16 أخرى مرسلة إليه أو إلى أسقفية قرطاجة الذي كان على رأسها، وهي مقسمة إلى مجموعات (أنظر الجدول رقم 13، ص 255) كما يلي:

1/ المجموعة الأولى المتكونة من الرسالة الخامسة إلى غاية الرسالة 43، كتبت أثناء اضطهاد ديكيوس المشار إليه آنفاً، ومنها 27 رسالة موجهة إلى أسقفية قرطاجة.

1- Monceaux (P.): Saint Cyprien, Op.cit., P.86.

2- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص 46.

3- المرجع نفسه، ص. ص 41-45. أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 186. Monceaux (P.): H.L.A.C., Op.cit. P.252.

4- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص 48.

5- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 173.

2/ المجموعة الثانية المتمثلة في سلسلة مرسلاته مع البابا القديس كورنيليوس St. Cornelius والبابا القديس ليكيوس St. Lucius، وتتمثل في الرسائل من 44 إلى 61 والرسالة 64 و66، والرسائل من 44 إلى 55، وتتمحور حول مشكلة انشقاق الأسقف نوفليانوس في روما.

3/ المجموعة الثالثة تتكون من قسمين: القسم الأول هي الرسائل من 67 إلى 75 والثانية من 78 إلى 81، فقد كتب الرسائل الأولى خلال فترة أسقفية ستيفانوس Stéphanos (254-257م)، وتتمحور حول إشكالية المعمودية، أما القسم الثاني فكان قد أرسلها وهو في منفاه بكوروبيس.

4/ المجموعة الرابعة تتكون من الرسالة الأولى إلى غاية الرابعة والرسائل 62 و63 و64، وقد خطها كيبريانوس بنفسه، أما الرسالة 63 فتعتبر لوحدها ككتاب معنونة بـ: "سر كأس الرب".[1]

هذه جملة الرسائل التي خلفها الأسقف سانت كيبريانوس، ومما لا شك فيه أنه هناك رسائل أخرى تكون قد فقدت ولم يصلنا منها أي أثر.

رقم الرسالة	تاريخ الرسالة
الرسالة الأولى إلى الرابعة	سنة 149م
الرسالة الخامسة إلى السابعة عشرة	المنتصف الأول من سنة 250م
الرسالة الثامنة عشرة إلى الثانية والعشرين	المنتصف الثاني من سنة 250م
الرسالة الثالثة والعشرين إلى الأربعين	نهاية عام 250م
الرسالة الواحد والأربعين إلى الثلاثة والأربعين	عيد الفصح لسنة 251م
الرسالة الأربعة والأربعين والثلاثة والأربعين	آخر سنة 251م
الرسالة ستة وخمسون	عيد الفصح لسنة 252م
الرسالة سبعة وخمسون	شهر ماي لسنة 250م

الجدول رقم 13: جدول زمني يوضح تواريخ وأرقام رسائل القديس كيبريانوس، نقلا عن:
عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 172.

وفي الأخير أقول؛ إن كيبريانوس القرطاجي قد نشأ تحت سقف أسرة ثرية مترومنة، ما سمح له أن يتلقى تعليماً راقياً، تدرج به في مصاف كبار الخطباء والمفكرين، ليكون مظهراً من مظاهر الانتشار الواسع للثقافة اللاتينية، ومن أهم النخب المثقفة المحلية المسيحية، التي ساهمت بشكل واسع في إثراء التراث اللاتيني للمغرب القديم، من خلال ما خلفه من مؤلفات تناول فيها مختلف المسائل والقضايا التي صادفتها الديانة المسيحية خلال فترته، فخلف تراثاً مغاربياً لاتينياً مسيحياً تعددت فيه مؤلفاته، من الكتب والرسائل.

1- أثناسيوس فهمي جورج: المرجع السابق، ص 48.

المطلب الثالث: القديس أوغسطين

سأتناول في هذا المطلب شخصية القديس أوغسطين بصفته من أهم نخب المغرب القديم المسيحية المثقفة، بدءاً بميلاده ونشأته مبرزاً موقفه من انتمائه المحلي، مبيناً أهم إسهاماته في مجال الفكر والعلوم في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

1- مولد ونشأة القديس أوغسطين:

وهو أوريليوس أوغسطينوس Aurelius Augustinus، المعروف بسانت أوغسطين Saint Augustin، من مواليد مدينة ثاغاست Thagaste (سوق أهراس حالياً)، الواقعة جنوب مدينة عنابة بـ 100 كلم وشرق مدينة قسنطينة بـ 180 كلم، في سنة 354م بيوم 13[1] أو 14 نوفمبر[2]، من أم نوميدية (ليبية) تدعى مونيكاي Monnicae وأب مختلط من أصول نوميدية ورومانية يدعى باتريكيوس Patricius، وكانا مختلفين عقائدياً حيث تتبع والدته الملة المسيحية ووالده يتبع الديانة الوثنية الرومانية[3]، وهذا الأخير ينتمي لطبقة الديكوريون Decurione، فكان يشغل وظيفة رسمية في الإدارة الرومانية بثاغاست، ما سمح له بأن يكون من الملاك الصغار، تكاد تكون من طبقة البروليتاريا، لذلك كان يعاني من مشاكل مالية.[4]

ويتضح أن والده كان يؤمن بالتعددية العقائدية والتسامح الديني، ودليل ذلك عدم معارضته لممارسة زوجته لطقوسها الدينية المسيحية ولم يمانع على تعليم أبناءه تعاليم العقيدة المسيحية من عند والدتهم طبعاً وفق شرط زواجها منه، ولم يكن مقصر اتجاههم[5]، وقد وصفه أوغسطين بأنه كان طيب القلب أحياناً وقاسياً تارة أخرى، وأن والدته تعرف كيف تتحاشى تلك القساوة وتصبر على قسوته وتوجهه العقائدي.[6]

نشأ الصغير أوغسطين في حضن أسرة مترومنة ويتضح ذلك من خلال اللقب أوريليوس[7]، فكانت اللاتينية اللغة المتداولة في البيت بصفة خاصة والوسط الاجتماعي الثاغاستي بصفة عامة[8]، وحضي برعاية عائلية فتحت له المجال لتلقي التعليم[9]، فقد كان والده يلجأ للاستدانة من

1- Marrou (H. I.): Op.cit., P.15.
2- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 120.
3- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343.
4- Marrou (H. I.): Op.cit., P.16.
5- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 67-68.
6- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 171.
7- Marrou (H. I.): Op.cit., P.16.
8- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 5.
9- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 68.

أجل تغطية نفقات الدراسة ليرتقي أبناءه إلى أعلى الدرجات وعلى رأسهم أوغسطين[1]، ليُمكنه من تبوأ بعض المناصب السياسية والإدارية أو يكون أستاذاً أو محامياً، خاصة أن المحاماة كانت تُكْسِب صاحبها مكانة اجتماعية وثقافية ومالية راقية آنذاك.[2]

وبطبيعة الحال فقد تلقى تعليمه في مرحلة الليتيراريوس في مسقط رأسه بثاغاست منذ سنة 361م، أين تعلم الخط والقراءة والحساب، واللغة والأدب. وفي المرحلة الثانية من التعليم درس المنطق الديالكتيكي[3] والخطابة والبلاغة ومختلف الفنون والعلوم كالموسيقى والهندسة والفلسفة وغيرها[4]، في مدارس الغراماتيكوس بمادوروس في سنوات 365م[5] إلى 369م[6]، ثم توقف عن الدراسة مؤقتاً وهو في سن السادسة عشرة نتيجة عدم قدرة والده توفير مصاريف دراسته لضائقة مالية مر بها خلال تلك الفترة.[7]

ومن أجل مواصلة دراسته في المرحلة الثالثة بمدراس الريطوريكا أرسله والده أولا إلى مادوروس ثم أكملها في قرطاجة[8] ورحل إلى هذه الأخيرة في سنة 370م، ونتيجة عدم قدرة والده على تغطية نفقات دراسته، تكفل بذلك صديق العائلة رومنيانوس Romanianus، من أعيان وأثرياء مدينة ثاغاست.[9]

وعن محدودية الإمكانيات المالية لوالده يقول أوغسطين: **".. كان أبي يُعِدُ لي النفقات لإقامة أطول بقرطاجة.. وكان طموحه أكبر من ثروته، لأنه كان مواطناً متواضعاً جداً من أهل مدينة ثاغاست"**[10]، ورغم ذلك وفي فترة خمس سنوات مكثها في قرطاجة، فلم تثنيه ميوله وانغماسه في الملذات عن العلم والمعرفة، فقد تمكن من الفلسفة وحذق البلاغة وأصبح نحوياً بارعاً ونال الصدارة في مجال الريطوريكا فأقام بها مدرسة للخطابة، وهذا النجاح الذي حققه هناك فتح له المجال للذهاب إلى كبرى العواصم الثقافية والعلمية آنذاك على غرار روما وميلانو.[11]

1- جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص 298. Marrou (H. I.): Op.cit., P.16.
2- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 68.
3- مبني على فن الحوار والتعليل، ينظر: دومنيد فولشيد: المرجع السابق، ص 16.
4- كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص 729. القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 36-37.
5- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343.
6- علي أحمد شعبان: المرجع السابق، ص 358.
7- بن عطيا الله عبد الرحمان: الصراع الديني في المغرب القديم: "الحركة الدوناتية والكنيسة الافريقية" بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، 2018/2017م، ص 172. Talbot (F.): Op.cit., P.78.
8- Augustin (St.): les confessions, T.1, L.II, CH.III, 168. Marrou (H. I.): Op.cit., P.16.
9- Marrou (H. I.): Op.cit., P.16. 299 جيلبار شارل بيكار: المرجع السابق، ص
10- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 37.
11- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 121.

وفي قرطاجة قرأ كتابات شيشرون، واعتنق في سنة 372م[1] العقيدة المانوية Manichéisme[2] التي تنسب إلى ماني[3]، ظناً منه أنه سيتخلص من الفراغ الروحي الذي يعاني منه وأنها ستنير له الدرب وتكشف له الحقيقة وسيجد من خلالها إجابات عن تساؤلاته وإشكالياته حول الوجود[4]، ولما كان بقرطاجة خصوصاً أن هذه الأخيرة قد شهدت أثناءها نشاطاً واسعاً لدعاة هذا التيار، وعلى رأسهم الأسقف المانوي فاوستوس Faustus، الذي كان له تأثيراً قوياً على فكر ونفسية أوغسطين حينما تساءل: **"هل كان يشفي غليلي بالأقداح النفسية..؟"**، واستمر معتنقاً لهذه العقيدة مدة تسعة سنين، غير أنه بقي على الدوام في حيرته النفسية مدفوعاً بمبدأ الشكية، الذي اكتسبه من دراساته الفلسفية.[5]

وقد مارس مهنة التعليم في ثاغاست خلال سنة 374م، وبعدها في قرطاجة في سنة 376م. ثم رحل إلى روما سنة 383م وبعدها بسنة انتقل إلى ميلانو[6]، وقد التحقت به أمه مونيكا فيما بعد وفاة زوجها بتريكيوس. وفتح بميلانو مدرسة للبيان، وشارك في مسابقة الأستاذية[7]، فتحصل منها على لقب ومنصب أستاذ البلاغة ومكث بها مدة أربعة سنوات. وهناك وبالضبط في سنة 386م[8] قصد لزيارة القديس أوريليوس أمبروزيوس Aurelius Ambrosius أسقف ميلانو وبقي برفقته، فأكرم نزله وأثر فيه تأثيراً بليغاً بمواعظه وإرشاداته الدينية، حيث يذكر أوغسطين أنه عمل برسالة هذا الأسقف وطلب منه أن يرشده عن أي الكتب المقدسة عليه قراءتها ليصبح أكثر كفاءةً وتأهيلاً، وخلالها أصبح من مؤيدي العقيدة المسيحية الكاثوليكية، وقرر التخلي عن المانوية[9]، التي لم تخرجه من حيرته ولم تمنحه إجابات مقنعة عن مسائلتي الوجود وما بعد

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343.

2- المانوية: عقيدة أسسها ماني وهي شكل من أشكال الغنوصية، ونشأت في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد في بلاد الرافدين التي كانت تحدت سلطة الإمبراطورية البارثية، وكانت تعج بالمدارس الدينية والفلسفية خاصة المسيحية واليهودية والزرادشتية، وقد عمل ماني على التوفيق بين هذه الديانات الثلاثة. أنظر: فراس السواح: المرجع السابق، ص 71.

3- ماني Mani ينتمي إلى أسرة بارثية ملكية، وهو اسم فارسي يعني الفريد والنادر، عاش في ميزوبوتامية التي شهدت تفاعل العديد من الديانات الرئيسية كاليهودية والمسيحية وغيرها، وكان والده ناسكاً ينتمي إلى إحدى الطوائف الدينية، فنشأ في جو من الدراسات الدينية حيث انتهى به المطاف إلى الاقتناع أنه صاحب النور المطلق فادعى بأنه النبي الذي أخبر عنه المسيح عيسى عليه السلام. للمزيد ينظر: كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة، معتقدات آسيوية قديمة (العرق- فارس- الهند- الصين- اليابان)، ط.1، دار الندى، مدينة نصر، مصر، 1999م، ص 138.

4- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 43.

5- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 62، 78-85، 94.

6- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343. كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص.ص 729-731.

7- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 121.

8- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص. ص 98-99، 190.

9- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 62، 86، 92، 166.

الوجود، كما اعتنق أيضاً الاحتمالية ثم تخلى عنها لأنها لم تعطيه تفسيرات مقنعة لتساؤلاته واستفساراته.[1]

ومن الأسباب التي أثرت فيه ودفعته إلى الإيمان بالمسيحية الكاثوليكية، أذكر تأثير وصايا أمه مونيكا عليه التي كانت قد هيئته منذ صغره لتبني المسيحية، والنصائح التي قدمتها له عن هذا الدين[2]، كما كانت على الدوام تبكيه حرقة على أن يفتح قلبه للإيمان المسيحي والتخلي عن ما هو عليه حيث يقول: ".. **الأساطير والخرافات المفسدة التي كانت أمي بسببها تنتحب عليّ**"، ويقول في موضع آخر: ".. **لتكّف أنهار دموع أمي التي كانت تسقي بها الأرض من أجلي كل يوم..**"، لذلك سمي بابن الدموع.

أما السبب الثاني فيرتبط بحدثين حدثا له عندما انتقل إلى روما وبعدها إلى ميلانو، وهما مسألتين فالأولى تتعلق باكتشافه لمعاني الكتاب المقدس عن طريق سانت أمبروازيوس الذي قاده للإيمان بالعقيدة المسيحية، والنقطة الثانية مرتبطة بالاعتقاد بالفلسفة النيوأفلاطونية Néo-platonisme، بعد قراءة الفلسفة والبحث في مجال الفلسفة الأفلاطونية، والتي أعطى عليها أمبرواز انطباعاً جيداً لأوغسطين[3]، حيث خدمته هذه الفلسفة من خلال أخذه الكثير منها رغم أنه انتقدهم في مواضع أخرى، ويشير أنها قد أفادته وأنارت له الطريق نحو المسيحية دون أن تجعله هذه الفلسفة ينأى عن اعتناق الدين الجديد.[4]

فعندما بلغ الثلاثين من عمره تحول إلى المسيحية، حسب رغبة أمه مونيكا، فمثلما تمكنت من تحويل زوجها باتريكيوس إلى المسيحية قبل وفاته، تم تعميد أوغسطين من قبل أمبرواز مع ابنه أديوداتس Adéodats[5] في 4 ماي 387م، وبذلك يتحقق ما كانت تصبوا إليه مع ابنها أوغسطين قبل أن تتوفاها المنية، حيث يذكر أوغسطين أنها ماتت أمامه في بلدة أوستيا Ostia الواقعة عند مصب نهر التيبر، أثناء رحلة عودتهم إلى بلاد المغرب[6]، أما ابنه فيحتمل أنه توفي في سنة 389م[7]، وهو في عمر 18 سنة وقد حزن عليه حزناً شديداً.[8]

1- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 43.
2- بن عطيا الله عبد الرحمان: المرجع السابق، ص 174.
3- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 86.
4- علي زيعور: أغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 2009م، ص 107.
5- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343. محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص. ص 120-121.
6- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 169، 172-173، 197. زموري خديجة: المرجع السابق، ص 72.
7- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343.
8- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 121.

وعلى كل حال، فقد عاد إلى بلاد المغرب وبالضبط إلى مدينة ثاغاست، حيث مكث بها مدة ثلاثة سنوات معتزلاً المجتمع، ليعيّن بعدها كمستشار لأسقف قرطاجة القديس أوريليوس القرطاجي St. Aurelius Carthaginiensis في عام 391م.[1]

ومع القرن الخامس للميلاد انتقل القديس أوغسطين للاستقرار، في مدينة هيبوريجيوس وأصبح مع عام 396م أو في سنة 392م أسقفاً على كنيستها، فتحولت هذه المدينة إلى مقاطعة كنسية هامة في بلاد المغرب، واكتسبت تلك الأهمية من أسقفها الذي كانت له شهرة واسعة خلال الخمسة والثلاثين عاماً كاملة، ويشار في موضع آخر مدة سبعة وثلاثين سنة، من خلال مساهمته الفعالة في الحياة الفكرية والعلمية[2] وإنجازاته المهمة، كتشييده للكثير من الكنائس والأديرة[3]، وبقي كذلك إلى أن وافته المنية عام 430م، العام الذي اجتاح فيه الوندال بلاد المغرب القديم وبقيت كنيسته قائمة.[4]

وبالنسبة لطبيعة حياة أوغسطين، فلم يكن ولدًا نموذجياً وإنما كان كغيره من الأولاد[5]، حيث كان في فترة صغره لا يتقيد بالقواعد الدينية ولا بقيود العفة[6]، ففي فترة مراهقته وهو ابن السادسة عشرة من العمر، حينما توقف فيها مؤقتاً عن الدراسة لظروف مادية مرت بها أسرته، كان في تلك الفترة المبكرة من حياته ميداناً للصراع النفسي بين الورع وبين اللذات، فمال إلى حياة اللهو والمرح والشغب وحب الشهوات، ولم يأخذ بنصائح والدته ولم يهتم لأمره والده حول هذه المسألة، لذلك نجده أكثر ميلاً إلى أمه عن أبيه رغم أنه لم يبخل عليه بالمال والطيبة والوقوف عليه ليكون ناجحاً في حياته العلمية.[7]

وحينما كان أوغسطين طالباً في قرطاجة، كانت تستهويه المشاهد المسرحية الماجنة المقامة في مسرح هذه المدينة، وألعاب سباق العربات والمصارعة المقامة في سيرك وحلبات المصارعة لقرطاجة، وأسماها مراجل الأهواء التي يندى لها الجبين[8]، وقد أشار كوينتيليان أن الطلبة يكتسبون سوء الخلق نتيجة احتكاكهم مع بعض وبعد ترددهم على مختلف مدارس المراحل

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343. كيرلس سليم بسترس وآخران: المرجع السابق، ص.ص 729-731.

2- Marec (E.): Op.cit., P.31. 329 ينظر: الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص

3- أحمد وابل: المرجع السابق، ص 434.

4- الربيع عولمي: المرجع السابق، ج.1، ص 342. بن عطيا الله عبد الرحمان: المرجع السابق، ص 176. ونفس التاريخ ذكره كركوبينو جيروم. ينظر: Carcopino (J.): D.L.A.R., Op.cit., P.110.

5- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 120.

6- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 68.

7- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 120.

8- Monceaux (P.): les païens, Op.cit., P48, 66.

التعليمية[1]. كما اتخذ أوغسطين خليلة مجهولة الاسم وولد منها ابنه أديوداتس في سنة 371م دون زواج قانوني، ثم تخلى عنها سنة 385م حينما خطب أخرى، وفي انتظار الزواج اتخذ خليلة ثانية[2]، وقد ذكر أن ولده هذا هو ابن خطيئته في قوله: **"ذلك الابن المولود من خطيئتي الجسدية"**[3]، ويعود سبب تخليه عن خليلته الأولى كان بضغط من أمه مونيكا، ورغم ذلك لم يتخلى عن ابنه وضمن له تنشئة رفيعة[4]، لذلك تأسف عند وفاته.

كما كان يهوى الصحبة؛ حيث كوّن علاقات صداقة مع الكثير من الأصدقاء امتازت بالجدية تارة والمرح تارة أخرى، أمثال أليبيوس Alipius ونبريديوس Nebridius، وأشهرهم هو أليبيوس صديقه منذ الطفولة، وكانوا ممن يتوافقون وميولاته ورغباته وتوجهاته. فكانت أحاديثهم وحواراتهم ومناقشاتهم مفعمة بالحيوية والنشاط يتخللها الضحك والاحترام ودراستهم المشتركة والفصاحة والبلاغة، فقد تحدث أوغسطين عنها بحيوية في كتابه الاعترافات. ولقد كان ذو طبع اجتماعي متفتح على غيره من أفراد المجتمع، وميال إلى اللقاءات مع الآخرين، وقد أثر ذلك في مسار تكوينه وصقل شخصيته.[5]

كما كان يملك قدرات خاصة ومتميزة جداً، حينما كان تلميذاً في مدارس ثاغاست ومادوروس، ويتضح ذلك في كتابه الاعترافات الذي يعود به إلى ذكر فترات طفولته الأولى، والتي تبدأ من العامين والنصف أو الثلاث سنوات الأولى من عمره، ليظهر ما كان يتميز به من قدرات ذاتية والمتعلقة بمحاولته لاكتساب القدرة على التعبير[6]، بالإضافة إلى أنه تمكن من اجتياز مراحله الدراسية في فترة وجيزة، من سن السابعة إلى سنة التاسعة عشرة من عمره، وهذا حسب ما أشار إليه هنري إرينيي مارو H. I. Marrou.[7]

أما بالنسبة لانتمائه المحلي، فقد كان أوغسطين يفتخر بكونه من أفريقياً، ويتضح ذلك من خلال رأيه في لوكيوس أبوليوس فحينما تحدث عنه أشار إليه إلى أنه ينتمي إلى نفس الأرومة الاجتماعية التي ينتمي إليها أوغسطين، وكذلك حينما رد على ماكسيموس المادوري حينما سخر

1- Quintilien: T.I, II, 39.

2- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 343. القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 59-60.

3- القديس أوغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 166.

4- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 121.

5- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 73.

6- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 120.

7- Marrou (H. I.): Op.cit., P.17.

من الأسماء المحلية للشهداء الليبيين، وذكره بنسيان ذاته، وأنهما الاثنين ينتميان إلى نفس الأرض والوطن والمجتمع، كما يرشده إلى ضرورة التنكر لما قاله بصفته رجلاً مثقفاً.[1]

2- إسهامات القديس أوغسطين الفكرية والعلمية:

للقديس أوغسطين مكانة هامة في التراث اللاتيني للمغرب القديم، وكان نتاج تأثره بروح وثقافة عصره، فلقد تأثر في أسلوبه بفرجيل وشيشرون. أما في أفكاره فقد تأثر بالمذهب الفلسفي الأفلاطوني، وبمذهب السعادة الذي صاغته المدرسة الكيرنايكية، وهما إنتاج مغاربي محض، فالفلسفة الأفلاطونية قائمة على العقل باعتباره ظاهرة إنسانية والأداة التي يمكن أن يصل بها الفرد إلى الحقائق المطلقة المنزهة والبعيدة عن الميول والرغبات. وقد قام أوغسطين بالمزج بين هذين المذهبين وطبقهما على الديانة المسيحية فجاءت متوافقة مع التوجه العام لمجتمع المغرب القديم خاصة والمسيحي عامة[2]، كما لعب دروا مهما في صياغة ثقافة مسيحية مبينة على الإبقاء واستمرارية الفلسفة القديمة[3]، وكان يتمتع بموهبة هائلة فامتازت كتاباته بالتفكير الشخصي الرفيع، واعتبر من أحد أعمق مفكري بلاد المغرب القديم، ومن أبرز علماء الثيولوجيا.[4]

وعليه فقد كتب الكثير من المؤلفات باللغة اللاتينية (أنظر الجدول رقم 14، ص 271)، وخلف تراثاً كتابياً يصل إلى حدود ثلاثة وتسعين كتاباً[5]، بالإضافة إلى المناظرات والجدالات والمناقشات[6]، وقد امتازت كتاباته بالبلاغة والمتانة وقوة البيان والمبالغة في التصوير والإطناب، وكثرة الاستعارات والصور البلاغية، ومن مؤلفاته التي نالت شهرة واسعة هي مؤلف مدينة الله والاعترافات[7]، ويمكن تقسيمها إلى ثمانية تصنيفات حسب مواضيعها، والمتمثلة في: الاعترافات، والمؤلفات الدفاعية والفلسفية والعقائدية، وضد المانوية والدوناتية والبيلاجية، والتفسيرية والثيولوجية والأخلاقية والدعوية، وتليها المواعظ والرسائل والشعر[8]. وسأتناول أشهرها فيما يلي:

1- Marec (E.): Op.cit., P.31.

2- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص. ص 192-194.

3- دومنيد فولشيد: المرجع السابق، ص 41.

4- McCabe (J.): Saint Augustine and his age, G. P. Putnam's Sons, Knickerbocker Press, New York, London, 1903, P.376.

5- أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، تر: ريمون يوسف رزق، المركز الثقافي القبطي الأرثوذوكسي، مصر، 2012م، ص 16.

6- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 195.

7- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص. ص 124-125.

8- أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص. ص 16-21. زموري خديجة: المرجع السابق، ص. ص 104-105.

1/ الإعترافات Confessions:

ويتكون هذا الكتاب من ثلاثة عشرة جزءاً[1]، حيث بدأ في تأليفه مع أواخر 397م وبداية 398م وأتممه في سنة 400م[2]، أي في السنوات الأخيرة من القرن الرابع للميلاد[3]، ويعتبر نوع جديد في أدب السيرة كتب بشكل موضوعي تماماً[4]، وهو يعد أورع السير الذاتية والنفسية التي ألفها أوغسطين، وجاء في أسلوب ممتاز وسلس ممجداً للذات الإلهية.[5]

ويروي أوغسطين في هذا الكتاب خطاياه وتقواه بعاطفة متأججة تختلجها روح المعاناة والمعالجة الصادقة[6]، حيث سرد فيه أخبار حياته وأدق تفاصيلها بتحليل عميق لشخصيته وحياته الخاصة معترفاً فيه بأخطائه حينما كان في رحلة البحث عن الرب والدين الصحيح[7]، أي أنه لخص حياته منذ الطفولة إلى غاية اعتناقه للديانة المسيحية[8]، بداية من الكتاب الأول إلى التاسع، أما الكتاب العاشر فتحدث فيه عن حالته النفسية أثناء تحريره لهذا الكتاب ككل (الاعترافات).[9]

وفي الكتب الأربعة المتبقية تحدث فيها عن حالته النفسية ورحلة بحثه عن الحقيقة الإلهية والإيمان، وفي خضمه وجه أوغسطين حديثه إلى الرب، معترفاً بكل أخطائه، ووجه من خلاله دعوة كل البعيدين عن الرب بإتباعه قبل فوات الأوان[10]، وقد أعطى مفهوماً خاصاً للاعترافات فمزج فيها بين الذنب والشكر، أي الاعتراف بفضل الرب ومدح عظمته، واعتراف تألمي بالاخطاء المرتكبة[11]، ويلخص لنا محمد العربي عقون هذا كله أن أوغسطين ينطلق في هذا الكتاب من الدليل الوجودي وينتهي به إلى التحليل النفسي.[12]

2/ مؤلفات المنافحة (الدفاعية):

وتتمثل في كتابه المعروف بـ "مدينة الله Cité de Dieu"، فقد كتبه أوغسطين في ظل ظروف تميزت ببداية انهيار وتصدع الإمبراطورية الرومانية، بعد تعرضها لغزوات القبائل

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 207.
2- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 344.
3- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 315.
4- بن عطيا الله عبد الرحمان: المرجع السابق، ص 179.
5- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 44.
6- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 127.
7- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 187.
8- زموري خديجة: المرجع السابق، ص 103.
9- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 344.
10- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 103.
11- علي أحمد شعبان: المرجع السابق، ص 358.
12- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 125.

الجرمانية. ففي عام 410م نهب واسبتاح قائد القوط Gothi آلاريك الأول Alaric I روما التي كانت تمثل رمز قوتها وعظمتها، ونظرت النخب الوثنية المثقفة والدينية أن مجد روما يضيع نتيجة تخليها عن معتقداتها وآلهتها، وأسمتها أزمنة المسيحية، بعد حضّرها منذ سنة 391م من قبل ثيودوسيوس Theodosius وتحويل معابدها إلى كنائس. ولو استمرت تلك العقيدة الوثنية لما وقعت تلك الأحداث[1]، بالإضافة إلى انتشار مبادئ الديانة المسيحية التي تدعو إلى المساواة والتساهل والرفق والرحمة، أدى إلى تليين موقف الإمبراطورية التي كان من الواجب أن تكون حازمةً وصارمةً لتضمن استمراريتها.[2]

لقد نظر القديس أوغسطين إلى هذه الأحداث بنظرة مغايرة، خصوصاً أن صديقه فلافيوس مارسيليانوس Flavius Marcellianus طلب منه الرد على أتباع الديانة الوثنية التقليدية الذين زعموا أن سبب ما آلت إليه أوضاع الإمبراطورية يتمحور حول مسألة إهمال البانثيون Pantheon الروماني، وأن يكون رده رداً عقلانياً ومنطقياً ومقنعاً[3]، وقد وعد صديقه هذا للدفاع عن ما أسماه بمدينة الرب من الذين يفضلون معتقداتهم وآلهتم التقليدية عن الإله الحق.[4]

ومن هنا جاءت الفكرة لأوغسطين لتأليف هذا الكتاب والذي يحمل عنوانه الكامل: "مدينة الله في مواجهة الوثنيين De civitate Dei contra paganos"، الذي يتكون من إثنان وعشرون جزءاً[5]، للرد على ادعاءات تيار الديانة الرومانية التقليدية، ويحتوي على أرائه السياسية والاجتماعية وفكره الفلسفي التاريخي[6]، ودافع فيه عن الديانة المسيحية، ضد الذين يفضلون آلهتهم واعتبرها مهمة صعبة ولكن الرب سيكون في عونه في تلك المهمة[7]، حيث يعتبر من ركائز الفكر المسيحي الغربي، وألفه خلال الفترة الممتدة ما بين 410 إلى 427م[8]، أو ما بين 413 إلى 427م كما ذُكر في موضع آخر، أي أنه يكون قد استغرق في كتابته مدة 17 أو 14 سنة.

1- القديس أغسطينوس: مدينة الله، تر.: الخور أسقف يوحنا الحلو، مج.1، الكتب من 1-10، ط.2، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2006م، ص 7.
2- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 125.
3- زموري خديجة: المرجع السابق، ص. ص 98-99.
4- القديس أغسطينوس: مدينة الله، المصدر السابق، ص 9.
5- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 209.
6- علي زيعور: المرجع السابق، ص 109.
7- Augustin (St.): la cité de Dieu, Trad. lucien Jerphagnon, Éditions Gallimard, 2000, I, II,3.
8- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 344.

ولقد تحدث في الأجزاء الخمسة الأولى منه عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية وعن الأزمات التي عصفت بها[1]، وبيّن من خلالها أن الديانة المسيحية ليست سبباً فيما آلت إليه أوضاعها، وليست مرتبطة بردة فعل الآلهة الرومانية الوثنية التي فشلت في حماية روما نفسها، وقدم أدلة تاريخية حول ذلك مثل مدينة طروادة وبين كيف حمى الرجال الآلهة وليس العكس[2]، فقد أجرى مقارنة بين مدن العالم التي أنشأتها المجتمعات الإنسانية آنذاك ومدينة الإله[3]، الموجودة في الكتاب المقدس والتي ستحكم بالشريعة الإلهية[4]، وقد وصفها بالمدينة المجيدة التي ستظفر بالسلام التام[5]، وأن روما ليست إلا مدينة من صنع المجتمع الإنساني التي أسست على دماء الأبرياء والقديسين، ليس فيها من الفضائل ما يضاهي العدالة في مدينة الإله التي لا تحدها حدود ولا تنال منها الظواهر الطبيعية والإجتماعية والاقتصادية، وتسعُ لكل أتباع الديانة المسيحية. وروما محكومة بقانون الفناء ويمثل سقوطها في 410م سوى تجلياً واقعياً لذلك القانون[6]، كما أشار إلى أن الكثير ممن نجى من هؤلاء الوثنيين قد احتموا بالكنائس المسيحية، فقد هرع الكل مسيحي أو وثني ليحتمي من بطش العدو القوطي، وأنه كان عليهم شكر المسيحية والمسيح والرب على ذلك، وظهر للعيان فشل آلهتم من حماية المدينة[7]، كما أوعز صفات الرحمة التي ميّزت القوط اتجاه أتباع الديانة المسيحية لتأثرهم بمبادئها، كما أثنى على المسيحيين الذين سقطوا ضحايا الاجتياح القوطي.[8]

3/ المؤلفات الفلسفية:

ومن الأعمال الفلسفية لأوغسطين أذكر كتاب "في المعلم De magistro"، ويحتوي على موضوعات عديدة تَنَاقش فيها مع ابنه أديوداتوس وأشار أوغسطين أنها تعبر عن أراء ابنه هذا والذي وصفه بالعبقري، وتتمحور حول المعرفة وآليات تعليمها وتلقينها[9]، بالإضافة إلى كتاب "الحياة السعيدة De beata vita"، الذي يمثل حواراً فلسفياً حول موضوع السعادة، يظهر فيه تأثر

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 187.

2- Augustin (St.): la cité de Dieu, I, II, 3-5.

3- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 44.

4- Augustin (St.): la cité de Dieu, I, II, 3.

5- القديس أغسطينوس: مدينة الله، المصدر السابق، ص 9.

6- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 126.

7- Augustin (St.): la cité de Dieu, I, II, 4-5.

8- زموري خديجة: المرجع السابق، ص. ص 99-100.

9- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 208. القديس أغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص 167. محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 121.

أوغسطين بكل من أفلوطينوس Plotinus[1] وفورفوريوس Porphyrios، وكذلك كتابه المعنون بـ "في النظام De ordine"، وهو حوار يتحدث فيه عن العناية الإلهية والنظام الذي يتحكم في العالم، بالإضافة إلى كتاب "خلود النفس De immortalitatz animae"، وكتاب "حول الإرادة De libero arbitrio"، ويتكون من ثلاثة أجزاء، وهو عبارة عن حوار يحاول من خلاله إثبات وجود الرب، وكتاب "في المنطق De dialectica" وهو من الحجم الصغير وغير مكتمل، تناول فيه أوغسطين مفهوم الكلام وأصنافه على طريقة الرواقيين.

أما كتاب "ضد الأكاديميين Contra Academicos" فهو عبارة عن حوار يحتوي على ثلاثة كتب يرد فيه على التيار الشكاني، وكتبه سنة 386م[2]، وعالج فيه مسألة عدم الشك (اليقين)، فقد كان هؤلاء يشككون في كل المسائل والقضايا، وقد تبنى أوغسطين نفس الفكرة دون منحهم ثقته الكاملة، وتعلق فقط بالقول بنزعة الاحتمالية واحتمالانية معتدلة، ثم تخلى عن هذا التيار[3]، بالإضافة إلى كتاب "في الجميل والملائم De pulchro et apto"، والذي ذكر أنه أهداه لهيريوس Hierius الخطيب الروماني وقد ضاع منه سنة 380م[4]، بالإضافة إلى كتاب "في المناجاة De soliloquia" أي محادثات مع النفس ويحتوي على كتابين الأول يبحث عن ذاته والقدرة الطبيعية تنقصه، أما الثاني فتطرق فيه إلى المبدأ الكبير والهروب من المحسوسات[5]، و"في روحانية النفس De quantitate animae"، و"في الموسيقى De musica".[6]

4/ المؤلفات العقائدية:

وتتكون من أربعة أعمال تخص الجانب العقائدي للعقيدة المسيحية، وعلى رأسها "كتاب الثالوث De trinitate" والذي يعتبر ثمرة مطالعة وتفكير طويل وعميق[7]، من كتب الثيولوجية بدأ في تأليفه سنة 399م وأتممه في حوالي 419م[8]، ويرد في موضع آخر أنه كتب من 400م إلى 416م ويكون قد استغرق فيه مدة 17 سنة[1]، وألفه أوغسطين باللاتينية جاء في خمسة

1- أفلوطين (205-270م)، وهو من أبرز دعاة الأفلاطونية المحدثة. ينظر: دومنيد فولشيد: المرجع السابق، ص 29.
2- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص. ص 207-208.
3- علي زيعور: المرجع السابق، ص 108.
4- القديس أغسطينوس: اعترافات، المصدر السابق، ص. ص 69-73.
5- القديس أوغسطينوس: محاورة الذات، تع.: الخور اسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2005م، ص. ص 7، 37.
6- القديس أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص 17.
7- المصدر نفسه، ص 18.
8- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 344. عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 207. عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 188.
1- علي زيعور: المرجع السابق، ص 109.

أجزاء، وهو بمثابة موسوعة شاملة حاول فيها المؤلف تناول كل الجوانب المتعلقة بعقيدة الثالوث الفلسفية والفكرية.[1]

بالإضافة إلى كتب أخرى وهي: كتاب "الأنخيريديون الموجه للورينتيوس Enchiridion ad Laurentium"، و"في الإيمان والقانون De fide et symbolo"، و"في القانون للموعوظين De symbolo ad catechmenos"[2]، وكتاب الصلاة الربانية، وبين فيه آلية أدائها وأن الإيمان يسبق الصلاة، والدعاء أثناءها.[3]

5/ المؤلفات ضد المانوية والدوناتية والبيلاجية:

وهي أعمال موجهة ضد التيار المانوي[4] والدوناتي والبيلاجي، منها كتاب "في التعميد De baptimo" أو "ضد الدوناتيين Contra Donatistas"، ويتكون هذا الكتاب من سبعة أجزاء، يتحدث فيه المؤلف بالتحليل والنقد وجهة نظر الدوناتيين حول مسألة التعميد والذي يعتبرها واجبة أكثر من مرة للفرد الواحد، وأنه ركن من أركان المذهب الدوناتي. وكذا كتاب "ضد غاودنتيوم Contra Gaudentium"، وينتقد في هذا الكتاب غاودنتيوس Gaudentius زعيم النحلة[5] الدوناتية وأسقف مدينة ثاموقادي، والتي تعتبر قلعة للدوناتيين آنذاك.[6]

و"ضد البلاجيين"، نسبة إلى بلاجيانوس Pelagianus الذي أسس مذهب البلاجيانية Pelagianism الديني، الذي يقر بأن الإنسان طيب بالفطرة، ومن الكتابات التي كتبها أوغسطين إلى هؤلاء أذكر: "ضد يوليانوس Contra lulianum" وهو كتاب في ستة أجزاء تحتوي على مجموعة مناظرات بين المؤلف وبيلاجيانوس، بالإضافة إلى كتاب "النفس وأصولها De anima et eius origene"، وآخر بعنوان "أعمال ضد بيلاجيانوس De gestis pelageii".[7]

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الكتب أذكر منها كتب: "في البدع" و"في الاختبار الحر"، "في أخلاق الكنيسة" و"في أخلاق المانيين"، و"في سفر التكوين والمانيين"، و"ضد رسالة بارمنياس"

1- القديس أوغسطينوس: الثالوث De trinitate، تر.: هدى بهيج، ط.1، سلسة الكلاسيكيات، القاهرة، مصر، 2018م، ص 11.
2- أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص 18.
3- أغسطينوس: الصلاة الربانية، تر.: القمص تادرس يعقوب ملطي، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2005م، ص. ص 7-39.
4- لأن المانيين لم يستطيعوا الاعتراف بأن الله خلق المادة وغيرها من المسائل. ينظر: McCabe (J.): Op.cit., P.379.
5- **النحلة:** باللغة الفرنسية Secte، وبالإنقليزية Sect، وباللاتينية Secta، الدين والعقيدة والمذهب، وقد تطلق على طائفة من الناس يجمعهم مذهب واحد، فتكون مرادفة للجماعة أو الفرقة، أو تطلق على طائفة من الناس تجمعهم عقيدة باطلة أو عقيدة مخالفة لعقيدة الجماعة، فتكون حينئذٍ مرادفة للبدعة. جميل صليبا: المرجع السابق، ص.ص 460-461. تطلق كذلك على المذهب أو الديانة أو ما ينتسب إليه المرء من دين أو مذهب. أنظر: فرج الله الباري: موسوعة العقيدة والأديان، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ج.5، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص 21.
6- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص. ص 208-209.
7- المرجع نفسه، ص 200-201.

و"في الطبيعة والنعمة" و"في نعمة المسيح"، و"في الخطيئة الأصلية"، و"في النعمة والاختيار الحر" و"في الفساد والنعمة"، و"في قضاء الإله في اختيار القديسين" و"في موهبة المواظبة"[1]، والرد على الأريوسيين.[2]

6/ المؤلفات التفسيرية:

وتتمثل في كتاب "العقيدة المسيحية Doctrina Christiana"، ويتمحور حول الثقافة المسيحية، ويهدف إلى شرح حقائق الكتاب المقدس وتقدم للمثقف المسيحي برنامجاً تعليمياً، ينقسم إلى مجموعتين من العلوم؛ ترتبط الأولى بالعلوم الزمانية والمكانية، وتحتوي على علم النحو والتاريخ والجغرافيا والفنون، بينما تتعلق الثانية بالعلوم العقلية وتحتوي على علم الريطوريكا والدياليكتيك والحساب والهندسة وعلم الفلك والفلسفة والموسيقى.[3]

بالإضافة على كتاب "سفر التكوين de genesi ad litteram"، حيث استغرق في تأليفه 14 سنة من عام 401م إلى غاية 414م[4]، ويتكون هذا الكتاب من اثني عشرة جزءاً، علق فيه أوغسطين على سفر التكوين المعروف كنص مسيحي مقدس، محاولاً عرض مختلف المذاهب الفلسفية الثيولوجية[5]، ومن أهم أعماله عن الكتاب المقدس كتابه بعنوان: "التعليق على المزامير"، الذي بدأ في تأليفه مع حوالي سنة 414م ولا شك أنه استمر فيه لعدة سنوات، وظل يُقرَأُ من قبل الرهبان والقساوسة إلى غاية فترات متأخرة.[6]

كما له أعمال أخرى في العهد القديم، مثل تفسيره لسفر التثنية deuteronomium[7]، المتكون من عشرة أجزاء ألفه في حوالي سنة 419م، وتعليقاته حول سفر أيوب Job وضعه في حوالي عام 400م.[8]

1- أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص 19.
2- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 124.
3- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 209.
4- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 344. ينظر كذلك: McCabe (J.): Op.cit., P.379.
5- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 208.
6- McCabe (J.): Op.cit., P.378.
7- وهو عبارة عن إعادة تقديم لشريعة سيناء وامتداد وتفصيل لها. ينظر: ج. أ. طومسون: سفر التثنية، التفسير الحديث للكتاب المقدس العهد القديم، تر.: جاد المنفلوطي، ط.1، دار الثقافة، القاهرة، 1994م، ص 12.
8- McCabe (J.): Op.cit., P.379.

7/ المؤلفات الثيولوجية والأخلاقية والدعوية:

وهي أبحاث تتعلق بالقضايا المتعلقة بفكرة البتولية والزواج ومسائلتي الكذب والصبر، وأمور مرتبطة بتعليم الموعوظين وطالبي اعتناق الديانة المسيحية[1]، وكتب عن المرأة، ليلتقي مع روح آراء العبريين، ويتساءل عن سبب خلقها، ويرى أنها أوجدت لغرض الإنجاب.[2]

8/ المواعظ والرسائل والشعر:

للقديس أوغسطين مجموعة كثيرة من المواعظ Sermons، وهناك اختلاف في عدد تلك المواعظ، حيث نسب له 279 موعظة وكذلك 362 موعظة[3]، وهناك من ذكر 400 موعظة[4]، وهناك من الذين ذكروا 500 موعظة[5]، كما ذكر جوزيف مكيب .Joseph M العظات العشر عن رسالة القديس يوحنا، والتي نشرها عام 416م، والمتكونة من 124 عظة[6]، وقد ضاعت أغلب هذه المواعظ. بالإضافة إلى 113 مطولة Traités، امتازت بقوة البيان وبلاغة الأسلوب.[7]

أما الرسائل فتصل إلى 270 رسالة Epistulae، وجهت منها سبعة وأربعين رسالة إليه وثلاثة عشرة منها إلى أصدقائه، ورسائل أخرى وضع فيها قانون الحياة الرهبانية لدير الرهابات في هيبوريجيوس[8]، منها: رسالة القديس أوغسطين إلى دوناتوس، و إلى آباء مجمع قرطاجة للبابا إنوسنتيوس الأول Innocentius I، وإلى القديس أوغسطين من هيلاريوس Hilarius، وإلى القديس أوغسطين من أوبطا، ومن القديس فيفيوس Saint Vivius إلى القديس أوغسطين، ومن القديس جيروم Saint Jerome إلى القديس أوغسطين وغيرها من الرسائل[9]، وتعتبر رسائله ذات أهمية بالغة، إذ تقدم صورة واضحة عن العصر الذي عاش خلاله أوغسطين الممتد ما بين القرنين الثالث والرابع للميلاد[10]. بالإضافة إلى ما يفوق الألف خطبة[11]. أما الشعر؛ فقد نظم ما سماه "المزمور ضد التيار الدوناتي" يحتوي على 30 مقطعاً، بالإضافة إلى منظومة "النفس".[1]

1- القديس أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص 20.

2- McCabe (J.): Op.cit., P.380.

3- القديس أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص 21.

4- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 344.

5- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 124. علي زيعور: المرجع السابق، ص 108.

6- McCabe (J.): Op.cit., P.380.

7- علي زيعور: المرجع السابق، ص 108.

8- القديس أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص 21.

9- Augustin (St.): les lettres, Trad. M. De Boid, Andre Pralard, Paris, T.V.

10- محمد العربي عقون: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين"**، المرجع السابق، ص 124.

11- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 188.

1- القديس أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق، ص 21.

الجدول أدناه يختصر أهم مؤلفات وأعمال القديس أوغسطين، المؤرخة والغير مؤرخة.

المؤلفات المؤرخة			
عنوان المؤلف	فترة التأليف	عنوان المؤلف	فترة التأليف
الإعترافات	397م أو 398م-400م	التعليق على المزامير	حوالي سنة 414م
مدينة الله	410-427م أو 413-427م	تفسير لسفر التثنية	حوالي سنة 419م
الثالوث	399م-419م أو 400م-416م	تعليقات حول سفر أيوب	حوالي عام 400م
سفر التكوين	401م-414م	/	/
المؤلفات الغير مؤرخة			
المؤلفات الفلسفية والتفسيرية			
في المعلم	حول الإرادة	في المناجاة	في الإيمان والقانون
الحياة السعيدة	في المنطق	في روحانية النفس	في القانون للموعوظين
في النظام	ضد الأكاديميين	في الموسيقى	الصلاة الربانية
خلود النفس	في الجميل والملائم	الأنخيريديون	العقيدة المسيحية
المؤلفات ضد المانوية والدوناتية والبيلاجية			
في التعميد	ضد الدوناتيين	ضد غاودنتيوم	ضد البلاجيين
ضد يوليانوس	النفس وأصولها	أعمال ضد بيلاجيانوس	في البدع
في الاختبار الحر	في سفر التكوين والمانيين	في أخلاق المانيين	في أخلاق الكنيسة
في الطبيعة والنعمة	ضد رسالة بارمنياس	في نعمة المسيح	في الخطيئة الأصلية
في الفساد والنعمة	في النعمة والاختيار الحر	الرد على الأريوسيين	/
المؤلفات الثيولوجية والأخلاقية والدعوية			
البتولية والزواج	طالبي اعتناق الديانة المسيحية	تعليم الموعوظين	الكذب والصبر
المرأة	/	/	/
المواعظ والرسائل والشعر			
العظات العشر	عددها 124	مطولة	عدد 113
الرسائل	عددها 270	الخطب	عدد أكثر من 1000
القصائد الشعر			
النفس	المزمور ضد التيار الدوناتي	/	/

الجدول رقم 14: أهم مؤلفات القديس أوغسطين (إنجاز الباحث).

ويتضح من هذا، أن القديس أوغسطين الذي نشأ في أحضان أسرة ثاغاستية تأثرت بالرومنة، فتبنت مظاهر الثقافة والحضارة الرومانية، وفي جو التسامح الديني (والد وثني وأم مسيحية)، ورغم ذلك فلم يتنكر لانتمائه لبلاد المغرب القديم فكان على الدوام يفتخر بأصالته الأفريقية، ودفعته تساؤلاته وإشكالياته الفلسفية حول الوجود إلى اعتناق العديد من المذاهب الدينية والفكرية، لينتهي به المطاف مع المسيحية التي بفضل تكوينه الفكري والعلمي الممتاز، أصبح يمثل قطباً رئيسياً لها، بما قدمه من مساهمات في الفكر الثيولوجي والليتورجي المسيحي، من خلال ما كتبه من مؤلفات مس من خلالها مختلف إشكالات هذه العقيدة، فتعددت تخصصاتها من مؤلفات دفاعية إلى فلسفية وعقائدية وضدية وتفسيرية ومواعظية وغيرها، كما يعتبر مظهراً من مظاهر التطور الفكري والعلمي الذي بلغته نخب المغرب القديم المسيحية المثقفة خلال القرن الخامس للميلاد.

المبحث الثالث: نماذج أخرى من النخب المغاربية المثقفة

عرفت بلاد المغرب القديم الكثير من النخب المثقفة، وما ذكرته في المبحث الأول والثاني هي مجرد نماذج فقط، لذلك سأتناول في هذا المبحث نماذج أخرى من نخب المغرب القديم المثقفة، سواءً وثنية كانت أم مسيحية دون تعمق، وهي كما يلي:

المطلب الأول: النخب المغاربية الوثنية المثقفة

أشير هنا إلى أن يوبا الثاني وفرونطو الكيرتي ولولكيوس أبوليوس، هما مجرد نماذج – ركزت على دراستهما– من ضمن كوكبة كثيرة من مفكري وعلماء المغرب القديم على المعتقد الوثني الذين ساهموا مساهمة فعالة في إثراء الفكر الإنساني العالمي خلال فترة الاحتلال الروماني، وخلفوا إرثاً محلياً لاتينياً (أنظر الجدول رقم 15، ص 274)، وسأشير إلى بعض هؤلاء فيما يلي دون توسع:

1- تيرينتيوس آفر Terentius Afer:

ولد بوبليوس تيرينتيوس آفر Publius Terentius Afer في حوالي185ق.م وتوفي في حوالي 159م ولم يتجاوز سن السادسة والعشرين من العمر، وقع في الأسر من قبل الرومان منذ كان صغيراً، ثم نقل إلى روما واشتراه السناتور الروماني بوبليوس لوكانوس Publius Lucanus، الذي اعتقه ومنحه اسماً أتبع بكلمة آفر التي تشير إلى أصوله الأفريقية النوميدية، وساعده سيده في تلقي التعليم بمختلف مراحله، ودرس الكتاب الإغريق واللاتين.[1]

وقد بدأ الكتابة والتأليف في سن مبكرة ما يدل على نباهته وذكائه وسعة ثقافته، وكان متأثراً بالكتاب الإغريق في كتاباته، غير أنه ترك بصماته وميوله ورغباته على تلك الكتابات، وقد ترك مجموعة من المسرحيات عدها خمسة، وهي كما يلي حسب تاريخ انتاجها: أندريا Andria 166ق.م، هاكيرا Hecyra 165ق.م، المخصي Ennuchus 161ق.م، سفاح ذاته Heauton timoroumenos 163ق.م، فورميو وآدلفي Phormio et Adelphi 160ق.م.[2]

2- يوليانوس الهدروماتي Julianus d'Adrumède:

ينحدر القانوني يوليانوس الهدروماتي، من مدينة هدروميتوم Hadrumetum (سوسة حاليا) الواقعة في البروقنصلية، وقد خوله توليه لمنصب بريتور Praetor في سنة 131م من سن مراسيم قضائية عرفت باسمه، بقي معمول بها لمدة طويلة في أنحاء الإمبراطورية لتتحول إلى

1- محند أكلي حدادو: المرجع السابق، ص 24.
2- المرجع نفسه، ص 24.

الأساس الذي استند عليه القانون المدني للدولة الرومانية، بالإضافة إلى توليه لمناصب سامية أخرى في الإدارة الرومانية بين سنتي 161-162م، حيث عمل كقنصل لمرتين وأنتخب عضواً في المجلس البلدي Senatus municipalis ثم عيّن محافظ مدينة، ولقد قام بوضع مدونة قانونية قضائية في ما بين 131-132م، تتكون من تسعين جزءاً.[1]

3- أبولينير القرطاجي Gaius Sulpicius Apollinaire de Carthage:

الأديب والناقد أبولينير القرطاجي، من مواليد قرطاجة في فترة اعتلاء ترايانوس Traianus الحكم (98-117م)، تلقى تعليمه في مسقط رأسه ويكون قد مارس مهنة التعليم بها، لأنه لم يذهب إلى روما إلا في فترة متأخرة من عمره، وهناك كان يجتمع حوله الكثير من طلاب المغرب القديم[2]. وقد برع في الدراسات اللغوية، حيث ترك مؤلفاً يحمل عنوان: "رسائل نقدية les lettres critiques" خلال القرن الثاني للميلاد، عرض فيه مجموعة الأخطاء الأدبية التي ارتكبها الكتاب القدماء أو المعاصرين له أمثال فرجيليوس الذي عاش خلال القرن الأول للميلاد.[3]

4- أولوس جيليوس Aulus Gellius:

النحوي أولوس جيليوس من بلاد المغرب، فيلسوف وأديب ونحوي، ازداد ما بين سنتي 125 و130م وتوفي في سنة 175م، درس على يد أساتذة أكفاء وغادر إلى روما وهو في سن السادسة عشرة، وهناك تعلم على يد فرونطو Fronto وفافورينوس Favorinus وعلى رأسهم أبولينير القرطاجي الذي يعتبر من أهم أستاذته، ثم رحل إلى أثينا ومكث بها ربما سنة أو سنتين لمواصلة تكوينه العلمي وهناك التقى بهيرودس أتيكوس Herodes Atticus الذي لمع نجمه من قبل في روما وتأثر به، ثم عاد إلى روما وبها تزوج واشتغل بالمحاماة وتقمص مناصب كالبريتور وقاضي خاص واستثنائي[4]، وكان كثير القراءة والمطالعة حيث أشار إلى أنه كان يتبع مقولة الفيلسوف هيراكليطوس الأفسسي Héraclite d'Ephèse: **"إن ارتباك العلوم دائماً ما يكون ضاراً بالتعليم".**[5]

وقد ألف كتاباً وضعه حينما كان في اليونان بإقليم أتيكا Attiqua، تناول فيه النقد الأدبي والتاريخ والمنطق اختار له عنوان: "الليالي الآتيكية Noctes Atticae"[1]، لكن الموت فاجأه في

1- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 157.

2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.243.

3- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 70. Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.247.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.247-258. Voir: Aulu-Gelle: 1, I-VII.

5- Aulu-Gelle: 1, 7.

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 71. ينظر: Aulu-Gelle: 1, 5.

عهد ماركوس أوريليوس وهو في روما، وهو على وشك الانتهاء من الفصل العشرين من هذا المؤلف الذي كتبه باللغة اللاتينية في أواخر القرن الثاني للميلاد أي قبل 175م.[1]

5- مارتيانوس كابيلا Martianus Cappella:

ولد مارتيانوس كابيلا خلال القرن الخامس للميلاد في مدينة مادوروس، ثم انتقل إلى قرطاجة، وبعدها إلى روما في سنة 410م، عاصر أوغسطين ومارس المحاماة، ألف كتاباً ما بين سنتي 410 و430م بعنوان: "زواج عطارد والفيلولوجيا De Nuptiis philologiae et Mercurii"[2]، وهو مؤلف علمي يحتوي على تسعة أقسام، تحدث عن زواج فيلولوجيا ومركور، فالأولى تمثل حب العقل والثاني يمثل الكلمة والعقل، وقدم خلال زواجه بها هدية لها والمتمثلة في الخادمات السبع وهن الفنون السبع (النحو، الخطابة، الجدل، الهندسة، الجبر، الفلك، الموسيقى)[3]، وعلى الرغم أنه عاصر فترة انتشار المسيحية إلا أنه كان وثنيي العقيدة واعتنق النيوأفلاطونية ورفض المسيحية.[4]

6- بوبليوس أنيوس فلوروس Publius Annius Florus:

الخطيب بوبليوس أنيوس فلوروس (70-140م)، من قرطاجة حيث تلقى تعليمه الأول بها ثم انتقل إلى روما، ثم غادرها نتيجة حرمانه من الجائزة التي كان يستحقها بعد مشاركته في أحد المسابقات الشعرية وتحصل على المرتبة الأولى، من قبل الإمبراطور دوميتيانوس Domitianus لأنه جيتولي[5]، ثم بعد ذلك أصبح من أشهر الخطباء في عهد حكم الإمبراطور هادريانوس Hadrianus (117-138م)[6]، وترك مؤلفاً بعنوان: "مختصر تاريخ الرومان" تطرق فيه لتاريخ الرومان منذ نشأة روما إلى غاية السنة التاسعة للميلاد[7]، بينما يذكره عبد السلام بن ميس تحت عنوان: "مختصر لسبع مائة عام من الحروب"، وسرد محتواه في إطار فلسفة التاريخ، حيث لم يكن يكتفي بسرد الأحداث فقط بل يستخرج منها فلسفة الحدث، وبذلك يكون من أوائل المؤرخين الذين اعتمدوا فلسفة التاريخ في الدراسات التاريخية آنذاك[1]، حيث يوضح أن الإمبراطوريات مثلها

1- Aulu-Gelle: 1, III, VI, 13.

2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.445-447.

3- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 28.

4- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 84.

5- المرجع نفسه، ص 68.

6- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص.ص 250-251.

7- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 32.

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 68.

مثل عمر الأفراد، إذ تمر بمرحلة الولادة ثم الشباب ثم الكهولة إلى الشيخوخة والفناء[1]، وبذلك يكون من المفكرين الأوائل الذين طرحوا هذه النظرية خلال القرن الثاني للميلاد.

7- فلافيوس ماكروبيوس Flavius Macrobius:

الفيلسوف ماكروبيوس، واسمه الكامل هو فلافيوس ماكروبيوس أومبروسيوس ثيودوسيوس Flavius Macrobius Ambrosius Theodosius، ولد مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد[2]، أي في عام 370م بمدينة سيكا فينيريا Sicca Veneria بالبروقنصلية، شغل مناصب سامية في الإدارة الرومانية[3] منها حاكم على قرطاجة ما بين 409-410م، وما بين 339-400م أيضاً في هيسبانيا Hispania وفي غاليا Gallia[4]، بقي على الديانة التقليدية الوثنية ورغم معاصرته لأوغسطين ولفترة الانتشار الواسع للديانة المسيحية، ترك عدة مؤلفات، الأول بعنوان "ساتورناليا Saturnalia"، والثاني بعنوان "شرح أحلام سكيبيونيس Commentarium in somniium Scipionis"[5]، أما الثالث فخصصه للأديب الروماني فيرجيليوس.[6]

اسم المؤلف	عنوان المؤلف	فترة التأليف
تيرينس آفر	خمسة مسرحيات	166ق.م-160ق.م
يوليانوس الهدروماتي	مدونة قضائية	131-132م
أبولينير القرطاجي	رسائل نقدية	القرن 2م
أولوس جيليوس	الليالي الآتيكية	أواخر القرن 2م (قبل 175م)
مارتيانوس كابيلا	زواج عطارد والفيلولوجيا	ما بين 410 و430م
أبوليوس فلوروس	مختصر تاريخ الرومان	القرن 2م
فلافيوس ماكروبيوس	ساتورناليا	القرن 5م
	شرح أحلام سكيبيونيس	القرن 5م
	الأديب فيرجيليوس	القرن 5م

الجدول رقم 15: بعض النخب المثقفة الوثنية وأهم مؤلفاتهم (انجاز الباحث).

هذه بعض النماذج من نخب المغرب القديم المثقفة ذات المعتقد الوثني، التي ساهمت بإنتاجها الفكري والعلمي، في إثراء التراث اللاتيني، وهي نتاج لسياسة الرومنة الثقافية التي اتبعتها الإدارة الرومانية، وتشكل مظهراً من المظاهر الثقافية الفكرية لبلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني.

1- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 32.

2- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.446.

3- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص. ص 34-35.

4- Monceaux (P.): les païens, Op.cit, P.P.446.

5- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 68. محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص. ص 34-35.

6- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 68.

المطلب الثاني: النخب المغاربية المسيحية المثقفة

لقد ركزت على دراسة نماذج ترتوليانوس وكيبريانوس وأوغسطين نتيجة لحجم تأثيرهم في التراث المسيحي، وأود أن أنوه إلى وجود فئة كثيرة من المفكرين والعلماء الثيولوجيين من المغرب القديم المسيحيين الذين لا يستهان بحجم مساهماتهم الفكرية والعلمية (أنظر الجدول رقم 16، ص 278)، مقارنة بحجم ما خلفوه من تراث لاتيني محلي، الذي مثل مظهراً من مظاهر الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم، وسأشير في هذه النقطة إلى ذكر بعض تلك النماذج دون توسع.

2- ماركوس مينوكيوس فيليكس Marcus Minucius Félix:

الثيولوجي والخطيب مينوكيوس فيليكس، من مدينة كيرتا[1]، ولد في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث، حيث كان معاصراً لترتوليانوس، اتصف بميزة الكاتب المدافع والحماسي في الجدال، نشأ في بلاد المغرب القديم ثم انتقل إلى روما أين مارس مهنة المحاماة فكان محامياً مشهوراً، ونشأ وثنياً ثم تحول إلى المسيحية.[2]

اشتهر بمؤلفه الوحيد حول حوار "أوكتافيوس Octavius"، وهو كتاب دفاعي عن المسيحية في شكل حوار، وكان يعتبر على أساس أنه الجزء الثامن من مؤلف أرنوبيوس "ضد الوثنيين"، غير أنه اتضح فيما بعد أنه ليس كذلك[3]. ويتمحور محتوى الكتاب حول حوار بين ثلاثة شخصيات حقيقية وليست من محض خيال المؤلف، وهي: أوكتافيوس يانواريوس Octavius Januarius من أتباع الديانة المسيحية، والشخصية الثانية هو كايكيليوس نتاليس Caecilius Natalis الذي يشغل منصب قاضي، وكان على العقيدة الوثنية، أما المؤلف فيمثل الشخصية الثالثة وهي الحكم بين الشخصية الأولى والثانية أثناء تحاورهما، ويتضح أن فيليكس كان جد متحيز إلى صف أوكتافيوس بصفته مسيحياً مثله، وانتهى هذا الحوار بأن اقتنع القاضي كايكيليوس بالمعتقد المسيحي[4]، أي أنه يدافع فيه عن فكرة الانتصار النهائي للديانة المسيحية التي يعتبرها كعقيدة أسمى من الديانة الوثنية[1]، كما أنها محاورة فلسفية في زمن فوضى عقائدية.

1- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 72.

2 -Minucius Félix: Octavius de Minucius Félix, trad. F. Record, librairie Bloud, Paris, 1911, P.P.11-10.

3 -Minucius Félix: Op.cit., P.P.11-10.

4- Ibid., P.P.14-18.42. محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص

1- محند أكلي حدادو: المرجع السابق، ص 28.

كما تحدث فيه عن بلاد المغرب القديم وآلهتها وعاداتها وتقاليديها وملوكها الأقدمون ممجداً أعمالهم وإنجازاتهم، وله مسرحيات ذكر فيها شخصيات وكتاب من المغرب القديم[1]. كما ترك إلى جانب هذا مؤلف آخر حسب ما ذكر القديس جيروم بعنوان: "في القدر أو ضد علماء الرياضيات de Fato vel contra mathematicos"."[2]

3- أرنوبيوس الأفريقي Arnobius de Afer:

الثيولوجي والخطيب أرنوبيوس السيكي Arnobius de Sicca، من مواليد مدينة سيكا فينيريا Sicca Veneria (الكاف حالياً) بالبروقنصلية، حوالي سنة 260م وتوفي في حوالي سنة 327م[3] أو في حوالي سنة 330م[4]، ما بين القرنين الثالث والرابع للميلاد[5]، وبلا شك أنه تلقى تعليمه بأفريقيا. واشتغل بالتدريس كأستاذ فن الريطوريكا (الخطابة) بمسقط رأسه في عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس (284-305م)[6]، ويعتقد أنه كان من أشد الناس عداءً للمسيحية[7]، لذلك بقي على العقيدة الوثنية إلى أن بلغ سن الستين من العمر[8]، حينما اعتنق الديانة المسيحية في سنة 296م.[9]

وترك مؤلفه المعروف بـ: "ضد الأمم Adversus nationes"، يتكون من سبعة أجزاء، ألفه فيما بين سنتي 305م و311م، أما جزأه الثاني كان قد نشره من قبل في سنة 297م، دافع من خلاله عن المسيحيين والديانة المسيحية، التي حمّلها الوثنيون ما آلت إليه أوضاع الإمبراطورية الرومانية، والاضطهاد الغير مبرر ضد أتباع هذه الديانة، من قبل ديوكليتيانوس خلال القرن الرابع للميلاد، كما كان يهدف من وراء مؤلفه هذا تبديد شكوك أسقفه حول صحة إيمان أرنوبويس. كما قدم من خلاله نقداً للديانة الوثنية وأخلاقها المنحطة[10]، ولأتباعها الذين يؤثرون آرائهم، ويتهمهم بأنهم وراء الاضطهادات التي تحدث لأتباع الديانة المسيحية والمتسببين بسوء الأوضاع، ويستهزئ بآلهتهم ومعتقداتهم، ويهاجم معابدهم وطقوسهم، كما تحدث فيه عن مسألة خلود الروح التي وهبها المسيح في المؤمنين به.[1]

1- محند أكلي حدادو: المرجع السابق، ص 28.

2- St. Jerôme: LVIII. 98-79. هيرونيمس: المصدر السابق، 58، ص. ص

3- محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 43.

4- أسد رستم: ج.2، المرجع السابق، ص 190.

5- محند أكلي حدادو: المرجع السابق، ص 29.

6- St. Jerôme: LXXIX. 96 هيرونيمس: المصدر السابق، 79، ص.

7- محند أكلي حدادو: المرجع السابق، ص 29.

8- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 337.

9- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 75.

10- هيرونيمس: المصدر السابق، ص 96.

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص. ص 337-338.

4- القديس أوبطاتوس الميلي:

أبطاتوس إبيسكوبوس الميلي Optatus Episcopus Milevitanus، ويلقب كذلك بأبطاتوس الأفريقي Optatus Afer[1]، أو أوبطاتوس الميليوي Optatus Milevitanus[2]، ينحدر من مدينة ميلاف Milèv بمقاطعة نوميديا، ولد في حوالي سنة 320م[3]، كان على العقيدة الوثنية ثم اعتنق الديانة المسيحية، وفي سنة 366م أو 367م[4]، أصبح أسقفاً على الكنيسة الميليفية[5]، أي مع منتصف القرن الرابع للميلاد[6]. دخل في جدال ضد الدوناتيين وألف حولهم كتابات[7]، بعنوان "انشقاق المذهب الدوناتي De Schismate Donatistarum" أو "ضد برمنيانوس Parmenianus"، يتكون من ستة أجزاء كتبها ما بين 364م و367م، كرد على أتباع المذهب الدوناتي وعلى رأسهم دوناتوس Donatus[8] وبرمنيانوس[9]، ومتبرءاً من هذه النحلة ومؤكداً على بطلانها[10]. وبالمقابل قدم برمنيانوس مؤلفاً عنونه بـ: "ضد كنيسة الخونة Adversus ecclesiam traditorum"، اتهم من خلاله أنصار المذهب الكاثوليكي بخيانة دماء شهداء المسيحية حينما تحالفوا مع السلطة الرومانية الرسمية.[11]

ومن هنا؛ فلقد أسهمت هذه النخب المسيحية في إثراء التراث الثقافي الفكري والعلمي للمغرب القديم خاصة والعالمي عامة، من خلال ما خلفته من مؤلفات تصب معظمها في المجال الثيولوجي المسيحي، وكان نتاج التنشئة العلمية المتنوعة التي تلقوها في مراحلهم الأولى للتعليم، وبراعتهم في تخصصات علمية متنوعة، وخاصة مجال الخطابة والبلاغة والبيان والقانون، فكانوا محامين وأساتذة ومنهم من تقمص مناصب سامية في الإدارة الرومانية، ما أكسبهم تجارب جمة، وظفت في الدفاع عن الديانة المسيحية وأتباعها، فألفوا كتباً كثيرة دفاعية وفلسفية وجدلية تحتاج

1- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 341. عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 79.

2- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 79.

3- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 341. عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 178.

4- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 178.

5- Mouloud (G.): Op.cit., P.150.

6- هيرونيمس: المصدر السابق، 110، ص 107.

7- عبد السلام بن ميس: المرجع السابق، ص 79.

8- يشير سانت جيروم أنه من أسس للبدعة الدوناتية، والتي انتشرت بشكل واسع فيبلاد المغرب القديم، في زمن الإمبراطور قسطنطين، وألف كتاباً بعنوان "الروح القدس"، المتوافق مع التعاليم الأريوسية، بالإضافة إلى العديد من المؤلفات عن التيار الدوناتي. إلى أن كتاباته ضاعت كلها. هيرونيمس: المصدر السابق، ص 107. St. Jerôme: XCIII.

9- بنت النبي مقدم: **"الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة"**، المرجع السابق، ص 341.

10- St. Jerôme: CX. 118-117. هيرونيمس: المصدر السابق، ص.

11- عائشة سعدان: المرجع السابق، ص 178.

إلى تقديم الأدلة والبراهين والحجج للتغلب أو لإقناع الخصوم أو لكسب أتباع أكثر للديانة المسيحية.

اسم المؤلف	عنوان المؤلف	فترة التأليف
مينوكيوس فيليكس	أوكتافيوس	القرن 3م
	ضد علماء الرياضيات	القرن 3م
أرنوبيوس السيكي	ضداً على الوثنيين	فيما بين 297م و305م و311م
أبطاتوس الميلي	انشقاق المذهب الدوناتي	ما بين 364م و367م
	ضد برمنيانوس	ما بين 364م و367م
برمنيانوس	ضد كنيسة الخونة	ما بين 364م و367م

الجدول رقم 16: بعض النخب المثقفة المسيحية وأهم مؤلفاتهم (انجاز الباحث).

وخلاصة القول، لقد شكل مفكرين وعلماء المغرب القديم الوثنيين منهم والمسيحيين، مظهراً من مظاهر الثقافة المغاربية خلال فترة الاحتلال الروماني، وهي نتاج لسياسة الرومنة الثقافية التي فرضتها إدارة الاحتلال، من أجل ضمان استمراريتها الأبدية، غير أن تلك النخب لم تكن تتنصل من انتماءها الأصيل، بل ظلت تدافع عن وطنيتها وعن مجتمعها وبلادها بواسطة اللسان اللاتيني والكتابة والتأليف. كما أفرز الصراع العقائدي بين الديانة الرومانية الوثنية التقليدية وأتباعها ضد الديانة المسيحية وأتباعها، جدالات ومناظرات وكتابات ضدية دفاعية ثيولوجية.

فقد أدى ذلك إلى إثراء التراث المحلي اللاتيني خلال فترة الاحتلال الروماني، بشكل غير مسبوق، بالمقارنة مع حجم المؤلفات والكتابات التي خلفتها لنا تلك النخب في مختلف التخصصات العلمية والفكرية، التي أثرت في التراث العلمي العالمي في العالم القديم وحتى الحديث، ولنا في رواية الميتامورفوز للوكيوس أبولويوس أحسن مثال، كما شكلت الكتابات الثيولوجية للنخب المسيحية حجر أساس للديانة المسيحية الغربية وبفضلها أصبحت اللاتينية لغة المسيحية، ولنا في كتابات القديس ترتوليانوس وكيبريانوس وبالأخص سانت أوغسطين أحسن مثال، خصوصاً كتابه الاعترافات.

خـــاتمـــــة

خاتمة:

من خلال دراسة موضوع المظاهر الثقافية والفكرية في المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني 146ق.م-430م، توصلت إلى مجموعة من النتائج أذكرها فيما يلي:

1- تميّز الحقل اللغوي للمغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، بظاهرة الرباعية اللغوية، التي شملت اللغة الليبية والبونية والإغريقية واللاتينية؛ حيث مثلت الليبية لغة أصلية لمجتمع المغرب القديم، وباقي اللغات كانت دخيلة على هذا الحقل، وحدثت بينها حركة مثاقفة ميدانها الوسط الاجتماعي للمغرب القديم عبر فترات تاريخية مختلفة، لتعرف حراكاً تفاعلياً في ما بينها خلال فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب.

2- طرحت العديد من الفرضيات حول أصل الأبجدية الليبية، وأهمها فرضية الأصل الفينيقي والبوني، والتي قدمت جملة من الأدلة والبراهين المتعلقة بمسألة التشابه في بعض الحروف واحتوائهما على الحروف الصامتة؛ إلى أنه توجد الكثير من الاعتراضات التي تفندها، فالتشابه دليل المثاقفة والتفاعل الحضاري، وتعارض في اتجاه الكتابة، فالليبية تتخذ اتجاه الأسفل إلى الأعلى والأخرى اتجاه من اليمين إلى اليسار، حسب ما أوضحته النقوش الليبية خاصة الأحادية منها، بالمقابل هناك الكثير من الدلائل السوسيوثقافية والتاريخية، تؤكد أصالة الليبية من رسومات ووشوم وزخارف وغيرها، أفرزت أبجدية بأشكال جيوميترية مغايرة لنظيرتها الفينيقية والبونية.

3- شهدت اللغة والأبجدية الليبية خلال فترة الاحتلال الروماني تراجعاً تدريجياً، نتيجة فقدانها للسند السياسي والقانوني، وبسبب سياسة الرومنة الثقافية التي اتبعتها الإدارة الرومانية، ونتيجة الانتشار الواسع للمنظومة التعليمية الرومانية، غير أنه توجد إشارات ودلائل تشير إلى استمرارية هذه اللغة وأبجديتها، والمتمثلة في شهادات الشخصيات المعاصرة لتلك الحقبة التاريخية أو بعدها أمثال القديس أوغسطين وكوريبوس Corippus والقديس فولجانتيوس Saint Fulgentius، خلال القرن الرابع والخامس للميلاد، بالإضافة إلى انتشار النقوش الأحادية والمزدوجة الليبية- اللاتينية. إلى أن الأبجديتين الليبية الشرقية والغربية انقرضتا أبجدياً واستمرتا مشافهةً، بالمقابل تطورت الكتابة الليبية الصحراوية وتحولت إلى ما يعرف بأبجدية التيفيناغ.

4- عرفت بلاد المغرب القديم انتشار للغتين البونية والإغريقية؛ فالبونية كانت وليدة التمازج الحضاري الفينيقي الليبي، والإغريقية لغة العلم والمعرفة في العالم القديم، وعرفتا تراجعاً تدريجياً خلال فترة الاحتلال الروماني بسبب سياسة الرومنة التي مست الجانب الثقافي، ورغم ذلك فقد شهدت استمراراً متفاوتاً، حيث تدهورت البونية وانحصرت في المناطق الريفية القريبة من مناطق انتشارها السابق للاحتلال الروماني، حسب شهادة أوغسطين وبروكوبيوس والنقوش البونية الأحادية والمزدوجة البونية- اللاتينية، ثم تحولت إلى لغة مشافهة بين أفراد مجتمعات تلك الأرياف. أما الإغريقية وبحكم كونها لغةً أم للعلوم فقد استمرت في مجال التعليم والعلم والمعرفة ولغة النخب المثقفة، ولم تتمكن اللاتينية من إزاحتها من المشهد اللغوي للمغرب القديم بشكل نهائي إلا مع أواخر الاحتلال الروماني.

5- ظهرت اللغة اللاتينية على المشهد اللغوي لبلاد المغرب، خلال مرحلة الأغليديات النوميدية والموريطانية المستقلة، عن طريق العلاقات التي ربطتها بروما وانتشار الجاليات الرومانية في حواضر ومدن المغرب القديم. ثم تغير الوضع بعد خضوع المنطقة للاحتلال الروماني، حيث انتهجت الدولة الرومانية سياسة الرومنة التي مست مختلف المجالات ومنها المجال الثقافي، وبموجبها فرضت اللغة اللاتينية كلغة رسمية في مختلف المؤسسات الإدارية والعسكرية والأماكن العامة والمؤسسات التعليمية والثقافية.

6- شهدت اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم انتشارً واسعاً، إلى درجة سيطرتها على المشهد اللغوي لبلاد المغرب، وذلك ما تشهد عليه خريطة انتشار النقوش اللاتينية المكتشفة في المنطقة، حيث تفاعلت في ذلك جملة من العوامل، تمثلت في سياسة الرومنة التي منحت للغة اللاتينية السند السياسي والقانوني جعلت منها لغة رسمية في مختلف المؤسسات الإدارية والأماكن العمومية، وحق المواطنة الرومانية والخدمة العسكرية وحركة الاستيطان، وانتشار الديانة المسيحية، وانتشار التعليم وظهور النخب المغاربية المثقفة بالثقافة اللاتينية.

7- انتشار التعليم في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، وفقاً للمنظومة السائدة في المجتمع الروماني، بفضل سياسة لامركزية الدولة الرومانية والتي فتحت المجال للبلديات والفئات الأرستقراطية في الإشراف عليه، فسنت جملة قوانين سهلت فتح المدارس التعليمية، مثل: الإعفاء الضريبي ومنح الامتيازات والمصادقة على تعيينات المعلمين والأساتذة.

8- عرفت الحركة التعليمية نشاطاً وازدهاراً واسعاً، حيث تمت ممارسة النشاط التعليمي وفقاً لمراحل محددة، والتي تبدأ من مرحلة الليتراريوس ثم الغراماتيكوس وأخيراً مرحلة الريطوريكا والتي شبهها لوكيوس أبوليوس بالأقداح، وكان يشرف عليها معلمين وأساتذة يؤدون أدوار التدريس والتعليم، وهيمن على كل مرحلة مادة معينة؛ فالمرحلة الأولى هيمنت عليها مادة الأدب وكان معلمها يسمى الليتيراتور والثانية مادة النحو وأستاذها يسمى الغراماتيكوس والمرحلة الثالثة هيمن عليها فن الخطابة (الريطوريكا) وسمي أستاذها بالريطور.

9- تمت ممارسة التعليم خلال مراحله التعليمية، وفقاً لمناهج دراسية محددة واعتمدت على وسائل وأدوات معينة، ساهمت في تيسير سيرورة العملية التعليمية وجديتها، حيث خضعت مرحلة الليتيراريوس لمنهاج دراسي امتاز بالبساطة والسهولة، ارتكز على الكتابة والقراءة والحساب، أما في مرحلة الغراماتيكوس فيكون التعليم فيها أرفع، يتوجه إلى تعليم النحو وحفظ نصوص الأدباء والشعراء والفلاسفة والقوانين، ودراسة مختلف العلوم كالحساب والهندسة والفلك والتاريخ والفنون وغيرها، أما مرحلة الريطوريكا فكانت أعلى مراحل التعليم، حيث غلب عليها فن الخطابة في تدريس مختلف العلوم والفنون كالأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والقانون والطب وعلم الفلك والحساب والهندسة وغيرها. وتداخلت اللغتين اللاتينية والإغريقية في تقديم المواد المعرفية للتلاميذ والطلبة، كما وظف فيها وسائل وأدوات مساعدة في العلمية التعليمية اعتمد عليها المعلمين والأساتذة والتلاميذ والطلبة من خرائط ومحافظ وأقلام وكتب ولوحات ومحابر وغيرها، بالإضافة إلى النظام العقابي الذي يُلجأ إليه لمحاربة التهاون الدراسي وإضفاء طابع الجدية على التعليم.

10- ركز الآباء في المغرب القديم على توفير نفقات الدراسة لأبنائهم مهما كان انتمائهم الطبقي أو مستواهم المادي، من أجل أن يواكب أبنائهم كل مرحلة تعليمية مثل ما فعل باتريكيوس والد أوغسطين، ولعل الدافع وراء ذلك هو سعياً منهم ليرتقي أبنائهم في السلم التراتبي الاجتماعي والثقافي ويتقمصوا مناصب عليا في الإدارة الرومانية. كما يضطر تلاميذ وطلبة المغرب القديم إلى الانتقال من مدينة إلى أخرى أو حاضرة إلى أخرى لذلك الغرض ما لم تتوفر مرحلة من المراحل في المدينة مقر سكناهم، مثل ما حدث لأوغسطين حينما انتقل من ثاغاست إلى مادوروس ثم إلى قرطاجة ثم إلى روما وإلى ميلانو، وكذلك لوكيوس أبوليوس الذي انتقل من مادوروس إلى قرطاجة ثم إلى روما وإلى أثينا من أجل

التحصيل العلمي، لأن مدن وحواضر المغرب القديم كانت لا تقدم كل مراحل التعليم فمنها من تقتصر عند المرحلة الأولى ومنها من توفر تعليماً ليتيراريوسي وغراماتيكوسي، ومنها من تقدم المراحل التعليمية الثلاثة.

11- كانت المدرسة من الناحية المعمارية، غير واضحة المعالم، فعلى الرغم من أن المصادر التاريخية قد أشارت إلى وجود مدارس يمارس فيها النشاط التعليمي والعلمي، كإشارات أوغسطين ولوكيوس أبوليوس وغيرهم؛ غير أنه ومن الناحية الأركيولوجية لم يعثر على أنقاض للمدارس في المواقع الأثرية في بلاد المغرب بشكل فعلي، وما تم إيجاده كان مجرد فرضيات لبعض الباحثين مثل فرضية يفون آليس Yvonne Allais في كويكول، وعليه فلم تتخذ المدرسة شكلاً معمارياً محدداً، فقد كانت مجرد غرف وحجرات يشترط فيها شرط الهدوء، بالإضافة إلى بعض الأمكنة التي تسمح للممارسة النشاط التعليمي مثل بعض الشرفات والإكسيدرا والمسارح والمعابد والمكتبات.

12- أفرز التعليم مؤثرات وإفرازات على الواقع الاجتماعي للمغرب القديم، حيث عرف هذا المجتمع انتشاراً لنفس المنظومة التعليمية التي عرفها المجتمع الروماني، وكانت الدولة الرومانية وراء انتشارها لأنها تضمن لها انتشار المظاهر الثقافية الرومانية في الوسط الاجتماعي لبلاد المغرب، لذلك فقد أثر انتشار تلك المنظومة على مجتمع المغرب القديم، ونتج عنه بروز نخب مغاربية مثقفة متبنية لمظاهر الثقافة والحضارة الرومانية، ساهمت في انتشار التعليم واللغة اللاتينية، وفي الانتاج العلمي والفكري ولعبت أدوراً وظائفية في الإدارة الرومانية، كما ساهمت في تطوير اللغة اللاتينية، التي تأثرت بالبيئة اللغوية للمغرب القديم وبالخصوصيات السوسيوثقافية لتلك النخب، فأصبحت تسير إلى التحول إلى لاتينية أفريقية، من حيث معجمها اللغوي والتغير الأبجدي بظهور بوادر حروف المينيسكيل Minuscule كبديل لحروف الماجيسكيل Majuscule، حسب نقيشة بكّوت ونغرين وألواح ألبرتيني.

13- من المظاهر الثقافية التي شهدتها بلاد المغرب القديم، هو انتشار المراكز التعليمية والعلمية، حيث تحولت بعض المدن إلى حواضر علمية كبرى ذاعت شهرتها في مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية، فكانت تعج بالعلماء والمفكرين والفلاسفة والأدباء والرياضيين والفنانين وغيرهم، ومقصد للكثير من طلاب العلم لما كانت تقدمه من تعليم راقي ورفيع، حيث نجد حاضرة كيرينايكا (قورينائية) ذات الطابع اليوناني، وحاضرة قيصرية في

موريطانيا، وقرطاجة في البروقنصلية ومادوروس في نوميديا، وما عدا كيرينايكا فقد كانت الحواضر الأخرى تمثل مركزاً للاشعاع الحضاري الروماني اللاتيني والتعليمي والعلمي في بلاد المغرب القديم وتعدى ذلك إلى باقي أقاليم الإمبراطورية الرومانية.

14- من المظاهر الثقافية التي عرفتها بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، هي انتشار المكتبات بنوعيها العامة والخاصة، فلقد أشارت المصادر التاريخية والأركيولوجية والإبيغرافية إلى وجودها في الكثير من حواضر ومدن وأرياف بلاد المغرب القديم خلال تلك الفترة التاريخية، مثل إشارات لوكيوس أبوليوس وترتوليانوس وأوغسطين والشاعر لوكسوريوس وبحوث روني كانيا وألبيرت بالو وكونراد فوسينغ وبيار غروس وجون دينوف ومارسيل لوغلاي وغيرهم. فبالنسبة للمكتبات العامة؛ هناك مكتبة ثاموقادي وبولا ريجيا وقيصرية إكليسيا هيبون. أما المكتبات الخاصة أذكر مكتبة بيت بونتيانوس ومكتبات ملحقة بالفيلات كفيلا سيلين ودار بوك عميرة وبالحمامات والمعابد.

15- ظهرت المكتبات في المنطقة المغرب القديم، بعد انتشار التعليم وظهور النخب المثقفة، وهي نتاج ازدهار الحركية التعليمية والعلمية والتأليفية فكان لازماً تشييد المكتبات لتوفير الكتب للنخب المثقفة من المعلمين والأساتذة والعلماء والمفكرين والفلاسفة.. وللتلاميذ والطلبة. فقد ساهمت مساهمة فعالة في توسيع دائرة المقروئية في الوسط الاجتماعي للمغرب القديم وانتشار مظاهر الثقافة والحضارة الرومانية. كما تطلب تشيدها وتجهيزها إلى مصادر تمويل، لعبت فيه الفئات الأرستقراطية دوراً فعالاً في ذلك، وهذا ما وضحته النقوش المكتشفة كنقيشة ثاموقادي، وخضعت لبرنامج عمل خاص بها سواء ما تعلق بالموظفين أو المرتادين عليها.

16- لعبت النخب المثقفة للمغرب القديم دوراً هاماً في تطوير الكتاب، حيث أخذت مجلدات الفولومينا تتراجع لصالح الكراسات المصنوعة من البرشمان ذات الصفحات، وكانت نتاج الميل العام إلى استعمال البرشمان الرخيص التكلفة أمام أوراق البردي الغالي التكلفة، وقد انتشرت الفكرة في وسط النخب المسيحية ثم توسعت دائرتها، فأخذت الكتب تنتج في شكل كراسات متعددة الصفحات ومتقنة وأنيقة، ومع القرن الثالث للميلاد أخذت الكراسات تهيمن على الفولومينا وبدأ إعادة نسخ مؤلفات الكتاب القدامى أمثال شيشرون وهوميروس وغيرهم، لتصبح المسألة أمراً شائعاً مع القرن الرابع للميلاد.

17- برز في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، كوكبة من النخب المثقفة في بلاد المغرب القديم، وقد أدت المتغيرات التي شهدتها الساحة الثقافية المغاربية إلى التنوع العقائدي لتلك النخب، من نخب وثنية وأخرى مسيحية، وحدث بينها تفاعلات فكرية، حيث أسهمت مساهمة هامة في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب القديم، وإثراء التراث اللاتيني المغاربي خاصة والعالمي عامة في العالم القديم ومنها ما لا يزال تأثيره قائماً إلى الآن، بفضل ما أنتجوه من مؤلفات ودراسات متنوعة المشارب العلمية والفكرية، منها: الأدبية والفلسفية والتاريخية والرياضية والطبية والفلكية والجغرافية القانونية والثيولوجية والعقائدية وغيرها.

18- اشتهرت في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني كوكبة من النخب الوثنية المثقفة، من أمثال يوبا الثاني وفرونطو الكيرتي ولوكيوس أبوليوس، والتي كانت لها إسهامات كثيرة في مجال الإنتاج الفكري والعلمي، فتنوعت كتاباتهم ومؤلفاتهم، فكان ليوبا الثاني شهرة واسعة من خلال مؤلفاته في مختلف المجالات العلمية ككتاب ليبيكا وأرابيكا وكتب تاريخية وفيلولوجية وفنية وغيرها. أما فرونطو الكيرتي فقد نال شهرته كخطيب وكأستاذ إمبراطوري، وترك الكثير من المؤلفات المتمثلة في سلسلة المراسلات والمقالات والخطب. وبالنسبة للوكيوس أبوليوس فشهرته لا تزال قائمة، بفضل شهرة مؤلفاته كالأبولوجيا والفلوريدا ورواية الميتامورفوز (التحولات)، والمعروفة برواية الحمار الذهبي.

19- وبالنسبة للنخب المثقفة المسيحية، فلا تقل شهرتها عن النخب الوثنية، فقد أسهمت بإنتاج فكري ثيولوجي والليتورجي وكريستولوجي هام، يعتبر بمثابة قاعدة للفكر المسيحي في العالم القديم، ولا يزال تأثيره قائماً إلى الآن، ومن أشهر تلك النخب القديس ترتوليانوس وكيبريانوس وأوغسطين. حيث خلف ترتوليانوس ورائه مؤلفات متنوعة من مؤلفات دفاعية وأخرى جدلية، وتوجيهية وأدبية ونسكية، تصب في دراسة كل القضايا المتعلقة بالديانة المسيحية، من الدفاع عنها وإرساء للفكر الثيولوجي والثالوث والليتورجيا. وأما كيبريانوس فقد كتب الكثير من الكتب والرسائل التي تناول من خلالها مختلف المسائل والقضايا التي صادفتها الديانة المسيحية خلال فترة حياته. وبالنسبة لأوغسطين فقد ترك تراثاً فكرياً جد متنوع بين الكتب والجدالات والرسائل، والتي تتمثل في: مؤلف الاعترافات، والمؤلفات

الدفاعية والفلسفية والعقائدية، والضدية، والتفسيرية والثيولوجية والأخلاقية والدعوية وغيرها، وأشهرها كتابي "الاعترافات" و"مدينة الله".

20- امتازت بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية، من الناحية الثقافية والفكرية، بمجموعة من المظاهر تتعلق بالجانب اللغوي، إذ شهدت تنوعاً لغوياً تفاعلت فيه رباعية لغوية تكونت من الليبية والبونية والإغريقية واللاتينية، وهيمنت هذه الأخيرة على المشهد اللغوي للمغرب القديم مدعومة بالسند القانوني والسياسي، بالإضافة إلى انتشار الظاهرة التعليمية على المنظومة الرومانية في المدن والحواضر المغاربية، والتي أفرزت جملة من المؤثرات الثقافية على منطقة المغرب القديم ومجتمعها، كما شهدت نخباً مثقفة لها إسهامات علمية وفكرية متنوعة.

بيبليوغرافيا البحث

بيبليوغرافيا البحث

أولاً: المصادر

1/ المصادر باللغة العربية:

1- التوراة، تر. وتح.: سهيل زكار، ط.1، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، سوريا، لبنان، 2007م.

2- الكتاب المقدس، ترجمة العالم الجديد، الناشرون: Watchtower Bible and tract society of New York, INC, Brooklyn, New York, U.S.A، 2004م.

3- ترتوليانوس: المنافحة أو الدفاع عن التوحيد، تر.: عمار الجلاصي، ج.1، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2000م.

4- ترونس الأفريقي: الأعمال المسرحية الكاملة (فتاة أندروس/ أو أندرية)، ج.1، تر.: علي الجلاصي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2000م.

5- ديون كاسيوس: التاريخ الروماني، ج.10، الكتب: LXXX-LXXI، تر.: مصطفى غطيس، ط1، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013م.

6- سالوست: حرب يوغرطة، تر.: فيصل الأحمر وفاطمة بريهوم، ط.1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013م.

7- سترابون: الجغرافيا، تر.: حسان ميخائيل إسحق، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 2017م.

8- فيتروفيوس: الكتب العشرة في العمارة، إعداد: يسار عابدين وعقبة فاكوش وياسر الجابي، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، سوريا.

9- فلفيوس كريسكونيوس كوريبوس: ملحمة الحرب الليبية الرومانية، تر.: محمد الطاهر الجراري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، دار الكتاب، ليبيا، 1988م.

10- القديس أغسطينوس: الصلاة الربانية، تر.: القمص تادرس يعقوب ملطي، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2005م.

11- القديس أغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، تر: ريمون يوسف رزق، المركز الثقافي القبطي الأرثوذوكسي، مصر، 2012م.

12- القديس أغسطينوس: مدينة الله، تر.: الخور أسقف يوحنا الحلو، مج.1، الكتب من 1-10، ط.2، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2006م.

13- القديس أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطين وس، نقله عن اللاتينية: إبراهيم الغربي، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، القاهرة، تونس، 2015م.

14- القديس أوغسطينوس: محاوره الذات، تع.: الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2005م.

16- القديس أوغسطينوس: الثالوث De trinitate، تر.: هدى بهيج، ط.1، سلسة الكلاسيكيات، القاهرة، مصر، 2018م.

15- كلاوديوس بطليموس: جغرافية كلاوديوس بطليموس (بطليموس)، الكتاب الرابع وصف ليبيا (قارة أفريقيا) ومصر، تر.: محمد المبروك دويب، ط.1، الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004م.

17- لوكيوس أبوليوس: أبولوجيا، تر.: أكرم بوعشة، ط.1، دار سيفار للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2023م.

18- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي - أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر.: أبو العيد دودو، ط.2، منشورات الاختلاف الجزائر والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.

19- لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، تر.: عمار الجلاصي، ج.1، ج.2، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2000م.

20- لوكيوس أبوليوس: فلوريدا، تر.: أكرم بوعشة، ط.1، دار سيفار للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2023م.

21- سالستيوس: المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالستيوس (86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة Bellum Jugurthinum، تر.: محمد العربي عقون، ط.2، أذليس للنشر والتوزيع والترجمة، باتنة، الجزائر، 2021م.

22- هيرودوت: أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الأمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2009م.

23- هيرودوت: الكتاب الرابع من تاريخ هيردوتوس (هيرودوت)، الكتاب السيكيثي والكتاب الليبي، نقله من الإغريقية: محمد المبروك الذويب، ط.1، منشورات جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2013م.

24- هيرونيمس: مشاهير الرجال، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه ووضع فهرسه: الأب جوزيف كميل جبارة، دار المشرق، طـ.، بيروت، لبنان، 2010م.

25- يوليوس قيصر: حرب أفريقية 47-46ق.م، تر.: محمد الهادي حارش، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

2/ المصادر باللغة الأجنبية:

1- Appianus: Histoire Romaine, T.IV, L.VIII; le livre Carthaginois, LXIX, établi et trad. Paul Goukowsky, édition les belles lettres, 2001.

2- Appianus: Histoire Romaine, T.VII, L.XII; la guerre de Mithridate, établi et traduit par Paul Goukowsky, édition les belles lettres, 2001.

4- Apulée: Apologie, trad. M. Victor Bétolaud, T.II, Garnier Frère Librairie Editeur, Paris, 1836, remacle.

5- =====: de la doctrine de Platon, T.III, III, Trad. M. V. Bétolaud, C. L. F. Panckoucke, Paris, 1886.

6- =====: du Dieu de Socrate, T.III, I, Trad. M.V.Bétolaud, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1886.

7- =====: du Mundo, T.III, L.V, Trad. M.V.Bétolaud, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1886.

8- =====: Florides, T.III, L.III, V,Trad. M.V.Bétolaud, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1886.

9- =====: Œuvres complètes d'Apulée, les Florides, trad. parVictor Bétolaud, Nouvelle édition, Garnier Frère, Libraires-éditeurs, Paris, 1904.

10- Aulu-Gelle: Les nuits attiques. T.1, trad. Victor Verger, Libraire, F. I. Fournier, Paris, 1820.

11- Aurelius Victor: Les Césars, trad. M. N. A. Dubois, XXII, G.L.F. Panckoucke, éditeur, Paris, 1846.

12- Corippus: The Iohannis or de Bellis Libycis, trad. George W. Shea, the Edwin Mellen Press, Lewiston, New York, USA, 1998.

13- Cyprien de Carthage: A Démétrien, Intr. Trad. Jean-Claud Fredouille, les édutions du Cerf, Paris, 2003.

14- Dion Cassius: Histoire Romaine, XLIII, 9, 50, trad. E. Gros, Librairie de Firmin Didot frères, Paris, 1845, remacle.

15- Felix Cassius: De Medicina, XIII. Ad stigmata, Valentino Rose, In aedibus B.G. Teubneri, 1879.
16- Fronton: lettres de marcs aurele et de de fronton, T.II, oeuvre numérisée et mise en page par Thierry Vebr, Remacle.
17- Fulgentius: De aetatibus mundi et hominis, ed. Rudolf Helm, Leipzig, B.G. Teubner, 1898.
Minucius Félix: Octavius de Minucius Félix, trad. F. Record, librairie Bloud, Paris, 1911.
18- Pline L'ancien: Histoire naturelle, Trad. M. Lettre, Firmin Didot, Paris, 1829.
19- Juvenalis: Juvenal and Persius, printed for A. Watson, Capel-Street, Dublin, 1822.
20- Pliny: Natural History, Vol.5, Henry G. Bohn, London, 1855.
21- Plaute: les deux Bacchides Bacchis, trad. de J. Naudet, T.II, 1865.
22- Plutarque: Les Vies des Hommes (Vie de Caton le Censeur), XL, XLI, T.VI, tard. Dominique Ricard, bureau des éditeurs de la bibliothèque des amis des lettres, Paris, 1829.
23- =======: Les Vies des Hommes (Vie de César), LXIII, T.VI, tard. Dominique Ricard, bureau des éditeurs de la bibliothèque des amis des lettres, Paris, 1844.
24- =======: Vies des hommes illustres, trad. nouvelle en français par Alexis Pierron, T.I, charpentier, libraire-éditeur, Paris, 1853.
25- Procopius: History of the Wars, Books III and IV: The Vandalic War, Tran. H. B. Dewing, Release date: September 27, 2005 [eBook #16765], Most recently updated: December 12, 2020, book online at: https://www.gutenberg.org/cache/epub/16765/pg16765- images.html.
26- Quintilien: institution oratoire, T.I, trad. M. C. V. Ouizille, C. L. F. Panckoucke, Paris, 1829.
27- =======: institution oratoire, T.IV, trad. M. C. V. Ouizille trad. Henri Bornecque, librairie Garnier freres, Paris, 1934.
28- St. Augustin: la cité de Dieu, I, Œuvres II, Trad. Lucien Jerphagnon, Éditions Gallimard, 2000.
29- St. Augustin: les confessions, œuvres choisies, T.1 L.IV, CH.IV Trad. Par M. le Chanoine Pihan, maison de la donne presse, Paris, 1900.
30- St. Jerôme: livre des hommes illustres, M. Benoit Matougues, Auguste Deseez, Imprimeur-Editeur, Paris, Remacle.

31- Salluste: la guerre de Jugurtha (Bellum Jugurthinum), Prés. Kamel Chehrit, 3eme édition, Alger livres édition, Alger, 2006.
32- =====: Œuvres complètes de Salluste, trad. Charle Durosoir, Librairie Garnier Frères, Paris, 1865.
33- Salvianus Massiliensis: De gubernatione Dei, Salviani presbyteri Massiliensis opera omnia, Pauly, Franz, Vindobonae, 1883.
34- Stace, Martial, Manilius, Lucilius Junior, Rutilius, Gratius Faliscus, Némésianus et Calpurnius: collection Des auteurs Latins, œuvres complètes avec traduction, publiées sous la direction de M. Nisard, imprimeurs de l'institut de France, Paris, 1865.
35- Strabon: Géographie, L.XVII, L'Egypte et la Libye, CH.III; la Libye,Trad. française: Amédée Tardieu, librairie de l. hachette et CIE, boulevard St. -germain, n° 17, Paris, 1867.
36- Tertullien: Apologétique de Tertullien, Trad. M. l'Abbé J.-Félix Allard, Dondey-Dupré père et fils, Imp.-Libraires, Paris, 1827.
37- Tite-Live: Œuvres de Tite-Live (Histoire Romaine), Trad. française: M. Nisard, Livre XLIV, Firmin Didot, Paris, 1864.
38- =======: Periochae, L.XXX, 50, Traduction en français par M. Nisard, T II, Firmin Didot, Paris 1864.

3/ المصادر المادية:

1- Cagnat (R.) & autre: Inscriptions latines d'Afrique: (Tripolitaine, Tunisie, Maroc), éditions Ernest Leroux, Paris, 1923.
2- Chabot (J.B.): Recueil des inscriptions libyques, imprimerie nationale, Paris, 1941.
3- Faidherbe (G.): Collection complète des inscriptions numidiques (libyques), avec des aperçus ethnographiques sur les Numides, Librairie A. Franck, Paris, 1870.
4- Gsell (S.): Inscriptions latines de L'Algérie, T.1, librairie ancienne Honoré Champion, Paris, 1922.
5- Judas (A.C.): Sur l'écriture et la langue berbères dans l'antiquité et de nos jours, Imprimerie de Pillet fils Aine, Paris, 1863.
6- Merlin (A.): Inscription latines de la Tunisie, Presses Universitaires de France, Paris, 1944.
7- Reboud: Recueil d'inscriptions Libyco Berbères, Imprimerie Adrien le Clere, Paris, 1870.
8- Renier (L.): Inscriptions romaines de L'Algérie, Alphonse Picard, Editeur, Paris, 1855-1886.

ثانياً: المراجع

1/ المراجع باللغة العربية:

1- أكسيل، إصطيفان: تاريخ شمال أفريقيا القديم، تر.: محمد التازي سعود، ج.6 وج.8، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 2007م.

2- أمين، أحمد ومحمود، زكي نجيب: قصة الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، المملكة المتحدة، 2018م.

3- أيمار، أندريه وأبوايه، جانين: : تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، تر.: فريد م. داغر وآخر، ط.2، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1986م.

4- أيوب، إبراهيم: التاريخ الروماني، ط.1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996م.

5- بسترس، كيرلس سليم وآخران: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، ط.1، بيروت لبنان، 2001م.

6- بن ميّس، عبد السلام: مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)، ط.2، طبعة إدجل (IDGL)، الرباط، 2010م.

7- بي باول، باري: هوميروس، تر.: محمد حامد درويش، مؤسسة هنادوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2017م.

8- بيكار، جيلبار شارل: حضارة شمال أفريقيا (تريبوليتانيا – البروقنصلية – نوميديا – موريطانيا) خلال الفترة الرومانية، تر. وتح. وتع.: العربي عقون، ط.1، دار المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020م.

9- تشادويك، هنري: أوغسطينوس، ط.1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2016م.

10- تشارلز روث، أ. ب: الإمبراطورية الرومانية، تر.: رمزي عبده جرجس ومحمد صقر خفاجة، مكتبة الأسرة، القاهر، 2003م.

11- جرجس، سلوى هنري: طرز الأزياء في العصور القديمة (الفرعوني، يوناني، روماني، بيزنطي، قبطي)، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2001م.

12- جوليان، شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ج.1، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، النشرة الرابعة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م.

13- حارش، محمد الهادي: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

14- حسين، عبد الله: تاريخ ما قبل التاريخ، ط.1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، 2013م.

15- حدادو، محند أكلي: مدخل في الأدب الأمازيغي، تر.: حبيب الله منصوري، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2020م.

16- الخضر، أحمد محسن وآخرون: نحن ومسألة الأسرة (الأسرة في الحضارتين الشرقية والغربية)، ج.1، تق. وتح.: الشيخ حسن أحمد الهادي، سلسلة استراتيجيات معرفية 06، ط.1، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف، العراق، 2021م.

17- دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج.1، مؤسسة تاوالت الثقافية، (د.ب)، 2010م.

18- رحمة، جورج: ترتوليانوس القرطاجي، موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ 7، ط.1، منشورات المركز الدعوي للأبحاث والدراسات، دير مار روكز، الدكوانة، لبنان، 1993م.

19- رستم، أسد: أباء الكنيسة، الرسوليون والمناضلون، ج.1 وج.2، منشورات النور، لبنان، 1962م.

20- زيعور، علي: أغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، دار اقرأ، بيروت، لبنان، 2009م.

21- السائح، الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط.2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م.

22- ستيبتشفيتش، ألكسندر: تاريخ الكتاب، القسم الأول، تر.: محمد الأرناؤوط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م.

23- سعود، محمد تازي: صفحات من تاريخ المغرب القديم، ط.1، منشورات فكر، الرباط، المملكة المغربية، 2008م.

24- سفينسيسكا، إ. س.: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، تر.: حسان ميخائيل اسحق، ط.2، منشورات علاء الدين، سوريا، 2008م.

25- السليماني، أحمد: تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

26- شارن، شافية وآخران: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

27- شفيق، محمد: ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، أعده للنشر تامنغاست، تاوالت الثقافية (د.ب)، (د.ن).

28- شنيتي، محمد البشير: أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، ط.1، دار الحكمة، (د.ب)، 2003م.

28- ==========: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

29- ==========: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

30- ==========: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط.1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 1433هـ/ 2012م.

31- طومسون، ج. أ.: سفر الثنية، التفسير الحديث للكتاب المقدس العهد القديم، تر.: جاد المنفلوطي، ط.1، دار الثقافة، القاهرة، 1994م.

32- عبد الدايم، عبد الله: التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.

33- عبد العليم، مصطفى كمال: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م.

34- عتمان، أحمد: الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.

35- عجيبة، أحمد علي: دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط.1، دار الآفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، 2004م.

36- عقون، محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008م.

37- عيساوي، مها: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، دارسة تاريخية لغوية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ/ 2009م.

38- غانم، محمد الصغير: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م.

39- ==========: المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006م.

40- ==========: نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012م.

41- فندريس، جوزيف: اللغة، تع.: عبد الجليل الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، 1950م.

42- فهمي جورج، أثناسيوس: القديس كيبريانوس أسقف قرطاجة الشهيد، سيرته وكتاباته، ط.1، مطابع كونكورد، دبلن، إيرلندا، 1999م.

43- فهمي جورج، أنطوان: العلامة ترتوليان Tertullian، ج.7، ج.20، مطبعة الأنبا رويس، العباسية، القاهرة، مصر، 1994م.

45- قداش، محفوظ: الجزائر في العصور القديمة، تر.: صالح عبّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م.

46- كامب، غابرييل: البربر ذاكرة وهوية، تر.: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010م.

47- كامبس، غابريال: في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تع. وتح.: محمد العربي عقون، ط.2، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2012م.

48- كامل، حسين تحية: تاريخ الأزياء وتطورها، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (د.ن).

49- كوفمان، كاثي ك.: الطبخ في الحضارات القديمة، تر.: سعيد الغانمي، ط.1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011م.

50- مازيل، جان: تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)، تر.: ربا الخش، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1998م.

51- مالتسان، هاينريش فون: ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا، ج.3، تر.: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

52- المحجوب، عبد المنعم: رحلة حنونوالطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، دار تانيت – مجلة لسان العرب، 2012م.

53- المحجوبي، عمار: ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري 164ق.م-235م، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001م.

54- مسرحي، جمال: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني من سيفاكس إلى تاكفاريناس 203ق.م-24م، موفم للنشر، الجزائر، 2015م.

55- المشرفي، محمد محي الدين: بلاد المغرب القديم في العصر القديم، ط.4، دار الكتب العربية، لبنان، 1389هـ/1969م.

56- معدّي، الحسيني الحسيني: يوليوس قيصر رجل كل العصور (حياة أسطورية ونهاية مأساوية)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، (د.ن).

57- الميار، عبد الحفيظ فضيل: دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، 2005م.

58- الميلي، مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج.1، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، إنتاج دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ن).

59- الناضوري، رشيد: تاريخ المغرب الكبير، المغرب الكبير 1، العصور القديمة أسسها التاريخية والحضارية والسياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م.

60- نصحي، إبراهيم: تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى عام 133ق.م، ج.1، ط.2، القاهرة، 1978.

61- هاملتون، أديث: الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، تر.: حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، سوريا، 1998م.

62- هبو، أحمد: الأبجدية نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، ط.1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1984م.

63- هيسيل، ألفريد: تاريخ المكتبات، تع.: شعبان عبد العزيز خليفة، ط.1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 1994م.

64- هيل، جوناثان: تاريخ الفكر المسيحي، تر.: سليم اسكندر ومايكل رأفت، مر.: محمد حسن أحمد غنيم، ط.1، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م.

2/ المراجع باللغة الأجنبية:

1- Albertini (E.): L'Afrique Romaine, 2ème édit., imprimerie administrative et commerciale Emile Pfister, Alger, 1927.

2- Aldrete (G. S.): daily life in the roman city Rome, Pompeii, and Ostia, Greenwood Press, London, 2004.

3- Basset, André. La langue berbère morphologie, librairie ernest leroux, paris, 1929.

4- Ballu (A.): les ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1903.

5- ========: Les ruines de Timgad, antique Thamugadi: sept années de découvertes (1903-1910), Neurdein Frères, Imprimeurs-éditeurs, Paris, 1911.

6- Basset (R.): Recherche sur la religion des berbères, Revue de l'histoire des religions, publiée sous la direction de MM. René Dussaud et Paul Alphandéry, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1910.

7- Bates (O.): The eastern Libyans, an essay, Macmillan and Co., Limited, London, 1914.

8- Berthier (A.), Charlier (L.R.): Le Sanctuaire punique d'El hafra à Constantine, préface d'Albert Grenier, arts et métiers graphiques, Paris, 1955.
9- Bénabou (M): La résistance africaine à la romanisation, Éditions la Découverte, Paris, 2005.
10- Boeswillwald (É.), Cagnat (R.), Ballu (A.): Timgad; une cité africaine sous l'Empire romain, Ernest Leroux. Editeur, Paris, 1905.
11- Boissier (G.): L'Afrique Romaine promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1912.
12- Besse (D.): Les moines de l'Afrique romaine: IVe et Ve siècle, librairie B. Bloud, Paris, 1903.
13- Carcopino (J.): la vie quotidienne a Rome à l'apogée de l'empire, librairie hachette, Paris, 1939.
14- ==========: Daily Life in Ancient Rome: The People and the City at the Height of the Empire, Translated fro by E. O. I., George Routledge & Sons, LTD, London, (s.d).
15- Cagnat (R.): Les bibliotheques municipales dans l'empire romain, In: Mémoires de l'Institut national de France, tome 38, 1e partie, 1909.
16- ========: Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Extrait des mémoires de l'Académie des inscriptions et belles-lettres; T. XXXVIII, 1ere partie, Imprimerie nationale, Paris, 1906.
17- ========: les villes d'art célèbres: Carthage, Timgad, Tébessa, et les villes antiques de l'Afrique du Nord, librairie Renouard, H. Laurens, éditeur, Paris, 1909.
18- Collart (J.): Histoire de la langue latine (Que sais-je?), 1er édition, 3e trimestre, presses Universitaires de France, Paris, 1970.
19- De Champagny (F.): les Césars, (les Césars jusqu'a Néron), T.I, édit.III, Ambroise Bray, libraire-éditeur, Paris, 1859.
20- Derect (F.), Fantar (M.): L'Afrique de Nord dans l'antiquité, histoire et civilisation des origines au Ve siècle, histoire et civilisation des origines au Vème Siècle, éd. Payot, Paris, 1991.
21- Fantar (M.H.): Carthage La cité punique, ALIF, Les Éditions de la Méditerranée, Tunis, 1995.
22- Félix (R.): The book trade at the time of the Roman Empire, The Library Quarterly, VIII, 1838.
23- Gautier (E.-F.): Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, nouvelle édition, petite bibliothèque Payot, Paris, 1952.

24- Gsell (S.): histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.VI, librairie Hachette, Paris, 1927.
25- =====: l'Algérie dans l'antiquité, Typographie Adolphe Jourdin, Imprimeur, Libraire, Editeur, Alger, 1903.
26- =====: Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote), typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur-libraire de l'université, Alger, 1915.
27- Houston (G.W.): Inside Roman Libraries - Book Collections Anagement in Antiquity, published with the assistance of the H. Eugene and Lillian Youngs Lehman Fund of the University of North Carolina Press, USA. 2014.
28- Laraoui (A.): L'histoire du Maghreb, un essai de synthèse, éd. François Maspro, Paris, 1982.
29- Le Bohec (Y.): histoire des guerres Rpmaines, milieu de VIIIe siècle avant J.-C.-410 après J.-C., éditions Tallandier, Paris, 2017.
30- Lidzbarski (M.): Ephemeris für semitische Epigraphik, Erestre Band (1900-1902), Gießen: J. Ricker'sche Verlagsbuchhandlung, 1902, Deutschland, 1902.
31- Malika Hachid (M.): Les Pierres écrites de l'Atlas saharien. El-Hadjra El-Mektouba, T.I, ENAG, Algérie, 1992.
32- Maltzan, Heinrich, von: Drei Jahre im Nordwesten von Afrika : Reisen in Algerien und Marokko, Verlag der Dürr'schen Buchhandlung, Leipzig, 1863.
33- Marec (E.): Hippone la royale attique hippo regius, Première édit., les presses de l'imprimerie officielle, Alger, 1950.
34- Marrou (H. I.): Saint Augustin et l'augustinisme, éditions du Seuil, Paris, 2003.
35- Martin (M.): Objets quotidiens de l'époque romaine, Augster Blatter zur Romerzeit 3, 1994.
36- Masson (A.), Salvan (P.): Les Bibliothèques, Presses Universitaires de France, Paris, 1961.
37- Meillet (A.):Esquisse d'une histoire de la langue latine, 2eme édition, révisée et augmentée, Librairie Hachette, Paris, 1931.
38- McCabe (J.): saint Augustine and his age, G.P. Putnam's Sons, Knickerbocker Press, New York, London, 1903.
39- Mouloud (G.): Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, T.I, éd. Mimouni Hichem Rouïba, Alger, 2009.

40- Mommsen (T.): Histoire romaine, T.1, trad. C.-A. Alexandre, Librairie A. Franck, Paris, 1863.
41- Machonis (P.A): Histoire de la langue: Du latin à l'ancien français, University Press of America, Inc, Boston, U.S.A, 1997, P.9.
42- Monceaux (P.): Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T.II, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1902.
43- ==========: Les africains, étude sur la littérature latine d'Afrique, les païens, lecène, oudin et C10, Editions, Paris, 1894.
44- ==========: St. Cyprien, évêque de Carthage, (210-258), deuxième édition, librairie Victor Lecoffre, Paris, 1914.
45- Roman (D.), Roman (Y.): Rome de la République à l'Empire (IIIe s. av. J-C.- IIIe s. ap. J.-C.), 2e édition mise à jour, édition ellipses Marketing S.A., Paris, 2006.
46- Rebillard (É.): christians and their many identities in late antiquity, North Africa 200-450 CE, Cornell university press, London, 2012.
47- Serralda (A.V.), Huard (A.):Le Berbère-lumière de l'Occident, NEL, Français, 2008.
48- Skounti (A.) & autres: Tirra, Aux origines de l'écriture au Maroc, Institut royal de la culture amazighe, Ribat, 2003.
49- Wilson (A.): Néo-Punic and Latin inscriptions in Roman North Africa Function and display, Multilingualism in the Graeco-Roman worlds, Cambridge University, Printed in the United Kingdom at the University Press, 2012.

ثالثاً: المجلات

1/ المجلات باللغة العربية:

1- أبو دية، خالد: "**المكتبات في العصور القديمة**"، رسالة النجاح، العدد 18، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، كانون الثاني 1984م، (د.ص).

2- أحمد المبروك، عبد المنعم عثمان: "**بعض السمات الفنية لزخارف فيلا دار بوك عميرة الرومانية**"، مجلة كلية الآداب، مج. 2019، العدد 45، جامعة بنغازي، ليبيا، 2019م، (ص 276-298).

3- أنديشة، أحمد: "**المكتبات الرومانية**"، مجلة دار المنظومة، جامعة المرقب، العدد 3، ليبيا، جويلية 2013م، (ص 280-300).

4- بشاري، محمد الحبيب: **"الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"**، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة – علوم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد 20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، الجزائر، جانفي – جوان 2013م، (ص 18-49).

5- بن عبد المؤمن، محمد: **"(حنبعل- Hannabal) ومعركة (كاناي-Cannae) 2 أوت 216 ق. م"**، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، العدد 06، مج02، مركز الحكمة centre El Hikma، الجزائر، 2015م، (ص 74-81).

6- بوزرزور، سارة: **"الترجمة والمثاقفة"**، مجلة البدر، جامعة بشار، مج.9، العدد 7، الجزائر، 2018م، (ص 243-258).

7- بوساحة، الطيب: **"اللباس من خلال الحضارات القديمة (الحضارة المصرية والحضارتين الإغريقية والرومانية)"**، حولية الاتحاد العام للأثريين العرب، دراسات فى آثار الوطن العربى، مج.19، العدد 1، مصر، 2016م، (ص 1-35).

8- =========: **"نشأة وتطور الجيش الروماني من العهد الملكي إلى الإمبراطوري (التركيبة والتجنيد)"**، مجلة الإحياء، مج.21، العدد 1، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، الجزائر، جانفي 2021م، (ص 895-906).

9- حسن البنا، ماهيتاب: **"سيميائية الرمز في أنماط الوشم القبلي كمصدر إلهام لتصميم وحدات زخرفية حديدية فريدة"**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج.9، عدد 11، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، مصر، 11 أفريل 2024م، (ص 610-231).

10- حشلاف، محمد: **"المفكرون الأفارقة بين أثار الطمس ومحاولات إثبات الذات (مارسيانوس كابيلا Martianus Capella) أنموذجا"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.7، العدد 3، جامعة وادي سوف، الجزائر، ديسمبر 2023م، (ص 952-964).

11- الحصناوي، أحمد محبس: **"الجزر الخالدات أو جزر الكناري رحلة الاكتشاف"**، آفاق الثقافة والتراث، العدد 86، جعية الماجد للتراث والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2016، (ص 145-175).

12- حلاق، حسينة وسلطاني، سعاد: **"التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه (المراسلات)"**، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.7، العدد 1، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، باتنة، جوان 2022م، (ص 802-789).

13- ==========: **"الفكر العلمي عند لوكيوس أبوليوس تيسوس من خلال مؤلفه المرافعة"**، مجلة عصور، مج.21، العدد 1، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2022م، (ص 11-29).

14- ==========: **"قراءة في كتاب ليبيكا ليوبا الثاني من خلال التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير"**، مجلة دراسات، مج.14، العدد 02، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2023م، (ص 5-37).

15- حلاق، حسينة: **"الفكر الفلسفي عند ابوليوس من خلال مؤلفه (افلاطون وعقيدته)"**، مجلة هيردوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.6، العدد 3، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، 2022م، (ص 84-96).

16- حميدة، محمد زايد إكتيبي: **"الحمامات غير المكتملة ذات الشكل النجمي بمدينة لبدة الكبرى"**، مجلة لبدة الكبرى، العدد 2، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا، 2017م، (ص 41-86).

17- خادري، مبروك: **"التعليم والمنشآت التعليمية خلال الفترة الرومانية (مقاطعة نوميديا مجال جغرافي للدراسة)"**، مجلة العلوم وآفاق المعارف، مج.3، العدد 1، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 2023م، (ص 243-262).

18- خاشة، السعيد: **"الأسرة، طقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.5، العدد 11، سبتمبر 2017م، مركز الحكمة، الجزائر، (ص 57-68).

19- خالد، محفوظ: **"النخبة الإفريقية المرومنة ومواقفها من الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم (القديس كبريانوس نموذجا)"**، مجلة الحقيقة، مج.21، العدد 3، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2022م، (ص 195-214).

20- خالفي، جميلة: **"الحياة الثقافية في الشمال الأفريقي القديم، المكتبات أنموذجًا"**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.7، العدد 4، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، ديسمبر 2023م، (ص 139-151).

21- راضية، أبو عجيلة صالح ابن خليفة: **"قورينا: عاصمة الثقافة الإغريقية في القرن الرابع ق.م"**، مجلة البحوث التاريخية، دار المنظومة، مج.31، العدد 2، ليبيا، 2009م، (ص 19-55).

22- رحماني، بلقاسم: **"أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، العدد 2، جوان 2009م، (ص 1-26).

23- الركيك، عبد اللطيف: **"الكتابتان البونية والليبية بشمال إفريقيا القديم: إشكالية الأصل ومسألة التفاعل"**، مجلة أسيناگ - asinag، العدد 11، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب الأقصى، 2016م، (ص 15-36).

24- سلامه، محمد على إبراهيم ونويجى، إبراهيم سالم: **"القيمة الفنية والآثارية لدارة وادي باله (فيلا سيلين)"**، حولية إتحاد الآثاريين العرب، المجلس الأعلى للآثاريين العرب، مج.17، العدد 01، القاهرة، مصر، 2014، (ص 1094-1111).

25- شعبان، إيمان: **"مدرسة مادوروس قاطبة العلماء"**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج.13، العدد 02، جامعة معسكر، عدد خاص سبتمبر 2022م، (ص 32-62).

26- صالحي، بوعلام ومنصوري، فريدة: **"الكتابات أثناء الفترة القديمة بشمال أفريقيا"**، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، مج.22، العدد 3، وهران 1، 2023م، (ص 33-57).

27- عبد الحكيم خليفة، يسري: **"المكتبات الرومانية الخاصة: عصر النشأة منذ البدايات وحتى منتصف القرن الثاني ق.م"**، مجلة كلية الآداب، مج.10، العدد 23، جامعة أسيوط، مصر، 2007م، (ص 301-340).

28- عقون، محمد العربي: **"القاعدة المشتركة للغات والكتابات مقاربة في أصول الكتابة الليبية"**، الحوار الفكري، جامعة أحمد دراية أدرار، مج.8، العدد 8، 2006م، (ص 168-180).

29- ==========: **"من أعلام المغرب القديم القديس أوغسطين (تاغست 354م-هيبون 430م)"**، الحوار الفكري، العدد 3، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، جوان 2002م، (ص 119-134).

30- العمري، عبد النور: **"دراسة عامة للنقوش اللاتينية: أصنافها، مجالاتها وقيمتها المصدرية في كتابة تاريخ المغرب القديم"**، مجلة عصور، مج.19، العدد 2، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2020م، (ص 10-27).

31- العود، محمد الصالح: **"ألواح ألبارتيني ودلالاتها الاقتصادية خلال القرن الخامس الميلادي"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.4، العدد 8، مركز الحكمة، الجزائر، 2016م، (ص 28-37).

32- عيساوي، مها: **"اللغة، الكتابة والنقوش النوميدية خلال الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم (منطقة الشافية بالشرق الجزائري أنموذجاً)"**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.1، العدد 1، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، مارس 2017م، (ص 63-101).

34- =======: **"مدينة تبسة في العصور القديمة"**، التراث مجلة تاريخية أثرية، تصدرها دوريًا جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 9، مطابع عمار قرفي، باتنة، رجب 1418هـ/ نوفمبر 1997م.

35- غادة مجدي محمد شافعي: **"الرمز الأمازيغي وأثره على الفن التشكيلي"**، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، مج.21، العدد 2، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، مصر، 2021م، (ص 158-167).

36- غانم، محمد الصغير: **"المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية، المعطيات الجغرافية والمناخية"**، مجلة الأصالة، العدد 72، الجزائر، 1979م، (ص 69-82).

37- الغرباوي، هشام: **"المستعمرة الرومانية يوليا كونسطنتيا زليس"**، دورية كان التاريخية، مج.8، العدد 30، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، ديسمبر 2010م، (ص 65-70).

38- قبايلي، كاهينة: **"على خطى الفيلسوف لوكيوس أبوليوس"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.11، العدد 3، مركز الحكمة، الجزائر، 2023م، (ص 37-61).

39- قديم، الطيب: **"يوبا الثاني وإسهاماته العلمية (أفكار موجودة ومؤلفات مفقودة)"**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج.8، العدد 1، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، 2023م، (ص 367-390).

40- قمش، خديجة: **"لغات الشمال إفريقيا القديم"**، مجلة أسيناگ ⵄⵙⵉⵏⴰⴳ، العدد 11، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2016م، (ص 75-80).

41- محمد رزق رزق، آية وأبو العطا، الحسين إبراهيم: **"تاريخ نشأة المكتبات الرومانية"**، المجلة العلمية لكلية الآداب، مج.13، العدد 2، جامعة دمياط، مصر، 2024م، (ص 91-116).

42- خالدية مضوي: **"جوانب من تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام: كتاب أرابيكا للملك الموريطاني يوبا الثاني (25ق.م-23ق.م)"**، دو رية كان التاريخية، السنة 10، العدد 37، مؤسسة كان التاريخية، القاهرة، سبتمبر 2018م، (ص 98-103).

43- مداد، كمال: **"الفيلا روستيكا الرومانية (Villa Rustica) وظهور نظام بنائها، (فيلا قصر فاطمة نموذجا)"**، مجلة الدراسات الأثرية، مج.11، عدد 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019م، (ص 6-15).

44- مسعي، عبد الحق: **"العلاقات السياسية والتجارية بين المملكة النوميدية وجزيرة ديلوس خلال القرن الثاني قبل الميلاد"**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج.14، العدد 1، جامعة سطيف 2، الجزائر، جوان 2017م، (ص 136-148).

45- مصباح فرج علي كمبه: **"إمداد وتصريف المياه بالفيلات الرومانية بسوغولين Sugolin زليتن (فيلا دار بوك عميرة نموذجاً)"**، مجلة العلوم الإنسانية، مج.37، خاص بالمؤتمر العلمي الأول لقسم التاريخ، ليبيا، نوفمبر 2022م، (ص 295-319).

46- مقدم، بنت النبي: "**الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة**"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج.7، العدد 1، جامعة محمد بن أحمد وهرن 2، الجزائر، جانفي 2018م، (ص 319-348).

47- =========: "**الطفل في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني**"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.4 ، العدد 1، جامعة الوادي، جوان 2020م، (ص 480-493).

48- =========: "**الفن المعماري وإنشاء المباني السكنية بالجزائر القديمة**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 19، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2015م، (ص 21-34).

49- مكيد، إبراهيم: "**المكتبات في الجزائر ودورها في الحركة العلمية في الفترة الرومانية**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.10، العدد 2، مركز الحكمة، الجزائر، 2022م، (ص 91-104).

50- مواس، نورة: "**التجنيد عند الرومان أوائل العهد الإمبراطوري الثاني**"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.5، العدد 2، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، 2021م، (ص 41-51).

51- نادية، يفصح: "**يوبا الثاني الملك العالم (25ق.م-23م)**"، مجلة مجتمع تربية عمل، مج.8، العدد1، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2023م، (ص 472-482).

52- وابل، أمحمد: "**الأسقف أغسطين والمجتمع في مدينة هيبون**"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج.10، العدد 3، جامعة محمد بن أحمد وهرن 2، الجزائر، 2021م، (ص 431-440).

53- دليل آثار تيمقاد (تاموقادي)، جمعية المعالم الأثرية لولاية باتنة، عين التوتة، باتنة، 2001م.

2/ المجلات باللغة الأجنبية:

1- Adrien (B.): "Dernière dynastie Mauritanienne Juba II - Cléopâtre Séléné-Ptolémée", Revue africaine, N°05, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1861.

2- Carton (L.): "Les fouilles de Bulla Regia", Soc.Géo. de Lille, Imprimerie L. Danel, Lille, 1890.

3- Galand (L.): "Les alphabets libyques", Antiquités Africaines, T.25, 1989.
4- Gardiner (A. H.): "The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet", Journal of Egyptian Archaeology, Vol. III, published by the Egypt exploration fund, London, 1916.
5- Gsell (S.): "Juba II, savant et écrivain", Revue Africaine, Vol.68, Année 1927, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1927.
6- ======: "Khamissa Mdaourouch Announa", T.2, fouilles exécutées par le service des monuments historiques de l'Algérie (Mdaourouch), Jules Carbonel Imprimeur-Libraire-éditeur, Alger, E. De Boccard Éditeur, Paris, 1922.
7- Jimes (F.): "Que savons-nous du libyque?", Revue Africaine, 1956, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger.
8- Judas (A.): sur vingt-sept inscriptions libyques, recemment trouvées aux ènvirons de Bone, en Algérie, Revue Africaine, Vol.12, Année 1868, A. Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, 1868.
9- Lakhlif (M.): "St. Augustin et la langue punique", Asinag-Asinag, RE.I.R.C.A. , Numéro 11, Rabat, Maroc, 2016.
10- Maurice (D.): Byblia grammata: documents et recherches sur le développement de l'écriture en Phénicie, T.II, Ministère de l'Education Nationale et des Beaux-arts, Beyrouth, 1945.
11- Pierre (M.): Byblos et l'Égypte : Quatre campagnes de fouilles à Gebeil, 1921-1922-1923-1924, Bibliothèque Archéologique et Historique, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1928-1929.
12- Vôssing (K.): "Die ôffentliche Bibliotheken in Africa", dans L'Africa Romana, Atti del X convegno di studio Oristano, 11-13 dicembre 1992.

3/ المجلات الالكترونية:

1- Alexandropoulos (J.): "Les monnaies de l'Afrique antique 400 av.J.-C.-40ap.J.-C", Planches, openedition books, URL: https://books.openedition.org.
2- Alfred (M.): "Le Jurisconsulte Salvius Julianus proconsul d'Afrique", In: Mémoires de l'Institut national de France, T.43, 2e partie, 1951, URL: https://www.persee.fr.
3- Baratte (F.): «La sculpture en Numidie à la fin de l'Antiquité», (P.P. 153-171), URL: https://books.openedition.org/ausonius/8133.
4- Benseddik (N.): "(Manus lanis occupate…). Femmes et métiers en Afrique". In: An. Afri. , Persée, URL: https://info.persee.fr.

5- Chaker (S.) et autres: "Olivier (La culture de l'olivier, de l'Antiquité à la Kabylie contemporaine)", Enc.Ber. [En ligne], URL: http://journals.openedition.org.
6- Chaker (S.): "l'écriture libyco-berbère état des lieux et perspectives", C.R.B., URL: https://www.centrederechercheberbere.fr
7- ==========: "Libyque: écriture et langue», Enc.Ber. [En ligne], 28-29| 2008, document L24, ligne le 01 juin 2013, consulté le 10 décembre 2020. URL: http://journals.openedition.org.
8- Charlet (J.L.): "Fronton», Enc.Ber. [En ligne], 19|1998, document F49, ligne le 01/06/2011, consulté le 25/09/2020. URL: http://journals.openedition.org.
9- Coulon (G.): "les bibliothèques publiques dans l'empire romain", Gérard Coulon Archéologique, écrivain et historien, URL: http://gerar dcoulon.chez-alice.fr.
10- Dallies(M.): "Usages et usagers des bibliothèques dans le Haut-Empire romain", openedition journals, URL: https://journals.open edition.org.
11- Halévy (J.): Étude sur l'alphabet libyque et ses rapports avec l'alphabet phénicien (partie 2). In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 16e année, 1872. p. 242; Persee, URL: https://www.persee.fr.
12- Georges (T.): "Tablettes Albertini. Actes privés de l'époque vandale (fin du Ve siècle)", édités et commentés par Christian Courtois, Louis Leschi, Charles Perrat, Charles Saumagne", Arts et métiers graphiques, Paris, 1952, https://www.persee.fr.
13- Ghaki (M.): "Le Libyque", RE.T.A. 1, 2013, Academia, URL: https://www.academia.edu.
14- Gilbert (C.P.), Le Bonniec (H.), Jea (M.): "Le cippe de Beccut", In: An. Afri. , 4, 1970, P.P.125-164, Persee, URL: https://www. persee.fr.
15- LeQuellec (J.L.): "Arts rupestres, écritures et protoécritures en Afrique: l'exemple du libyque", OpenEdition, URL: https://journ als.openedition.org.
16- Léon (M.): "La Cyrénaïque. Esquisse géologique et géographique". In: Revue de géographie alpine, T.24, N°3, 1936, URL: https://www.persee.fr.

17- Leveau (PH.): "Césarea Mauretaniae", Enc.Ber., 11/1992, document C06, ligne le 01/04/2013, URL: http://journals.openedition.org.
18- Lionel (G.): "Les alphabets libyques", In: An. Afri., Persée, https://www.persee.fr.
19- Mansouri (KH.): "Madauros", Enc.Ber. [En ligne], 30|2010, document M09, ligne le 17/09/2020, consulté le 15/10/2020. URL: http://journals.openedition.org.
20- Modéran(Y.): "Fulgence de Ruspe", Enc.Ber. [En ligne], 19|1998, document F52, ligne le 01/06/2011, consulté le 24 septembre 2020. URL: http://journals.openedition.org.
21- Mille (B.) & autres: "Les deux statues d'enfant en bronze (Cap d'Adge): étude iconographique et technique", in "Bronzes grecs et romains, recherches récentes" Hommage à Claude Rolley, INHA («Actes de colloques»), 2012 [En ligne], en ligne le 17/07/2012, consulté le 06/08/2013. URL: http://inha.revues.org/3949.
22- Nettleship (H.): "Nonius Marcellus", Gorgias Press LLC, Piscataway, NJ, 08854, USA, 2009, URL: https://dokumen.pub.
23- Nicole (F.): "Le milieu culturel africain à l'époque antonine et le témoignage d'Apulée". In: Bulletin de l'Association Guillaume Budé, N°3, octobre 1987, Persée, URL: https://www.persee.fr.
24- Paul (M.J.): «Mission archéologique de Carthage-Byrsa», openedition journals, (P.39-43), 2011, URL: https://journals.open edition.org/nda/1472.
25- Sabine (L.): "Scholae, un espace grâce auquel les notables construisent leur mémoire?", In: Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 2008, 2015, Persée, https://www.persee.fr.
25- Schärlig (A.): «Les moyens de calcul du comptable antique», Comptabilités [Online], 6 | 2014, Online 15/12/2014, connection 10/12/2020. URL: http://journals. openedition.org/comptabilites/1491.
26- René (D.): Les inscriptions phéniciennes du tombeau d'Ahiram, roi de Byblos, In: Syria, T. 5 fascicule 2, 1924. P.P.135-157; Persée, URL: https://www.persee.fr.
27- Tlili (N.): "Les Bibliothèque en Afriques romaine In Dialogues d'histoire ancienne", Vol 26, 2000, Persée, URL: http://www.persee.fr.
28- ======: "Les enfants intellectuellement doués en Afrique romaine", OpenEdition Books, URL: https://books.openedition.org.

30- Vassa (N.K.): "Le roi Hiempsal II de Numidie et Rhodes", In: L'antiquité classique, T.44, fasc.1, 1975, URL: https://www.persee.fr.
31- Waille (V.): "Quatrième note sur les fouilles de Cherchel", [article] séance du 27/01/1888, Persée, URL: https://info.persee.fr.
32- Wolff (C.): "À propos des voleurs d'enfants : St. Augustin, Lettre 10", OpenEdition Books, URL: https://books.openedition.org.
33- Yvon (T.): "Bulla Regia", in Gabriel Camps (dir.), 11|Bracelets – Caprarienses, Aix-en-Provence, Edisud ("Vol.", N°11), 1992 [En ligne], openedition journals, URL: http://journals.open edition.org.
34- =======: "La romanisation d'une cité indigène d'Afrique: Bulla Regia", In: Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité, T.85, N°1, Persee, 1973, URL: https://www.persee.fr.
35- Yvonne (A.): "Le quartier occidental de Djemila (Cuicul)". In: An. Afri., 5, 1971. P. P. 95-120; https://www.persee.fr.

4/ المؤتمرات والملتقيات:

1- الدراوي، محمد علي حسين: **"الثقافة واللغة الليبية القديمة في إقليم طرابلس"**، المؤتمر الدولي الرابع للبحث العلمي 2015م، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)، ومركز الاحتواء الاجتماعي (قطر)، حول مجالات العلوم المختلفة، المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)، الدوحة، قطر، 15- 16- 17 مارس 2015م.

2- شعبان، علي أحمد: **"المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم"**، المدينة والريف في الجزائر القديمة، مؤلف جماعي، إشراف وتنسيق: مقرانطة بختة، أعمال الملتقى الوطني الأول، المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013م، جلمعة معسكر، قسم العلوم الإنسانية، فرع الآثار، الرشاط للطباعة والنشر، سدي بلعباس، الجزائر، 2014م.

3- منصوري، خديجة: **"الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني"**، التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال الملتقى الدولي للتاريخ المنتظم يومي 23-24 نيسان- أفريل سنة 2001م، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية وقسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2001م.

رابعاً: الدراسات السابقة

1/ الدراسات السابقة باللغة العربية:

1- بن السعدي سليمان: علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دوكتوراه دولة في التاريخ القديم، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008م.

2- بن عطيا الله، عبد الرحمان: الصراع الديني في المغرب القديم: "الحركة الدوناتية والكنيسة الإفريقية" بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، 2018/2017م.

3- حكيمة طواهري: منازل شمال أفريقيا خلال الفترة الرومانية دراسة لمنازل الجزائر القديمة (دراسة تنميطية تحليلية)، رسالة جامعية لنيل شهاد الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014/2013م.

4- خاشة، السعيد: كويكول دارسة اجتماعية وأثرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، 2016/2015م.

5- دعاس، فارس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د، تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم، جامعة الشهيد حمه لخضر، وادي سوف، 2021/2020م.

6- زايد مصطفى محمد، قنديل: التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2001م.

7- زموري، خديجة: القديس أوغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، أطروحة مقدمة لينل شهادة الدكتوراه L.M.D، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2018/2017م.

8- سعدان، عائشة: التعليم في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني من القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه L.M.D تخصص التاريخ والحضارات القديمة، جامعة الجزائر -2-، 2021/2020م.

9- عقون، محمد العربي: الاتحاد السيرتي، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2004م.

10- عوض الدلال، سعد صالح: المجتمع الروماني في قوريني Cyrene (96ق.م-248م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة من قسم التاريخ (يوناني وروماني)، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، جامعة بنها، مصر، (د.س).

11- عولمي، الربيع: المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ج.1 و2، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ القديم، جامعة باتنة 1، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، باتنة، 2016/2015م.

12- عيساوي، مها: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009م.

13- قادري، حسينة: دراسة تاريخية لفكر فرونطو وماركوس أوريليوس من خلال المراسلات "القرن الثاني الميلادي"، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه L.M.D في تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله- الجزائر 2، الجزائر، 2019/2018م.

14- لعياضي، حفيظة: مقومات الوحدة وعوامل التفرقة في تاريخ بلاد المغرب في العصر القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، 2018/2017م.

2/ الدراسات السابقة باللغة الأجنبية:

1- François Talbot: Apprendre et enseigner en Afrique proconsulaire, l'éducation classique et la vie municipale africaine, du second siècle a la fin du monde antique, mémoire présente pour l'obtention du grade de maitre et arts (M.A.), département d'histoire, faculté des lettres, université aval, Québec, Canada, 2007.

2- Paul Vallette: L'Apologie d'Apulée, thèse de doctorat Présentée à la Faculté des Lettres de l'Université de Paris, LIBRAIRIE C. Klincksieck, Paris, 1908.

خامساً: المعاجم والموسوعات والأطالس

1/ المعاجم والموسوعات والأطالس باللغة العربية:

1- ابن جني: الخصائص، تح.: محمدعلي النجار، ط.1، دار الكتب، القاهرة، 1956م.

2- الباري، فرج الله: موسوعة العقيدة والأديان، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ج.5، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م.

3- التميمي، مهدي حسين: موسوعة مقارنة الأديان السماوية، ط.1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004م.

4- داولي، تيم وآخرون: أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، متاح إلكترونياً.

5- الزواري، سارة التونسي: المعجم الفلسفي النقدي، ط.1، مطبعة السفير الفني، 2005م.

6- سعفان، كامل: موسوعة الأديان القديمة، معتقدات آسيوية قديمة (العرق- فارس- الهند- الصين- اليابان)، ط.1، دار الندى، مدينة نصر، مصر، 1999م.

7- السواح، فراس: موسوعة تاريخ الأديان الزرادشتية والمانيوة واليهودية والمسيحية، جيوفري بريندر، جون ب. نوس، الكتاب الخامس، تر: عبد الرزاق العلي، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط.4، دمشق، سوريا، 2017م.

8- صليبيا، جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

9- فولشيد، دومنيد: المذاهب الفلسفية الكبرى، تر.: مروان بطش، ط.1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011م.

10- الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج.1، ج.2، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ن).

11- المحجوب، عبد المنعم: معجم تانيت (معجم في الحضارة الليبية- الفينيقية في شمال إفريقيا وحوض المتوسط وما يتصل بها من الحضارات المصرية والإغريقية والرومانية وممالك نوميديا وموريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية والصحراء الكبرى)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م.

12- الموسوي، هاشم عبود: موسوعة الحضارات القديمة، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013م.

13- نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1994م.

2/ المعاجم والموسوعات والأطالس باللغة الأجنبية:

1- Badel (Ch.) et Inglebert (H.): Grand Atlas de l'Antiquité romaine, IIIe siècle av. J.-C.-VIe siècle apr. J.-C, Éditions Autrement, Paris, 2014.

2- Foucauld, Charles de: Dictionnaire touareg-français: dialecte de l'Ahaggar, T.I, Imprimerie nationale de France, Paris, 1951-1952.

3- Haddadou (M. A.): Dictionnaire Des Racines Berberes Communes, haut commissariat à l'Amazigheté, les olivier, Tizi Ouzou, 2007.

4- Joseph Thomas: The Universal Dictionary of Biography and Mythology, Vol. I, Cosimo, Incorporated, A-CLU, 2013.

5- Gesll (S.): atlas archéologique de l'Algérie, AdolpheJourdan Adolphe Jourdan ; Fontemoing & C^{ie}, Algerie, Paris, 1911.

6- Smith (W.), Anthon (Ch.): A Dictionary of Greek and Roman Antiquities, Harber & Brothers, Franklin Square, New York, U.S.A, 1932.

سادساً: المواقع الإلكترونية

1- Chronicon (1.0), cite de Philippe remacle, URL: https://remacle.org /bloodwolf/vebr/Chronicon.html.

2- Fichée enseignant: l'enfant romaine a l'école, Le Pont du Gard, URL: https://pontdugard.fr.

3- Laura Kate C. McCormack: "Roman Education",World History Encyclopedia, URL: https://www.worldhistory.org/index.

4- L'école dans l'antiquité Romaine, La toge et le glaive, URL: http://latogeetle glaive.blogspot.com.

5- Meisterdrucke, URL: https://www.meisterdrucke.lu.

6- Les Tablettes Albertini, URL: https://unpaysuneidentit.wordpress.com.

7- Marie-Alix Desboeufs: "Papyrus et parchemin dans l'Antiquité gréco-romaine", HAL Id: dumas-00278568, URL: https://dumas.ccsd.cnrs.fr.

8- Maison de la Regio VI (Pompéi, insula occidentalis), Portrait de Jeune femme dite Sapho, URL: https://www.photo.rmn.fr.

9- Robert Delord: Fiche civilisation; l'école à Rome, URL: https://www. arretetonchar.fr.
10- Tables de Peutinger, Bibliothèque nationale de France, URL: gallica.bnf.fr.
11- بوغود ويوبا الثاني، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط: https://ar.wikipedia.org.
12- نصيرة سحير: "قرطاجة عاصمة الثقافة اللاتينية في بلاد المغرب، خلال العهد الإمبراطوري الروماني (27ق.م-429م)"، موقع أكاديمية العربية، الرابط: https://academia-arabia.com/ar/reader/2/54079.
13- عبد الله الحلوي: **"حل شفرة منقوش عزيب ن إيكّيس"**، أكال بريس akalpress، الرابط: https://akalpress.com/5482-tifinagh-2.
14- ========: **"نعم، الأمازيغ هم أول من اخترع الكتابة الصوتية!"**، أكال بريس akalpress، الرابط: https://akalpress.com/author/haloui.
15- الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (الفولجاتا/ فولغاتا)، موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي، الرابط: https://st-takla.org/P-1_.html.

فهرس الخرائط والأشكال

فهرس الخرائط والملاحق

1- فهرس الخرائط:

الصفحة

الخريطة رقم 1: خريطة مواقع انتشار النقوش الليبية 6
الخريطة رقم 2: خريطة انتشار القبائل الليبية في بلاد المغرب القديم 14
الخريطة رقم 3: خريطة انتشار النقوش النيوبونية في بلاد المغرب القديم.....34
الخريطة رقم 4: خريطة تمركز النقوش اللاتينية في بلاد المغرب 68
الخريطة رقم 5: خريطة لأهم المراكز العلمية في المغرب القديم خلال فترة الرومانية 142

2- فهرس الجداول

الصفحة

الجدول رقم 1: الحروف المتشابهة بين الفينيقية والليبية 3
الجدول رقم 2: جدول الأبجدية البونية والليبية.....4
الجدول رقم 3: توزيع النقوش الليبية المكتشفة حسب المناطق 25
الجدول رقم 4: الأبجدية الفينيقية والبونية والنيوبونية 33
الجدول رقم 5: الأرقام الرومانية.....83
الجدول رقم 6: أهم المراكز العلمية والتعليمية في المغرب القديم وفترات ازدهارها 158
الجدول رقم 7: حجم استعاب مكتبة تيمقاد للفولومينا حسب بعض الباحثين.....198
الجدول رقم 8: أهم مؤلفات يوبا الثاني.....213
الجدول رقم 9: أهم مؤلفات فرونطو الكيرتي 219
الجدول رقم 10: أهم مؤلفات لوكيوس أبوليوس 234
الجدول رقم 11: أهم مؤلفات القديس ترتوليانوس.....247
الجدول رقم 12: أهم مؤلفات القديس كيبريانوس 254
الجدول رقم 13: جدول زمني يوضح تواريخ وأرقام رسائل سانت كيبريانوس 255
الجدول رقم 14: أهم مؤلفات القديس أوغسطين 270
الجدول رقم 15: بعض النخب المثقفة الوثنية وأهم مؤلفاتهم 247
الجدول رقم 16: بعض النخب المثقفة المسيحية وأهم مؤلفاتهم.....277

3- فهرس الأشكال والملاحق:

الصفحة

الشكل رقم 1: نقيشة آعزيب نكيس 10
الشكل رقم 2: أوشام وفخار مزخرف ورسومات الطاسيلي.....11
الشكل رقم 3: نقيشة دوقة Dougga.....20
الشكل رقم 4: نقيشة مزدوجة لاتينية- ليبية مكتشفة بكاف سيدي فرج.....27
الشكل رقم 5: نقيشة مزدوجة لاتينية- ليبية مكتشفة بعين الحفرة.....27
الشكل رقم 6: نقيشة مزدوجة لاتينية- ليبية مكتشفة ببونة.....28
الشكل رقم 7: (01)، (02) نقوش بونية مهداة لبعل حامون وتانيت.....36
الشكل رقم 8: نقش بوني ذكر فيه إلى اسم ماسينيسا 37
الشكل رقم 9: عملات نقدية نوميدية تحمل كتابات بونية 39
الشكل رقم 10: أمفورة دبيلون والنص الإغريقي المنقوش عليها 45
الشكل رقم 11: عملات نقدية للملك يوبا الثاني وبوغود 58
الشكل رقم 12: الأم تعلم طفلها (لوحة جدارية من بومبي).....73
الشكل رقم 13: تماثيل أطفال (واحد عاري وآخر بلباس التونيكا) 79
الشكل رقم 14: تمثال بيداغوغوس يقود طفلاً إلى المدرسة 80
الشكل رقم 15: نقش بارز لمعلم وتلميذ من تابوت ماركوس ستاتيوس 150م.....84
الشكل رقم 16: تمثال الطفل أوغسطين من مادورس يلتحف معطف بيروس 94
الشكل رقم 17: تمثال لطالب ومعه محفظة عند قدميه 100
الشكل رقم 18: مخطط يوضح مكان بناية المدرسة في الحي الشرقي لكويكول 110
الشكل رقم 19: مخطط يوضح مكان بناية المدرسة في الحي الغربي لكويكول.....110
الشكل رقم 20: حنية الكنيسة الشرقية في مادوروس.....111
الشكل رقم 21: إكسيدرا فوروم مدينة شمتو 112
الشكل رقم 22: قطعة نقشية شمتو مكبرة 112
الشكل رقم 23: نماذج كراسي الكاثيدرا المخصصة للمعلم والأستاذ.....115
الشكل رقم 24: نماذج لأنواع كراسي سكابيلا المخصص للتلاميذ 115

الشكل رقم 25: صورة تخيلية لمعلم مع تلاميذه يكتبون على ركبهم 116
الشكل رقم 26: ألواح خشبية للكتابة من القرنين الأول والثاني الميلاديين.....116
الشكل رقم 27: نموذج محابر الحبر 117
الشكل رقم 28: المعداد الروماني ونقش بارز لأشخاص يحسبون به 117
الشكل رقم 29: نماذج من المحافظ Capsa.....118
الشكل رقم 30: نقش بارز لمعلم مع ثلاثة طلاب (نيومجين حوالي 180-185م) 119
الشكل رقم 31: نماذج الأقلام من القصب والمعدن.....122
الشكل رقم 32: نقش بارز لمعلم ممسك بعصا 127
الشكل رقم 33: صورة تخيلية لمعلم يعاقب تلميذاً.....127
الشكل رقم 34: نقيشة بكوت وورقة البردي وشكل حروفها 138
الشكل رقم 35: لوحة من ألواح ألبرتيني وكتابة نقرين Negrine.....139
الشكل رقم 36: مكتبة تاموقادي (المخطط، الأطلال، النقيشة) 167
الشكل رقم 37: مخطط لتلة بيرصا بقرطاجة (6 و10 المواقع المحتملة لمكتبة قرطاجة) ..171
الشكل رقم 38: مخطط مدينة بولا ريجيا والرقم 44 يحدد مكان مكتبة المدينة 174
الشكل رقم 39: منظر عام لآثار بزيليكا هيبوريجيوس 176
الشكل رقم 40: منظر عام لفيلا سيلين 181
الشكل رقم 41: مخطط فيلا سيلين يوضح موقع المكتبة 182
الشكل رقم 42: بقايا مكتبة الفيلا.....182
الشكل رقم 43: مخطط فيلا بورك عميرة 183
الشكل رقم 44: صورة توضيحية لترتيب الفولومينا 189
الشكل رقم 45: صورة توضيحية لشكل صندوق كابساي 189
الشكل رقم 46: نقش بارز لشخص يقرأ ممسكاً بالفولومينا 190
الشكل رقم 47: صور للألواح القابلة للطي 202
الشكل رقم 48: رسم لفولومينا وكراسة ونقش لرجل يقرأ في الفولومينا.....203

فهرس
الأعلام والبلدان
والشعوب والقبائل

فهرس الأعلام والبلدان والشعوب والقبائل والآلهة

1- فهرس الأعلام:

أبولينير القرطاجي، 252، 253
أبوليـــــوس، 38، 39، 48، 49، 56، 60، 61، 62، 84، 85، 86، 88، 89، 91، 92، 94، 95، 96، 100، 101، 108، 110، 112، 114، 118، 121، 124، 131، 134، 135، 136، 138، 139، 140، 141، 142، 150، 151، 157، 166، 171، 172، 179، 185، 190، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 218، 243، 252، 253، 260، 261، 262، 263، 266، 277، 279
أبيانوس، 133، 201، 202، 207
أبيليكون الثيوسي، 149
أتوربيس، 124
آتيا، 73
أتيكوس، 194
أثينودوروس، 199، 203
أثيني، 197
أحمد السكونتي، 11
أديوداتس، 241، 242
آذربال، 53، 54
إراثوستينوس، 131
أرسطو، 149، 178، 205، 214، 216، 217
أركيسيلاوس، 132
أرنوبيوس السيكي، 255

أرنوبيوس، 57، 98، 122، 136، 137
آريتي الكيرينية، 131
أريستبوس الكيريني، 130
أريستبوس، 130
أريسطو، 131
أريش ابن ليبي، 14
أريون، 202
أستيفانوس، 237
الأسقف نوفليانوس، 236
أسكليبياديس، 158، 214
الإسكندر الأكبر، 27
أسكندر بندروس، 194
أسينيوس بوليو، 149
أسينيوس مارسيليوس، 206
أفلاطون، 95، 131، 214، 215، 216
أفلوطينوس، 247
أفولاي، 204
أكتافيوس، 133، 150، 156، 192
آل سيكتيوس، 208
آل سيكنيوس، 208
آلاريك الأول، 245
ألبرتيني، 110، 126، 261، 289
ألبير غروني، 33
ألبيرت بالو، 152
ألماند مومسن، 144
ألوريوس جمينيوس، 96

أليبيوس الثاغاستي، 145
أليبيوس، 80، 145، 243
إليسا ديدون، 112
أمبروزيوس، 186، 240
أندري باسي، 16
أنطوان ميبه، 50
أنطونيوس التقي، 202، 208
أنطونيوس، 22، 38، 94، 192، 199، 201، 213
أنيسيريس، 131
أوبطا الميلي، 57، 256
أوبطاتوس الميليوي، 256
أوبطاتوس، 61، 235
أوجان ألبتيرني، 113
أودولف هانوتو، 7
أوريستيس، 112
أوريك باتيس، 15، 20،
أوريليا، 73
أوريليوس القرطاجي، 241
أوريليوس أوبطاتوس، 81
أوريليوس أوغسطينوس، 238
أوغســـــطس، 14، 52، 73، 123، 133، 142، 150، 156، 159، 160، 164، 171، 180، 191، 192، 196
أوغســـطين، 22، 36، 37، 38، 39، 48، 56، 57، 60، 61، 62، 74، 76، 80، 83، 85، 89، 90، 91، 92، 93، 95، 98، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 118، 122، 124، 135، 136، 140، 141، 144، 145، 163، 190، 235، 238، 239،

240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 253، 254،
255، 257، 259، 260، 261، 262، 263
أوفيدوس فرونطو، 200
أوفيديوس، 180
أوكتافيا، 150، 191، 192
أوكتافيوس أوغسطس، 191، 192
أوكتافيوس، 191، 192، 255
أولوس جيليوس، 56، 71، 74، 124، 144، 176، 178، 179، 201، 209، 253
أونطنيوس بيوس، 201
إيتوبعل، 26
إيتيانوس البيزنطي، 194
أيليوس هيلاريانوس، 223
أيميليا بودونتيلا، (بودونتيلا)، 49، 166، 172 207، 208، 213
أيميليانوس، 49، 210
أينياس الطروادي، 112
أينياس، 111، 112
إيواثلوس، 214
باتريكيوس أوريليوس، 80
باتريكيوس، 80، 91، 238، 241، 260
بانتاينوس، 178
بتريكيوس، 240
براكسياس، 223، 225
برايسنتيوس دكوريون، 81
بروتاغوراس، 131، 213
بروفيريون، 200
بروكوبيوس، 40

برينسيبينوس، 81
بشـــــــاري، 50، 51، 52، 57، 62، 94، 95، 212، 213، 220، 221، 222، 223، 225، 226، 229، 230، 231، 234، 240، 244، 246، 253، 254، 255، 271، 279
بطليموس أبيون، 130
بطليموس، 44، 129، 130، 132، 140، 142، 143، 164، 192، 193، 266
بغاي، 24
بگُوت، 125
بلاجيانوس، 249
بلاوتوس، 123
بلوتارخوس، 48، 97، 121، 165، 194، 197
بلوتيوس غالوس، 129
بلين، 13
بلينوس الصغير، 179
بلينوس القديم، 48، 21
بلينوس الكبير، 165، 194
بلينوس، 42
بليني الأكبر، 160
بلينيوس، 26، 197
بوبليوس تيرينتيوس آفر، 271
بوبليوس كوكانوس، 271
بوتنجير، 83
بودميلكار، 31، 37
بوستيميوس، 200
بوسيدونيوس، 222
بوسيديوس، 175
بوغود، 54، 159، 287

بوكوس، 35، 164، 192
بـول مونصـو، (مونصـو)، 64، 89، 109، 112، 121، 122، 123، 124، 142، 143، 157، 166، 205، 207، 230، 231، 234
بومبيوس أتيكوس، 149
بومبيوس، 112، 133، 159، 162، 190
بوميلكار، 31، 37
بونتيانوس، 166، 167، 207، 208، 209، 262
بونتيوس، 232
بوينوس، 28
بوينولوس، 28
بيار غروس، 157
بيبلوس، 26، 147
بيبليوس كاليديوس روفوس، 93
بيتريوس، 191
بيرسيوس، 148
بيروس، 196
بيلاديس، 112
بيليني الأكبر، 14
بيير مونتيه، 27
تاتيانوس، 197
تاكفاريناس، 60، 191، 270
تاكيتوس، 180
تراجانوس، 150
ترايانوس، 198، 252
ترتوليـانوس، 57، 61، 122، 151، 190، 219، 220، 221، 222، 223، 226، 227، 229، 230، 233، 255، 257، 263، 265، 270

ترجانوس، 137
ترنتيوس الأفريقي، 109
تريفون، 195
تيبيريوس، 73، 182
تيتوس بلاوتوس، 79
تيتوس لابينوس، 180
تيتوس ليفيوس، 45، 195
تيرانتيوس آفر، 85
تيودور مومسن، 51
ثيودوروس الكيريني، 131
ثيودوسيوس، 245
ج. ب. شابو، (شابو)، 2، 4، 18، 24
جان مالوم، 9
الجنرال فيدرب (فيدرب)، 2، 15، 22
جوداس، 2
جورج ألدريت، 79
جوليان الإيكلاني، 38، 56
جون دينوف، 158
جون كولار، 52
جوهان ديفجاك، 38
جيرارد كولون، 153
جيرمانا، 80
جيلبـــار شـــارل بيكـــار، 63، 76، 80، 91، 96، 110، 125، 137، 154، 159، 238، 239، 270
جيليوس، 179
جيمس فيفري، 15

حانون القرطاجي، 28، 194
حانون، 28، 194
حيرام، 26
خديجة منصوري، 140، 170، 171، 284
الدكتور روبو، 2
دميتريانوس، 235
دو سولسي، 2
دوميتيانوس، 174، 253
دوناتوس الكبير، 57
دوناتوس، 231، 233، 250، 256
دونسيوس، 205
دونيسيوس، 202
ديدون، 112
ديكيوس، 233، 235، 236
ديلوس، 45، 278
ديموشين، 86
ديوجين، 214
ديودوروس الصقلي، 13، 45
ديوسكوروس، 113
ديوكليتيانوس، 137، 170، 256
رجيليوس، 109
روجي هانون، 160
روفينوس، 208
رومانيانوس، 91
رومانيوس، 91
رومنيانوس، 239

روني كانيا، 152، 154، 183، 262
رونييه باسي، 1
رينيه ديسو، 27
زيناي، 24
سالفيوس يوليانوس، 94
سالم شاكر، 8
سالوستيوس، 14، 35، 85، 156، 193
ساموس، 206
سانت أمبروازيوس، 241
سانت بولس، 224
سبتيميوس سيفيروس، 40، 62، 86، 136، 138، 144، 171، 229
سبوريوس كارفيليوس، 97
سبيسيليوس، 231
سترابون، 13، 46، 192، 265
ستيفان غزال (غزال)، 2، 7، 15، 20، 30، 38، 40، 139، 140، 141، 144، 194، 195، 205
سفيريانوس، 209
سقراط، 131، 214، 215، 216
سكابولا ترتولوس، 223
سكابولا، 221، 223
سكوربياس، 223، 226
سكيبيو الأفريقي، 159
سكيبيو أورفيتوس، 209
سليمان حاشي، 8
سولا، 52، 148، 208
سولبيسيوس أبوليناريس، 85، 122، 136

سيرفيليوس سيلينوس، 94
سيفاكس، 112، 139، 191، 211، 270
سيكينيوس أميكوس، 208
سيكينيوس بودانس، 208
سيليستان، 38
سيميراميس، 196
سيناك، 195
سينزيوس الكيرني، 130
سيوس فوندانوس، 80
شارل أندري جوليان، (جوليان)، 1، 2، 37، 38، 48، 56، 59، 74، 84، 88، 91، 94، 103، 110، 111، 114، 120، 135، 154، 182، 183، 193، 200، 214، 219، 244، 254، 271
شارل دي فوكو، 16
شـنيتي، 21، 33، 34، 36، 43، 44، 45، 46، 47، 56، 58، 59، 133، 156، 191، 192، 272
شيشـرون، 47، 70، 85، 86، 95، 113، 117، 149، 186، 194، 195، 199، 201، 239، 243، 262
شينديال، 26
طاليس الملطي، 213
عبد الحق لمجيدي، 11
عبد السلام بن ميس، 44، 47، 75، 82، 86، 88، 95، 98، 117، 118، 131، 132، 136، 137، 138، 143، 145، 157، 164، 198، 199، 201، 203، 204، 205، 212، 213، 215، 216، 217، 218، 219، 221، 230، 240، 244، 246، 247، 248، 249، 250، 252، 253، 254، 255، 256، 271
عبد اللطيف الركيك، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 36، 278
عبد المنعم المحجوب، 28، 49، 59، 271، 286

غارندر، 26
غالفيرا، 192
غاليريوس ماكسيموس، 232
غايريال كامبس، 29
غايوس ديكيوس، 231
غايوس قيصر، 195
غايوس، 73
غراكوس، 73
غرانيوس، 208
غردون تشايلد، 10
غوتييه، 5، 38، 40
غودا، 53
غولوسا، 34، 45
فارو، 70، 149
فالنتيانوس، 223، 225
فاليريانوس، 231
فاوستينا مينور، 201
فايفر، 183
فرجيل، 13، 117، 180
فرجيليوس، 47، 85، 107، 252
فرونطو الكيرتي (فرونطو)، 56، 86، 94، 121، 145، 190، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 253، 236، 277، 284، 322، 320
فريدريك، 8، 319
فلافيانوس روغاتيانوس، 174
فلافيوس بودنس بومبونيانوس، 125
فلافيوس فيكتورينوس، 81

فلافيوس مارسيليانوس، 245
فلافيوس، 77، 141، 159، 322
فليكيسيموس، 234
فليندرز بيتري، 3
فندريس، 51
فورفوريوس، 247
فوسفوروس، 91
فولجانتيوس، 15، 20، 22، 258
فولوسيوس جونيور، 85
فوليزيا ترتولينا، 144
فوليزيوس يونيوريوس، 85
فيتروفيوس، 167، 170، 171، 177، 178، 265
فيثاغورس، 165، 213
فيجيليوس ساتورنينوس، 223
فيدون، 218، 323
فيرجيليوس، 83، 86، 254
فيرموس، 145
فيسباسيان، 160، 171
فيسبسيانوس، 139، 211
فيكتورينوس، 85
فيكتوس توسكوس، 195
فيلمون، 213
فيلو يهودايوس، 222
فيلون الإسكندري، 180
فيندرز بيتري، 26
فينوس، 190، 217

القـــديس أوغســـطين، 15، 22، 37، 39، 57، 61، 71، 73، 80، 83، 85، 89، 93، 98، 101، 113، 114، 145، 156، 157، 162، 163، 171، 186، 190، 206، 212، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 249، 250، 251، 258، 265، 280، 285
القديس جيروم، 66، 237، 247، 250، 269، 276
القديس فولجانتيوس، 15، 22
القديس فيفيوس، 250
القديس ليكيوس، 236
قيصر، 72، 73، 133، 159، 191
كاتون الأكبر (الكبير)، 73، 98، 132، 145، 197
كاركوبينو، 74، 82، 107، 129
كارل دزياتزكو، 182
كارل ماينهوف، 2
كارنياديس، 132
كاسيوس سيفيروس، 180
كاسيوس فيلكس، 10
كالماخوس، 131
كاليغولا، 48، 142، 143، 180، 193
كامبس، 16، 159، 272
كايكليوس كيبريانو كيبريانوس، 230
كايكليوس كيبريانوس ثاسيوس، 190، 230
كايكيليوس نتاليس، 255
كايكيليوس، 255
كايليا فكتوريا، 73
كايليوس أوريليانوس، 56، 122
كايوس غراكوس، 133، 156

كايوس يوليوس غايتولوس، 23
كايوس يوليوس يوبا، 190، 191
كراتس الكلبي، 214
كراكلا، 150
كريسبينوس، 38
كريسيبوس، 222
كريموتيوس كوردوس، 180
كطُه ؤ ماسوالت، 23
كطُه، 23، 24
كلاروس بونيكيانوس، 87
كلاوديوس، 193
كلسينوس النوميدي، 200
كلاوديوس بطليميوس، 139، 140، 142
كلوديوس مكسيموس، 209
كلوديوس، 44، 129، 139، 140، 142، 164، 266
كليمنت الأسكندري، 197
كليوباترا سيليني، 192
كليوبترا الكبرى، 192
كليوبترا، 192
كورنيليا فورتوناتا، 73
كورنيليا، 73
كورنيليا، 73، 85، 208
كورنيليوس، 190، 198، 235، 236
كوروبيس، 232، 236
كوريبوس، 10، 15، 22، 258
كونراد فوسينغ، 160

كويرينوس، 234، 325
كوينتوس سيبتيميوس فلورنس ترتوليانوس، 219
كوينتوس يوليوس فيليكس، 87
كوينتوس، 87
كوينتيلا، 225
كوينتيليانوس، 121، 122، 124، 126، 177، 191، 195، 260
كيبريـــانوس، 57، 61، 122، 136، 190، 230، 231، 232، 233، 236، 237، 255، 257، 263، 269، 288، 324، 321
كيوبسونس، 124
لازار كوستا، 47
لاكتانتيوس، 57، 122
لانجي، 183، 315
لماركوس فارو، 176
لوغلاي، 160، 262
لوكيوس أبوليوس ثيسيوس، 204
لوكيوس إيليوس، 176
لوكيوس فيروس، 94، 201، 203
لوكيوس ويروس، 200
لوكيـــــوس، 14، 48، 49، 56، 60، 61، 62، 84، 85، 88، 89، 91، 92، 94، 96، 101، 110، 114، 118، 121، 124، 131، 135، 136، 139، 142، 148، 150، 151، 157، 158، 166، 171، 172، 190، 202، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 218، 243، 260، 262، 266، 277، 279، 325
لوليانوس أفيتوس، 209
ليتورنو، 15، 20
ليزانياس، 131

ليكنتيوس، 91
ليكونتيوس، 83، 91
ليليانوس أفيتوس، 208
مارتيال، 195
مارتيانوس كابيلا، 141، 253
مارسيل لوغلاي، 160
مارك ليدزبارسكي، 4
ماركوس أنتونينوس فاوستيانوس، 81
ماركوس أوبيليوس ماكرينوس، 143
ماركوس أوريليوس، 94، 117، 182، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 212
ماركوس تيرنتيوس فارو، 149
ماركوس دوميتيوس روفينوس، 77
ماركوس فيكتور سيانوس، 81
ماركوس كورنيليوس فرونطو، 190، 198
ماركوس يوليوس كينتيانوس فلافيوس روغاتيانوس، 153
ماركيون، 223، 224
ماريوس فاكتيس، 141
ماريوس، 52، 77
ماستانيسوسوس، 35
ماسينيسا، 18، 33، 34، 35، 45، 53، 112، 139، 159، 211، 272، 288، 326
ماغون، 32
ماكروبيوس، 86، 254
ماكسيم المادوري، 36، 39، 156
ماكسيما، 77
ماكسيموس المادوري، 141، 243
ماكسيموس كلوديوس، 208

ماكورتام، 24
ماكورغوم، 24
مالتسان، 64، 328
محمد الصـــغير غـــانم، 2، 5، 6، 10، 16، 17، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 272، 279
محمد العربـــي عقـــون، 1، 2، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 18، 19، 20، 22، 23، 28، 29، 30، 33، 34، 45، 47، 48، 53، 54، 56، 57، 59، 62، 89، 97، 108، 110، 120، 129، 145، 159، 170، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 249، 250، 266، 272، 273، 279، 280، 285
مستنبعل، 34، 45
مسوالت، 24
المصطفى نعمي، 11
مليكة حشيد، 11
مهـــا عيســـاوي، 13، 14، 15، 17، 20، 23، 24، 25، 63، 144، 145، 273، 280، 285
موخومور، 31، 37
موريس دوناند، 27
مولخومور، 31
مونيكا (مونيكاي)، 238، 240، 241، 243
ميثراداتيس السادس، 148
ميغين، 39، 327
ميكيبسا، 4، 5، 18، 34، 45، 53، 145
مينوكيوس فليكس، 62، 255
نامفامو، 39
نبريديوس، 243
نبوخذ نصر، 196

نواتوس، 231
نور الدين تليلي، 182
نوفانتاينوس، 235
نوميريانوس، 70
نونيوس مارسيلوس، 56، 122، 136، 141
نيكولاس الدمشقي، 217
نيميسيانوس، 121، 135، 136
هادريانوس، 94، 159، 170، 204، 254
هاليفي، 2، 3، 7، 15، 20
هانيبال، 95
هُرتينسيُوس، 96
هرموجينيس، 223، 224
هنري إرينيي مارو، 261
هنري لوت، 16
هوراتيوس، 83
هوريوكراتيوس، 197
هوميروس، 109، 180، 181، 186، 262، 270
هونوريوس يوليوس، 140
هياجنيس، 214
هيبياس، 213
هيجيسياس، 131
هيراكليس، 46
هيرودس أتيكوس، 253
هيرودوتس (هيرودوت)، 13، 14، 42، 49، 60، 129، 130، 202، 266، 277، 280
هيروديانوس، 197
هيريوس، 247

هيزوخيوس، 197
هيزيود، 86
هيلاريوس، 250
هيمسال الثاني (هيمسال)، 34، 36، 45، 53، 156، 165، 190، 193، 328، 329
يانواريوس، 145، 255
يفون آليس، 99، 261
يوبا الأول، 35، 140، 159، 190، 192
يوبـا الثـاني، 36، 47، 48، 51، 53، 55، 86، 121، 142، 143، 144، 145، 152، 156، 164، 165، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 252، 263، 277، 278، 281، 287، 289
يوجين ألبرتيني، 126
يوسبيريدس، 44، 129
يوغرطة، 13، 53، 54، 112، 129، 138، 193، 265، 266
يوفروبوس، 195
يوفينال، 90، 108، 134
يوليا بريما، 80، 81
يوليانوس المرتد، 181
يوليانوس الهدروماتي، 86، 252
يوليوس قيصر، 112، 133، 149، 156، 159، 162، 181، 190، 191، 193، 266، 271

2- فهرس القبائل والشعوب:

الإتروسكيين، 51
الأثيوبيين، 13
الأشوريين، 123، 196،
الإغريق، 7، 13، 34، 35، 42، 43، 44، 45، 46، 48، 51، 111، 129، 196
الأفارقة، 39

الأمم البربرية، 22
الأنطونيين، 121
الأوسك، 50
الأومبري، 50
البرابرة، 56
البرثيين، 203
البطالمة، 123، 132
البونيين، 5، 13
البيثونيين، 203
الجماعات اليهودية، 123
الجيتول، 62، 139، 192، 211
الرومـــان (رومـــان)، 21، 25، 28، 38، 44، 48، 50، 51، 53، 54، 55، 56، 57، 59، 60، 62، 67، 69، 70، 79، 82، 88، 95، 97، 100، 111، 112، 117، 118، 119، 120، 122، 127، 130، 133، 138، 143، 144، 145، 147، 148، 150، 156، 159، 190، 191، 192، 216، 229، 231، 254، 269، 280
ريبو، 13
السامنيوم، 50
شعوب البحر، 27
الطوارق، 15
عائلة سوسيا، 195
الغوانش، 17
الفينيقيين (الفينيقيون)، 2، 5، 7، 8، 27، 28، 29
القبائل الليبية، 17، 60، 288
قبيلة الماشوش، 13
قبيلة الموزولامي، 140
قبيلة كويرينا، 87، 330

القرطاجيين (القرطاجيون)، 28، 108، 122، 194، 203
القوط، 245، 247
كنعانيين، 26، 39
كويرينا، 63، 96
اللاتين (اللاتينيون)، 13، 35، 40، 51، 82، 117، 181، 196
ليباهيم، 14
ليبو، 13
الليبوفينيقيين، 28
الليبيين (الليبيون)، 1، 13، 14، 29، 62، 129، 130، 201، 243، 266
الماسيسيل، 16
الماسيل، 16، 36، 46، 159، 190، 193
المجتمع الإتروسكي، 148
المجتمع البوني، 4
المجتمع الثاموقادي، 155، 184
المجتمع الروماني، 47، 50، 51، 56، 59، 62، 1، 66، 67، 68، 69، 70، 82، 88، 110، 117، 130، 147، 196، 259، 261، 285
المجتمع الكيرتي، 33، 46
المجتمع الليبي، 14، 22، 29
مجتمع المغرب القديم، 2، 3، 5، 7، 8، 9، 11، 12، 15، 17، 18، 20، 21، 22، 23، 25، 35، 36، 39، 40، 46، 49، 53، 55، 56، 58، 59، 61، 63، 64، 1، 66، 71، 80، 88، 91، 97، 117، 118، 119، 123، 127، 128، 152، 156، 173، 178، 184، 205، 219، 261
المجتمع النوميدي، 46
مسكره، 24
المصريين، 13، 196
المغاربة، 39، 59

المقدونيين، 148، 203
الموريطانيين، 18، 23
ميسيكيري، 24
النوميـــد (النوميـــديين)، 5، 18، 23، 34، 35، 36، 45، 46، 58، 62، 139، 145، 156، 159، 201، 211، 214
الوندال، 15، 22، 110، 145، 158، 242
اليهود، 123، 160، 196، 221، 223، 234
اليونانيين (اليونانيون)، 27، 51، 94، 142، 143، 331، 181

3- فهرس البلدان:

أبولونيا، 44، 129
أتيكا، 205
أثينـــا، 44، 82، 90، 129، 130، 131، 136، 142، 143، 149، 164، 166، 191، 193، 196، 205، 207، 209، 253، 260
أثيوبيا، 197
أسبانيا، 53، 192، 196
الإســـكندرية، 35، 44، 82، 90، 129، 130، 131، 132، 136، 137، 138، 143، 149، 155، 166، 193، 205، 207
آسيا الصغرى، 51، 86، 148، 192، 200، 206
آسيا، 217
الأطلس الصحراوي، 10
الأطلس الكبير، 9
الأطلس المغربي، 17
آعزيب نكيس، 9، 288
آغار، 93، 332
أفريقيا الجديدة، 133، 193

أفريقيا القديمة، 133
أفريقيـــــا، 1، 6، 10، 15، 16، 20، 21، 22، 28، 29، 35، 36، 40، 44، 47، 51، 53، 54، 60، 63، 64، 108، 109، 129، 132، 133، 134، 135، 138، 142، 156، 157، 158، 164، 165، 195، 200، 207، 208، 217، 223، 231، 233، 243، 255، 266، 269، 270، 271، 272، 273، 276، 277، 278، 286، 332
أفريقية، 29، 39، 190، 191، 194، 211، 232، 261، 266
أفريكا نوفا، 86، 159، 192
إكادن واشارن، 9
ألسيوم، 203
الأناضول، 86، 148، 192، 197، 200، 206
أوتيكا، 2
الأوراس، 140، 145، 280
الأوراس، 6
أورشليم، 160
أوروبا، 217
أوستيا، 241
أولاد بشيح، 6
أويا، 28، 61، 84، 98، 138، 189
أويا، 35، 49، 138، 166، 185، 207، 208، 209
إيطاليا، 27، 43، 51، 69، 93، 95، 143، 165، 171، 179
إيول، 142، 164، 193
بابل، 196
بابيلونيكا، 196
بجاية، 6، 333
البحر الأبيض المتوسط، 13، 28، 46، 120، 138
البحر الأحمر، 195

البحر الأسود، 148، 180
برقة، 44، 129
البروقنصـــلية، 61، 62، 63، 64، 120، 133، 207، 209، 223، 230، 231، 252، 254، 255، 262، 270
بلاد الإغريق، 45
بلاد الشرق، 192، 333
بلاد العرب، 143، 164، 194، 195، 197
بلاد المغرب القديم، 37، 40، 54، 58، 65، 86، 120، 125، 129، 181
بلاد المغرب، 2، 11، 12، 37، 43، 46، 54، 55، 58، 59، 60، 62، 64، 65، 70، 86، 87، 88، 91، 96، 97، 108، 112، 117، 118، 120، 123، 125، 127، 128، 129، 132، 138، 143، 146، 147، 150، 152، 156، 162، 171، 179، 181، 182، 185، 190، 204، 219، 237، 242، 255، 262، 263، 285
بلاد اليونان، 43، 45، 46، 47، 67، 71، 82، 137، 143، 148، 206
بني فرج، 337
بوحجار، 6
بولا ريجيا، 152، 159، 160، 161، 183، 189، 262، 290
بوليا، 50
بومبي، 68، 160، 289
بونتوس، 148
بيدنا، 148
بيرصا، 157، 209
البيزاسان (المزاق)، 15، 81، 93، 137
تالة، 140، 333
تاموقادي، 125، 170، 278، 289
تبسة، 6، 23، 64، 97، 126، 145، 280
ترهونة، 64

تريبوليتانيا (طرابلس)، 28، 49، 138، 166، 207
توخيرا، 44، 129
تونس، 1، 3، 6، 15، 16، 17، 21، 29، 36، 48، 71، 137، 140، 265، 271
تيبستي، 10
تيبور، 178
تيغزيرت، 77
تيفاست، 84، 98، 144
تيمقاد، 153، 160، 170، 173، 278
ثابسوس، 190
ثاغاســت، 73، 83، 84، 91، 98، 139، 141، 145، 166، 189، 238، 239، 240، 241، 243، 260
ثاموقــادي، 63، 152، 153، 155، 158، 159، 170، 174، 182، 183، 184، 189، 249، 262
ثوغا، 5
ثيساليا، 206
جبال الأطلس، 194، 195
جبيل، 26
الجزائـــــر، 1، 2، 3، 5، 6، 8، 10، 13، 14، 15، 16، 17، 21، 23، 26، 27، 28، 29، 31، 33، 34، 36، 37، 43، 44، 45، 46، 47، 49، 50، 53، 58، 60، 63، 64، 73، 78، 79، 80، 85، 90، 91، 95، 99، 107، 115، 119، 120، 122، 126، 143، 147، 156، 159، 162، 165، 167، 170، 190، 191، 192، 194، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 238، 239، 240، 241، 242، 244، 245، 246، 248، 249، 250، 256، 265، 266، 269، 270، 271، 272، 273، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 284، 285
الجزائر، 3، 6، 62، 285

جزر الكناري، 17، 194
جزر موغادور، 194
جزيرة فيرتيفينتورا، 194
جزيرة ثيرا، 42، 44، 129
جزيرة رودس، 45
جزيرة كناريا، 194
جزيرة لانزروات، 194
جزيرة تينيريف، 194
جزيرة لابالما، 194
الجنوب التونسي، 17
الجنوب الوهراني، 10، 18، 33
جيتوليا، 139، 140، 211
خليج السرت، 36
الخليج الفارسي، 195
خليج غانا، 194
دار بوك عميرة.، 167
دوقة، 15، 16، 18، 19، 20، 33، 73، 288
ديونسيوس، 199
رابية البلاتين، 160
رابية بلاتينا، 150
رأس الحداجة، 64
روسبي، 15، 22
رومـــا، 38، 45، 50، 52، 53، 54، 56، 62، 64، 67، 69، 75، 83، 88، 89، 90، 95، 97، 98، 108، 117، 122، 129، 134، 135، 136، 137، 143، 148، 149، 150، 164، 170، 174، 177، 181، 191، 192، 193، 196، 197، 198، 199،

200، 204، 206، 219، 220، 221، 231، 234، 236، 239، 240، 241، 245،
246، 252، 253، 255، 259، 260، 270
زاما الملكية (زاما)، 190
زليتن، 168، 169، 280
زليل، 35
ساحل السرتين، 44
سدراتة، 23
سطيف، 6
سـوريا، 13، 26، 28، 143، 164، 167، 180، 219، 224، 265، 268، 269، 270،
287
سوغولين، 168
سوق أهراس، 15، 20، 139، 238
سيكا فينيريا، 98، 122، 136، 137، 254، 255
سيلين، 167، 262، 290
الشافية، 6، 14، 20، 23، 24، 25، 64، 280
شبه الجزيرة الأيبيرية، 192، 196
شبه الجزيرة الإيطالية، 43، 50، 51
الشرق الأدنى القديم، 27، 28
الشرق الجزائري، 14، 20، 23، 24، 25، 140، 280
الشريعة، 140، 223
الشـمال الأفريقـي، 1، 14، 19، 22، 28، 29، 30، 34، 45، 47، 48، 49، 56، 57،
59، 97، 108، 110، 120، 130، 159، 273، 277
الشمال القسنطيني، 16
شمتو، 64، 93، 101، 289
صبراتا، 28، 35، 49، 98، 138، 189، 204، 208، 213، 266
الصحراء الكبرى، 138
صقلية، 43، 52، 200

الصويرة، 194
الطارف، 64
الطاسيلي، 10
طرابلس، 14، 18، 27، 33، 129، 271، 284
طروادة، 246
الطنجية، 28، 63، 142، 286
الظهير التونسي، 140
غابس، 145
غارديماو، 6
غاليا، 254
الغرب الأوروبي، 51
فريجيا، 206
فزان، 10
فلسطين، 147، 192، 195، 277
فوسالا، 22، 38
القالة، 23
قالمة، 80، 81، 82، 98، 200، 285
قرطاج، 49، 82، 90، 108، 133، 136، 137، 138
قرطاجـــــة، 3، 4، 5، 17، 21، 28، 29، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 40، 44، 48، 53، 55، 61، 86، 89، 90، 91، 92، 93، 95، 96، 98، 100، 108، 118، 122، 129، 130، 132، 134، 135، 137، 138، 139، 141، 143، 144، 150، 152، 155، 156، 157، 158، 172، 179، 185، 189، 193، 198، 199، 204، 205، 207، 208، 209، 219، 220، 230، 231، 232، 234، 235، 236، 239، 240، 241، 242، 250، 252، 253، 254، 260، 261، 269
قسطنطين، 80
القسطنطينية، 181

قســـنطينة، 6، 13، 16، 40، 47، 53، 62، 64، 89، 170، 194، 265، 277، 280، 284، 285، 337
قفصة، 126
قورين، 18، 129
قورينا، 44، 129، 130، 278
قيصـــــــرية، 85، 90، 96، 129، 139، 142، 143، 144، 145، 150، 164، 165، 183، 189، 193، 261، 262
كاف بني فرج، 23
كالاما، 38، 80، 81، 82، 200
كامبانيا، 50
كاناي، 95، 276
كسيبة مراو، 6
كورنثيا، 202
كوروبيس، 237
كورينثا، 206
كولونيا يونونيا كرتاجو، 133، 194
كويكول، 63، 99، 100، 261، 284
كيرتـــــا، 33، 35، 40، 46، 54، 84، 87، 94، 98، 124، 145، 166، 189، 198، 200، 201، 238، 255
كيرينايكـــــا، 18، 33، 43، 44، 75، 82، 88، 90، 96، 98، 58، 129، 131، 132، 137، 138، 150، 189، 261
لاتين، 47
اللاتيوم، 50، 69
لبتيس ماغنا، 28، 35، 40، 47، 62، 84، 93، 100، 138، 168، 171، 183، 189
لوكانيا، 50

ليبيـــا، 10، 13، 14، 17، 27، 35، 44، 123، 129، 143، 148، 164، 169، 170، 217، 266، 271، 273، 276، 277، 278، 279، 280
ليكسوس، 2
ماباليا، 38
مادورنسيوم، 140
مـــــادوروس، 48، 61، 62، 63، 77، 81، 83، 84، 85، 90، 93، 96، 100، 101، 112، 129، 136، 139، 140، 141، 142، 145، 146، 150، 166، 189، 204، 205، 206، 210، 211، 239، 243، 253، 260، 262، 276، 289
مادوريس أوبيدوم، 140
مادورينسيس، 140
مادوريوس، 140
ماركيانا ترايانا ثاموقادي، 153
المتيجية، 16
المحيط الأطلسي، 13، 17، 194
المحيط الهندي، 195
مداوروش، 140
مدينة الخمس، 168
مدينة بروندیزیوم، 179
مدينة توميس، 180
مذابح فيلان، 36
مصـــــر، 10، 13، 17، 35، 42، 74، 82، 84، 89، 123، 130، 132، 143، 148، 149، 167، 171، 192، 223، 240، 244، 248، 265، 269، 270، 273، 276، 278، 279، 281، 285، 287
معبد الحفرة، 33، 46
المغـرب القـديم، 1، 2، 4، 12، 13، 23، 28، 34، 36، 37، 39، 40، 42، 43، 46، 47، 49، 50، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 70،

75، 86، 87، 91، 92، 94، 96، 97، 98، 102، 108، 112، 117، 118، 119،
120، 121، 122، 123، 125، 127، 128، 129، 132، 134، 135، 138، 143،
146، 147، 152، 155، 156، 162، 171، 172، 179، 180، 181، 182، 183،
186، 188، 189، 190، 198، 204، 218، 219، 229، 237، 242، 243، 252،
254، 255، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 285
المغرب، 9، 16، 17، 18، 29، 33
مكتاريس، 90، 93، 96، 100، 125
مكثر، 14
موريطانيا الطنجية، 193
موريطانيا القيصرية، 142، 164، 193
موريطانيـــــا، 16، 28، 32، 35، 43، 53، 63، 58، 139، 142، 143، 145، 164،
193، 195، 261، 270، 286
ميديا، 111
ميزوبوتاميا، 186، 196
ميلاف، 256
ميلانو، 89، 93، 239، 240، 241، 260
نهر التيبر، 178، 241
نهر النيل، 13، 194
نهر سيبوس، 16
نوميديا الشرقية، 35، 140
نوميـــــديا، 16، 23، 28، 32، 35، 36، 43، 46، 53، 55، 58، 62، 63، 64، 86،
120، 58، 133، 138، 139، 140، 142، 145، 152، 158، 190، 192، 198،
211، 256، 262، 270، 272، 277، 286
نيفاريا، 194
هادروميتوم، 84، 94، 137، 189
هدروميتوم، 252

الهقار، 9، 10
الهند، 195، 197، 213، 240، 287
هيبوريجيـــوس، 36، 37، 95، 98، 137، 145، 162، 163، 171، 183، 189، 238، 242، 250، 290
هيبون، 22، 38، 39، 61، 89، 152، 162، 163، 189، 262، 280، 281
هيسبانيا، 86، 254
واحة سيوة، 17
وادي العامور، 64
يانواريوس، 145، 255
اليونان، 27، 43، 46، 66، 67، 82، 117، 119، 148، 165، 193، 205، 253

لفظ الجلالة وفهرس الآلهة:

الله، 1، 3، 66، 67، 69، 86، 99، 167، 198، 224، 239، 240، 242، 244، 245، 246، 249، 264، 265، 271، 276، 284، 287
الـــــرب، 220، 222، 223، 224، 225، 227، 232، 234، 237، 244، 245، 246، 247
أبولو، 160، 182
إزيس، 206
أسكولابيوس، 207، 208، 209
الآلهة، 33، 85، 172، 190، 202، 206، 210، 214، 221، 234، 235، 246
إيزيس، 205
بعل حامون، 33، 288
تانيت، 28، 33، 49، 59، 271، 286
ساتورن، 217
عطارد، 141، 253
مـــــــارس، 14، 96، 133، 141، 142، 145، 150، 157، 190، 199، 217، 220، 240، 252، 253، 255، 280، 284

مردوخ، 196
مركور، 253
ميركوري، 217
مينرفا، 154
هيركول، 171

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

كلمة شكر وتقدير

مقدمة ..... أ-ر

الفصل الأول: الحقل اللغوي في بلاد المغرب القديم 1

المبحث الأول: اللغة والكتابة الليبية 1

المطلب الأول: أصل الكتابة والأبجدية الليبية 1

1- فرضية الأصل الفينيقي والبوني للأبجدية الليبية 2

2- أصالة ومحلية اللغة والكتابة الليبية 8

المطلب الثاني: انتشار اللغة والكتابة الليبية قبل وبعد الاحتلال الروماني 13

1- اللغة الليبية وحيز انتشارها قبل الاحتلال الروماني 13

2- استمرارية اللغة الليبية وانحصار أبجديتها خلال فترة الاحتلال الروماني 22

المبحث الثاني: اللغة والكتابة البونية 29

المطلب الأول: المسار التطوري للغة والكتابة البونية 29

1- اللغة الفينيقية 29

2- اللغة البونية 31

3- اللغة النيو- بونية 33

المطلب الثاني: انتشار اللغة البونية في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني 35

المطلب الثالث: واقع اللغة والكتابة البونية خلال فترة الاحتلال الروماني 40

المبحث الثالث: اللغة والكتابة الإغريقية 45

المطلب الأول: تطور الأبجدية والكتابة الإغريقية 45

المطلب الثاني: انتشار اللغة الإغريقية في بلاد المغرب القديم 46

المطلب الثالث: انتشار اللغة الإغريقية في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية 50

المبحث الثالث: اللغة والكتابة اللاتينية 54
المطلب الأول: الجذور التاريخية للغة اللاتينية 54
المطلب الثاني: واقع اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم 57
1- اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني 57
2- اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم بعد الاحتلال الروماني 59
المطلب الثالث: عوامل انتشار اللغة اللاتينية 62

الفصل الثاني: انتشار التعليم ونتائجه في بلاد المغرب القديم..... 71

المبحث الأول: التربية والتعليم في بلاد المغرب القديم 71
المطلب الأول: تطور التعليم عند المجتمع الروماني..... 71
المطلب الثاني: مراحل التنشئة والتعليم في بلاد المغرب القديم 77
1- مرحلة الحضانة 77
2- مرحلة الليتيراريوس 81
3- مرحلة الغراماتيكوس 90
4- مرحلة الريطوريكا 97
المبحث الثاني: المدارس التعليمية في بلاد المغرب القديم 107
المطلب الأول: الهياكل والوسائل المدراسية..... 107
1- الهياكل المدرسية 107
2- الوسائل والأدوات المدرسية..... 114
المطلب الثاني: المناهج الدراسية والعقوبات والإجازات..... 118
1- المناهج الدراسية..... 118
2- العقوبات والإجازات..... 125
المبحث الثالث: نتائج التعليم في بلاد المغرب القديم 129
المطلب الأول: أثر التعليم الروماني على مجتمع المغرب القديم 129
المطلب الثاني: ظهور النخب المثقفة في المغرب القديم 131
المطلب الثالث: تطور اللغة والكتابة اللاتينية..... 134

الفصل الثالث: المراكز التعليمية والعلمية والثقافية في بلاد المغرب القديم 141

المبحث الأول: المراكز التعليمية والعلمية في بلاد المغرب القديم 141
المطلب الأول: المراكز التعليمية والعلمية في كيرينايكا وأفريقيا..... 141
1- مدينة كيرينايكا 141
2- مدينة قرطاجة 145
3- مراكز تعليمية وعلمية أخرى..... 149
المطلب الثاني: المراكز التعليمية والعلمية في نوميديا وموريطانيا 151
1- مدينة مادوروس 151
2- مدينة قيصرية..... 154
3- مراكز تعليمية وعلمية أخرى..... 156
المبحث الثاني: المراكز الثقافية (المكتبات) في بلاد المغرب القديم..... 159
المطلب الأول: ظهور المكتبات عند المجتمع الروماني..... 159
المطلب الثاني: انتشار المكتبات في بلاد المغرب القديم..... 162
المبحث الثاني: أنواع المكتبات في بلاد المغرب القديم..... 164
المطلب الأول: المكتبات العامة 164
1- مكتبة ثاموقادي..... 164
2- مكتبة قرطاجة..... 168
3- مكتبة بولا ريجيا 171
4- مكتبة إكليسيا هيبون..... 174
5- مكتبة يوبا الثاني 176
المطلب الثاني: المكتبات الخاصة 178
1- مكتبة بيت بونتيانوس..... 179
2- مكتبات ملحقة بالفيلات..... 180
3- مكتبات ملحقة بالحمامات والمعابد 183
المبحث الثالث: طبيعة عمل المكتبات في بلاد المغرب القديم 187
المطلب الأول: مصادر تمويل المكتبات وآلية التخزين والفهرسة والعمل بها 187

1- تمويل المكتبات 187
2- تموين محتويات المكتبات 188
3- التخزين والفهرسة وحفظ الكتب 188
4- آلية عمل المكتبات 191
المطلب الثالث: الكتب المسموح بها وتقييم حجم الاستيعاب في المكتبات 194
1- نوعية الكتب المسموح بها في المكتبات 194
2- تقييم قدرة استيعاب الكتب في المكتبات 197
3- أثر المكتبات على الواقع الثقافي للمغرب القديم 199

الفصل الرابع: الإسهام الفكري والعلمي للنخبة المغاربية المثقفة خلال الفترة الرومانية 205

المبحث الأول: نماذج من النخب الوثنية وإسهاماتها الفكرية والعلمية 205
المطلب الأول: يوبا الثاني (كايوس يوليوس يوبا) 205
1- مولد ونشأة يوبا الثاني 205
2- الإسهامات الفكرية والعلمية ليوبا الثاني 208
1/ كتاب ليبيكا 209
2/ كتاب أرابيكا 210
3/ كتب التاريخ 211
4/ كتب عن اللغة 211
5/ كتب عن الفنون 212
المطلب الثاني: ماركوس كورنيليوس فرونطو 213
1- مولد ونشأة ماركوس كورنيليوس فرونطو 213
2- إسهامات فرونطو الكيرتي الفكرية والعلمية 216
1/ المراسلات 217
2/ المقالات 217
3/ الكتب 218
المطلب الثالث: لوكيوس أبوليوس 220

1- مولد ونشأة لوكيوس أبوليوس 220
2- إسهامات لوكيوس أبوليوس الفكرية والعلمية 227
1/ المؤلفات الأدبية 228
2/ المؤلفات الفلسفية 230
3/ مؤلفات في مختلف مجالات المعرفة 233
المبحث الثاني: نماذج من النخب المسيحية وإسهاماتها الفكرية والعلمية 235
المطلب الأول: القديس ترتوليانوس 235
1- مولد ونشأة القديس ترتوليانوس 235
2- إسهامات القديس ترتوليانوس الفكرية والعلمية 237
1/ مؤلفات المنافحة (الدفاعية) 238
2/ المؤلفات الجدلية 240
3/ المؤلفات التوجيهية والأدبية والنسكية 243
المطلب الثاني: القديس كيبريانوس 248
1- مولد ونشأة كايكليوس كيبريانوس ثاسيوس 248
2- الإسهامات الفكرية والعلمية للقديس كيبريانوس 251
1/ الكتب 251
2/ الرسائل 254
المطلب الثالث: القديس أوغسطين 256
1- مولد ونشأة القديس أوغسطين 256
2- إسهامات القديس أوغسطين الفكرية والعلمية 262
1/ الإعترافات 263
2/ مؤلفات المنافحة (الدفاعية) 263
3/ المؤلفات الفلسفية 265
4/ المؤلفات العقائدية 266
5/ المؤلفات ضد المانوية والدوناتية والبيلاجية 267
6/ المؤلفات التفسيرية 268

7/ المؤلفات الثيولوجية والأخلاقية والدعوية..... 269
8/ المواعظ والرسائل والشعر 269
المبحث الثالث: نماذج أخرى من النخب المغاربية المثقفة 271
المطلب الأول: النخب الوثنية المثقفة 271
المطلب الثاني: النخب المسيحية المثقفة 275

خاتمة 279
بيبليوغرافيا البحث 286
فهرس الخرائط والملاحق..... 315
فهرس الأعلام..... 318
فهرس القبائل والشعوب 336
فهرس البلدان 339
فهرس الآلهة..... 349
فهرس المحتويات..... 351

ملخص باللغة العربية للأطروحة:

أطروحة دكتوراه علوم الموسومة بـ:

"المظاهر الثقافية والفكرية في المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني 146ق.م-430م"

إعداد الطالب: بوقفة نور السادات، إشراف الأستاذ الدكتور الربيع عولمي

عرف بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني مظاهراً ثقافية وفكرية، تعلقت بالحقل اللغوي الذي امتاز بالرباعية اللغوية، المتكونة من: الليبية والبونية والإغريقية واللاتينية، وهذه الأخيرة؛ سيطرت على المشهد اللغوي لبلاد المغرب القديم، دون أن تزيحها تماماً. كما عرفت نفس البلاد انتشاراً للمنظومة التعليمية على النمط الروماني، التي أثرت على الواقع الثقافي لهذه البلاد؛ وبمراحله الثلاثة، ومورس في أماكن خاصة وفقا لمناهج دراسية ووسائل محددة، وظهرت معه مراكز تعليمية والعلمية. وبرزت نخب مثقفة، كانت لها إسهامات فكرية وعلمية مثلت تراثا لاتينياً لبلاد المغرب القديم.

الكلمات المفتاحية: الحقل اللغوي، المنظومة التعليمية، المراكز التعليمية والعلمية، النخب المثقفة، بلاد المغرب القديم، الاحتلال الروماني.

Résumé de thèse de doctorat:

Cette thèse de Doctorat en sciences est représentée sous le titre de:

«Phénomènes culturelles et intellectuelles au Maghreb antique pendant la période de l'occupation romaine (146 av.J.C -430 ap. J.C.)».

Présentée par : Bougoffa Nouressadete,

Sous la Direction du Professeur: Oulmi Rabie

Durant l'occupation romaine, le Maghreb antique connut un développement culturel et intellectuel important, notamment dans le domaine linguistique, caractérisé par un système linguistique quaternaire comprenant le libyen, le punique, le grec et le latin. Cet derniere domina le situation linguistique du Maghreb antique, sans toutefois supplanter totalement les langues précédentes. La région a connu une généralisation du système éducatif de type romain, qui influença profondément la situation culturelle de cet regione. Ce système, articulé autour de trois, était mis en œuvre localement selon des programmes et des méthodes définis, donnant naissance à des centres d'enseignement et scientifiques. Des élites intellectuelles émergea, dont les contributions intellectuelles et scientifiques constituèrent un patrimoine latin pour le Maghreb antique.

Mots-clés: Linguistique, système éducatif, centres d'enseignement et de recherche, élite savante, Afrique du Nord antique, occupation romaine.